

بمحققين وصريح
جهدك في الجهد

مكتبة الجاهل
أبي عثمان غفر بن جراحا

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الكتاب

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

المجلد الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عيسى ومحمد محمود الحلبي وشركاهم غفر

كتاب الحسين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بكير الجاحظ

الجزء الثالث

بمحقق وناشر

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

ذِكْرُ الْحَمَامِ^(١)

وما أودعها الله عزَّ وجلَّ^(٢) من ضروب المعرفة ، ومن الحِصَالِ
المحمودة ، ليتعرف^(٣) بذلك حكمة الصَّانِعِ ، وإتقان صنْعِ المدبِّرِ^(٤) .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كنَّا قد أملناك بالجدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمروِّجة^(٥) ؛
لتكثر الخواطر ، وتشخذ العقول - فإنَّا سننشطك^(٦) ببعض البطالات ،
وبذكر العلل الظَّريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعْرٍ يبلغُ بفرطِ
غباوة صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، ما لا يبلغه [حشدُ
أحرِّ النوادر ، وأجمع^(٧) المعاني] .

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وما أودعه الله جل ذكره » .

(٣) في الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفي س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التي روجها صاحبها ، وجعلها تسيير في الناس . ويقال : روج الدراهم : جعلها تنفق في السوق . وفي ط ، س : « المزوجة » . والأشبه ما أثبت من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « فاستنشطتك » . وفي س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وما كتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرفُ أمرين استظرافاً شديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخرُ احتجاجُ متنازعينِ في الكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنهما يُثيرانِ من غريبِ الطَّيِّبِ^(١) ما يُضحِكُ كلَّ ثَكْلانٍ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانٍ وإن أحرَقَه لَهَبُ الغضبِ . ولو أنَّ ذلك لا يحلُّ^(٢) لكان في باب اللُّهُو والضَّحِكِ والسُّرُورِ والبَطَالَةِ والنَّشَاغِلِ ، ما يجوز في كلِّ فنٍّ^(٣) .

وسنذكر من هذا الشكلِ عللاً ، ونوردُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُجَجاً . فإن كنتَ ممن يستعملُ الملالةَ ، وتَعَجَّلُ إليه السَّامةُ ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلبك ، وبمهماً لقوَّتِكَ . ولنبتدئُ النَّظَرَ في باب الحماة وقد^(٤) ذهب [عنك] الكلالُ وحدثَ النشاطُ .

وإن كنتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنتَ^(٥) ممرَّناً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقيحٍ ، ودراسةٍ كُتِبَ ، وحِلْفَ تَبَيَّنٍ^(٦) ، وكان ذلك عادةً لك لم يضرِكَ مكانُهُ من الكتابِ ، ومَخْطُوبِهِ^(٧) إلى ما هو أولى بك .

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفكاهة ، كما في هذا الجزء ص ٣٩ .

وفي القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه

وجاء في البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو »

وطيب بمعنى فكاهة مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك لا يحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « ما يجوز كل فن » .

(٤) كذا في س . وفي ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفي ط ، س : « تبين » . وما أثبت من ل أشبهه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطي : مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع في التأليف)

وعلى أني قد عزمتُ - والله الموفق - أني أوشح هذا الكتاب وأفصلُ أبوابه ، بنوادر من ضروب الشعر ، وضروب الأحاديث ؛ ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإني رأيتُ ٣ الأسماع تملُّ الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة ، إذا طال ذلك ^(١) عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة ، التي إذا طالت أورثت الغفلة . وإذا كانت الأوائِلُ قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة ، كان هذا التدبيرُ لما طال وكثر أصلح ، وما غايتنا من ذلك كله إلا أن تستفيدوا خيراً .

وقال أبو الدرداء : إني لأجملُ نفسي ببعض الباطل ، كراهة أن أحمل عليها من الحق ما يملؤها !

(ادعاء أبي عبد الله الكرخي الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيبة ^(٢) ، ومن العِلل الملهية ، ما حدثني به ابن المديني ^(٣) قال : تحوّل أبو عبد الله الكرخي اللّحيانِي إلى

= وأماطه . وإذا حلت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيه » - هي في س : « تخطيته » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ما سبق في ص ٦ . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « الطيبة » مصحفة .

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدي ، مولا هم =

الحرّية^(١) فادّعى أنّه فقيه ، وظنّ أنّ ذلك يجوز له ؛ لمكانٍ لحيته وسمّته .
قال : فألقى على باب داره البواري^(٢) ، وجلس [وجلس] إليه [بعض]
الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله ! رجلٌ أدخل إصبَعَه في أنفه
فخرَجَ عليه دمٌ ، أى شيء يصنع^(٣) ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدتَ
طبيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبي عبد الله المروزيّ)

وحدّثني شُمون^(٤) الطيّب قال : كنتُ يوماً عند ذى اليمّينين طاهر
ابن الحسين^(٥) فدخل عليه أبو عبد الله المروزيّ فقال [طاهر] : يا أبا عبد الله

= ويعرف بابن المديني ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث في عصره ،
والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لا يسميه ، إنما يكنّيه
تجّيلاً له . اتّصل بالقاضي أحمد بن أبي داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد
سنة إحدى وستين ومائة ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ
بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحرية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله
البلخي الراوندي ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضاً في البيان ٢ : ٣٢١ .
س : « الحرية » ل : « الحرية » صوابهما في ط . ونحو هذا الخبر للشعبي
في العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البوري ، والبورية : والباري ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصار المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيبة بهذه في أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف في هذا الاسم : « شُمون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء ، كان أديباً حكيماً
شجاعاً ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسي ، وهو الذى قتل الأمين ،
وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته =

مَنْدُ كَمْ دَخَلْتَ الْعِرَاقَ ؟ قَالَ : مَنْدُ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَأَنَا صَاحِبُ مَنْدُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ^(١) . قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، سَأَلْنَاكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَبْتَنَا عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ !

(جواب شيخ كندی)

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْجَهْجَهَاءُ ^(٢) قَالَ : أَدَّعَى شَيْخٌ عِنْدَنَا أَنَّهُ مِنْ كِنْدَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَنْظَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ نَسَبِ كِنْدَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدِي : مِمَّنْ أَنْتَ يَا [أَبَا] فَلَانَ ؟ قَالَ : مِنْ كِنْدَةَ . قُلْتُ : مِنْ أَيِّهِمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ [هَذَا] الْكَلَامِ ، عَافَاكَ اللَّهُ !

(جواب خَتَنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بَرِيرَةَ)

وَدَخَلْتُ عَلَى خَتَنِ [أَبِي بَكْرٍ بْنِ] ^(٣) بَرِيرَةَ ، وَكَانَ شَيْخًا يَنْتَحِلُ قَوْلَ الْإِبَاضِيَّةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْعَجَبُ مِمَّنْ يَأْخُذُ النَّوْمَ وَهُوَ [لَا] يَزْعُمُ [أَنَّ] الْإِسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ ^(٤) ! قُلْتُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْأَشْعَارُ الصَّحِيحَةُ . قُلْتُ : مِثْلَ مَاذَا ؟ قَالَ : مِثْلَ قَوْلِهِ :

= نَفْسُهُ بِالْإِسْتِقْلَالِ بِهَا ، وَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ مَنِيَّتُهُ . وَسَمِيَ ذَا الْيَمِينِ لِأَنَّهُ ضَرَبَ شَخْصًا فِي وَقْعَتِهِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مَاهَانَ بِالسَّيْفِ فَقَدَهُ نَصْفَيْنِ ، وَكَانَتْ الضَّرْبَةُ يَبْسَارَهُ فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

* كَلْنَا يَدَيْكَ يَمِينٍ حِينَ تَضْرِبُهُ *

فَلَقِبَهُ الْمَأْمُونُ : ذَا الْيَمِينِ . انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٣٢ - ٢٣٣ تَعْلِيلَانِ آخَرَانِ . وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ ١٠ : ١٤١ وَ ١٥٥ فِي حَوَادِثِ ١٩٥ وَالْدِيَارَاتِ لِلشَّابِثِيِّ ٩١ - ٩٢ . وَلَدَ طَاهِرُ سَنَةِ ١٥٩ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٧ .

(١) ل : « وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ مَنْدُ ثَلَاثِينَ سَنَةً » .

(٢) س : « أَبُو الْجَهْجَهَاءِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَلَأَبَى الْجَهْجَهَاءُ حَدِيثُ فِي الْبَخْلَاءِ ص ٣٦ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ص ٢٢ س : ٣

(٤) مِنْ أَصُولِ الْمُعْتَزَلَةِ أَنَّ إِسْتِطَاعَةَ الْفِعْلِ تَسْبِقُ الْفِعْلَ ، وَجُمْهُورُ الْإِبَاضِيِّينَ عَلَى أَنَّ =

* مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَفَقَا ^(١) *

ومثل قوله :

* يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقَعَنَّ وَفَقَا *

ومثل قولهم في المثل : « وَقَعَا كَعِكْمَى عَيْر ^(٢) » [

وكقوله ^(٣) أَيْضاً :

حِكْرٌ مِفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا

كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٤)

وكقوله :

أَكْفُ يَدَى عَنْ ^(٥) أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُم

إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتْنَا ^(٦) مَعَا

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : أَمَا فِي هَذَا مَقْنَعٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، وَفِي دُونَ هَذَا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ .
وكلمة « الفعل » هي في ط ، س : « العقل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون
الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

« (١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ما أثبت من ل .

« (٢) العكم ، بالكسر : العدل بكسر العين . والعير : الحمار . ووقعا : أى
حصلا ، فهما في التوازن والتعادل سواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العكين
في الأكثر إذا حل أحدهما سقطا معا . والمثل يضرب للمساويين . أمثال
الميداني ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكسى عير وكعكى عير :
وقعا معا لم يصرع أحدهما صاحبه . لسان العرب . وفي الأصل ، وهو هنال :
« كمظمى عير » وهو تحريف .

« (٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتي من معلقته المشهورة .

« (٤) هذا الشطر ليس في ل .

« (٥) ل ، س : « من » .

« (٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجل من أهل الكوفة لهشام بن الحكم ^(١) : أترى الله عز وجل في عدله وفضله كلّفنا مالا نطيق ثمّ يعذبنا ؟ ! قال : قد والله فعل ، ولكنّا لانستطيع أن نتكلّم به ! ٤

(سؤال ممرور لأبي يوسف القاضي)

وحدثني محمد بن الصباح قال : بينا أبو يوسف القاضي يسير بظهر الكوفة — وذلك بعد أن كتب كتاب الحيل ^(٢) — إذ عرض له ممرور عندنا أطيّب الخلق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنت في كتاب الحيل ^(٢) ، وقد بقيت عليك مسائل في الفطن ، فإن أذنت لي سألتك عنها . قال : قد أذنت لك فسل . قال : أخبرني عن الحر كافر هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دين الحر دين المرأة ودين صاحب الحر : إن كانت كافرة فهو كافر ، وإن كانت مؤمنة فهو مؤمن . قال : ما صنعت

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والذثبية ، وآراؤه مفصلة في الفرق ٤٧ - ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ - ٢٣ .

(٢) هي الحيل الشرعية ، التي يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دريد في كتابه « الملاحن » المطبوع في مصر سنة ١٣٤٧ . وفي س : « الحيل » وهو تصنيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذن ؛ إذ لم ترض بقولي^(١) . فقال : الجرُّ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأة إذا ركعتْ أو سجّدتْ استدبر الجرُّ القبلةَ واستقبلتْ هي القبلة ، ولو كان دينُها دينَ المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدة يا أبا يوسف . قال : صدقت . [قال : فتأذن^(٢) لي في أخرى ؟ قال : نعم . قال : أخبرني^(٣) عنك إذا أتيت صحراءَ فهجمتَ على بُول وخِراء كيف تعرف أبولُ امرأةٍ هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدري ! قال : أجل والله ما تدري ! قال : [أ] فتعرف أنت ذلك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البول بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت ! قال : وحكى لي جوابَ مسائلَ فنسيت^(٤) منها مسألةً ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسي)

وحدّثني أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبسي^(٥) : ما بال شعر الاستِ^(٦) إذا نبتَ أسرعَ والتفَّ ؟ قال : لقربه من السَّماء^(٧) والماء هَطِلٌ عليه^(٨) ! !

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولي » .

(٢) أراد الاستفهام .

(٣) ل : « أخبرني » .

(٤) ل : « نسيت » .

(٥) ل : « لحجاج العبسي » ، ويظهر أنه من المخشّين .

(٦) ل : « است المرأة » .

(٧) السماء ، بالفتح : أصله سرقين الدواب . وأريد به هنا النجوم ، وفي ط :

« السماء » وهو تحريف ما في ل .

(٨) ماء هَطَل : متتابع الفطر عظيمه . وفي ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدثني محمد بن حسان قال : وقفتُ على نوفلٍ عريفِ الكناسين ،
 وإذا موسوس قد وقف عليه ، وعنده كلُّ كنَّاسٍ بالكَّرْخ ، فقال له
 الموسوس : ما بال بنتِ وردان^(١) تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ^(٢) خِراء وهو
 لها مُسَلَّمٌ وعليها موفر ، وتجيء تطلب اللُّطاخة التي في آست أحدنا وهو
 قاعدٌ على المَقْعَدَةِ^(٣) ، فتلزم نفسها الكُلْفَةَ الغليظة ، وتعرض للقتل ،
 وإِنَّمَا هذا الذي في أستاذنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدرهم
 [وافيًا]^(٤) وافرأ . قال : فضحك القوم ، فحرك نوفلُ رأسه ثم قال :
 أتضحكون ؟ ! قد والله سأل الرجل^(٥) فأجيبوا ! وأما أنا فقد - والله -
 فكرت فيها منذ ستينَ [سَنَةً]^(٦) ، ولكنكم لا تنظرون في شيء من
 أمر صناعتكم . لاجرم أنكم لا ترتفعون أبداً ! [قال له الموسوس : قل -
 يرحمك الله - فأنت زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أن الرُّطَبَ

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجذ في محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ - ١١٨
 حديثاً مثله يروى عن « مخنث » .

- (١) بنت وردان يقال لها في مصر « خنفس » . معجم المملوك ٣٦ .
- (٢) الكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حار ، أو سمون قفيزا ،
 أو أربعون إردباً . وفي ط : ل : « كل » وهي تصحيف . وأثبت ما في س .
- (٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » في عصرنا هذا . وفي ط ، س :
 « المقعد » . وأثبت ما في ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .
- (٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافرأ » وهو تحريف .
- (٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .
- (٦) الزيادة من ل ، س وفي ط : « منذ ستين » .

أَطِيبُ من التَّمَر ، والحديثَ أطرف^(١) من العتيق ، والشئ من مَعْدِنِه
أَطِيب ، والفاكهة من أشجارِها أطرف^(٢) . قال : فغضب شريكه^(٣)
٥ مَسْبَح^(٤) الكُنَّاس ثم قال : والله لقد وَبَّخْتُنَا ، وهَوَّلْتَ عَلَيْنَا ، حتى ظَنَّنَا
أَنَّكَ ستُجِيبُ بِجَوَابٍ لا يَحْسُنُهُ أَحَدٌ ، ما الأمرُ عِنْدَنَا وعند أصحابنا هكذا .
قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاك^(٥) الله ؛ فَإِنِّي مَأْمَتُ الْبَارِحَةَ
من الفِكْرَةِ^(٦) في هذه المسألة ؟ قال مَسْبَح^(٧) : لو أَنَّ لِرَجُلٍ أَلْفَ جَارِيَةٍ
حَسَنَاءَ^(٨) ثُمَّ عَتَقَنَ عِنْدَهُ لِبَرْدَتٍ شَهْوَتُهُ عَنْهُنَّ وَفُتِرَتْ ، ثُمَّ إِنْ رَأَى وَاحِدَةً
دُونَ أَحْسَنَ فِي الْخَسَنِ صَبَا إِلَيْهَا^(٩) وَمَاتَ مِنْ شَهْوَتِهَا . فَبَيَّنْتَ وَرَدَانَ
تَسْتَظَرَفُ^(١٠) تِلْكَ اللَّطَاخَةَ^(١١) وَقَدْ مَلَّتِ الْأَوَّلَى^(١٢) ؛ وَبَعْضُ النَّاسِ

(١) كَذَا فِي ط ، س وَفِي ل : « أَطْرَا » .

(٢) ل : « أَلَذَّ » .

(٣) ط ، س : « شَرِيكَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مِنْ ل .

(٤) كَذَا ضَبْطَ الْأَسْمَاءِ فِي ل . وَجَاءَ فِي ط ، س : « مَسِيح » . وَلَمَسِحَ هَذَا
حَدِيثٌ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَيَوَانِ ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فَقَالَ لَهُ الْمَوْسُوسُ : مَا الْجَوَابُ عَافَاكَ » .

(٦) ل : « الْفِكْر » .

(٧) انْظُرِ التَّنْبِيْهَ رَقْم ٤ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ .

(٨) ط : « جَوَارِي حَسَنَات » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، إِذْ أَنْ تَمَيِّزَ الْأَلْفَ مَفْرُودَ بِجُرُورٍ .
وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٩) ل : « وَاتَّبَهَا » مَكَانَ : « صَبَا إِلَيْهَا » .

(١٠) كَذَا بِالْأَصْلِ . وَلَعَلَّهَا « تَسْتَظَرَفُ » .

(١١) س : « اللَّطَافَةُ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، ل .

(١٢) ل : « الْأَوَّل » .

القطيرُ أحبُّ إليه^(١) من الحمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يَمْنَعُ الشهوةَ ، ويورث الصدوف^(٢) . قال : فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مسَبِّح ، بعد أن كان لا يرى جواباً إلاَّ جوابَ نوفل^(٣) - : لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدرةَ ، ولقد^(٤) سألتُ علماءها عنه منذَ عشرينَ سنةً فما تخلَّصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ما تخلَّصتم إليه . وقد والله - أنتمتُ عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أن كلَّ شيءٍ يُستَلَبُ استلاباً أنه ألدُّ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّبيبُ إلى الغلمانِ ونيكهم على جهة القهر^(٥) [ألدُّ وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبه الرجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذي يرثه أو يوهب^(٦) له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحَدَّثني أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعِي أَوْجَبُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الأفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض المنين تعرفتنا كفى الأيتام فقد أبي اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ - ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشيء والانصراف عنه . وفي ط ، س : « الصدود » وهو يمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لا جواب إلاَّ جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذي يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً^(١) ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً^(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل من هذا الباب ، فلم يدخل ، لحلَّ لي دمه !

(احتجاج مدني وكوفي)

قال : وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله النوفليُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحن أشدُّ حبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم وعلى آله - مِنْكُمْ يا أهلَ المدينة ! فقال المدنيُّ : فما بَلَغَ مِنْ^(٣) حُبِّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدْتُ أَنْ أُقْبِتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - وأنتَ لم يكنْ وصلَّ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا في غيره من الأيام شيءٌ من المكروه^(٤) يكرهه إلا كان بي دونه ! فقال المدنيُّ : أفَعِنْدَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكونُ غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتُ أَنْ أبا طالبٍ كانَ آمَنَ فُسْرًا به النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأنِّي كافرٌ^(٥) !

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتابيه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شيء يكرهه » . وفي ط : « بشيء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنِّي » هي في ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدثني أبان بن عثمان قال : قال ابن أبي ليلى ^(١) : إني لأسأير رجلاً من وجوه أهل الشام ، إذ مرَّ بحمالٍ معه رُمَّان ، فتناول منه رُمَّانةً فجعلها في كُمِّه . فعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسي وكذبت بصرى ، حتَّى مرَّ بسائلٍ فقير ^(٢) ، فأخرجها فتناوله إيَّاهَا . قال : فعلمتُ أنَّي رأيتها ، فقلتُ له : رأيتُكَ قد فعلتَ عجباً ^(٣) . قال : وما هو؟ قلت : رأيتُكَ أخذتَ رُمَّانةً من حَمَالٍ وأعطيتها ^(٤) سائلاً؟ قال : وإنَّكَ ممَّن يقولُ هذا القولُ ؟ ٦ أما علمتُ أنَّي أخذتها وكانت سيئةً وأعطيتها فكانت عشرَ حسناتٍ ؟ قال : فقال ابنُ أبي ليلى : أما علمتُ أنَّكَ أخذتها فكانت سيئةً وأعطيتها فلم تُقبَلْ منك ؟ !

(١) ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار .
ولى محمد القضاء لبني أمية ، ثم وليه لبني العباس . وكان فقيهاً مفتياً بالرأى .
انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عيني حتَّى مرَّ به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجباً » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع ^(١) : قلت لأعرابي : أَتَهْمِزُ إِسْرَائِيلَ ^(٢) ؟ قال : إِنِّي إِذَا لَرَجُلٌ سَوءٌ ؟ قلت : أَتَجْرُ ^(٣) فِلَاسْطِينَ ؟ قال : إِنِّي إِذَا لَقَوِيَّ .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وَحَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَهُ مِخْجَنٌ ^(٤) يُقْنَاوِلُ بِهِ مَتَاعَ الْحَاجِّ ^(٥) سَرَقَهُ ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ : سَرَقْتَ ! قَالَ : لَمْ أُسْرِقْ ، إِنَّمَا سَرَقَ مِخْجَنِي ! قَالَ : فَقَالَ حَمَادُ : لَوْ كَانَ هَذَا الْيَوْمَ حَيًّا لَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ !

(الأعمش وجليسه)

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ الْأَعْمَشُ لِجَلِيسٍ لَهُ : أَمَا تَسْتَهِي بِنَانِيَّ ^(٦) زُرْقَ الْعُيُونِ نَقِيَّةَ الْبَطُونِ ، سُودَ الظُّهُورِ ، وَأَرْغَفَةَ

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما فى البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أَتَهْمِزُ أَمِ إِسْرَائِيلَ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فَتَجْرُ » وأثبت ما فى ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناها الاصطلاحي وفهم الأعرابي من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو الغمز ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .

(٤) المِخْجَنُ : العصا المعوجة .

(٥) الْحَاجُّ : الْحَاجَّاجُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) اللَّبْنَى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامّة فى مصر يكسرون بابه . وجمعه « بَنَاقِي » . وجاء فى ط : « بَنَاقِي » وفى ل : « بَنَانِيَا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حَارَّةً لَيْتَةً ، وَخَلًّا حَازِقًا ؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجُلُ :
فنهَضْتُ مَعَهُ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ . قال : فَأَوْمَأَ إِلَيَّ : أَنْ خُذْ تِلْكَ السَّلَّةَ . قال :
فكشفتها فإذا برغيفين يابسين ^(١) وسُكَّرَجَةٍ كَامَخٍ ^(٢) شَبِثٍ ^(٣) . قال : فجعل
يأكل . قال : فقال لي تَعَالَ كُلْ . فقلت : وأين السمك ؟ قال : ما عندي ،
[سمك] ، إنما قلت لك : تشتهي !

(رأى حفص بن غياث في فقه أبي حنيفة)

قال : وسُئِلَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ^(٤) عَنْ فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : كَانَ
لِجَهْلِ النَّاسِ بِمَا يَكُونُ ^(٥) ، وَأَعْرَفَهُمْ بِمَا لَا يَكُونُ .

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) السكامخ ، بفتح الميم : ضرب من مشبهات الطعام ، قوامه البقول والملح
واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأباذير . انظر كتاب الطبخ للبغدادى ص ٩٨ وشفاء
الغليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء في ل : « شبت » . وفي
القاموس : « الشبت كطمر : هذه البقلة المعروفة » . وفي تذكرة داود :
« شبت بالثلثة ويقال بالمشناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولاء هارون القضاء ببغداد
بالشرقية ، ثم ولاء قضاء الكوفة ، فات بها سنة ١٩٤ . وكان مثلاً في الزهد
والعفة ؛ وروا أنه مرض خمسة عشر يوماً فدفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : أمض
بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوماً ، لم أحكم فيها بين المسلمين ،
لاحظ لي فيها ! وقد سبق الخبر في ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث
المستول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَام^(١) بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِنْدٍ كان شيخاً من الغالية^(٢) ، وكان ممن إذا أراد أن يسميَ أبا بكر وعمرَ قال : الجبْتُ والطَّاعوت ، ومُسْكر ونكير ، وأفٌ وتُفٌ ، [وكُسَيْر] وعَوِير^(٣) . وكان لا يزال يُدْخِل دَارَه حمارَ كَسَّاح^(٤) ويضربه مائةَ عصاً^(٥) على أنَّ أبا بكر وعمرَ في جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احتِرافاً^(٦) منه . وكان مع ذلك نبِيْزِيّاً وصاحبَ حَمَام^(٧) . ويُشَبَّه في القَدِّ والخِرْطُ شيوخَ الحربيَّة^(٨) . وكان من [بني] غُبَر^(٩) [من] صميمهم . وكان له بُنْيٌ يتبعه ، فكان يزني أُمَّه عند^(١٠) كلِّ حقٍّ وباطل ، وعند كلِّ جدٍّ وهزل . قلت له يوماً - ونحن

-
- (١) في القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش تام ، أى الطيب الاسم » .
 (٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ، وربما شهبوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شهبوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .
 (٣) انظر الاستدراكات في نهاية هذا الجزء .
 (٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنتة . والسكاسحة ، بالضم : الكناسة .
 (٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما في س .
 (٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفي ط ، س : « احتراقا » .
 (٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .
 (٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، قنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي . انظر ص ٥٨ .
 (٩) غير ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما في تاج العروس . وفي ط ، س « غير » وتصحيحه من ل .
 (١٠) ل : « في » . يزنيها : يقدفها بالزنى .

عند بني رُبَيْعٍ : وَنَحَكَ ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّ أَنْ تُقَذِّفَ أُمَّهُ بِالزَّانَا ؟ فَقَالَ :
 لَوْ كَانَ عَلَى فِى ذَلِكَ حَرَجٌ لَمَا قَذَفْتُهَا ! قُلْتُ : فَلِمَ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً لَيْسَ
 فِى قَذْفِهَا حَرَجٌ ؟ قَالَ : إِنِّى قَدْ احْتَلْتُ حِيلَةً حَتَّى حَلَّ لِي مِنْ أَجْلِهَا مَا كَانَ
 يَحْرَمُ . قُلْتُ : وَمَا تِلْكَ الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ حَدِيدٌ ، وَهَذَا غُلَامٌ عَارِمٌ ،
 وَقَدْ كُنْتُ ^(١) طَلَّقْتُ أُمَّهُ فَكُنْتُ إِذَا افْتَرَيْتُ عَلَيْهَا ^(٢) أَثَمْتُ ، فَقُلْتُ فِى نَفْسِي :
 إِنْ أَرَعْتُهَا ^(٣) وَخَدَعْتُهَا حَتَّى أَنْيَكَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً حَلَّ لِي بَعْدَ ذَلِكَ افْتِرَائِي
 عَلَيْهَا ^(٤) ، بَلْ لَا يَكُونُ قَوْلِي حِينَئِذٍ فِرْيَةً ، وَعَلِمْتُ أَنَّ زَنِيَّةً وَاحِدَةً لَا تَعْدِلُ
 عَشْرَةَ ^(٥) آلَافٍ فِرْيَةٍ . فَأَنَا الْيَوْمَ أَصْدُقُّ وَلَسْتُ أَكْذِبُ . وَالصَّادِقُ مُأْجُورٌ .
 إِنِّى وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ اللَّهَ إِذَا عَلِمَ أَتَى لَمْ أَزِنْ بِهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ ^(٥) إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْإِثْمِ ۝
 إِذَا قَذَفْتُهَا ^(٦) — أَنَّهُ سَيَجْعَلُ ^(٧) تِلْكَ الزَّانِيَةَ لَهُ طَاعَةً ^(٨) فَقُلْتُ : أَنْتَ الْآنَ عَلَى
 [يَقِين] أَنَّ زَنَاكَ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلمتا العبارتين .

(٣) أرعيتها : أردتها وطلبتها أو خادعتها . وفى ط : « أعبت بها » وفى س :
 « أعبتها » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فى الأصل : « عشر » . والألف مذكور .

(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .

(٦) ل : « قذفته » ، ويصح المعنى بالعبارتين .

(٧) ل : « فتجعل لى » ، وهو تحريف .

(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما فى ل .

(حجة الشيخ الإباضي في كراهية الشيعة)

قال الشيخ الإباضي [وقد ذهب عنى اسمه وكنيته] وهو ختن أبي بكر ابن بريرة ^(١) - وجرى يوماً [شيء من] ذكر النشيع والشيعة ، فأنكر ذلك واشتد غضبه عليهم ، فتوهمت أن ذلك إنما اعتراه للإباضية التي فيه ، [وقلت] ^(٢) : وما على إن سألته ؟ فإنه يُقال : إن السائل لا يعدمه أن يسمع في الجواب حجة أو حيلة [أو ملحة] ^(٣) - فقلت : وما أنكرت من التشيع و [من ذكر] الشيعة ؟ قال : أنكرت منه مكان الشين التي في أول الكلمة ؛ لأنني لم أجد الشين في أول كلمة قط إلا وهي مسخوطة ^(٤) مثل : شوم ، وشمر ، وشيطان ، وشغب ، وشح ^(٥) ، وشمال ، وشجن ^(٦) ، وشيب ، وشين ^(٧) ، وشراسة ، وشنج ^(٨) ، وشك ، وشوكة ، وشبث ، وشرك ، وشارب ^(٩) ، وشطير ، وشطور ، وشرة ^(١٠) وشاني ^(١١) ، وشتم ،

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما في ل . انظر ص ٩ س ٩ .

(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « إلا مسخوطة » .

(٥) كذا في س ، ط . وفي ل : « وشيح » .

(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفي ل : « وشخت » .

(٧) بدل هاتين الكلمتين في س ، « وشيب وشتيت » وفي ل : « وشتيت وشيب » .

(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبده في ل : « وشح » .

(٩) في ل مكان الكلمتين الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفي ط

أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبت » و « شرك » . الشبت ، محرقة : المنكيوت ،

أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التي وردت في ل ، هو الحشن ،

أو الضامر اليابس .

(١٠) كذا في ل . ويراد بها شعر للعانة . وفي ط ، س : « شعر » محرقة .

(١١) الشاني ، مخفف الشاني : المبيض العدو . وفي ط : « شاني » . وفي ل

« شابسي » وأثبت ما في س . وقد جاء اللفظان معا في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم^(١) ، وشيطرج^(٢) ، وشنعة ، وشناعة ؛ وشامة^(٣) ، وشوصة ، وشتر
وشجوب^(٤) وشجة ، وشطون ، وشاطن^(٥) ، وشن^(٦) ، وشلل ، وشيص^(٧)
وشاطر ، وشاطرة^(٨) ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلغه ، ولا يقومُ لهؤلاء
القوم قائمةٌ بعد هذا^(٩) !

-
- (١) الشتم : الكريه الوجه .
(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفي س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف ما في ل .
(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشامة والمشامة ، من الشؤم ، ضد النينة والميمنة ، من النين .
(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع في البطن ، أو ريح تعتقب في الأضلاع ، أو ورم في حجابها . والشر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما في ل بعد كلمة : « شاطرة » .
(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .
(٦) الشن ، بالفتح : القرية الخلق الصغيرة .
(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ النمر ، ووجع الضرس أو البطن .
(٨) الشاطر : الذي أعيأ أهله ومؤديه خيما ، وقد يراد بها اللص . وفي ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .
(٩) هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ - حديثا بينه وبين الشيخ الإباضي - تجده في العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر في سفينة . ولست أدري من أي كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعشى أبو كعب القاصُّ بطفشيل^(١) كثير اللوبيا ، وأكثر منه ، وشرب نبيذ تمر ، وغلّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ^(٢) انفتل الإمام من الصلاة فصادف زحاما كثيرا ، ومسجدا مستورا بالبوارى^(٣) من البرد والريح والمطر ، وإذا محراب غائر في الحائط ، وإذا الإمام شيخ ضعيف ؛ فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح ، وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه إلى وجوه القوم^(٤) ، وطبق وجه المحراب بحسمه وفروته وعمامته وكسائه ، ولم يكن بين فمحه وبين أنف الإمام كبير شيء ، وقصَّ وتحرك بطنه ، فأراد أن يتفرج بفسوة وخاف أن يصير ضراطا^(٥) ، فقال في قصصه : قولوا جميعاً : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم : وفسا فسوة في المحراب فدارت فيه وجثمت^(٦) على أنف الشيخ واحتملها ، ثم كدّه بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم . فأرسل فسوة أخرى فلم تخطى أنف الشيخ ،

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جعله (طفشيل) وزان سميح ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنويرات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطنى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضربة » . وفى س : « يتفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جثمت » ، والوجه ما فى ل ، س .

وَاخْتَنَقَتْ^(١) فِي الْمَحْرَابِ . فَخَمَّرَ الشَّيْخُ أَنْفَهُ^(٢) ، فَصَارَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ .
 إِنَّهُ هُوَ تَنَفَّسَ قَتْلَتَهُ الرَّائِحَةُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَتَنَفَّسْ مَاتَ كَرْبًا . فَمَا زَالَ يُدَارِي
 ذَلِكَ ، وَأَبُو كَعْبٍ يَقْصُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَبُو كَعْبٍ أَنْ احْتِاجَ إِلَى أُخْرَى . وَكَلِمَا
 طَالَ لُبُّهُ تَوَلَّدَ فِي بَطْنِهِ مِنَ النَّفْخِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ . فَقَالَ : قُولُوا جَمِيعًا :
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! وَارْفَعُوا بِهَا أَصْوَاتَكُمْ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنَ الْمَحْرَابِ - [وَأُطْلِعَ ٨
 رَأْسَهُ وَقَالَ] - : لَا تَقُولُوا ! لَا تَقُولُوا ! قَدْ قَتَلَنِي ! إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَفْسُو !
 ثُمَّ جَذَبَ إِلَيْهِ ثَوْبَ أَبِي كَعْبٍ وَقَالَ : جِئْتُ إِلَى هَاهُنَا لَتَفْسُو^(٣) أَوْ تَقْصُ ؟
 فَقَالَ : جِئْنَا لِنَقْصُ^(٤) ، فَإِذَا نَزَلَتْ بَلِيَّةٌ فَلَا بَدَّ لَنَا وَلَكُمْ مِنَ الصَّبْرِ ! فَضَحِكَ
 النَّاسُ ، وَاخْتَلَطَ الْمَجْلِسُ .

(جواب أبي كعب القاص)

وَأَبُو كَعْبٍ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَقْصُ فِي مَسْجِدِ عَتَابٍ كُلَّ أَرْبَعَاءِ^(٥)
 فَاحْتَبَسَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَطَالَ انْتِظَارُهُمْ لَهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ
 رَسُولُهُ فَمَالَ : يَقُولُ لَكُمْ أَبُو كَعْبٍ : انْصَرَفُوا ؛ فَإِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ
 [الْيَوْمَ] مَخْمُورًا !

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « اخْتَنَقَتْ » .

(٢) خَمَّرَ أَنْفَهُ : غَطَّاهُ .

(٣) ل : « تَفْسُو » .

(٤) ل : « نَقْصُ » .

(٥) هُوَ مُقْصُورٌ : « أَرْبَعَاءُ » .

(علة عبد العزيز)

وأما علة عبد العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاء وقتُ الزَّكاةِ وجاء القَوَّادُ بـغلامٍ مؤاجر^(١) ، قال : يا غلام ألك أم ؟ ألك^(٢) خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خُذْ هذه العشرة الدراهم — أو خُذْ هذه الدنانير — مِنْ زكاةِ مالى ، فادفعها إليهنَّ ، وإن شئتَ أن تُبركنى^(٣) بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإن شئتَ أن تنصرف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغلامَ لا يَمْنَعُهُ بعد أخذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن^(٤) يبلغ مِنْ صلاحِ طباعِ المؤاجرين أن يؤدُّوا الأمانات . فعَبر^(٥) بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلَّا عند أمهاتِ المؤاجرين وأخواتهم وخالاتهم .

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنيات الجرجاني ص

١٢٠ س ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جملة يبرك . وقد كنى بقوله . وفى ط « تلزمنى » وأثبت . ماقى س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فعبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت ماقى ل ، س ، وغبر .

بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيّب كوفي للتسمية بمحمد)

وحدثني محمد بن عبّاد بن كاسب قال : قال لي الفضل بن مروان^(١)
 شيخ من طيّاب^(٢) الكوفيّين وأغنيائهم^(٣) : إِنْ وَلِدَ لَكَ مائَةٌ ذَكَرٍ فَسَمِهِمْ
 كُلَّهُمُ مُحَمَّدًا ، [وَكُنُّهُمْ بِمُحَمَّدٍ] ؛ فَإِنَّكَ سَتَرَى فِيهِمُ الْبَرَكَهَ . أَوْ تَدْرِي
 لَأَيِّ شَيْءٍ كَثُرَ مَالِي ؟ قُلْتُ : لَا وَاللّٰهِ مَا أَدْرِي . قَالَ : إِنَّمَا كَثُرَ مَالِي لِأَنِّي
 سَمَّيْتُ نَفْسِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ مُحَمَّدًا ! وَإِذَا كَانَ اسْمِي عِنْدَ اللَّهِ مُحَمَّدًا فَهَذَا أَبَالِي
 مَا قَالَ النَّاسُ !

(جواب أحمد بن رباح الجوهري)

وشبه هذا الحديث قول المروزي^(٤) : قُلْتُ : لِأَحْمَدَ بْنِ رِبَاحٍ الْجَوْهَرِيُّ
 اشْتَرَيْتَ كِسَاءً أَبْيَضَ طَبْرِيًّا بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ - فِيمَا تَرَى
 عِيُونَهُمْ قَوْمَسَى^(٥) - يَسَاوِي مِائَةَ دِرْهَمٍ . قَالَ : إِذَا عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ طَبْرِيٌّ فَعَالِيٌّ مَّا
 قَالَ النَّاسُ ؟ !

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطيّاب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيّب : الفكه المزاج . انظر البيان
 ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ما سبق في ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت ما في ل . انظر ص ٦ ص ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومس : نسبة إلى قومس ، بضم للقاف وفتح الميم : كما في القاموس . أو بضم القاف
 وكسر الميم كما في المعجم . وهي صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاج حارسٍ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خزيمة ، فقلت يوماً — وقد خطر على بالي — : كيفَ اكنْتِ هذا العِلْجُ الأَلْكَنُ بأبي^(١) خزيمة ؟ ثمَّ رأيته فقلت له : خبرني عنك ، أكان أبوك يسمّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنٌ يسمّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان لك مولىٌ يسمّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان في قريبك رجلٌ صالحٌ أو فقيهٌ يسمّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلم اكنْتِ بأبي^(٢) خزيمة ، وأنتَ عِلْجُ الأَلْكَنِ ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنتَ حارسٌ ؟ قال : هكذا اشتبهت . قلت : فلأى شَيْءٍ اشتبهتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميعِ الكنى ؟ قال : ما يُدْرِينِي . قلتُ : فتبيّعها السّاعةَ بدينارٍ ، وتكْتَنِي بأبى كنيةٍ شئتُ ؟ قال : لا وَاللّهِ ، ولا بالدُّنْيَا^(٣) وما فيها !

(جواب الزيّادى)

وحدثني مَسْعُودَةُ بن طارق ، قالت للزيّادى — ومررتُ به وهو جالسٌ في يومِ غَمَقٍ^(٣) حارٌّ ومِدٍ^(٤) ، على باب داره في شروع نهر

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف في « اكنْتِ » أن يتعدى بالباء كما في اللسان . وأما الذى يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرج ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خفة وفساد . وفي ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومَد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الन्दى يحى في صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار^(١) بآردية^(٢) ، وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه^(٣) — قال : فقلت له
بعث دارك وحظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان ، وتركت مجلسك
في ساباط غيث^(٤) ، وإشراكك على رحة بنى هاشم ، ومجلسك في الأبواب
التي تلى رحة بنى سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم ،
ورضيت به جاراً ؟ قال . نلت أطول آمالي في قرب هؤلاء [البرّازين] . قلت
له : لو كنت بقرب المقابر فقلت نزلت^(٥) هذا الموضع للاتعاط به والاعتبار
كان ذلك وجهاً . ولو كنت بقرب الحسدّادين فقلت لأتذكر هذه
النيران والكيران^(٦) نار جهنّم ، كان ذلك قولاً . ولو كنت اشتريت
داراً بقرب العطّارين فاعتلت بطلب^(٧) رائحة الطيب كان ذلك وجهاً

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن يار ، وهى من الأدوات التي تدل على الكثرة » . وفي ط ، س « الحونان ، وتصحيحه من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست في ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هي في ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتهما طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث » هي في ط ، س : « غيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س .

(٦) جمع كبير : وهو الزرق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا في ط . وفي س ، ل : « بطيب » .

فَأَمَّا قُرْبُ الْبَزَازِينَ^(١) فقط فهذا ما لا أعرفه . أَفَلَكَ فِيهِمْ دَارُ غَلَّةٍ ، أَوْ هَلْ
لَكَ عَلَيْهِمْ دُبُونٌ حَالَةٌ ، أَوْ هَلْ لَكَ فِيهِمْ أَوْ عِنْدَهُمْ غِلْمَانٌ يُؤَدُّونَ الصَّرِيَّةَ ،
أَوْ هَلْ لَكَ مَعَهُمْ شِرْكَةٌ مُضَارَبَةٌ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَمَا تَرْجُو إِذَا مِنْ قُرْبِهِمْ^(٢)
أَفَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا : نَلْتُ آمَالِي^(٣) بِقُرْبِ الْبَزَازِينَ .

(حكاية ثمامة عن مرور)

وحدثني ثمامة بن أشرس قال : كان رجلٌ مرورٌ يقوم كلَّ يومٍ فيأْتِي
دَالِيَةً لِقَوْمٍ ، وَلَا يَزَالُ يَمْشِي مَعَ رِجَالِ الدَالِيَةِ عَلَى ذَلِكَ الْجَذَعِ^(٤) ذَاهِبًا
وَجَائِيًا ، فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . حَتَّى إِذَا أَمْسَى نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ،
وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا فَرَجًا وَخَرَجًا ! ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ . فَكَانَ
كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ .

(بين أعمى وقائده)

وحدثني المَكِّيُّ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقُودُ أَعْمَى بِكِرَاءٍ^(٥) ، وَكَانَ الْأَعْمَى
رَجُلًا عَثَرَ الْعَثْرَةَ وَنَكِبَ النَّكْبَةَ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ

(١) البزاز : بائع البز بفتح الباء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبزاز :
بائع بزر الكتان ، أى زيتته بلغة البغدادية . وفى ط : « البزازين » وأثبت
ما فى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البزازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى (١) به قائدًا خيرًا منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لى (١) به أعمى خيرًا لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعتنا لِيَقِيلَ فى البيت الآخر (٢) ، فلم يلبث إلّا ساعةً حتى سمعناه يصيح : أوّه (٣) أوّه ! قال : فنَهَضْنَا بأجمعنا إليه فزعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائم على شِقِّهِ الأيسر ، وهو قابضٌ على خصيته بيده (٤) . فقلت له : لم صحت ؟ قال : إذا غزت خُصيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتها صحت . قال : فقلنا له : لاتَغْمِزْها بعدُ حتى لاتشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن على مولاة عجوزٌ خُرَّاسانيةٌ تصرُخ بالليل من ضَرْبانِ ضرَس لها ، فكانت قد أُرْقَتْ الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لاتَدَعُ أَكْلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أناكلين التمر بالنهار وتَصِيحِينَ بالليل ؟ فقالت : إذا اشتَيْتُ أَكَلْتُ وإذا أَوْجَعَنى صَحَيْتُ !

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلى » .

(٢) قال يقييل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادى .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن مرور)

١٠ وحدثني ثمامة قال : مررتُ في غبٍّ مطرٍ والأرضُ نَدِيَّةٌ ، والسماءُ متغيِّمةٌ ، والريِّحُ شَمَالٌ ، وإذا شيخٌ أَصْفَرُ كَأَنَّهُ جَرَادَةٌ ، وقد جلسَ على قارعة الطَّرِيقِ ، وَحَجَّامٌ زَنْجِيٌّ يَنْجُمُهُ ، وقد وضعَ على كاهِلِهِ وأُخْدَعِيهِ مُحَاجِمٌ ، كلٌّ مَحْجَمَةٌ كَأَنَّهُا قَعْبٌ ، وقد مَصَّ دَمَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَفْرِغَهُ . قال : فوقفْتُ عليه فقلتُ : يا شيخُ لِمَ تَحْتَجِّمُ في هذا البردِ ^(١) ؟ قال لمسكَنِ هذا الصُّفَّارِ ^(٢) الذي بي .

(صنيع مرور)

وحدثني ثمامة قال : حدَّثني سعيد بن مسلم ^(٣) قال : كُنَّا بِخُرَاسَانَ في منزلٍ بعضِ الدَّهَاقِينَ ونحنُ شَبَابٌ ، وفينا شيخٌ . قال : فَأَتَانَا رَبٌّ لِمَنْزِلٍ بِدُھْنٍ طَيِّبٍ فَدُهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ ، وبَعْضُنَا لَحْيَتَهُ ، وبَعْضُنَا مَسَحَ

(١) الزيادة من المقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع في البطن ، أو دود فيها . كذا في القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتي « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي س : « سلم » . وهذا الحديث الآتي تجده أيضا في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شارِبِه ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَمَرَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَعْضُنَا أَخَذَ بَطَرَفِ
إِصْبَعِهِ فَأَدْخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبِه . فَعَمَدَ ^(١) الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدَّهْنِ
فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : وَيْحَكَ ، خَالَفْتَ أَصْحَابَكَ كُلَّهُمْ ! هَلْ رَأَيْتَ
أَحَدًا إِذَا اتَّوَّهُ يَدُهُنَ طَيِّبٍ صَبَّهَ ^(٢) فِي أُذُنِهِ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا
يُضْرُئُنِي ^(٣) ؟

(أَمْرُ عَيْصٍ ، سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ)

وَحَدَّثَنِي مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقٍ [الذَّرَّاعُ] ^(٤) قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ
عَلَى حَدُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ ، وَنَحْنُ فِي خِصُومَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ [عَيْصٌ] ^(٥)
سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَمَوْسِرُهُمْ ^(٦) وَالَّذِي يَصَلِّي عَلَى جَنَائِزِهِمْ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا
إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : حَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ،
هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ ^(٧) ؟ ! قَالَ مَسْعَدَةُ : فَأَنَا مُنْذُ سَنِينَ ^(٨)

(١) عمد : قصد . وفي ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها في ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف ما في ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تصرفني » ولها وجه ، أي فإن تلك الفعلة ، وقد أثبت ما في ل .

(٤) عني بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أي يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) مؤسرهم : غنيهم . وفي ط « مؤسرهم » بحرفة .

(٧) كذا في ل ، س . وفي ط : « أهدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ،

مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمي . وكلمة « بعضها » هي

في ل : « بعض » . وفي العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك في العقد .

أفكّرُ في كلامه ما أدرى ماعنى به . [قال : وقال لى مرة : مامن شر من
ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدثني الخليل بن يحيى السلولي قال : نازع التيمي بعض بني عمه
في حائط ، فبعث إلينا لنشهد على شهادته^(١) ، فأتاه جماعة منهم^(٢) الحميري
والزهري ، والزيادي ، والبكراوي . فلما صرنا إليه وقف بنا على الحائط
وقال : أشهدكم جميعاً أن نصف هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدم ابن عم له إلى عمر بن حبيب ، وأدعى عليه ألف درهم
فقال ابن عمه : ما أعرفُ مما قال قليلاً ولا كثيراً ، ولا له على شيء !
قال : أصلحك الله تعالى ! فاكثبُ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار
لا يفوتك^(٣) ، متى أردته فهو بين يديك !

(أمنية أبي عتاب الجرّار)

قال : وقلت لأبي عتاب الجرّار^(٤) : ألا ترى عبد العزيز الغزال
وما يتكلم به في قصصه؟ قال : وأى شيء^(٥) قاله؟ [قلت] :^(٦) قال : ليت الله تعالى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) في الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما في البيان (٢ :

٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرّار » هي

كذلك في ط ، س ، وفي ل : « الخزان » وفي البيان : « الجزار » . واسمه إبراهيم بن جامع

كما في الحيوان ٥ : ١٦٧ .

(٥) في الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لَمْ يَكُنْ خَلَقْنِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعُورُ ! قَالَ أَبُو عَتَّابٍ ^(١) : [وَقَدْ قَصَّرَ فِي الْقَوْلِ ،
وَأَسَاءَ فِي التَّنْيِ . وَلَسْتُ أَقُولُ] : لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلَقْنِي وَأَنَا السَّاعَةَ
أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ !

(تعزية طريفة لأبي عَتَّاب الجرار)

وَدَخَلَ أَبُو عَتَّابٍ عَلَى عَمْرٍو ^(٢) بْنِ هَدَّابٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ ، وَالنَّاسُ
يُعْزُونُهُ ، فَشَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ كَالْجَمَلِ الْمَحْجُومِ ^(٣) ، [وَ] لَهُ صَوْتُ جَهِيرٍ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا أَسِيدٍ ، لَا يَسُوءُكَ ^(٤) ذَهَابُهُمَا ، فَلَوْ رَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَنَّيْتَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَدَقَّ ظَهْرَكَ ، وَأَذَى ضِلْعَكَ ! ^(٥) .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وَبَيْنَا دَاوُدُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ الصُّبَيْرِيِّ جَالِسٌ مَعِيَ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ
لَهَا قَوَامٌ وَحُسْنٌ ، وَعَيْنَانِ عَجِيبَتَانِ ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيضٌ ، فَهَضَّ دَاوُدُ ١١

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من
الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما في س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب
البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذي وضع على فمه الحجام - ككتاب - لثلا يمض ؛ فصوته
أقوى صوت . وجاء في حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح
الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . في ط : ل : « المحجوم » .
وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسوك » وهي صحيحة . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلمك » وفي ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبي بمنزلة
القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشك أنه قام ليتبّعها ، فبعثتُ غلامى ليُعرف ذلك ، فلما رجع قلت له :
 قد علمت [أنك] ^(١) إنما قُمتَ لتُكَلِّمها ؛ فليس ينفعك إلا الصدق ،
 ولا يُنجيك منى الجُحود ، وإنما غايى أن أعرف كيف ابتدأت القول ^(٢) ،
 وأى شىء قلت لها - وعلمت أنه سيأتى بآبدة . وكان ملياً بالأوابد ^(٣) -
 قال : ابتدأتُ القول ^(٤) بأن قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليك ^(٥) من سياء
 الخير لم أتبعك . قال : فضحكتُ حتى استندتُ إلى الحائط ، ثم قالت :
 إنما يمتنع مثلك من أتباعٍ مثلى والطَّمَع فيها ^(٦) ، ما يرى من سياء الخير
 فأما إذ قد صار سياء الخير هو الذى يُطمعُ فى النساء فإننا لله وإنا
 إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة ^(٧) ، فلم يزل يُطربها ^(٨) حتى أجابت ،
 ودعها على المنزل الذى يمكنها ^(٩) فيه ما يريد ، فتقدمت المفاجرة وعرض له

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س : « ابتدئتُ القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « ملينا » . قال ابن منظور : « المليء بالهمز :
 الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان
 صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعلة الغريبة .

(٤) ط ، س : « ابتدئتُ » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ما عليك » ل : « لولا ما رأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) :
 « لولا ما رأيت عليك » وقد أثبت ما فيها جامعا بين الروائتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطربها : يبالغ فى الثناء عليها ، وهن يفترن بذلك . وفى ط : « يطربها » . وليس بشىء .
 وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت ما فى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغَلُهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القَوْمُ حوائِجَهُمْ وأَخَذَتْ حاجَتها ، فلم تنتظره ^(١) . فلما أتاَهُمْ ولم يرَها قالَ : أين هي ؟ قالوا : والله قد فرَغنا وَذَهَبَتْ ! قال : فأَيُّ طريقٍ أَخَذَتْ ؟ قالوا : [لا] والله ما ندرى ؟ قال : فَإِنْ عَدَوْتُ فِي إِثْرِها حَتَّى أَقُومَ على مجامع الطُرُق ^(٢) أَتُرَوْنِي أَلحقها ؟ قالوا : [لا] والله ما تَلحقها ! قال : فقد فانتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمعَ قطُّ بِإنسانٍ يشكُّ أَنَّ السَّلامَةَ من الذنوب خير [غيره] ^(٣) .

(قول أبي لقمان الممرور في الجزء الذي لا يتجزأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لُقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ : ما هو ؟ قال :
الجزء الذي لا يتجزأ هو على بن أبي طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد ^(٤) :

-
- (١) ل : « وأبت أن تنتظره » .
(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « في جامع الطريق » محرفة .
(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزل كذا في ط . وفي ل :
« فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك في أن السلامة من الذنوب خير من غيرها » .
(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء ، مولى أبي جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والعتبي . وكان فصيحا ظريفا لسانا . دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجفري فقال له : ماتقول في دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : يا أبا عبد الله ، أتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيه بأبي العيناء مذكور في وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفي سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره؟ قال: بلى حمزة جزء لا يتجزأ، وجعفر جزء لا يتجزأ! قال فما تقول في العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزأ مرتين، والزبير يتجزأ مرتين. قال: فأى شيء تقول في معاوية؟ قال: لا يتجزأ [ولا لا يتجزأ].

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام^(١) جزءاً لا يتجزأ^(٢) إلى أى شيء ذهب، فلم نقع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره، وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذي لا يتجزأ.

وقد تسخفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسندكر قبل ذكرنا [القول] في الحام جملًا من غرر ونوادر وأشعار وتنف وفقر من قصائد قصار وشوارد وأبيات، لنعطى قارى الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً إن شاء الله.

(١) المراد بالإمام: علي بن أبي طالب. وفي ط، س: «الأنام» بمعنى الخلق، وأثبت ما في ل.

(٢) كذا في س، ل. وفي ط: «أجزاء لا تتجزأ» فيكون صواب ما في ط: «جعل الأنام أجزاء لا تتجزأ» والمراد بالجزء الذي لا يتجزأ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن ألبته أن يكون لها جزء. وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه، وهكذا إلى غير نهاية. وقد تبهم في ذلك النظام وبعض المعتزلة، فنفي الجزء الذي لا يتجزأ. انظر الفصل ٥: ٩٢ - ١٠٨ والفرق ص ١٢٣. وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلى كتاباً في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ. الفرق ١١٥. (٣) الزيادة من س.

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني ١٢
نوع من الأسماء : فالسَّخِيفُ للسَّخِيفِ ، وَالْخَفِيفُ للخَفِيفِ^(١) ، وَالْجَزَلُ
لِلْجَزَلِ ، وَالْإِفْصَاحُ فِي مَوْضِعِ الْإِفْصَاحِ ، وَالْكِنَايَةُ فِي مَوْضِعِ الْكِنَايَةِ ،
وَالِاسْتِرْسَالُ فِي مَوْضِعِ الْاسْتِرْسَالِ .
وإذا^(٢) كَانَ مَوْضِعُ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ مُضْحِكٌ وَمُلْهُ^(٣) ، وَدَاخِلٌ
فِي بَابِ الْمَزَاحِ وَالطَّيِّبِ^(٤) ، فَاسْتَعْمَلْتَ فِيهِ الْإِعْرَابَ ، انْقَلَبَ عَنْ جِهَتِهِ .
وإن كَانَ فِي لَفْظِهِ سُخْفٌ وَأَبْدَلْتَ السَّخَافَةَ بِالْجَزَالَةِ ، صَارَ الْحَدِيثُ الَّذِي
وَضِعَ عَلَى أَنَّهُ يَسُرُّ النُّفُوسَ يُكْرَهُمَا ، وَيَأْخُذُ بِأَكْظَامِهَا^(٥) .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفي ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما في

ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام في استعمال
الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله في الجزء الأول

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الْحَرِّ وَالْأَيْرِ وَالنَّيْلِ ارتَدَّعَ وأظهرَ
التَّقَرُّزَ ^(١) ، واستَعْمَلَ بابَ التَّوَرُّعِ . وأكثرُ مَنْ تجده كذلك فإِنَّمَا هو
رجلٌ ليس مَعَهُ من العَفَافِ وَالكَرَمِ ، وَالنُّبُلِ وَالْوَقَارِ ، إِلَّا بِقَدَرِ هذا
الشَّكْلِ مِنَ التَّصْنَعِ . ولم يُكْشَفْ قَطُّ صَاحِبُ رِيَاءٍ وَنِفَاقٍ ، إِلَّا عن
لُؤْمٍ مُسْتَعْمَلٍ ، وَنَذَالَةٍ مُتَمَكِّنَةٍ .

(تسمُّعُ بعض الأئمة في ذكر ألفاظ)

وقد كان لهم في عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ مَقْنَعٌ ، حينَ سَمِعَهُ بعضُ النَّاسِ ^(٢)
يُنْشِدُ في المسجدِ الحرامِ ^(٣) :

وَهُنَّ يَمِشِينَ بِنَا هَمِيَسًا إِنَّ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَنِكَ لَمِيَسًا ^(٤)

(١) التقزز : التباعذ من الدنس . وفي ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر
والتشدد ، كما في اللسان ، وأثبت ما في ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما في عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) في العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز في الطريق بالبيت الآتي في طريقه إلى مكة .
وفي العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟
فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس في الخبر
عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمثّل به كما
في اللسان (هـ) .

(٤) الهميس : المشي الخفي الحس . لميس : امم امرأة .

فقيل له في ذلك ، فقال : لِمَا الرَّفْتُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ :
وقال الضَّحَّاكُ : لو كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ رَفْتًا لَكَانَ قَطْعُ لِسَانِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِنْ أَنْ يَقُولَ هُجْرًا (١) .

قال شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ (٢) ، لَيْلَةَ بَيْتِ (٣) عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ (٤) :
* مَنْ يَنْكِحِ الْعَيْرَ يَنْكِحْ نَيْكَا * .

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ
الْأَمْرَاءِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ ؟ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ : عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ

(١) الْكَلَامُ مِنْ مَبْدِئِ « وَقَالَ الضَّحَّاكُ » : كَانَ فِي الْأَصْلِ مَتَأَخَّرًا عَنْ مَكَانِهِ ، بَعْدَ
نَهَايَةِ خَبَرِ شَيْبِ بْنِ يَزِيدَ . وَقَدْ رُدِّدَتْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الطَّبِيعِيُّ . وَالضَّحَّاكُ هَذَا هُوَ
الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ ، وَهُوَ أَحَدٌ مِنْ أَنْفَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي خُرُوجِهِ
عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . انْظُرْ تَفْصِيلَ هَذَا فِي الْعَقْدِ ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هُوَ شَيْبِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ نَعِيمٍ الْخَارِجِيُّ ، كَانَ مَعَ صَالِحِ بْنِ مَسْرُوحٍ رَأْسَ الصَّفَرِيَّةِ .
خَرَجَ شَيْبِ بِالْمَوْصِلِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحِجَاجَ خَمْسَةَ قَوَادٍ فَقَتَلَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ .
وَفِي إِحْدَى حُرُوبِهِ نَفَرَ بِهِ فَرَسُهُ عَلَى نَهْرِ دَجِيسَلٍ - دَجِيسَلُ الْأَهْوَازِ لِادَجِيسَلِ بِغَدَادٍ -
فَفَرَّقَ فِيهِ وَكَانَتْ تَشْتَرِكُ مَعَهُ زَوْجُهُ غَزَالَةٌ وَكَذَا أُمُّهُ جَهِيْزَةٌ فِي مَقَاوِمِ الْحِجَاجِ .
وَلَمَّا دَخَلَ هُوَ وَزَوْجُهُ غَزَالَةً عَلَى الْحِجَاجِ فِي الْكُوفَةِ ، تَحَصَّنَ مِنْهَا وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ
قَصْرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ - وَقَدْ كَانَ الْحِجَاجُ لَجَّ فِي طَلَبِهِ - :

أَسَدُ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامَةً رِبْدَاءُ تَجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ !

هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الْوُغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ !

وَلَدَ شَيْبِ سَنَةَ ٢٦ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧ . انْظُرِ الْمَعَارِفَ ١٨٠ ، وَوَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ،
وَالْأَغَانِي ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « لَيْلَةُ فِي بَيْتِ » ل : « لَيْلَةُ بَيْتِهِ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ مِنَ الْمَعَارِفِ ١٨٢ .
وَبَيْتُ الْعَدُوِّ : أَوْقَعَ بِهِ لَيْلًا .

(٤) عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، كَانَ يَكْنَى أَبَا وَرْقَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَجْوَادِ الْعَرَبِ ، وَلَى عِدَّةَ
وَلَايَاتٍ ، وَقَادَ عِدَّةَ جِيُوشٍ .

(٥) يَضْرِبُ مِثْلًا لِمَنْ يَغَالِبُ الْغَلَابَ . وَأَصْلُ الْمِثْلِ فِي أَمْثَالِ الْمِيدَانِيِّ ٢ : ٢٣٢ -
٢٣٣ . وَقَدْ سَبَقَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَظُلُّ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَظِقْ بِهِ ^(١) » .

فعَلَى عليٍّ رضي الله تعالى عنه - يعوّل ^(٢) في تنزيه اللفظ وتشريف المعاني ^(٣) .

وقال أبو بكر - رضي الله عنه - حين قال بُدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ ^(٤) للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : جئْنَا بعجرائك وسودائك ، ولو قد مَسَّ هؤلاء وخزُّ ^(٥) السِّلَاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوكَ ! فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : عَضِبْتُ بِبَظَرِ اللَّاتِ !

(١) قال الميبداني في الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثير إخوته اشتد ظهره وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة باقطة من ل . وكلمة « تشريف » هي في ط ، س : « شرف » وأثبت ما في ل .

(٤) بديل بن ورقاء : صحابي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة ١ : ١٤٦ وكان من الرجال البارزين في يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف في كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفي . وجاء في سيرة ابن هشام ، عند الكلام في أمر الحديبية : « فخرج - يعني - عروة بن مسعود الثقفي - حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النور ، يماهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ! وإيم الله لكأنى هؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ! نحن نكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفي ل : « حر » .

وقد رووا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ [ابن] أمّ سباع ^(١) »
مُقَطَّعة البُظُور ؟ » .

(لِكُلِّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضع موضع كناية هي المستعملة . وبعد فلو لم يكن
لهذه الألفاظ مواضع استعملها أهل هذه اللغة وكان الرأي ألا يُلَفَّظَ بها ، لم
يَكُنْ لأوّل كونها معنى إلا على وجه الخطأ ، ولسان في الحزم والصّون لهذه
اللغة أن ترفع هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلّ الصّواب الذي قال : « لِكُلِّ مقام مقال ^(٢) » .

(صور من الوقار المتكاف)

ولقد دخل علينا فتى حدّث كان قد وقّع إلى أصحاب عبد الواحد
ابن زيد ^(٣) ونحن عند موسى بن عمران ، فدار الحديث إلى أن قال الفتى : ١٣
أفطرت البارحة على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونة وثلاث ، أو زيتونة
وثلاثي زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب .

انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ - ٥٦٤ . جوتنجن وتاريخ

الطبرى القم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشاني .

وفي س : « سباع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد .

السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل في كتاب الميداني (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى^(١) ، فقال موسى : إِنَّ مِنَ الْوَرَعِ مَا يُبَغِّضُهُ اللَّهُ ، عِلْمَ اللَّهِ ؛ وَأُظُنُّ وَرَعَكَ
هَذَا مِنْ ذَلِكَ الْوَرَعِ .

وكان العُتْبِيُّ^(٢) رُبَّمَا قَالَ : فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ كَذَا وَكَذَا ، حِينَ صَارَ
التَّجَمُّ عَلَى رِقَّةِ الرَّأْسِ ، أَوْ حِينَ جَازَنِي^(٣) شَيْئًا ، أَوْ قَبْلَ^(٤) أَنْ يَوَازِيَ^(٥)
هَامَتِي . هَكَذَا هُوَ عِنْدِي ، وَفِي أَغْلَبِ ظَنِّي ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَجْزِمَ عَلَى شَيْءٍ
وَهُوَ كَمَا قُلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَرِيبًا مِمَّا نَقَلْتُ . فَيَتَوَقَّفُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي
لَيْسَ مِنَ الْحَدِيثِ فِي شَيْءٍ . وَذَلِكَ الْحَدِيثُ إِنْ كَانَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
لَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ خَيْرًا ، وَإِنْ كَانَ مَعَ غُرُوبِهَا لَمْ يَنْقُصْهُ ذَلِكَ شَيْئًا .
هَذَا وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ فِي نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ قَطُّ وَلَمْ يَصِلْ هُوَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْبَتَّةِ .
وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ زَعَمَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ فَعَرَفَ عَدَدَهُمْ ، وَكَانَتْ
عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سَبْنِيَّةٌ^(٦) وَكَلِبُهُمْ مُمَعَّطُ الْجِلْدِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾ .

= قَالَ حَصِينُ بْنُ الْقَاسِمِ : لَوْ قَسَمَ حَدِيثُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَوَسَّعَهُمْ .
وَلَكِنَّهُ كَانَ مَتَّهًا فِي حِفْظِهِ ، كَثِيرُ الْوَهْمِ . لِسَانُ الْمِيزَانِ (٤ : ٨٠) . وَقَدْ
ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٢٦٠ مِصْرَ ١٨٣ لَيْسَك ، ضَمِنَ الْعِبَادَ وَالزَّهَادَ .
وَانْظُرْ خَبْرَيْنِ مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِهِ فِي الْبَيَانِ (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أَيْ مِنْ رَيْتُونَةٍ أُخْرَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ فِي ط : « أَمْرِي » مُحَرَّفَةٌ صَوَابِهَا
فِي س ، ل .

(٢) الْعُتْبِيُّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٥٤ . وَفِي ل :
« الْقَتْنِي » مُحَرَّفَةٌ ، صَوَابُهَا فِي س ، ط .

(٣) ط : « جَازَنِي » ، وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل ، س .

(٤) ل : « قَبِيل » .

(٥) ط : « يَوَارِي » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٦) ثِيَابٌ سَبْنِيَّةٌ : نَسَبَةٌ إِلَى سَبْنِ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَعْنِهِ يَاقُوتُ . =

(بعض نوادر الشعر)

وسندكرُ من نوادر الشعر جملةً ، فإن نشطت لحفظها فاحفظها ؛ فإنها من أشعار المذاكرة . قال الثَّقَفِي (١) :

مَنْ كَانَ ذَا عَضْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ

إِنْ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ

تَذَبُّو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضَّيْمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدَدُ (٢)

وقال أبو قيس بن الأسلت (٣) :

= والفيروزبَادِي جملة قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هي في ط ، س : « الشنية » تحريف ما أثبت من ل .

(١) الثَّقَفِي هذا ، هو الأجرد الثَّقَفِي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ في البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغاني ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعثت إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حريهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتك حتى تسكمت ! فقال في ذلك أبو قيس ، القصيدة التى أولها :

بُرْ أَمْرِي^(١) مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ^(٢) لِلدَّهْرِ ، جِلْدٍ غَيْرِ مَجْزَاعٍ
الْكَيْسُ^(٣) وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ الْإِشْفَاقِ^(٤) وَالْفَهْمِ وَالْهَاجِ^(٥)
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ :

رَبُّ جَبَانًا بِأَمْوَالٍ مُخَوَّلَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَخْوِيلُ
وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُذَكِّرُهُ وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ
وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَرُدُّ هَذَا النِّصْفَ
الْآخَرَ ، وَيَعْجَبُ مِنْ جَوْدَةِ مَا قَسَمَ^(٦) .

= قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلِ الْخَنَاءِ مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ أَسْمَاعِي
اسْتَنْكَرْتَ لَوْنًا لَهُ شَاحِبًا وَالْحَرْبُ غَوْلٌ ذَاتُ أَوْجَاعٍ

قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر
في الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « يختلف في اسمه : فقيل صيفي ،
وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف في إسلامه » .
وانظر الخزنة ٣ : ٣٧٥ - ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية في ط ، س : « إني امرؤ »
وأثبت رواية ل . وهي الموافقة لما في المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكي السلاح ، وجاء مثل هذا في قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حَازِرٍ وَزَنْزَرَةٍ سَلَبَتْهَا عَنْ عَامِرٍ

وجاء في ط : « حازر » بالزاي ، وهو تحريف صوابه في س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الحزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللين . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهم : العي . وجاء في ط ، س : « القمية » وهي إن صحت في اللغة

كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفكة »

والفكة : استرخاء الرأي . والهاج : سوء الحرص مع الضعف . وهذه

هي رواية ل ، والمفضليات . وفي ط ، س : « العاع » وجاء في اللسان

والقاموس : عيج بالشدديد ، بمعنى عي . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ - ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمس :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غَيْرَ ظَنٍّ وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ
لِحِفْظِ الْمَالِ أَيْسَرَ مِنْ بُغَاهُ^(١) وَضَرْبِ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
وَإِصْلَاحِ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ ١٤
وقال آخر :

وَحِفْظُكَ^(٢) مَالًا قَدْ عُنَيْتَ بِمَجْمَعِهِ
أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ^(٣) الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أَتَشْغَلُ عَنَّا يَا بَنَ^(٤) عَمِّ فُلَانٍ^(٥) تَرَى
أَخَا^(٦) الْبَخْلِ إِلَّا^(٧) سَوْفَ يَعْتَلُّ بِالشَّغْلِ

وقال ابن أحرر :

هَذَا الثَّنَاءُ وَأَجْدَرُ أَنْ أَصَاحِبَهُ وَقَدْ يَدُومُ رِيْقَ الطَّامِعِ الْأَمَلِ^(٨)

(١) يقال : بغى الشيء يغيه بغاء وبغى وبغية ، بضمين . وما أثبت هو ماني س .
وفي ل : « خير من بغاة » ، وهي رواية البحترى في حماسه ص ٣٤٣ . وفي ط :
« أيسر من فناء » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناء : فناءه ، وقصر
لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية في المعنى رواية البغدادى في الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل في إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية في س : « حفظك » بخزم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ما أثبت من ل ، وبالإخلاص ١٤٢ . قال الجاحظ :
« وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « باين » ولعل الوجه ما أثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفي ط ، س : « سوف تعتل »

وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت في ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ ، فِينَهُمَا

أَمُوتَ وَأُخْرَى ابْتِغَى الْعَيْشَ اكْدَحُ^(١)

وكلتاها قد خُطَّ لي في صحيفة

فلا المَوْتُ أهْوَى لي ولا العيش أروحُ^(٢)

وقال عمرو بن هند :

وإن الذي ينْهاكُم عن طلابِها يُنْاغِي نِساءَ الحَيِّ في طُرَّةِ البُرْدِ^(٣)

يُعَلِّلُ والأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمرَه^(٤)

كما تَنْقُصُ^(٥) النِّيرانُ^(٦) من طرف الزَّندِ

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء في س : « فأجدر » .
وكلمة « أصحابه » هي في الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان .
قال ابن بري في هذا البيت : « يقول : هذا ثنائي على النعمان بن بشير ،
وأجدر أن أصحابه ولا أفارقه . وأملى له يبق ثنائي عليه ، ويدوم ريق في في
بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة في البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل
٥٣٨ ليبسك وحاسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به
المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فنها
تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى في حاسة البحترى : « فلا الموت أهواه » وما
هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت مافي ل ، والبيان ٣ : ٣٤
وما سيأتي في ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقص » وله وجه . س : « قنقص » وليس بشيء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ما أثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّةٌ - إن كان قالها (١) - :

رُبَّمَا نَجَزَعُ النَّفُوسَ مِنَ الْأَمَّةِ رِلَهُ فَرْجَةً كَحَلِّ الْعَقَالِ

(شعر في الغزل)

وقال آخر (٢) :

رَمَتْنِي وَسَيَّرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ (٣)
أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنَّضَالِ قَدِيمٌ (٤)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمَنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَسِيمٌ (٥)

وقال آخر :

لَمْ أَعْطُهَا بِيَدِي إِذْ بَسْتُ أَرْضُفَهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غُصْنُ الْجَيْدِ لِلجَيْدِ (٦)

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النيرى كما في الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمته بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكتاف الحجاز » . وريم هي خليلته .

(٤) قال المبرد في شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفنتت كما فنتت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح في « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها للفعل .

(٦) في اللسان : عطا الشيء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءَ نَاعِمَةٍ مَطُوقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ^(١)
فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَلِكٍ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُخْفًا لَهُ مِنْ هَالِكٍ مُودِي

(شعر في الحكم)

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٢) :

الرَّءْيُ يَسْعَى ثُمَّ يُدْرِكُ مَجْدَهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ^(٣)
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ عَلَيْهِ^(٤) يُرْمَى وَيَقْدَفُ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ

[وقال دريد :

رئيسُ حروبٍ لا يزال ربيئةً مشيحٌ على محوقوفِ الصُّلبِ مُلبَّدِ^(٥)
صَبُورٌ عَلَى رِزْوِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ^(٦)
وَهَوْنٌ وَجَدَى أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذَبَتْ وَلَمْ أَجْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي]

(١) خضراء ، غنى بها شجرة أو أيكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم المود : اخضر ونضر . والمطوقان : حامتان مطوقتان . وتطاعهما : أن يدخل الذكر فيه في فم أنثاه . وفي ط ، ل : « مطوقات أصاغت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلي : نسبة إلى الدؤل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمية . يقال في النسبة إليه دؤلي ودؤلي بفتح عينهما ، ودؤلي بكسر الدال ، ودؤلي بكسرتين . وجاء في س « الدؤلي » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلاً ، حازماً ، بخيلاً . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعراً مجيداً ، وشهد صفين مع علي ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها - وقد أسن - سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أي يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيه » .

(٥) يقال احقوقف ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وغنى بالمحقوقف فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية في الحماسة : « فليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرفي بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٣٦ - ٣٤٠) .

وقال سعيد بن عبد الرحمن ^(١) :

وإنَّ امرأَةً يُمَسَّى وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ ^(٢)

(شعر في الزهد)

وقال أكرم بن صيفي :

نُرْبِي وَيَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَنَا نُرْبِي بَيْنَنَا فَنِينَا

وقال بعضُ المحدثين :

فَالآنَ أَسْمَحْتُ لِلخُطُوبِ فَلَا يُلْفَى فُؤَادِي مِنْ حَدِيثٍ يَجِبُ ^(٣)

قَلْبِي الدَّهْرُ فِي قَوْلِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِيَوْمِهِ سَبَبُ

وقال آخر ^(٤) :

لِدُّوا لِلْمَوْتِ وَابْتُنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ ^(٥)

أَلَا يَا مَوْتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَبَيْتَ فَمَا تَحْيِفُ وَلَا تُحَايِي ^(٦)

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشْيِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي ^(٧)

(١) هذا ما في ل ، ومثله في الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثاني من البيان . وفي س ، ط :

« وقال آخر » . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعرا »

لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ما جنى ، يريد إلا جزاء ما جنى . وجاءت هذه الكلمة في س : « عني »

وفي ط : « جنى » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لأن وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب

القلب وجبا ووجيبا ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً في ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت في الأغاني

٣ : ١٥٥ إلى أبي العتاهية . وهي في ديوان أبي العتاهية أيضاً ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الرواية في ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما في ل والديوان ،

وهو الموافق لما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفي ط ، س « تحيف » وهو تصحيف ما في ل

وفي الديوان : « قسوت فأتكف وما تحايي » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفي الديوان أيضاً : « هجمت على حياتي » .

وقال آخر^(١) :

يَانْفَسْ خَوْضَى بَحَارِ الْعِلْمِ أَوْ غَوْضَى فَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَعْمُومٍ وَمَخْصُوصٍ^(٢)
لَا شَيْءَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُحَاطُ بِهِ إِلَّا إِحَاطَةٌ مَنَقُوصٌ بِمَنَقُوصٍ

(شعر في التشبيه)

وأنشدنا للأخميم^(٣) :

بَأَقْبَ مَنْطَلِقِ اللَّبَانِ كَأَنَّهُ سَيِّدٌ تَنْصَلُّ مِنْ حُجُورِ سَعَالَى^(٤)

وقال الآخر^(٥) :

أَرَأَيْبُ^(٦) لِحَا مِنْ سَهِيلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ دُجْيَةِ اللَّيْلِ يَطْرَفُ^(٧)

وقالوا^(٨) قال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيتٍ لأمري القيس ،

وهو قوله :

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما في ل . وجاء في أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيهقي .

(٢) ط : « بين معموم » وصوابه في س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س : « وأنشد الأخميم » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامير البطن ، عني به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفي الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلة - فيما يزعم العرب - : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء في ل : « تنصل في » .

(٥) هو جران المود . والبيت من قصيدة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ .

(٦) هذا مافي ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفي ط ، س « راقب »

(٧) الرواية في الديوان ص ١٤ وكذا في ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وبهجتها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ وَزَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ^(١)
وَلَا أَجْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ^(٢) :

لَهُ أَيُّطَلَا ظُبِّي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ
وَقَالُوا : وَلَمْ نَرِ^(٣) فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ ، حِينَ شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي حَالَتَيْنِ
مُخْتَلِفَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

١٦

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكُرْهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(قِطْعَةٌ مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ)

وَسَنَذَكُرُ قِطْعَةً مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ . قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ^(٤) :
رَأَتْ نِضْوً أَسْفَارٍ أُمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْوٍ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونَهَا
فَقَالَتْ : مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ، وَمَنْ تَكُنْ
فَإِنَّكَ مَوْلَى فِرْقَةٍ لَا تَزِينُهَا

(١) كَذَا فِي لٍ وَمِثْلُهُ عِنْدَ الْعَكْبَرِيِّ ٢ : ٧٢ . وَجَاءَ فِي ط ، س :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَزَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ

وَقَدْ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ أَبُو الْعَمَيْثِلِ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ :

أَصْدَقُ وَعَفُ وَبَرٌّ وَأَصْبَرُ وَاحْتِمَلُ وَأَصْفَحُ وَدَارُ وَكَافُ وَأَبْذَلُ وَأَشْجَعُ

ثُمَّ الْمُنْتَبِي فِي قَوْلِهِ :

أَقْلُ أَنْلِ أَقْطَعُ أَجْلُ عَلَى سَلٍّ أَعْدُ زِدْ هَشَّ بِشٍّ تَفْضِلُ ادْنُ سَرٍّ صِلْ

انْظُرِ الْوَسَاطَةَ ٢٥٣ وَالْعَكْبَرِي .

(٢) كَذَا فِي لٍ وَفِي ط ، س : : « وَقَالُوا : وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : لَمْ أَرِ أَجْمَعَ
مِنْ بَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ » .

(٣) س : « يَرَى » .

(٤) كَذَا . وَالشَّعْرُ كَمَا تَرَى ، يَنْطِقُ بِأَنْ قَائِلُهُ رَجُلٌ .

(٥) الْفِرْقَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْجَمَاعَةُ . ط ، س : « وَقَرِينَهَا » صَوَابُهُ فِي لٍ وَتَقْدُّ الشَّعْرَ ٧٣
وَاللِّسَانُ (ضَمًّا ٢١٢) حَيْثُ أَنْشَدَ خَمْسَةَ أَبْيَاتٍ .

وقالت امرأة من خثعم :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أَحَبُّ فَإِنِّي

أَحِبُّ ، وَبَيْتِ اللَّهِ ، كَعْبَ بْنِ طَارِقٍ
أَحِبُّ الْفَتَى الْجَعْدَ السَّلُولِيَّ نَاضِلًا^(١) عَلَى النَّاسِ مُعْتَادًا لَضَرْبِ الْمَفَارِقِ

وقالت أخرى :

وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا فِي الدَّارِ خَالِدٌ وَأَقْبَحَهَا لَمَّا تَجَهَّزَ غَادِيَا
وَقَالَتْ أُمُّ فَرُوءَ^(٢) الْغَطَفَانِيَّةُ :

فَمَا مَاءٌ مَزْنٌ أَيْ مَاءٌ تَقُولُهُ تَحْدَرُ مِنْ غُرٍّ طَوَالَ الذَّوَائِبِ^(٣)
بِمُنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنٍ وَادٍ تَحْدَرَتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٤)
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ الْقَذَا عَنْ مَتُونِهِ فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ يَكُونُ لِعَائِبٍ^(٥)
بِأَطْيَبِ يَمْنٍ يَقْصُرُ الطَّرْفَ دُونَهُ تَقَى اللَّهُ وَاسْتَحْيَا بَعْضُ الْعَوَاقِبِ

(١) يقال نضله ، إذا غلبه في الرمي . وجاء في ل : « فاضلا » وأثبت ما في ط ، س .

(٢) كذا في س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفي ط « أم فرق » وفي ل :

« امرأة فروة » . والشعر الآتي قد نسب في زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى

عائكة المريفة في ابن عم لها راودها عن نفسها . وفي أمالي للقال (٢ : ٨٧)

شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المريفة ، تقوله في ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أي ماء تقوله » . وعنى بالغر السحاب ،

وبذوائها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفي الجزء الخامس من

الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفي الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العشاق^(١) :

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي^(٢) دَلَجَ السَّرَى وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ^(٣)
وَأَنْتِ الَّتِي أَوْزَنْتِ قَلْبِي حَرَارَةً وَقَرَّحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ^(٤)
وَأَنْتِ الَّتِي أَسْخَطْتَ قَوْمِي^(٥) فَكَلَّهْمُ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمُ^(٦)

فَقَالَتِ الْمَعشُوقَةُ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمْتُ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى^(٧) تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجَسْمَ قَدْ بَدَأَ بَجَلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومُ

وقال آخر^(٨) :

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَتْلُكَ غَادَةً رَدَّاحٌ وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقُ^(٩) ١٧
وَأَتْلُكَ لَا تَجْزِينِي بِمُودَّةٍ وَلَا أَنَا لِلْهَجْرَانِ مِنْكَ مُطِيقُ

(١) هو ابن الدمينه ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبنا طويلا ، وتحدثنا بالشعر الآتي . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحاسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينه ٣٦ - ٣٧ . والأبيات الثانية في البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفني » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتي الوادى . وفى س : « بالجهتين » وهو محرف .

(٤) فى الحاسة والديوان ، « قطعت قلبى حرازة » والحرازة : الوجد . وفيهما أيضا « وقرقت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرقت » بقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء فى المعاهد : « ومزقت » وفى المعاهد والحاسة : « فهو كليم » وفى الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية فى المعاهد والحاسة والديوان : « أحفظت قومي » . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية فى جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبنى ، كما فى تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَارِدٌ إِلَّا ثَنَانِيَا وَأَنَّ الْخَصْرَ مِنْكَ رَقِيقٌ^(١)
وَأَنَّكَ مَشْبُوحُ الذَّرَاعَيْنِ خَلْجَمٌ^(٢) وَأَنَّكَ إِذْ تَخْلُو بِهِنَّ رَفِيقٌ^(٣)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا مَغِيرَةَ أَنْنِي قَدْ دُسْتُهَا دَوْسَ الْحِصَانِ الْهَيْكَلِ
فَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمُقْصَبُ شَاتَهُ عَجَلَانٍ يَشْوِيهَا لِقَوْمٍ نُزِّلَ^(٤) [
وقال كعب بن سعد الغنوي^(٥) :

وَحَدَّثَنِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَلِيبٌ

(١) كذا في ط ، س . وفي ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف »
وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسم العظيم . وفي ط ،
س : « خلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) في ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما في اللسان (فتح) .

(٥) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، وهو أحد بني سالم بن عبيد بن سعد
ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنم بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكري
في شرح أمالي القالي في موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء
لابن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجد ترجمته في أحدها إلا ما قاله أبو عبيد
المذكور ، والظاهر أنه تابعي . خزانة الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات
الآتية من مراثية له طويلة رواها ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (٢٧ -
٣٠) والقالي في أماليه (٢ : ١٤٨ - ١٥١) يرفي بها أخاه أبا المغوار ، واسمه
هرم أو شبيب . وفي أمالي القالي أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ،
وبعضهم يرونها بأسرها لسهم الغنوي ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم
يروى شيئا منها لسهم .

وما سماء^(١) كان غير محمة^(٢) بيرية تجري عليه جنوب^(٣)
ومنزلة في دار صدق^(٤) وغبطة وما اقتال في حكم على طيب^(٥)
وقال دريد بن الصمة :

رئيس حروب لا يزال ربيثة مشيح على محقوق الصلب ملبد^(٦)
صبور على رزء المصائب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
وهون وجدى أننى لم أقل له كذبت ولم أبخل بما ملكت يدى

(قطع من البديع)

وقطعة من البديع قوله^(٧) :

إذا حداها صاحبي ورجعا وصاح في آثارها فأسمعا

-
- (١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) المحمة : مكان جوم الماء ، أى كثرته . والمحمة بالخاء : المكان تكثر فيه الحمى .
جاء في ط ، س : « بين محمة » ، وأثبت ما في ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابي :
الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء في ط ، س : « بنى شربة »
مكان « بيرية » التى أثبتها من ل ، واللسان .
(٤) كذا في ط ، س : واللسان . وفي ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة في ل : « اقتال » وفي س : « افتاك »
وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء في ط : « افتات » وهى صحيحة ،
في معنى : « اقتال » . وكلمة « فى » هى في كل من س ، ل ولسان العرب :
« من » . وقد عني بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(٦) « محقوقف » هى في الأصل : « محرووف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام
في هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت ما في ل .

يَنْبَغُنْ^(١) مِنْهُنْ جُلَالاً^(٢) أَدْمَكُ فِي مَاءِ الْمَهَاوَى مُنْقَعَا^(٣)
وقال الراجزُ في البديع المحمود :

قد كنت إذ حبلُ صَبَاكَ مُدْمَشْ^(٤) وإذ أَهَاضِيبُ الشَّبَابِ تَبْغَشْ^(٥)
ومن هذا البديع المستحسن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد^(٦) :
سمعتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فلم أَجِدْ كَفِعْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْماً وَنَائِلاً^(٧)
يُسَاقُ الْغَمَامُ الْغُرُّ مِنْ كُلِّ بِلْدَةٍ إِلَيْكَ فَأُضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلاً^(٨)

(١) في الأصل : « يتبعهن » وهو ظاهر التحريف . وقد غنى بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء في ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل المتق .

(٣) كذا جاء في البيت في ط ، ل . وفي س : « أرمك » وفي ل : « ماء المهاري » .

(٤) في اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فثله . . . وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع ماها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء في ط ، س : « تنعش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهلي كان معاصراً لعمر بن كلثوم . وكان أنشد شعراً بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ، ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجراً . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظر شرح التبريزي للحماسة ٢ : ٣٩ والحماسة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هي في ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزماً » هي كذلك في ط ، والحماسة . وفي ل : « فعلاً » .

(٨) في صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهي الغيث » ، و « فسيق إلهي للغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فسيق القهام الغر » . وهي صورة تطلعك على ماتفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبح منه كلُّ وادٍ حللته

وإن كان قد خوى^(١) المرایع^(٢) سائلا

فإن أنت تهلك يهلك الباعُ والنَّدا وتضحى قلوبُ الحمد جرباء حائلا^(٣)

فلا ملك ما يبلغنك سعيه ولا سوقة ما تمدحنك باطلا^(٤)

١٨

باب

في صدق الظنِّ وجودة الفراسة

قال أوس بن حجر :

[الألعى الذى يظنُّ بك الظنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وقد سمعا

وقال عمر بن الخطَّاب : « إنك لا تنتفع بعقل الرَّجل حتَّى تعرفَ

صدقَ فطنته » .

(١) خوى النجم : سقط ولم يطر في نومه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم .

انظر تفصيل ذلك في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١٧٩ - ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ - ٢٦١ . وفي الأصل « حوى » مصحفه .

(٢) المرایع : النجوم التى يكون بها المطر في أول الأنواء . ط : « المرایع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير في ركابك ، فلو انك نزلت في مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير ما يفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هى في س : « الحب » محرفة وفي ل : « الحى » ، ولها وجه . وفي الحماسة : « الحرب » وهى رواية جيدة . والحائل من النوق : التى حل عليها فلم تلتج .

(٤) للتبريزى كلام جيد في هذا البيت .

وقال أوس بن حجر [:

مليحٌ نَجِيحٌ أَخُو مَازِقٍ نِقَابٌ مُجَدِّثٌ بِالْغَائِبِ^(١)

وقال أبو الفضة ، قَاتِلُ^(٢) أَحْمَرَ بْنِ شَمِيط :

فَالَا يَأْتِيَكُمْ خَبْرٌ يَقِينٌ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقيل لأبي الهذيل : إِنَّكَ إِذَا رَاوَعْتَ وَاعْتَلَلْتَ - وَأَنْتَ تَكَلِّمُ النِّظَامَ

[وقت] - فَأَحْسَنُ حَالَتِكَ أَنْ يَشْكَّ النَّاسُ فِيكَ وَفِيهِ ! قَالَ : خَمْسُونَ شَكًّا

خَيْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَاحِدٍ !!

وَقَالَ كَثِيرٌ فِي عَبْدِ الْمَلِك :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمْعٍ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابَ^(٣)

فَقُلْتُ لَهُ ، وَلَا أَعْيَا جَوَابًا : إِذَا شَابَتْ لِدَاتُ الْمَرْءِ شَابَا

وَلَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إِذَا مَا قَالَ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا^(٤)

وليس في جَوْدَةِ الظَّنِّ بَيْتٌ شَعِرٌ أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِ بُلْعَاءَ^(٥) بْنِ قَيْس :

(١) أخو مازق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو مأظ » . والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه في ل . وانظر ما كتبت في الشميطية ص ٢٦٨ من الجزء الثاني .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هي في ط ، س : « وما » ، تحريف ماقى ل ، واللسان (مادة مرض) . وفي البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب في الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفي س : « أغرض » ولا وجه له ، وصوابه في البيان واللسان . وكلمة : « قال » في البيت بمعنى « ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبعا » وأثبت ماقى ل . وبلعاء هذا كان رأس بنى كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال في كل فن أشعارا جيادا المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحرية ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وَأَبْغَى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعة في الظَّنِّ :

وَدَعَانِي إِلَى الرَّشَادِ فَوَادُ كَانَ لِلْغَى مَرَّةً قَدْ دَعَانِي
ذَلِكَ دَهْرٌ لَوْ كُنْتُ فِيهِ قَرِينِي ^(١) غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَعَلَمْ إِلَّا الظُّنُونُ أَيْنَ مَكَانِي

(من مختار الشعر)

وقال ابن أبي ربيعة في غير هذا الباب :

وَحِيلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمِعًا مَطِيعًا
أَطَافَ بَغِيَّةٍ ^(٢) فَنَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا
وقال معقر بن حمار البارقى ^(٣) :

-
- (١) الرواية في الديوان ص ٦٦ : « قريبي » وهي رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب في الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .
(٢) ط : « بغيه » والوجه ما أثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير في « عنها » .
(٣) معقر بن حمار البارقى اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلي . سمى معقرا بقوله في قصيدة مشهورة :

لَهَا نَاهِضٌ فِي الْوَكْرِ قَدْ مَهَّدَتْ لَهُ كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَعْلِ حَسَنَاءُ عَاقِرٌ

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغدادى ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤلف ٩٢) :

فَالْقَتَّ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرِ

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذى أثبتته فى ل .

الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَغْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقَصِّرُ عَنْ رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِذُ يَذْهَبْنَ بِاتِّخَالِصٍ^(١)

(أَيَّاتُ الْمُحَدِّثِينَ حَسَانٌ)

١٩

وَأَيَّاتُ^(٢) لِلْمُحَدِّثِينَ [حَسَانٌ^(٣)] ، قَالَ الْعَتَّابِيُّ^(٤) :

وَكَمْ نِعْمَةٍ آتَاكَهَا^(٥) اللَّهُ جَزَلَةً مُبَرَّاةً مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَذِيعُهَا^(٦)
فَسَلَطَتْ^(٧) أَخْلَاقًا عَلَيْهَا ذَمِيمَةً تَعَاوَرْنَهَا حَتَّى تَفَرَّى أَدِيمُهَا
وَلَوْعًا وَإِشْفَاقًا وَنَطَقًا مِنْ الْخَنَا بَعُورَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا^(٨)
وَكُنْتَ أَمْرًا لَوْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى^(٩)

بَلَّغْتَ بِأَذْنِي نِعْمَةً^(١٠) تَسْتَدِيمُهَا
وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرَ مَحْمَلًا^(١١) مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا^(١٢)

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة في النضال .

(٢) ل : « أَيَّات » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتَّابي ، سبقت ترجمته في الجزء الثاني ص ٢٩٦ . وقد روى
الراغب البيهقي الأخيرين في محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم
وصوابه ما ذكرت ، كما في البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتَى بِهَا » ، وأثبت ما في ل .

(٦) ذامه يذممه : عابه .

(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت ما في س ، ل .

(٨) النِّيم مثل النِّيمَةِ . و « نطقا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المني » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .

(١١) كذا في ط ، س والبيان . وفي ل والمحاضرات : « أثقل » .

(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشئ .

وقال أيضاً :

وكنْتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِيزَنِي رِضَاعِي بِأَدْنَى ضُجْعَةٍ أُسْتَلِينُهَا^(١)
أُوَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَمَّةٍ تَوَقَّلُ^(٢) فِي نَيْلِ الْمَعَالَى فَنُوتُهَا
رَعَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقَّ فَهُوَ أَمِينُهَا
وَيَسْتَنْتِجُ الْعَقَاءَ^(٣) حَتَّى كَانَمَا تَغْلُغَلُ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِينُهَا
وَمَا كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصَّوَى يَسْتَبِينُهَا^(٤)
مُقِيمٌ بِمُسْتَنِّ الْعُلَا ، حَيْثُ تَلْتَقِي طَوَارِفُ أَبْكَارِ الْخَطُوبِ وَعُوتُهَا^(٥)
وقال الحسن بن هاني :

قُولَا لَهَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْخَلِيسِ الْحَاشِدِ
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ^(٦) وَإِشْفَاقُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
بِصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانِهَا وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ^(٧)

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفي ط ، س : « ثوغل » .

(٣) يستنتج العقاء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب .
في ط ، س : « العقاء » وهي ذلك الطائر الخيالي الذي لا وجود له ، وبها يصح
المعنى أيضاً . أي هو يقدر أن يحصل على ما لا يتناهى غيره .

(٤) ط ، س : « ومأكل » ، وهي على الصواب في ل . أم : قصد . والصوى : جمع
صوة بالضم : وهي حجر يكون علامة في الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستئنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ،
وفي ط : « طوارق » . والعون : جمع عون ، وهي التي ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكي . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك في حضرتك وفي غيبتك .

أَنْتَ عَلَى مَا بَيْكَ مِنْ قُدْرَةٍ مَا أَنْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاجِدِ
أَوْحَدَهُ (١) اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ لَطَالِبٍ ذَاكَ وَلَا نَاشِدِ
وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ (٢) أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيُّ :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتُّ أَجْمَعَ بَيْنَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسَنَادَهَا
نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُتُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنَادَهَا (٣)
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا (٤)
صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى أَمْرِيَّ وَدَعْتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

(شعر لبنت عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشعراء ببابِ عدى بن الرقاع يُريدون
مُتَانَتَهُ وَمُسَاجَلَتَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ بِنْتُ لَهُ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَتْ :
تَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَمَنْزِلٍ عَلَى وَاحِدٍ لِأَزْلَمُ قِرْنٍ وَاحِدٍ (٥)

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جعله واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشيء .

(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقافة ، بالكسر : ما تسوى به الرماح . والمتاد : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .

(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كثرت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدى بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكى أزدادها
ثم أسأله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر - وهو
زيادة بن زيد - لقوله :

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده أطال فأعلى أم تناهى فقصرا .

(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضاً فى الشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمن بن حسان الأنصاري ، وهو صغير ^(١) :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُشْتَغِلًا فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَاذُ الْيَعَاسِيَا ^(٢)

وقال لأبيه وهو صبيٌّ - ورجع إليه وهو يبكي ويقول : لسعني طائر !

قال : فصفه لي يا بني ! قال كَأَنَّهُ ثَوْبٌ حَبْرَةٌ ^(٣) ! قال حَسَّانُ : قال ابني

الشُّعْرَ وَرَبَّ السَّكْبَةِ !

وكان الذي لسعه زنبورًا :

-
- = ٣٥٩ ، وذيل الأمل ٧٠ : « وبلدة » . وفي الكامل ١٤٩ ليسك وشرح المقامات
- للشريشي ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد الثعالبي في الخبر : « فاستحيوا ورجعوا »
- وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشي : « فأفحمتهم ورجعوا
- بأخزى حالة » .
- (١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء في الكامل ١٤٩ ليسك : « ويروى
- أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراد به العقوبة ، فقال : الله يعلم . . . » الخ .
- (٢) اليعسوب : أمير النحل .
- (٣) الرواية في الكامل ١٤٩ ليسك : « كأنه ملتف في بردى حبرة » . والخبرة ،
- بالتحريك ، أو كمنبة : ضرب من برود النين .
- (٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهي صحيحة في العربية ،
- على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللفظة جاء قول العجير :
- إذا مات كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع
- انظر سيويوه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س .
- ٥ - الحيوان - ٣

(شمر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سهل بن هارون ، وهو يختلف إلى الكتاب لجار لهم :
نُبِّيتُ بِغَلَكِ مَبْطُونًا فَقُلْتُ لَهُ فَهَلْ تَمَاطِلُ أَوْ نَأْتِيهِ عُودًا^(١)

٢٠

(شمر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌ] صغير :
يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْفُ بِيَضِيٍّ وَاصْفَرِي^(٢)
وقال بعض الشعراء^(٣) :
إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيٌّ بَزَادٍ

(١) ط : « نبت يفلك » س : « نبتت بفلك » ل : « نبيت نعلك » وصوابه ما أثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكي بطنه . و « فقلت » هي في ل : « فرغت » وفي البغال : « فزعت » . و تماثل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) روى الدميري سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقي عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لمن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميري واللسان (قبر) .
وقال ابن بَرِي : هو لسكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصق الكلابي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكتايبات الجرجاني ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي كما في حواشي الكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ : ١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الطراف ٢٤ . ورواها الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

بُخْبِرَ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ (١)

رَاهِ يَطُوفُ بِالْآفَاقِ (٢) لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ (٣)

وقال الأصمعيّ : الشَّيْءُ الْمَلْفَفُ فِي الْبِجَادِ : الْوَطْبُ (٤) :

وقال أعرابيٌّ :

أَلَا بَكَرْتُ تَلْحَى قَتِيلَةً بَعْدَمَا بَدَأَ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَيْضُ وَاضِحُ

لِتُدْرِكَ بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْعِ ثَرْوَةً مِنْ الْمَالِ أَفْتَتَهَا السُّنُونُ الْجَوَائِحِ

فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْذِلْنِي فَإِنَّمَا بِذِكْرِ النَّدَى تَبْكِي عَلَى النَّوَائِحِ (٥)

(أشعار في معانٍ مختلفة)

وقال بِشَّارُ أَبِي تَاجٍ في المذاكرة (٦) ، في باب (٧) [المني ، وفي باب]

الحزم ، وفي باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزديّ ، وناسٌ]

يجعلونها لغيره ، وهي قوله :

(١) البجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما في س .

(٣) الثعالبي في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول

العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا

الكلام لابن السدي في الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهي بما فعل ، ويفخر

بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) في اللسان : « الملفف في البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكي عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .

(٧) ط ، س : « وفي باب » ، وأثبت ما في ل .

إذا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ^(١) حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانُ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ^(٢)
وَأَذِنِ مِنَ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ ٢١
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ نَصْلٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ^(٣)
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُّ اَلْهَمَّ بِالْمَنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ^(٤) :

وَبَعْضُ خَلَاتِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءُ الشَّيْخِ لَيْسَ^(٥) لَهُ شِفَاءٌ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ^(٦) كَمُخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ^(٧)
وَقَالَ تَأَبَّطُ شَرًّا - إِنْ كَانَ قَالَهَا^(٨) - :

-
- (١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصيحة » وهى صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحته ، ونصاحية . والاسم النصيحة .
(٢) مر الكلام فى ريش الطائر بالجزء الثانى ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفى س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخوافى قوة » . وفى كنىات الجرجاني ٦٠ : « فريش الخوافى » .
(٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . فى ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما فى ط ، س .
(٤) للشعر فى البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبى الحقيق .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية فى ل : « كداء البطن ليس له دواء » .
(٦) أصل العنَاج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد فى أسفلها ثم يشد فى عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفى ط : « عماد » . والبیت ساقط من س .
(٧) المحض : أصله اللبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .
(٨) بعد هذه الكلمة فى ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال النمرى : وما يدل على أنه مولد قوله :

شامسٌ في القُرِّ حتَّى إذا مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلٌّ^(١)
 وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرَى وَشَرَى وَكَلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ^(٢)
 مُسْبِلٌ فِي الْحَى أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَسِمْعٌ أَزَلُّ^(٣)
 وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنْهُ ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عَقَدْتُهُ مَا تُحَلُّ^(٤)
 مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ شَيْمًا ، كَمَا أَطَرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلٌ
 خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمِلٌ جَلَّ حَ دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ^(٥)

-
- = فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سماً . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما في خزانة الأدب (٣ : ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينتقل في شرحه عن كتاب المعاني لأحمد بن حاتم الباهلي ، وهذا توفي سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجاني ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي الذي قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى في شرحه للحماسة نقل عنه البغدادي في الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها في شرح التبريزي للحماسة (٢ : ١٦٠ - ١٦١) مع بسط وتفصيل .
- (١) شامس في القُر : يعني أن من لجأ إليه في القُر وجده كالشمس التي تدق . والشعري : كوكب يظهر في شدة الحر .
- (٢) الأرى : العسل . والشري : الخنظل .
- (٣) مسبل في الحى : أى هو في حال السلم من يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى في حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضيع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .
- (٤) ل : « ووراء الثَّار منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حل الضمير في « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .
- (٥) المصمئل : الشديد . وفي ل : « خبر ماجاونا » .

كُلُّ ماضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنَّا الْبَرْقَ إِذَا مَا يُسَلُّ (١)
فَاسْقِنِيهَا (٢) يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي نَحْلُ (٣)
وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ (٤) :

سَأَجْزِيكَ بِالْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَعُ إِنِّي سَوْفَ أَجْزِيكَ صَغَصَا
سَأُهِدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِيُوتِكَ لَعَلْعَا (٥)
فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدًا أَبُوكَ فَإِنَّا وَجَدْنَاكَ مُحَمَّدًا الْخَلَّاقِ أَرْوَعَا
فَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً (٦) وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مِائَةً مَعَا (٧)
فَقَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ (٨) بَشَرٍ (٩) بْنُ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ : الثَّنَاءُ وَالْمِدْحَةُ (١٠)

(١) قبل هذا البيت في الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولا يصحبه إلا الإيمان الأفل

وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجأ حلوا

أراد بالماضي الأول الرجل الشديد، والثاني السيف القاطع . تردى بالسيف : تقلده بحمائه .

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) النحل : المهزول . وفي ل : « بعد خالي » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صَعْصَعَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية في ل ، والبيان . وفي ط : « سأهدي بتثليث إليك هدية توافيك لو » .

وفي س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية في ل والبيان . وفي ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عني بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحرر بن جندل ، الأسير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفي البيان : « صَعْصَعَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ » .

(١٠) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمراً^(١) بن جندل أسيراً في يده ، فخلَّى سبيله من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجَر ، في هذا الشَّكل من الشعر - وهو يقع في باب الشُّكر والحمد - :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءً ثَوِيًّا حَلِيمَةً إِذْ أَلْقَى مِرَاسِيَ مُقْعَدٍ^(١)
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانِي وَحَلَّ بِفَلَجٍ فَالْقِنَافِذِ عُوْدِي^(٢) ٢٢
وَفَدَّ غَبَرْتُ شَهْرَى رَبِيعٍ كَلَيْهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْحِبَاءِ الْمَدْدِ^(٣)
وَلَمْ تُلْهَها تِلْكَ التَّكَالِيفُ ؛ إِنِّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَخَرُّدِ^(٤)
سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ^(٥) وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحَمَّدِي^(٦)

(١) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى في ط ، س : « ومقعد » ، صوابه في ل ، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافظ : موضعان . والعود : جمع عائد الذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته في سفر فصرعته فاندقت فخذه ، فأواه فضالة بن كلفة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به في أثناء مرضه . (الأغاني ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت » ، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريدة ، وهى الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإحصار ولم تعنس . و « تخرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفي ط : « تخودى » بالواو ، والياء في آخرها زيادة ناسخ . وفي س : « تجرد » .

(٦) المثوب : المنيب . وفي التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغاني . وفي ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائي .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أَجْزِهِ إِلَّا المَوَدَّةَ جَاهِداً وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ وَأَجْهَداً^(١)

(من شعر الإيجاز)

وأبيات^(٢) تضافُ إلى الإيجاز وحَذَفُ الفصول . قال بعضهم ووصف

كِلَابًا فِي حَالِ شِدِّهَا وَعَدْوِهَا ، وَفِي سُرْعَةِ رَفْعِ قَوَائِمِهَا وَوَضْعِهَا - فقال :

* كَأَنَّمَا تَرْفَعُ مَا لَمْ يُوضَعْ^(٣) *

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقوة فقال :

* [خِرْقَاءُ]^(٤) إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعَ *

وقال الآخر :

* اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٥) *

ووصف الآخرُ قَوْسًا^(٦) فقال :

* فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ *

(١) أى وأجهد في الود . وفي ط ، س : « وأحدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت في الجزء الثاني ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله في البيان (١ : ١٥٠) :

* إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تَفْلَحَ *

(٦) في الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه في البيان (١ : ١٥٠) وديوان

المعاني (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر ^(١) :

وَمَهْمَهُ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّمَا دَلِيلُهُ مَطْوَحٌ] ^(٢)
يَدَّأَبُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا كَأَنَّمَا بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا
ومثل هذا ^(٣) البيت الأخير ^(٤) [قوله] :

وَكَأَنَّمَا بَدَّرُ وَصِيلٌ كُنَيْفَةٌ ^(٥) وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامُ
ومثله ^(٦) :

تَجَاوَزْتُ حُمْرَانَ فِي لَيْلَةٍ وَقُلْتُ قُسَّاسٌ مِنَ الْحَرَمَلِ ^(٧)
ومن الباب الأول قوله :

عَادَنِي الِهْمُّ فَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْجٍ
وهذا الشعر لجعيفران الموسوس ^(٨) .

وقال الآخر ^(٩) :

(١) هو مسعود أخو ذي الرمة ، كما في ديوان المعاني (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو في أصله متأخر عن البيت الذي بعده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت ما في س ، ل .

(٥) كنيقة : اسم جبل . وفي س : « كنيقة » . وفي ل : « كنيقة » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعي ، كما في ذيل أمالي القالي ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة في ذيل الأمالي .

(٧) في ذيل الأمالي : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه في ط ، س . وهو جعيفران بن علي بن أصفر ابن السري ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديبا شاعرا ، تغلب عليه السوداء حيناً ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغاني (١٨ : ٦١) . والبيت السابق خبر في الأغاني (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما في نهاية أمالي المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقصر من صحبة زيدٍ أربى فنى إذا نبهته^(١) لم يغضب
أبيضُ بسامٌ وإن لم يعجب ولا يرضن^(٢) بالمتاع المحقّب
موكّلُ النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقيه له كالأقرب
وقال دُكين^(٣) :

وقد تعلّت^(٤) ذميل العنس بالسوط في ديمومة كالترس
* إذ عرج الليل بروج الشمس^(٥) *

وقال دُكين أيضاً :

٢٣

بموطنٍ يُنيط فيه المحتسى^(٦) بالمشرقيات زطاف الأنفس^(٧)

(١) هذه الرواية موافقة لما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يطن » بالبناء للمفعول : أى يهتم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمي ، وكان من أجازة عمر بن عبد العزيز - وعمر الضنين بإجازة الشعراء - أجازة وهو والى المدينة ، كما أجازة وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى في المؤلف ١٠٤ منسوباً إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا في الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعلّت » كما في المؤلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعلّت الناقة : إذا استخرجت ماعنها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) في البيان والمؤلف : « بروج الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .

(٦) س : « المخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرقيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى في دلو أو قربة . وتعليق النطاف في المشرقيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون في المهامه الجديدة . وفي ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف مأثب من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالِيفُ الشَّرَى وَالنَّصُّ فِي حِينِ الْهَجِيرِ وَالضُّحَى
حَتَّى عُجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ الْعُجْبَى ^(١) رَوَاعِفُ يَخْضِبْنَ مُبَيَّضَ الْحَصَى ^(٢)
وفي هذه الأرجوزة يقول :

* وَضَحِكَ الْمَزْنَ بِهَا ثُمَّ بَكَى ^(٣) *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سهمه حين رمى غيراً
كيف [نَفَذَ سَهْمَهُ ، وكيف] صَرَعه ، وهو قوله ^(٤) :
* حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا ^(٥) *

(شعر في الاتعاض والزهد)

ومما يجوز في باب الاتعاض قولُ المرأةُ وهي تطوفُ بالبيت :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْنَةَ السَّلَاحِبَ ^(٦) وَهَجَمَةً يَحَارُ فِيهَا الطَّالِبُ ^(٧)

(١) العجى ، واحدها العجاية والمجازة بضم العين في كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رمغ الدابة . والرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر في وصف سهم رام أصاب حاراً . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول :
نجا السهم من جوف الخمار وما نجا الخمار . أو نجا الخمار - من النجو - وما نجا
من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاحب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وَعَنَمًا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٍ
[ومثله قولُ المسعودي:]

أَخْلِفَ وَأَنْطَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ ^(١)
وقال القُدَّار ^(٢) ، وكان سيِّدَ عَنَزَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ:

أَهْلَكْتَ مُهْرِي فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّجَاجَةِ مَا يُضُرُّ وَيَنْفَعُ
[قال:] وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً:
إذا أنت لم تنفع فضرراً فإنما يُرَجَى الْفَتَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وقال الأخطل:]

تُشْمِسُ الْعَدَاوَةَ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وقال حارثة بن بدر:]

طَرِبْتُ بِفَاثُور ^(٣) وَمَا كَدْتُ أَطْرِبُ ^(٤) سَفَاهًا وَقَدْ جَرَّبْتُ فِيمَنْ يَجْرِبُ
وَجَرَّبْتُ مَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا تَعْلَةً وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجَنُونَ يَقْلَبُ ^(٥)
وَمَا الْيَوْمُ إِلَّا مِثْلُ أَمْسٍ الَّذِي مَضَى وَمِثْلُ غَدٍ الْجَائِي وَكُلُّ سَيِّذِهِبٍ ^(٦)

(١) في اللسان: أخلف فلان لنفسه: إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر
وأما «أنطف» فلم أهد إلى وجه فيها، وهي في البيان ٣: ١٩٤، ٢٥٢
و ٤: ٦٩: «أتلف».

(٢) ط، س: «الفرار» وأثبت ما في ل.

(٣) فاثور: اسم موضع، أو واد ببلاد نجد. في ط: «بفاثور» وصوابه في س، ل.

(٤) ل: «تطرب».

(٥) في شرح شواهد المعنى للسيوطي ٧٩: «المنجنون بفتح الميم: «الدولاب الذي
يستقى عليه وجهه مناجين وهو مؤنث». فالوجه: «تقلب». ومثله قول القائل:

وما الدهر إلا منجوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذب

(٦) منع تنوين: «غد» لضرورة الشعر. وربما كانت الرواية: «أمسى» و «غدى»
بالإضافة إلى ياء المتكلم.

وقال حارثة بن بدر الغداني^(١) أيضاً :

إذا ألهم أمسى وهو ذاك فآلقه ولست بمُضَيِّهٍ وأنتَ تعادله^(٢)
فلا تنزلن أمرَ الشديدةِ بامرئ إذا رامَ أمراً عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ
وقُلْ للفلوَادِ إن نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ من الرُّوعِ أفرخْ أَكْثَرُ الرُّوعِ باطلُهُ

(شعر في الغزو)

وقال الحارثُ بن يزيد (وهو جدُّ الأحيمر السَّعْدِيُّ) وهو يقع في باب
الغزو وتمدحهم ببعدها المغزى^(٣) :

لَا لَا أَعْقُ وَلَا أَحُو ب وَلَا أُغِيرُ عَلَى مُضَرٍّ
لَكِنَّمَا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدَّبَرِ
وقال ابن محفَّض^(٤) المازني :

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج :
كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك
النبي صلى الله عليه وسلم . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل
أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين .
الإصابة ١٩٣٣ . وفي ط ، س : « الفزاري » وصوابه في ل ، كما يتضح
من نسبه وكما في أمالي المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتي .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأَمْضِهِ » . تعادله ، هو من قولهم :
أنا في عدال من هذا الأمر - بكسر العين - أى في شك منه ، أَمْضَى عليه أم أنكره .
يقول : اجزم بطرد ألهم ولا تتردد في ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقتا في الحيوان ١ : ٣٣ وهما
كذلك في البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفَّض » . وقد اختلف في ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة في خزانة =

إِنْ تَكْ دِرْعَى يَوْمَ صَحْرَاءِ كَلْبَةٍ^(١) أَصِيبَتْ فَمَا ذَا كُمْ عَلَى بَعَارِ
أَلَمْ تَكْ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَا كُمْ عَلَى وَقَبَى يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ^(٢)
[فَتَلَكْ سَرَابِيلُ ابْنِ دَاوُدَ بَيْنَنَا عَوَارِيٌّ وَالْأَيَّامُ غَيْرُ قَصَارِ^(٣)
وَنَحْنُ طَرَدْنَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ إِلَى سَنَةِ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارِ^(٤)
وَمُومٍ وَطَاعُونَ وَحُمَى وَحَصْبَةٍ وَذَى لِبَدٍ يَغْشَى الْمَهْجَهَجَ ضَارِي^(٥)
وَحَكْمَ عَدُوٍّ لَاهَوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزِلٍ ذُلٌّ فِي الْحَيَاةِ وَعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه مأثبت من ل .
وابن محفض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن
ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش
إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، من يقول
هذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ماحلك على
قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإني أنشدت شعري فأخذتني
أريحته ! قال : فخلاه . الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلبية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاء باليمامة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبية »
وصوابه من س ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلبية ، وهى
موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسرابيل : دروع . وابن داود
هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه
وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والخطبة فى المعرب للجوالقي ص ٨٥ - ٨٦ .
عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو مايعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، آزاد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على :
« مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجندى الكثير المتراكب . والمهجهج : من يزرع للسم
يصيح به : هج هج .

وقال آخر (١) :

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمَ عَقَلَكُمْ

وَكُونُوا كَمَنْ سِمْ الْهُوَانَ فَأَرْتَعَا (٢)

وَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَاجَ فَإِنَّهُ نَحَا السَّيْفَ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا (٣)

وقال أبو ليلى :

كَأَنَّ قَطَاتَهَا كُرْدُوسُ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ (٤)

(شعر في السيادة)

وقال أبو سليمي (٥) :

لَا بَدَّ لِلسُّودَدِ (٦) مِنْ أَرْمَاحٍ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمٍ النَّبَاحِ

(١) هو الكيت بن ثعلبة كما في خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ .
أو هو الكيت بن معروف ، كما في حماسة البهتري ١١ ، وشرح التبريزي
للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سِمْ الْهُوَانَ : كلف الذل . وَأَرْتَع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاءت
وهذه رواية ل ، والخزانة . وفي ط ، س : « فَأَتَبَعَا » وفي حماسة البهتري :
« فَأَرَبَعَا » .

(٣) ابن دارَةَ هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بني فزارة هجوا شنيعا ، فقتله
زميل الفزاري ، فقال الكيت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح
الحماسة للتبريزي ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القِطَاة : العجز ، أو ما بين الوركين . وَالْكُرْدُوسُ ، بالضم : كل عظم كثير
اللحم . وكلمة « سَاقٍ » هي في الأصل : « سَلْبِي » ولا وجه لها ، وتصحيحها
بما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سَلْمِي » . وقد سبق الرجز في الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « لِلْسُّودِ » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

* وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ *

وقال الهذلي :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ لها صعداءَ مطلبها طويلٌ ^(١)

وقال حارثة بن بدر ^(٢) ، وأنشده سفيان بن عيينة ^(٣) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدَى بِالسُّودِ

(شعر في هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة :

وإنَّ بقومٍ سَوْدُوكَ لَفَاقَةٌ إِلَى سَيِّدٍ ، لوَ يظفرونَ بسَيِّدٍ

وقال إياس بن قتادة ، في الأحنف بن قيس :

٢٥ وإنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لوَ أَطْعَمْتَهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَنْفُورُ سَعِيرَهَا ^(٤)

وقال حميضة ^(٥) بن حذيفة :

أَيْظَلْمُهُمْ قَسْرًا فَتَبًّا لِسَعِيرِهِ وَكُلَ مَطَاعٍ لَا أَبَالِكَ يَظْلُمُ

(١) انظر كلامي على هذا البيت في الجزء الثاني ص ٩٥ .

(٢) في الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه في البيان ٣ : ٢١٩ وأمالى المرتضى

٢ : ٥٣ . وانظر أمالى الزجاجي ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة في المعارف ٢٢١ في أصحاب الحديث ،

ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد

الناس اختصارا . سئل عن قول طاوس في ذكاة السمك والجراد ، فقال :

ذكاته صيه . وجاء في العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات

نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشده يقول : خلت الديار . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيها » . والبيت في البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « حميضة » .

وقال آخر :

فأصبحتَ بعد الحلم في الحى ظالماً تَخْمَطُ فيهم والمسودُّ يَظْلِمُ^(١)

وكان أنس بن مدركة^(٢) [الخثعمي] يقول :

عزمت على إقامة ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسودُّ مَنْ يسودُّ^(٣)

[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهـمٍ رامٍ لقد جَمَعْتَ من شيءٍ لأمرٍ

وقال أبو حية :

إذا قُلْنَ كَلًّا قال والنَّقْعُ ساطِعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجرأ أباجله [

وقال آخر^(٤) :

إني رأيت أبا العوراء مرتفقاً^(٥) بشطِّ دجلة يشرى التمر والسمكا

كشدة الخيل تبقي عند مذودها والموت أعلم إذ قفى بمن تركا^(٦)

هذه مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

(١) التخمط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلي . انظر تحقيق العلامة الراجكوتي

في حواشي الخزائن ٣ : ٨٠ سلفية . وفي ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيوييه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزائن

٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضاً في الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) في الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) في س ، وكذا في الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفي ل : « كثرة »

وكلمة « تبقي » ساقطة من س وهي في الجزء الخامس « تبني » . و : « إذ قفى »

هي في الجزء الخامس « من يبنى » .

وقال شتيم بن خويلد ، [أحد بني غراب بن فزارة] :

وقلت لسيدنا يا حلیمُ إنك لم تأس أسوأ رفيقاً^(١)
أعنتَ عدياً^(٢) على شأوها تُعادي فريقاً وتُبقى فريقاً
زحرت^(٣) بها ليلةٌ كلها فجئت بها مؤيداً خنفيقاً^(٤)
وقال ابن ميادة^(٥) :

أثبتُ ابن قشراء العجاني^(٦) فلم أجدُ لدى بابهِ إذناً يسيراً ولا نُزلاً^(٧)
وإنَّ الذي ولأكَ أمرُ جماعةٍ لأنقصُ من يمشي على قدمٍ عملاً

(شعر في المجد والسيادة)

وقال آخر^(٨) :

ورثنا المجد عن آباءِ صديقِ أسأنا في ديارهم الصنيعا

(١) أنشده ابن الأنباري في الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد ياحليم عند نفسك ، فأما عندي فأنت سفيه » .

(٢) كذا في ل ، ومعجم المرزباني ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفي ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأنين .

(٤) قال الجاحظ في البيان : « مؤيد : داهية . خنفيق : داهية أيضا » . ط : « مريدا خنفيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وجاء في الجزء الخامس نسبة البيت إلى ابن أحر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية في الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيراً » هي في ط ، س : « يسر » ، وأثبت ما في ل ، والجزء الخامس . والنزله أصله بضم النون والزاي ، وسكن الشعر . والنزل : ما أعد للضيف .

(٨) هو من بن أوس المزني ، كما في الأغاني ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك في عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المجدُّ الرَفِيعُ تعاورته بُناةُ السُّوءِ أوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا
وقال الآخر :

إذا المرءُ أُنْرى ثُمَّ قال لقومِهِ أنا السَّيِّدُ المُفَضَّى إِلَيْهِ المَعْمُ (١)
ولم يَعْطِهِمْ خيراً أبوا أَنْ يَسُودَهُمْ وهانَ عَلَيْهِمْ رَغْمُهُ وهو أَظْلَمُ (٢)
وقال الآخر (٣) :

٢٦

تركتُ لبحرٍ درهميه ولم يَكُنْ لِيَدْفَعْ عَنِّي خَلَّتِي دِرْهَمًا بِحْرٍ (٤)
فقلتُ لبحرٍ خذْهُمَا واصطَرْفَهُمَا وَأَنْفِقْهُمَا فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا أَجْرٍ
أَتَمْنَعُ سُؤَالَ العَشِيرَةِ بَعْدَ مَا تَسَمَّيْتَ بِحِراً وَأَكْنَيْتَ أبا الغمر
وقال الهذلي :

وكنت إذا ما الدهرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً أَقُولُ شَوَى ، مالمَ يُصَيِّنْ صَمِيمِي (٥)
وقال آخر في غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعْلمُ الضَّبُّ أَنَّهَا بَعِيدٌ مِنَ الأَدْوَاءِ (٦) طَيِّبَةُ البَقْلِ
بنى بيته في رأسِ نَشْرٍِ وَكُذْبَةٍ (٧) وَكُلُّ أَمْرِي فِي حِرْفَةِ العَيْشِ ذُو عَقْلٍ

(١) في عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب في أمال الزجاجي ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) في حسانة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) في المقدم ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال » ، وأنشد البيهقي الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » .
وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ول رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال » . وأنشد البيهقي الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) في الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت في الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدوية : جمع داء ، وفي ل : « الأرواء » .

(٧) في الأصل : « بنا » . النثر : المكان المرتفع . والكديّة : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جَمِين والبرذون)

وحدَّثني المكيُّ قال : نظر أبو الحارث [جَمِين ^(١)] إلى برذون يُستَقَى عليه ماء ، فقال : المرءُ حيثُ يَضَعُ نَفْسَه ^(٢) ! هذا لو قد هملَجَ لم يُبْتَلْ بما تَرى !

(بين العقل والحظ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة السكلابي :
وما لُبُّ ^(٣) الأيِّبِ بغيرِ حظٍّ بأغنى في المعيشَةِ من فتيل ^(٤)
رأيتَ الحظَّ يَسْتُرُ كلَّ عَيْبٍ وهَيْهَاتَ الحُظُوظُ من العقولِ

(١) كذا في ل ، وفي مواضع متعددة من البيان ، وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جَمِين » قال - في مادة جَمِن - : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاي المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :
إن أبا الحارث جَمِيناً قد أوقى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه في البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (للوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وقصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التي في شق النواة . وفي ط : « فتيل » تحريف ما في س ، ل .

(هجو الخلف)

وقال الآخر^(١) :

ذهبَ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ سَلَفًا^(٢) وَبَقِيَتْ كَالْمَقْهُورِ فِي خَلْفٍ^(٣)
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَتَقٍ مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي^(٤)

(عبد العين)

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَعْبِدِ الْعَيْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَيَرْضَى وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظَنُّونُ^(٥)
ويقال للمرائى ، ولن إذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمة والسرعة
في طاعته فإذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنما هو عَبْدُ عَيْنٍ^(٦) » .

- (١) هو الأصوص ، كما في البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .
(٢) ل : « أحب قريهم » . وفي البيان : « أحبهم فرطا » .
(٣) في الجزء الثاني من البيان : « كالمقهور » . وفي الثالث : « كالمقهور » .
وكلمة « خلف » هي في ط : « خلق » محرفة .
(٤) المتضجع : من تضجع في الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .
(٥) في ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفي البيان
٢٠٤ : ٣

- ومولى كداء البطن أما لقاءه فحلّم وأما غيبه فظنون
والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذى لا يوثق به . ويصح أن تقرأ بضم
الظاء جهما للظن .
(٦) للميداني مثل هذا الكلام في أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال :
فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يرائى فيرضيك ظاهره » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرناً آياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلَّةُ الفُصول ، ولى كتابُ جُمِعَتْ فيه آياتُ من القرآن ، لتعرِّفَ بها [فصل] ما بينَ الإيجازِ والحذفِ ، وبينَ الزوائدِ والفُصولِ والاستعاراتِ ، فإذا قرأتُها رأيتَ فضلها في الإيجازِ والجمعِ للمعاني الكثيرةِ بالألفاظِ القليلةِ [على الذي كتبتهُ لك في بابِ الإيجازِ وتركِ الفُصولِ] . ففها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنةِ : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جُمِعتا جميعَ عيوبِ خمرِ أهلِ الدنيا .

وقوله عز وجل حينَ ذكرَ فاكهةَ أهلِ الجنةِ فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمعَ بهاتين الكلمتين جميعَ تلكِ المعاني . [وهذا كثيرٌ قد دللتك عليه ، فإن أردته فوضعه مشهور] .

(رأى أعرابي في تسمير المال)

وقال أعرابيٌّ من من بني أسد :
يَقُولُونَ ثَمَرٌ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَإِنَّمَا لِوَارِثِهِ مَا ثَمَرَ الْمَالِ كَاسِبُهُ
فَكُلُّهُ وَأَطْعِمُهُ وَخَالِسُهُ وَارِثًا شَحِيحًا وَدِهْرًا تَعْتَزُّ بِكَ نَوَائِبُهُ (١)

(١) خالسه ، من الخالسة ، وهى الأخذ في نهزة ومخاطلة .

(شعر في الهجاء)

وقال رجلٌ من بني عبس :

أبلغ قُرَاداً لقد حَكَمْتُ رجلاً^(١)

لا يَعْرِفُ النَّصْفَ بل قد جَاوَزَ النَّصْفَا^(٢)

كان امرأً ثاراً والحقُّ يَغْلِبُهُ فجانِبَ السَّهْلِ سَهْلَ الحَقِّ واعتَسفا

وذاكُمْ أنْ ذَلَّ الجارِ حالفَكُمْ وأنْ أَنْفَكُمْ لا يَعْرِفُ الأنفا

إنَّ المحْكَمَ ما لم يَرْتَقِبْ حَسَباً

أو يَرْهَبِ السَّيْفَ أو حَدَّ القَنَا جَنفاً^(٣)

مَنْ لا ذِبَالِ السَّيْفِ لاقى قَرْضَهُ عَجبا^(٤) موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنْتَصِفاً

بِيعُوا الحَيَاةَ بها إذ سامَ طالِبُها إمَّا رَواحاً وإمَّا مَيَّةً أَنْفاً^(٥)

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادى لقد حركتمو » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .
وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصاف . والنصف بالتحريك : الاسم منه . والأبيات في البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : ما يتجازى به الناس بينهم . وجاء في ل ، والبيان ١ :
٣١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وسام بها وعليها : غالى .
وقد تعدى الفعل هنا بنفسه . في ط ، س : « نام » وليس بشيء .
وأثبت ما في ل .

ليس امرؤ خالداً والموت يطلبه هاتيك أجساد عادٍ أصبحت جيفاً
أبلغُ لديكَ أبا كعب^(١) مغلغلةً أن الذي بيننا قد مات أو دنفنا^(٢)
كانت أمورٌ فجابت عن حلومكم ثوب العزيمة حتى انجاب وانكشفا^(٣)
إني لأعلم ظهر الضغن أعدله عني ، وأعلم أني آكلُ الكنفا^(٤)

(شعرٌ حكيمٌ)

وقال أسقف نجران^(٥) :

منعَ البقاءَ تصرفُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تُنسى
وطلوعُها بَيضاء صافيةً وغروبُها صفراء كالورس
اليوم أعلم ما يجيء به ومضى بفصل قضائه أمس

(١) ل : « سعد » . والمغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت . وفي س : « قد بات » بحرف .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « فجابت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤكل الكتف » كناية عن الخدق .

(٥) الشعر نسب في معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . ونسب في العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفي معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى التميمي بن الداهل ، وهو تبع الثاني أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وانظر خبراً متعلقاً به في كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالي القالي ٢٩ .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَتَوَبُّ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَجْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
[وعاقِرٌ مثلُ ذاتِ رَحْمٍ وغائمٌ مثلُ مَنْ يَخِيبُ]
أَفْلَحَ بِمَا شئتَ فَقَدْ يُبْلَغُ (٢) بِالضَّ عَفْ وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيبُ ٢٨
المرءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُولِ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ
وقال آخر (٣) :

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَوْصَابُهَا تَعْتَادُهَا فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا
(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر (٤) ، وكانت مُمْلَكَةً (٥) لمحمد (٦) المخلوع

حين قتل :

(١) كذا في ل . والشعر من قصيدته المشهورة التي أولها :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلُحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتِ فَالذُّنُوبِ

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة .

انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً في الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد

(٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبي جعفر المنصور ، ولي البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) مُمْلَكَةٌ ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفي ط « ملكها » وهو تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفي العقد (٢ : ١٧٨) أن

اسم المرأة لبانة بنت ربيعة بن علي ، وفي مروج الذهب (٢ : ٣١٦) هية) أنها

لبانة ابنة علي بن المهدي ، وفيها زيادة في الشعر . وفي البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة في

بعض الملوك . وفي الطبري ١٠ : ٢١٠ أن الشعر ، لبانة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(من نعت النساء)

وقال سلم الخاسر^(١) :

تَبَدَّتْ فَقَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِجِدِّ نَقِيَّ اللَّوْنِ مِنْ أَثَرِ الْوَرَسِ^(٢)
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لَصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ !

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى لبي تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة . قالوا : سمي بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طبورا . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه في الوفيات برسم « سلم » وهو خطأ . انظر الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ . وما ينص على تعيين اسمه قول أبي العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصل فالعيش مر

وقوله :

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالي متى ماتت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، يحمل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هي » . ل : « مجلد غنى اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر^(١) :

كَفَى حَزَنًا بَدْفِنِكَ ثُمَّ أَنَّى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ
وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا^(٢)

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقبلي :

يَزِينُ سَنَا الْمَاوِيَّ^(٣) كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَى غَفَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمَتَجَمِّلِ^(٤)
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي^(٥)

وقال الشمردل :

إِذَا جَرَى الْمُسْكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصاري ، كما في معاهد التنصيص (٢) :

١٨٥) . أو ولدا له كما في العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليسك

وذيل الأمل ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .

(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .

(٣) الماوي : لغة في الماوية أي المرأة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابي . وفي ط :

« الماذي » وفي س : « الماوي » وفي ل : « المادي » وكل ذلك تحريف

ما أثبت ، كما في اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .

(٤) في الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩)

ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهي مصدر من تجمل .

(٥) انظر تفسيره في اللسان (عشا ٢٨٧) .

يَشْبَهُونَ ملوكاً من تجلّتهم^(١) وطول أنضية الأعناق والأُم^(٢)
[النضى : السهم الذى لم يرش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية^(٣) .
والأُم^(٤) : القامات] .

وقال القتال الكلابي :

٢٩ ياليتنى ، والمنى ليست بنافعة^(٥) لملك أو لحصن أو لسيار^(٦)
طوال أنضية الأعناق لم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفار^(٧)
لم يرضعوا الدهر إلا ثدى واضحة لواضح الوجه يحمى باحة الدار^(٨)
وقال آخر :

إذا كان عقلٌ قلتم إنَّ عقلنا إلى الشاء لم تحل علينا الأباغرُ
وإنَّ امرأً بعدي يُبادل^(٩) ودَّكم بُودُّ بنى ذبيان مولى لخاسرُ

-
- (١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فى تجلّتهم » .
والتجلة : العظمة . وفى العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فى مجلّتهم » . ورواية
الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفاً فى صرامتهم » .
(٢) كذا جاءت الرواية فى ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللم » جمع
لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .
(٣) جاء فى الكامل : « فالنضى مركب النصل فى السنخ . وضره مثلاً . وإنما أراد
طوال الأعناق » .
(٤) الأُم : جمع أمة ، بضم الهزرة .
(٥) ل : « بمغنية » .
(٦) قال المبرد فى الكامل ٣٥ ليسك : « وقوله لملك أو لحصن أو لسيار » ، فهؤلاء
بيت فزارة ، يريد موضع الشرف فيهم .
(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما فى الكامل واللسان
(مادة زفر) . وفى س : « بأذفار » فيكون جمع زفر بالتحريك ، وهو
خبيث الريح .
(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة فى نسبها ، وليست بأمة .
(٩) فى هامش س : « خ : تبدل » أى فى نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هديهم^(١) إذا صرحت كحلٌ وهبت أعاصير^(٢)
مذالقي^(٣) بالخيل العتاق إذا عدوا^(٤) بأيديهم خطبةً وبواتر

وقال أبو الطمحان القيني في المعنى الذى ذكرنا :

كم فيهم من سيّد وابن سيّد وفى بعقد الجار ، حين يفارقه
يكاد الغمام الغر يُرعد أن رأى وجوه بنى لأم وينهل بارقه
وقال لقيط بن زرارَة^(٥) :

ولّى من القوم الذين عرفتُم إذا مات منهم سيّد قام صاحبه
نجومٌ سماءٍ كلما غارَ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه^(٦)

وقال بعض التميميين ، يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارَة :
بحقّ امرئٍ سرو عتية خاله^(٧) وأنت لقعقاع وعُمك حاجبُ
[درارى نجومٌ كلما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكبٌ ترفضُّ عنه السكواكبُ]

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب ، وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميداني ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » بحرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذالقي . وفى ط ، س : « مذاليف » من الدليف ، وهو المسى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبي الطمحان القيني فى الكامل ٣٠ ليلسك والوساطة ١٥٩ والحامسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفيلُ الغنويُّ :

وَكَانَ هُرَيْمٌ مِنْ سِنَانٍ خَلِيفَةً وَعَمَرُو وَمِنْ أَسْمَاءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نَجُومٌ ظَلَامٌ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَأَ سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبٌ^(١)

وقال الحريري^(٢) ، يمدح بني خريم^(٣) ، من آل سنان بن أبي حارثة :

بَقِيَّةُ أَقَارٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبَتْ^(٤) لَظَلَّتْ مَعَدَّةً فِي الدَّجَى تَتَسَكَّعُ^(٥)

إِذَا قَرَّ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا بَدَأَ قَرًّا فِي جَانِبِ اللَّيْلِ^(٦) يَلْمَعُ

وقال بعضُ غني^(٧) ، وهو يمدح جماعةً لإخوة ، أنشدنيها أبو قطن ،

الذي يقال له شهيد الكرم :

٣٠ حَبْرٌ ثَنَاءً^(٨) بَنِي عَمْرِو فَإِنَّهُمْ أُولُو فَضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارٍ^(٩)

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ ، وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجُهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ^(١٠)

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار

كوكب » . ل : « بدا وانجلى عنه الدجى كوكب » .

(٢) الحريري بالراء تقدمت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « حريم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحريري .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقار » . و « الفر » هي كذلك في س .

وفي ل : « الفر » ، وفي ط : « العز » ، محرفتان .

(٥) في اللسان : « وتسكع في ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية في الواسطة ١٥٩ : « في جانب الأفق » .

(٧) أي أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به في الجزء الثاني ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خبر ثنائي » وتصحيحه من ل . والتجسير : تحسين الخط

أو الكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : ما يتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهلوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة للزمان .

وإن تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا ، وإن شَهِمُوا كَشَفْتَ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرِ أَغْمَارِ^(١)
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ تَقُلْ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارَى
وقال رجلٌ من بني نهشل^(٢) :

إِنِّي لِمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قَبِيلُ الْكُمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا
لو كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا مَنْ فَارَسُ خَالِهِمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا^(٣)
وَلَيْسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا أَفْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا^(٤)
وفي المعنى الأول يقول النابغة الذبياني :

وذاك لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً^(٥) تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
بَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ

وفي غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وَأُنِيتُ حَيًّا فِي الْحُرُوبِ مَحْلُهُمُ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ

[وفي ذلك يقول الفرزدق :

لَتَبِكَ وَكِعًا خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرَةٌ تَسَاقِي السَّيَّامَ بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ^(٦)

(١) انظر تفسير البيت في الجزء الثاني ص ٨٩ . وجاء في س : « وإن شتموا » محرفة .

وفيها أيضا : « أذمار شر » وفي ل : « شد » وفيها : « غير أشرار » .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلي كما في شرح التبريزي للحماسة ١ : ٥٥ . وانظر

الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الانطعام والأخذ عن الأم .

(٥) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبي سود الغدافي . والسيام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦

والكامل ٧٦٥ ليسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيعاً والرماح بهم تجرى^(١)
وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام^(٢) *

فإنما ذهبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها [خامل الذكر والنسب^(٣)]
فلا يحسده من أكفائه أحدٌ ، وأما [إذا قام بها^(٤)] مذكورٌ بيمين
النَّقيبة ، وبالظفر المتابع ، فذلك أجود^(٥) ما يكون ، وأقربُ إلى
تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصْرَمُ مِنِّي^(٦) وَذُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وما كان وُدِّي عَنْهُمْ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْأَنَاءَ فَيُفْعَمُ^(٧)
وقال الفرزدق^(٨) :

وقالت أراه واحداً لا أخاله^(٩) يؤمِّله في الوارثين الأباعدُ

- (١) رواية الديوان والكمال : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .
- (٢) كذا جاء .
- (٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .
- (٤) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها .
- (٥) س : « أجوز » .
- (٦) كذا في ل . ، وفي ط ، س : « تذكر حبي » وهو تحريف .
- (٧) ل : « الآتي » . وهو الجدول تؤتية إلى أرضك .
- (٨) الشعر الآتي قاله الفرزدق عند ما عيرته زوجته نوار بأنه لا ولد له . عيون الأخبار ٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفي الديوان ١٧٢ أن التي عيرته هي امرأته طيبة بنت المعجاج المجاشعي . وينسب الشعر أيضاً إلى ابن علقمة الفرزاري . معجم المرزباني ٣٤٣ .
- (٩) في الديوان : « طاح أهله » ، وفي المعجم : « باد أهله » .

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَرِنَنِي ^(١) كَأَنَّمَا بَنَى حَوَالِيَ الْأَسُودِ الْخَوَارِدُ ^(٢)
فَإِنْ تِمَّا قَبْلَ أَنْ يَلِدَ الْحَصَى ^(٣) أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدٌ

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ أَيْضًا ^(٤) :

فَإِنْ كَانَ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدَّرَ آتَى ^(٥) لِمِيقَاتِ يَوْمٍ حَتَفُهُ غَيْرَ شَاهِدٍ ^(٦)
فَسَيْفُ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَايِدَى وَرَفَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ ^(٧)
كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

(١) ط ، س « تراني » وهو تحريف ، وصوابه من ل و عيون الأخبار . وفي الديوان : « فَإِنِّي عَسَى أَنْ تَبْصُرَنِي » .

(٢) الخوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللوابد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة الكاثر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلع الروم في وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر في الأغاني (١٤ : ٨٢ - ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أتى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت في حماسة البحترى ٥٦ .

(٦) يروي : « لتأخير نفوس حثفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسي . وخالد ذلك هو ابن جعفر بن كلاب العامري ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حنلج بن البكاء العامري ، وقال : نَحْ رَأْسُكَ يَا أَبَا جَزْءٍ - يعني خالدًا - فَنَحَى خَالِدَ رَأْسِهِ ، وضرب حنلج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامري بالسيف ، وكان على خالد درعان فنيا سيف ورقاء ، فقال في ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإن أحببت أن تروى من قصار القصائد شعراً لم يسمع بمثله ^(١) ،
فالتمس ذلك في ^(٢) قصار قصائد الفرزدق ؛ فإنك لم تر شاعراً قط يجمع
التجويد في القصار والطوال غيره .

وقد قيل للكُميت : [إنَّ] النَّاسَ يزعمون أنَّك لا تقدر على القصار !
قال : مَنْ قال الطَّوَالَ فهو على القصار أقدر ^(٣) .

هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأى والظن ، ولم نجد ذلك عند التحصيل
على ما قال .

= رأيت زهيراً تحت كل كل جعفر فأقبلت أسمى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريعان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه من الحديد المظاهر
الأغاني (١٠ : ١٤) . . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدي
أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب
هذا الملح ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فغير به قومه إلى
اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين
٦ - ٧ . والفرزدق في شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره ببنو سيف
ورقاء العيسى عن خالد ، وبنو عيس أخوال سليمان . الأغاني (١٤ : ٨٣) . أو
هو قال ذلك لأن صنع بني عيس كان مع جرير - يعني أنه كان موالياً لهم - الأغاني
(١٠ : ١٥) . وجرير ليس عيسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعقيل بن علفة : لم لاتطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق ^(١) » .

وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ قال : إنني لا ابتدى ، ولكنى أعتدى ^(٢) .

وقيل له : لم لانقصر ^(٣) ؟ قال : « [إن] الجراح يمنع الأذى ^(٤) ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نَبِّتُ أَنْ بَنَى جَدِيلَةً أَوْعَبُوا [نَفَرَاء] مِنْ سَلَمَى لَنَاوَتَكْتَبُوا ^(٥)

(١) المعروف في المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميداني (١) :

١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسياني في ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والمقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أي تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجراح أصله للخيول تغلب صاحبها وتطير به . في ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حتى من طيء . أوعبوا : أي لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تكتبوا : صاروا كتائب . وهي في ط ، س : « تكتبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس قعيد كالهراوة أعصب^(١)
وأبو الفراخ على خشاش هشيمة متكّب إبط الشائل ينعب^(٢)
]فتجاوزوا ذاكم إلينا كله عدواً وقرطبة^(٣) فلما قربوا
طعنوا^(٤) بمران الوشيج فما ترى خلف الأسنة غير عرق يشخب^(٥)
وتبدّلوا اليعبوب بعد إلههم صمّا^(٦) ففرّوا^(٧) ياجدِيل وأعدبوا^(٨)

(١) يقول : قد جرى لبني جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من الصيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كالهراوة فى ضخمها وانداماجها . والأعصب : المسكور القرن . وهو مما يتشامم به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراخ ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من اللواب ، مثل الحيات والمظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالحنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتكّباً إبط الشائل ، أى مائلاً عن جهتها . والشائل : جمع شائل ، وهى الريح الشمالية .
(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرضبة » تصحيف مأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه مأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدّلوا لليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادى : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : : « أوعبوا » .

وقال آخر :

ألم ترَ حَسَّانَ بنَ مَيْسَرَةَ الذي بِجُوحَى^(١) ، إلى جيرانِهِ كيفَ يَصْنَعُ
مَتَارِيبُ^(٢) ما تنفَكُّ مِنْهُمُ^(٣) عِصَابَةٌ إليه سِرَاعاً يَحْصُدُونَ وَيَزْرَعُ

(شعر في معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وباب^(٤) آخرٌ مثلُ قوله^(٥) :

* يريد أن يُعَرِّبَهُ فَيُعْجِمَهُ *

وقال آخر :

* كَأَنَّ مَنْ يَحْفَظُهَا يُضْيِعُهَا *

(١) ماعدا ل : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كحمن ، وهو الذي قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ،
والأكثر فيه أن يستعمل للذي كثر ماله . والمعروف في الذي قل ماله : ترب كفرح ،
من الثلاث . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « متى
ريب » ، وهي على الصواب في س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتي يخالف للسابق .

(٥) هو الخطيئة ، والبيت الآتي من أرجوزة له ، أولها كما في العمدة ١ : ٧٤ ،
والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الخفيض قدمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتي يحرمه من يسم الأعداء بيق ميسمه

وقال آخر :

* أهوجُ لا يَنْفَعُهُ التَّشْقِيفُ *

وقال بعض المحدثين [في هذا المعنى] :

إذا حَاوَلُوا أَنْ يَشْعَبُوهَا رَأَيْتَهَا مَعَ الشَّعْبِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيًا^(١)

وقال صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ^(٢)

إِذَا ارْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذَى الْأَصْنَا عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

ومثل هذا قوله :

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ

٣٢ وقال حُسَيْلُ^(٣) بن عُرْفُطَةَ :

لِيَهْنِيكَ بُغْضُ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَةِ^(٤) وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ

وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكُ^(٥) ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعي : التساقط . وهذا البيت هو الثاني من أبيات عددها اثنا عشر بيتا في البغلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قلوبهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حُسَيْلُ بن عُرْفُطَةَ بن نَضْلَةَ بن الْأَشْثَرِ بن جَحْوَانَ بن فُقْعَسِ الْأَسَدِيِّ ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسين » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد في نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ما قدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك . انظر النوادر في الموضعين . وقد جاء هذا الاسم في كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة في البغال ٣٣٩ .

(٤) في البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفي ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت ما في ل والبيان والبغال .

وَأَنْتَ مِهْدَاءُ أَخْلَنَّا نَطْفُ الثَّنَا^(١) شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعِ الصَّوْتِ غَالِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى^(٢) وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَضَ صَاحِبُهُ

(كَلِمَةُ لِلزَّبْرَقَانِ)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ : خَصَلَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِي
السَّوْمُ : شِدَّةُ السَّبَابِ ، وَكَثْرَةُ اللَّطَامِ^(٣) .

(شَعْرٌ فِي تَمْجِيدِ الْأَقَارِبِ)

وَقَالَ [خَالِدٌ] بْنُ نَضْلَةَ :

لَعَمْرِي. لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَلَوْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ^(٤)
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى كَثِيرٍ^(٥) وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ الْمُجَرَّبِ
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَا لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ^(٦)
فَإِنْ تَلْتَبَسَ بِي خَيْلُ دُودَانَ لَا أَرِمُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ وَإِنْ غَيْرَ مُذْنِبٍ

(١) الثَّنَا : مَا أَخْبَرْتُ بِهِ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ . وَفِي ط ، س ، وَالْبَيَانُ :
« الثَّنَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل . وَالنَّطْفُ : الْمَتَهَمُ الْمَرِيبُ .

(٢) الرَّدَى : الْهَلَاكُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الرِّخَا » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْبَيَانِ .

(٣) س : « الطَّعَامُ » مُحَرَفٌ .

(٤) أَيْ وَإِنْ أُرْكَبُوهُ الْمَرَكَبَ الصَّعْبَةَ . س : « غَلَتْ بِهِ » مُحَرَفَةٌ .

(٥) رَوَايَةُ الْحَمَاسَةِ ١ : ١٣٤ : « ذَا غَيٍّ جَزِيلٍ » . وَ « كَثِيرٌ » هِيَ فِي ط ،
س : « كَثِيرٌ أ » ، وَإِنَّمَا هُوَ صِفَةٌ لِلنَّدَى .

(٦) الْعِدَا : اسْمٌ جَمْعٌ بِمَعْنَى الْأَعْدَاءِ . أَوْ بِمَعْنَى الْغُرَبَاءِ كَمَا جَاءَ فِي الْخَفَصِصِ ١٢ : ٥٢ .
رَوَايَةٌ عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ ، قَالَ : « وَلَمْ يَأْتِ فِعْلٌ - أَيْ بِكَسْرِ فَفَتْحَ - فِي الصِّفَاتِ
غَيْرِ هَذَا » . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولما تأذى الأضبط بن قريع في بني سعد ^(١) تحول عنهم إلى
آخرين فأذوه فقال : بكل وادٍ بنو سعد !

(مقطعات شتى)

وقال سحيم بن وثيل :

ألا ليس زين الرجل قطع ونمرق ولكن زين الرجل يأمي راكبه ^(٢)

وقال أعرابي :

فما وجد ملوآح من الهيم حلت عن الماء حتى جوفها يتصلصل ^(٣)
تحوم وتغشاها العصى وحوها أفاطيع أنعام تعل وتنهل
بأكثر منى غلة وتعطف ^(٤) إلى الورد ^(٥) ، إلا أنني أجمل

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما في ل ، وما سبق في الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو الفرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته .
وفي ل : « نلع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والفرق والفرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرجل . وقد حرف الناسخون البيت في عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المازباني في معجمه ٣٩٠ لمخرس بن ربيع .

(٣) حلت : منعت من الماء . وفي ط ، س : « خليت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت ما في ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان^(١) ، في عيب أخذ العقل والرضا
بشيء دون الدَّم ، فقال :

وإنَّ الَّذِي أَصْبَحْتُمْ تَحْلُبُونَهُ دَمٌ غَيْرَ أَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَحْمَرَ
فَلَا تُوعِدُوا أَوْلَادَ حَيَّانَ بَعْدَمَا رَضِيتُمْ زَوْجَتِمْ سَيَّالَةَ مِسْهَرًا^(٢)
وَأَعْجَبَ قِرْدٍ يَقْصِمُ الْقَمَلَ حَالِقًا^(٣) إِذَا عَبَّ مِنْهَا فِي النَّقِيبَةِ بَرَّ بَرًا^(٤)
إِذَا سَكَبُوا فِي الْقَعْبِ مِنْ ذِي إِنْثَاهِم رَأَوْا لَوْنَهُ فِي الْقَعْبِ وَرَدًّا وَأَشْقَرًا^(٥)

٣٣

باب آخر

في ذكر الغضب ، والجنون ، في المواضع التي يكون فيها محموداً^(٦) .
قال الأشهب بن ربيعة^(٧) :

-
- (١) ط ، س : « الصبيان » ، وهو تحريف مأثبات من ل والقاموس . والطيفان
هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل مخوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء
على الصواب الذى أثبتته فى الأغاني ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصراً
لجرير والفرزدق .
- (٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشقرا » . وهو تحريف ،
ولعل صواب « حولتم » فيه « حولتم » .
- (٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحهم فرداً يقصم الفيل جالبا » !
- (٤) منها : أى من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل :
« النقيبة » ، وهى الجزور تجزى للضيافة . والبربرة : الصياح .
- (٥) ط : « للعقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إناهم ، ولذلك نظائر فى
كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٣٣١ - ٣٣٢ سلفية .
- (٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون
فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .
- (٧) الأشهب بن ربيعة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هر^(١) المقادة^(٢) من لا يستقيدها^(٣) وأعصوب السير^(٤) وارتد المساكين^(٥)
من كل أشعث قد مالت عمامته كأنه من ضرار الضيم^(٥) مجنون^(٥)
وقال في شبيه ذلك أبو الغول الطهوي^(٦) :

فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مَعَاشِرَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي^(٧)
مَعَاشِرَ لَا يَمْلُؤُنَ الْمَنَاسِبَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطُّحُونُ^(٨)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلْظِ يَدَيْنِ^(٩)
وَلَا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

= تعرف له حجة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هي أمه . واسم أبيه ثور
ابن أبي حارثة ، ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهب من هاجي الفرزدق ، وقد
سبق رجز له في ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو في الخزائن ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء
في ط : « رميلة » وهو تحريف . وجاء بعد هذا في كل من ط ، س :
كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفي ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .
(٢) المقادة : القود ، وهو تقيض السوق . وفي ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ،
ولعل الكلام في صفة ركب مسافرين في فلاة .
(٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصوب السير : صار عصيباً شاقاً . وفي ل : « اعصوب الشر » .
(٥) مالت عمامته مما لعب النوم به : والضرار : الضرر . وفي ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .
(٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولاً فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامي .
التبريزي (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبي) . وفي ل : « الضبي » وهو تحريف .
(٧) قال التبريزي : « يروي : صدقوا . . . ويروي : صدقت فيهم ظنوني ، ويكون
ظنوني في موضع رفع بصدقت » ، أي فاعلاً لصدقت .

(٨) في ل ، وكذا في الحماسة : « فوارس » وفيها أيضاً : « الحرب الزبون » .
(٩) في ل ، وكذا في الحماسة : « ولا يجزون من حسن بئى » . والى بالفتح .

هُمْ أَحْمَوْا حَمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ^(١)
فَنَكَّبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادَى وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

وقال ابن الطَّيْرِيَّةُ^(٢) :

[لو أَتَنَى لم أنلْ منكم معاقبةً إلا السَّنَانُ لَذاقَ الموتِ مَطْعُونُ
أو لاخْتِطَبْتُ فَإِنِّي قد هممت به بالسَّيْفِ إنْ خَطِيبَ السَّيْفِ مَجْنُونُ^(٣)

وقال آخر [:

حَمَاءُ تَامِكَةِ السَّنَامِ كَأَنَّهَا بَحْمَلُ يَهُودَجٍ أَهْلِهِ مَطْعُونُ^(٤)
جَادَتْ بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كِلْتَا يَدَيَّ عَمَزُوا الْغَدَاةَ يَمِينُ^(٥)
مَا إِنْ يَجُودُ بِمَثَلِهَا فِي مَثَلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الْخَلِيمِ أَوْ مَجْنُونُ^(٦)

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان .
في ل ، والمقصور والحماسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء في ل نسبة البيتین الآتين إلى ابن الطَّيْرِيَّةِ ، ونسبة الثلاثة التي بعدها
إلى « آخر » ، لكن في ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطَّيْرِيَّةِ .
ولم أعثر على مرجع لهاتين المقطوعتين .

(٣) في الأصل : « لاشتمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذي شد
هودجه بالظعان ككتاب ، وهو خيل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف
إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يدي يمين : أراد : شماله كيمينه في العطاء ، مبالغة في وصفه بالعطاء . وجاء في
الحديث : « كلتا يدي يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة في تأويل
مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « في مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها »
عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم
بالسكر : السجية .

وفي هذا المعنى يقول حسَّان ، أو ابنُه عبدُ الرحمن بن حسان :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسَدَ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
إِنْ يَكُنْ غَثًّا مِنْ رَقَاشِ حَدِيثٍ فِيمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا^(٢)
وفي شبيهه بذلك قول الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكْرَتْ وَأَكْمَلَتْ

فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ^(٣)

وقال القطامي - حين وصف إفراط ناقة في المراح والنشاط :

يَتَبَعْنَ سَامِيَةَ^(٤) الْعَيْنَيْنِ تَحْسِبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تُرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ ٣٤

وقال ابن أحرر ، في معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ مِنْ قَسَا ذَفِرِ الْخَزَامِي تَدَاعَى الْجَرَبِيَاءُ بِهِ الْحَيْنِيَا^(٥)

(١) شرح الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالي ابن الشجري (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد في الكامل ٥٩٧ ليسك والعسكري في الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس في ل . والبيتان في الديوان ١٣٤ - ٤١٤ في سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها في المواضع التي يستحسن فيها الدقة ، وعظم في الأجزاء التي يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهي من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٤) سامية : عالية ، وفي ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفي ل : « لجو » وهو تحريف . وفي س : « بجو » وهي صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمان ، كما في اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما في المقصور . و « الخزاي » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكي الرائحة . و « تداعي » هي في ط « تهادي » وهي رواية أخرى ، كما في اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والخنين : صوت الريح . وفي ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان في مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصود ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْحَاذِرُ بِهِ جُنُونًا^(١)

وفي مثل ذلك يقول الأعشى :

وَإِذَا الْغَيْثُ صَوْبُهُ وَضَعَ الْقِدْحَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ^(٢)
لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةُ الْحَمْرِ وَلَا اللَّهُوْ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

وقال آخر في باب المزاح والبطالة ، مما أنشدني أبو الأصبع^(٣)

ابن ربيع :

أَتُونِي بِمَجْنُونٍ يَسِيلُ لُعَابُهُ وَمَا صَاحِي إِلَّا الصَّحِيحُ الْمُسْلِمُ

وأنشدني^(٤) إبراهيم بن هاني ، وعبد الرحمن بن منصور^(٥) :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

(١) تفقأ : تصبب ، وفي س : « تكسر » ، وهي رواية أخرى كما في أمثال الميداني (١٠) :
(٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها
الجال ، الواحدة قلعة . والحازبار : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة ،
أوهونبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا في ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبع جاء في الأصل « أبو الأصبع » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره
الجاحظ في البيان (٤ : ١٩) ضمن النوك وأشباههم . وروى أنه قيل له :
أما تسمع بالعدو وما يصنعون في البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا
لا أعرفهم ولا يعرفوني ، فكيف صاروا لي أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما في س موافقا ما في الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) في الجزء السادس زيادة : « قبل أن يحن » .

(إبراهيم بن هانيء والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانيء] لا يقيم شعراً^(١) . ولا أدري كيف أقامَ
هذا البيت !

وكان يدعى بحضرة أبي إسحاق^(٢) علم الحساب ، والكلام ،
والهندسة ، واللحون ، وأنه يقول الشعر ، فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحنك
في هذه الأمور ، فلك أن تدعيها عندنا^(٣) . كيف صرت تدعى قول
الشعر ، وأنت إذا رويته لغيرك كسرتة ؟ ! قال : فإنني هكذا طبعْتُ ، أن أقيمه
إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعد هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابي)

وقلت لأعرابي ، أيما أشدُّ غلماً : المرأة أو الرجل ؟ فأنشد :
فوالله ما أدري ولأني لسائلُ الأير أدنى للفجور أو الحرُّ
وقد جاء هذا مُرخياً من عنانه وأقبلَ هذا فاتحاً فاه يهدر^(٤)

(١) وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه في الجزء الأول
من البيان ٩٣ - ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير في حنجرتِه . وفي ط ، س :
« يهر » بالياء محرفة . وهي على الصواب الذي أثبت في ل ومحاضرات الراغب
(٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءاً بقليل لقطرب - يعني النحوى .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضِ قِنَاعَا
ثُمَّ وَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ يَأْبَى^(١) الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا

وأنشد محمد بن يسير^(٢) [لبعضهم] :

قَامَتْ مُخَاصِرُنِي لِقَبَّتِهَا^(٣) خَوْذٌ تَأَطَّرَ نَاعِمٌ بِكَرٍّ^(٤)
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُذْرٌ ٣٥

وقال الآخر في خلاف ذلك ، أنشدني محمد بن هاشم السدري^(٥) :

فَلَا تَعْذُرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ أَشْرُّ الرِّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُعْذَرُ^(٦)

(١) ط ، س : « يَأْبَى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .

(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه في ل . وقد سبق ترجمته في الجزء الأول .

والشعر في البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .

(٣) جاء في البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرني : آخذ بيدها وتأخذ بيدي » . وكلمة : « لقبها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت في الجزء الأول من البيان وكذا في الثالث منه ص ٣٤١ : « يقننها » ، وفسرها الجاحظ في الجزء الأول بقوله : « والقننة (واحدة القنن . وهي) : المواضع الغليظة من الأرض في صلابة » .

(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت في ط ، س . وفي ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .

(٥) ط : « السدري » صوابه ما في ل ، س . ترجم له المرزباني في معجمه ٤٣١

(٦) قال الجوهري في الصحاح : « لا يقال أشر إلا في لغة رديئة » . وهكذا جاءت الرواية في ط ، ل . وفي س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا في أدب الدنيا والدين ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة^(١) :

فَلَيْتَ قَلُوصِي عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرٍ^(٢)
إِلَى مَعَشَرَ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَالَمُ يُخْصَرْ^(٣)

وقال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ ، وَهُوَ أَبُو نَفَرٍ^(٤) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْزِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَارَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلُ^(٥)

(١) ط ، س : « ابن قُتْرَب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر في الأغاني (١٩ : ١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته في الجزء الثاني ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب في ل والأغاني . وفي ط : « إلى حرمي دارمي بن جعفر » وفي س : « إلى حين يدرأى » والتحريف فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ رحلتها » ، وهو خطأ صوابه في ل والأغاني .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبئية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ في البيان ٣ : ١٠٩ - ١١٣ . والنعل المخصرة : المستدقة الوسط .

(٤) كذا في ل ، وهو الصواب كما في الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغاني ١٠ : ١٤٨ . وفي ط : « نقيز » وفي س : « بقير » محرفتان . والطرماح : شاعر إسلامي في الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعرا فصيحاً ، يكثر في شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقا للكميت الشاعر لا يكدادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبال ، وكفته ، بالكسر ، هي حبالته . في ط : « حائل » محرفة ، صوابها في ل ، س والأغاني والشعراء . ولبيت نظير في اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتني أغرَضْتَ عَنِّي كَانَ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وقال الخُرَيْمِيُّ ^(١) وَذَكَرَ عَمَاهُ ^(٢) :

أُصْغِي إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي إِذَا التَّقِينَا عَمَّنْ يُحْيِيَنِي
أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْدُّونِ
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأَكْرَهُ أَنْ أُخْطِئَ ، وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ^(٣)
لِلَّهِ عَيْنِي الَّتِي فَجَعْتُ بِهَا لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يَوَاتِنِي ^(٤)
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا تَعْمِيرَ نُوحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ
وقال بعضُ القَدَمَاءِ ^(٥) :

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبًا أَضْحَى يَدْنِي قُصُورًا نَفَعَهَا لِبَنِي نُفَيْلِهِ ^(٦)
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ ^(٧)

(١) في الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الخُرَيْمِيُّ » - بالزاي - وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه في الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « في عَمِي عَيْنِهِ » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطيء » .

(٤) كذا في ل والمراجع المتقدمة . وفي ط ، س : « دهرًا تولى فَا تَوَاتَنِي » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى في المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءً بالأَنْبَارِ الذي يدعى رصافة أبي العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغاني (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما في عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا في ل ، س ومعظم الروايات . وفي ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهي رواية فريدة .

وقال ابن عباسٍ بعد ما ذهب بصره (١) :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورُهُمَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ (٢)
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارُمٍ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

[وقال حسانٌ يذكرُ بيانَ ابنِ عباسٍ (٣) :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالاً وَلَمْ يَقِفْ لِعَيْنِي وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يَصْرِفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أُعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ]

(شعر في الخصب والجذب)

وقال بعضُ الأعرابِ يذكُرُ الخِصْبَ والجَدْبَ :

٣٦

مُطِرْنَا فَلَمَّا أَنْ رَوَيْنَا تَهَادَرَتْ شَقَاشِقُ فِيهَا رَائِبٌ وَحَلِيبُ

(١) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا

عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والعقد

٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو علي الثعالبي في ذيل

الأمالي ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص ١٦٥ .

ويروي البيتان أيضاً لأبي علي البصير كما في المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبي العيناء

في معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفي ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمي » ، وهو خطأ .

(٢) س : « فني لساني وسمعي » وفي عيون الأخبار : « فني فؤادي وسمعي » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان

ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً من رجال ظلامه وعُدَّتْ دُحُولُ بينهم وذُنُوبُ^(١)
ونُصَّتْ رِكَابُ للصِّبَا فترَوَّحتُ^(٢) لهنَّ بما هاجَ الحبيبَ خَيْبُ^(٣)
وطَنَ فناءَ الحىِّ حتى كأنه رَحَى مَنهَلٍ مِنْ كَرَّهِنَ نَجِيبُ^(٤)
بنى عَمَّا لَا تَعَجَّلُوا ، يَنْضَبُ الثَّرَى قليلاً وَيَشْفِي الْمَتَرَفِينَ طَبِيبُ^(٥)
فلوقد تَوَلَّى النَّبْتُ وامْتِيرَتِ الْقُرَى وَحَنَّتْ رِكَابُ الحىِّ حِينَ تَتُوبُ^(٦)
وصارَ غَبُوقَ الْخُودِ وهى كريمةٌ على أهلها ، ذو جُدَّتَيْنِ مَشُوبُ^(٧)
[وصار الذى فى أنفه خنزوانةٌ ينادى إلى هادى الرِّحَى فيجيبُ^(٨)]
أولئك أَيَّامُ تَبَيَّنَ ما الفَتَى أَكَابِ سَكَيْتُ أَمْ أَشْمُ نَجِيبُ

(١) ل : « ورامت رجال » و « دُحُولُ بَيْنَنَا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ - ١٩٧ وديوان المعاني ٢ : ٤٥ .

(٢) « فترَوَّحت » . وفى ط ، س : « هاجَ الحبيب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت رِكَابَ للصِّبَا ، فإن طلبَ اللّهُوَ بما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال » . و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خبيب » هى بالخاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الرِّكَابِ خبيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وطن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكية ، وعنى بالطبيب هنا الجذب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ فى الهيج . وامْتِيرَتِ القُرَى : جلب ما فيها . ط ، س : « وأبترت القُرَى ، وصوابه من ل والمخصص . وفى المخصص : « تثوب » ، وهما بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعمى . والخود : الشابة الحسنه الخلق . وفى ط ، س : « هنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوباً ، أى مخلوطاً بالماء . وفى ط ، س : « عشوب » ، تحريف ما فى ل .

(٧) الخنزوانة : الكبش . وهادى الرِّحَى : مقبضها . وفى المخصص بياض يمكن ساء ما هنا .

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال : ولما ولي حارثة بن بدر سرق^(١) ، كتب إليه أنس بن

أبي إياس^(٢) [الدبلي] :

أحار بن بدر قد وليت ولاية فكُنْ جُرْداً فيها تحون وتسرق
وباه تهما بالغنى ، إنَّ للغنى لساناً به المرء الهيوبه ينطق
[ولا تحقرن يا حار شيئاً ملكته فحظك من ملك العراقين سرق]
فإنَّ جميع الناس إمّا مكذب يقول بما يهوى ، وإمّا مصدق^(٣)
يقولون أقوالاً ولا يعرفونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

وقال بعض الأعراب :

فلما رأينا القوم ثاروا بجمعهم رعيناً الحديث وهو فيهم مضيع^(٤)
وأدر كنّا من عز^(٥) قيس حفيظة ولا خير فيمن لا يضر وينفع

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحدى كور الأهواز . وفي ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة في أمالي المرتضى ٢ : ٤٩ - ٥١ والمقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان رسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات في المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتي مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره لألفيتني فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إن رجلاً قال لبعض السلاطين : الدنيا بما ^(١) فيها حديث ، فإن استطعت أن تكون من أحسنها حديثاً فافعل !

(أقوال مأثورة)

وقال حذيفة بن بدر لصاحبه ^(٢) يوم جفر الهبأة ^(٣) ، حين أعطاهم بلسانه ما أعطى : إياك والكلام المأثور ^(٤) .

وأنشد الأصمعي :

كلُّ يومٍ كأنه يومٌ أضحى عند عبد العزيز أو يومٍ فطرٍ
وقال : وذكر لي بعضُ البغداديين أنه سمع مَدَنِيًّا مرَّ بباب الفضل

ابن يحيى — وعلى بابهِ جماعةٌ من الشعراء — فقال :

مالقينا من جودِ فضلِ بنِ يحيى تركَ الناسَ كلَّهُم شعراءَ ٣٧

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حل بن بدر ، كما في العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حل ، سيدا بنى فزارة . للعقدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفي ط : « الهبأة » ، وهو على الصواب في س ، ل .

(٤) المأثور : الذي ينقله الخلف عن السلف . وفي س : « المائق » ، وفي ط : « السائر » والأشبه ما أثبت من ل : موافقاً لما في العقد .

وقال الأصمعي : قال لي خَلَفُ الأحمر : الفارسيُّ إذا تَظَرَّفَ^(١) تساكِت ، والتَّبَطَّى إذا تَظَرَّفَ^(٢) أكثر الكلام .

وقال الأصمعيُّ : [قَالَ رَجُلٌ] لأعرابيٍّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قَالَ : مرزوقٌ أحق ! قَالَ : هذا الرَّجُلُ الكامل .

قَالَ : وقال أعرابيٌّ لرجل : كيف فلانٌ فيكم ؟ قَالَ : غَنِيٌّ حَظِيٌّ^(٣) قَالَ : هذا من أهل الجنة !

(السواد والبياض في البادية)

الأصمعيُّ قَالَ : أخبرني جَوْسِقُ قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ الْبَيَاضُ قَلَّ السَّوَادُ ، وإذا ظَهَرَ السَّوَادُ قَلَّ الْبَيَاضُ » . قال الأصمعيُّ : يعني بالسَّوَادِ التَّمَرُ ، وبالبياض اللَّبَنُ وَالْأَقِطُ^(٤) . يقول : إذا كانت السَّنَةُ مُحْصِبَةً كَثُرَ الْأَقِطُ وَاللَّبَنُ وَقَلَّ التَّمَرُ ، وإذا كانت السَّنَةُ مَجْدِبَةً كَثُرَ التَّمَرُ وَقَلَّ اللَّبَنُ [وَالْأَقِطُ] . وقال : إذا كان العام خَصِيبًا^(٥) ظَهَرَ [فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ] الْبَيَاضُ ، يعني الْأَقِطُ ؛ وإذا كان جَدِيبًا^(٦) ظَهَرَ السَّوَادُ ، يعني التمر .
وتقول الفُرسُ : إذا زَخَرَتِ الْأَوْدِيَةُ بِالماءِ كَثُرَ التَّمَرُ^(٧) ، وإذا اشْتَدَّتْ الرِّيحُ كَثُرَ الْحَبُّ .

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفي ط ، ل : « تظرف » . وصوابه من س .

(٢) ط ، س : « غنى حظي » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الأقط : شيء يتخذ من اللبن الحقيق يطبخ ثم يترك حتى يمتلئ .

(٤) ط : « خصيبا » .

(٥) ط ، س : « جدبا » .

(٦) ط : « السمن » ، وأثبت ما في س ، ل .

(قول في أثر الريح في المطر)

وحدثني محمد بن سلام^(١) ، عن شعيب بن حجر^(٢) قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الريحُ التي تكبُّ البعير^(٣) ؟ قالوا : لا . قال : فتذري الفارس^(٤) ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكونُ يكونُ مطرُكم .

وحدثني العُتبيُّ^(٥) قال : هَجَمْتُ على بطنِ بَيْنَ جبَلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يترْكُلون^(٦) على مَسَاحِيهم ، وإذا وجوهٌ مهَجَّنةٌ ، وألوانٌ فاسِدةٌ . فقلتُ : واديكمُ أخصبُ وادٍ ، وأنتم لاتشبهُون المَخاصِيبَ^(٧) قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحي صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : ثقله وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشيء وأذرت : أطارته .

(٥) ل : « القيني » ، وهو تحريف نهنا عليه كثيراً .

(٦) في القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل في الأرض » . في ط

« يتوكأون » ، وفي ط : « يتوكلون » ، وأثبت ما في ل .

(٧) المَخاصِيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفي ط فقط : « المَخاصِب » .

(شعر في الخصب)

وقال النمر بن تولب :

كَأَنَّ حَمْدَةَ^(١) ، أَوْعَزَتْ لَهَا شَبَّهًا فِي الْعَيْنِ يَوْمًا تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامِـ
مِثْلَاءِ جَادٍ عَلَيْهَا وَابِلٌ هَاطِلٌ فَأَمْرَعَتْ لَاحْتِيَالٍ فَرَطَ أَعْوَامِـ^(٢)
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا بَلَّهَا دِيمٌ مِنْ كَوْكَبٍ بَزَلِ بِالمَاءِ سَجَامِـ
لَمْ يَرَعْهَا أَحَدٌ وَارِبَتْهَا زَمْنًا^(٣) فَأَوُّ مِنْ الْأَرْضِ مَحْفُوفٍ بِأَعْلَامِـ^(٤)
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلًا كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصْوَاتُ جُرَّامِـ^(٥)
كَأَنَّ رِيحَ خَزَامَاهَا وَحْنَوَتْهَا بِاللَّيْلِ رِيحٌ يَلْنَجُوجِ وَأَهْضَامِـ^(٦)

(١) ل فقط : « جرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هَلِ النَّفْسُ إِلَّا مَتْعَةٌ مُسْتَعَارَةٌ تَعَارُ فِتْنًا فِي رَهْبِهَا فَرَطُ أَشْهَرِ
وَفِي ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفي اللسان مادة (فأو) : « وَأَكْتَمَ رَوْضَتَهَا » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلاً . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد عني الأنباط . وفي ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والخنوة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفي ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحداها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شيء يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يدع معني من أجله يُخَصِّب الوادى ويعتم نبتة إلا ذكره .
وصدق النمر (١) !

وقال الأسدى في ذكر الحِصْب ورطوبة الأشجار (٢) ولدونة الأغصان
وكثرة الماء :

وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوْ مُحْصَبٍ يَلْوِي عُنْزَةً مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ (٣)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْحَزَامَى عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهِ لَمْ يُقْبَسِ (٤)
ذهب إلى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه (٥) ، أنها إذا ٣٨
حك بعضها ببعض لم يقدح (٦) .

وفي شبيه بذلك يقول الآخر (٧) ، وذهب إلى كثرة الألوان (٨)
والأزهار والأنوار :

(١) في ل : « وصدق حديث القيني في قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » .
وليس بشئ .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفي البيان (٣ : ٣٤) :
« الورق » . وفي الحيوان ٤ : ٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) في الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) .
والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية
المخصص : « بوهد تحصب يبنى عنيزة » ، والوهد : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس :
ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص :
« مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا في ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفي ط ، س
والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقدح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست في ل .

[كانت لنا مِنْ غَطْفَانٍ جَارَةٌ] كأنها من دَبَلٍ وشاره^(١)
والحلى حلى التبر والحجارة^(٢) مَدْفَعٌ مِثَاءً إِلَى قَرَارَةٍ^(٣)
[ثم قال :

* إِيَّاكَ أَغْنَى وَاسْمَعِي ياجاره^(٤)] *

وقال بشار :

وحديثٍ كأنَّهُ قِطْعُ الرُّوْ ضِرِّ فِيهِ الْحَمْرَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

بَاب

من الفطن وفهم الرِّطَّاناتِ والكُنَيَاتِ والفهم والافهام

(حديث المرأة التي طرقها اللصوص)

الأصمعي قال : كانت امرأة [تنزل] متنجية من الحى ، وتحبُّ العزلة
وكان لها غنمٌ ، فطرقها اللصوص فقالت لأمتها^(٥) : أَخْرِجِي ! مَنْ هَاهُنَا ؟

(١) الدبل : بالتحريك : أصله في البعير أن يمتلئ شعما ولحما . وفي ط ، س « ذبل »
محرفة . والشاره : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفي المخصص واللسان (مادة حل)
« كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده في المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى ما يزين به من
مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقارارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : الهجرى .

(٤) البيت في أمثال الميداني (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل
ابن مالك الفزاري .

(٥) ط ، س : « لا بتها » ، وأثبت ما في ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانٌ ، والحُمَارِسُ ^(١) ، وعامرٌ ^(٢) والحارثُ ، ورأسُ
عَنْزٍ ^(٣) وشادن ^(٤) . وراعياً بهِمناً ^(٥) . [فنحنُ ما أولئك . أى : فنحن أولئك] .
فلما سَمِعُوا ذلك ظَنُّوا أَنَّ عِنْدَهَا بَنِيهَا . وقال الأصمعيُّ مرّةً ^(٦) : فلما
سمِعَت حِسَّهُمْ قالت [لَأَمَتِهَا] : أَخْرِجِي سُلُحَ بَنِيَّ من هاهنا .
قال : وسُلُحُ جمع سُلَاحٍ ^(٧) . وحَيَّانٌ والحُمَارِسُ ^(٨) : أَسْمَاءُ تَبُوسٍ لَهَا .

(قصة المَهْمُورَةِ الشَّيَاهِ والحُرِّ)

قال الأصمعيُّ : تزَوَّجَ رجلٌ امرأةً فساقَ إليها هَرَهَا ثلاثين شاةً ،
وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بَرَقٌ خَمْرَ . فَعَمَدَ الرَّسُولُ فذَبَحَ شاةً في الطَّرِيقِ
فَأَكَلَهَا ، وَشَرَبَ بَعْضُ الزَّقِّ . فلما أُنِيَ المرأةُ نظرت إلى تسعٍ وعشرين
ورأت الزَّقَّ ناقصاً ، فعَلِمَتِ أَنَّ الرجلَ لا يَبِيعُ إِلَّا بِثَلَاثِينَ وَزَقٌّ ^(٩) مملوءٌ

(١) ل : « الحتارس » .

(٢) ط ، س : « وعامرا » ، محرفة .

(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ماذبح .

(٤) ط ، س : « بارق » .

(٥) ط ، س : « وراعينا بهمنا » ، تحريف ماف ل .

(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .

(٧) السلاح ، بالضم : النجو .

(٨) ل : « الحتارس » . وكذا أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق

معنى الجمعية .

(٩) ط ، س : « وزقا » .

فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِّصَاحِبِكَ ^(١) : إِنْ سُحِبَ قَدْ رُثِمَ ^(٢) ، وَإِنْ رَسُولَكَ جَاءَنَا فِي الْحَاقِ ! فَلَمَّا أَنَاهُ الرَّسُولُ بِالرَّسَالَةِ : قَالَ يَاعِدُوْهُ اللهُ ، أَكَلْتُ مِنَ الثَّلَاثَيْنِ شَاةً شَاةً ، وَشَرَبْتُ مِنْ رَأْسِ الزُّقِّ ! فَاعْتَرَفَ [بِذَلِكَ ^(٣)] .

(قصة العنبري الأسير)

الأصمعيُّ قال : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ قَالَ : أَسْرَبَنُو شَيْبَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، قَالَ : دَعَوْنِي حَتَّى ^(٤) أُرْسَلَ إِلَى أَهْلِي لِيَفْدُونِي ^(٥) . قَالُوا : عَلَى أَلَّا تَسْكُمَ الرَّسُولَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِينَا . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَالَ لِلرَّسُولِ ، ائْتِ أَهْلِي فَقُلْ : إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ . وَقُلْ : إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَّتْ وَخَرَزَتْ الْقِرْبَ ^(٦) . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : اللَّيْلُ . قَالَ : أَرَأَيْكَ تَعْقِلُ ! انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِي فَقُلْ لَهُمْ : عَرَوْا جَمْلِي الْأَصْهَبَ ، وَارْكَبُوا نَاقَتِي الْحُمْرَاءَ ، وَسَلُّوا حَارِثًا عَنْ أَمْرِي - وَكَانَ حَارِثٌ صَدِيقًا لَهُ - فَذَهَبَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَدَعَوْا حَارِثًا فَقَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ أَمَّا قَوْلُهُ « إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ » فَقَدْ تَسَلَّحَ الْقَوْمُ . ٣٩

(١) ل : « قل له » .

(٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطم بالدم .

(٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر في البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبري . وانظر كذلك كُنَايَاتِ الْجُرْجَانِي ٦٣ ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر في الأخيرة إلى امرئ القيس .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « إلى صاحبي » ، وفي ط فقط : « يفتدون » .

(٦) هذه الجملة ليست في ل . وهي في أصلها : « وجررت القرب » وليس لذلك

وجه ، وقد اعتُمدت في تصحيحها على ما في كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخرز هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : « إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَيْتُ وَخَرَزْتَ الْقَرِيبَ ^(١) » فيقول : قد اتخذت الشُّكَا ^(٢) وَخَرَزْتَ الْغَيْرَبَ لِلْغَزْوِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « هَذَا اللَّيْلُ » فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كَمَ جَيْشٌ مِثْلُ اللَّيْلِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « عَرَّوْا جَمْلِي ^(٣) الْأَصْهَبُ » فيقول : ارْتَحِلُوا عَنِ الصَّمَّانِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « اركَبُوا نَاقَتِي الْحَمْرَاءَ » فيقول : انزِلُوا الدَّهْنَاءَ .

وكان القوم قد تهيَّئوا للغزوهم ، فخافوا أن يُنذِرَهم ، [فأنذَرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم ^(٤) .
(قصة العطاردي)

وكذلك صنع العطاردي في شأن [شِعب] جبلة ، وهو كِرب بن صفوان ؛ وذلك أنه حين لم يرجع لهم قَوْلًا حين سألوه أن يقول ، ورَمَى بَصُرَتَيْنِ في إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألا يتكلم ، وهو ينذرُكم عَدَدًا ^(٥) وشَوْكَةً ^(٦) .
قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

-
- (١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح كلمة « جررت » هنا وفيما سبقي قريباً ، اعتمدت فيه على ما في الكامل .
(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من آدم .
(٣) ط ، س : « جمالي » وتصحيحه من ل .
(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه في العقد ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ في بدء كلامه على يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً في أمالي القالي : ١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجاني ٦٤ ومعاني الأشنانداني ٥٧ وطرارز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الطراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .
(٥) أي عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفي ط ، س : « غدرا » وليس بشيء .
(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، في كامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(شعر في صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة ^(١) :

لما رأيتُ الدِّينَ دِينًا يُؤْفَكُ وأُمْسَتِ القُبَّةَ لا تستمسِكُ ^(٢)
يُفْتَقُ مِنْ أَعْرَاضِهَا وَيُهْتَكُ ^(٣) سرت من الباب فَطَارَ الدَّكْدَكُ ^(٤)
مِنْهَا الدَّجُوجِيُّ وَمِنْهَا الْأَرْمَكُ ^(٥) كاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهَا تَحَرَّكُ

وقال منصور النمرى :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ ^(٦)

وقال آخر :

كَأَنَّهُمْ لَيْلٌ إِذَا اسْتَنْفَرُوا ^(٧) أَوْ لُجَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَاحِلٌ

(١) في الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة تقدمت ترجمته في ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتكيس واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . في ط ، س « قطار دكدك » ، وفي ل : « فسار للدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجى : الشديد السواد . والأرمك : الذى يتخالط حرته سواد ، وقد تكلم العسكري في هذا البيت والذى بعده . وهما في صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفي ط س : « المدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل وديوان المعاني ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . في ط : « استنفروا » وصوابه في س ، ل .

وقال العجاج^(١) :

كَأَنَّمَا زُهاؤه إِذَا جُهِرَ^(٢) لَيْلٌ وَرِزٌّ وَغَرِيهٌ إِذَا وَغَرَ^(٣)

* سارٍ سَرَى مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فَجَرَ^(٤) *

وفي هذا الباب وليس منه^(٥) يقول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ^(٦) [وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبَنِي سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ [سَقَفًا^(٧) كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمُبَاتِيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشار ، كما غلب عنتره على قوله :

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغْنَى وَحَدُهُ هَزَجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُرْتَمِّ
غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمُسْكِبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
فلو أنَّ امرأ القيس عَرَضَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَعَنَتُهُ لَافْتَضَحَ .

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت ماني س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفي ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعاني

٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعاني واللسان (مادة جهر ، و غر) : « لمن جهر » . والشعر في نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفي ط ، س « وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه لإصلاحه من ل وديوان المعاني واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفي الأصل : « العير » صوابه في ديوان العجاج ١٨ وديوان المعاني والمختص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يومافوق أرووسهم » ، وبذلك يختل الوزن ، وأثبت

ماني ل وعيون الأخبصار ٢ : ١٩٠ . ومثهور الرواية : « فوق رموسنا » انظر الوساطة ٢٣٧ وحاسة ابن الشجري ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه في ل .

(مقطعات شتى)

وقال بعضهم [في] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنما اشتمَل اللَّب لُ على رَكِيها بأبناءِ حام^(١)
٤٠ خضتُ فيها إلى الخليفة بالرَّ قة^(٢) بحرى ظهيرة وظلام

وقال العرجي^(٣) :

سميتني خلقاً بحلةٍ قدمت^(٤) ولا جديده إذا لم يلبس الخلقُ
يا أيها المتحلَّى غيرَ شيمته ومن خلّقه الإقصادُ والملق^(٥)
ارجعْ إلى خيمك المعروفِ ديدنه إن التخلقَ يأتي دونه الخلقُ^(٦)

وقال آخر^(٧) :

أودى الحيارُ من المعاشِرِ كلهم واستبَّ بعَدَكَ يا كُليبُ المجلسُ
وتنازعوا في كلِّ أمرٍ عَظيمةٍ لو قد تكونُ شهدتهم لم يندسوا^(٨)

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات . ط ، س : « بالشرقة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت مافي ل موافقاً لما في العقد ٢ : ٢٤

وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة

كما في البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبي زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة في مجالس ثعلب ٣٠٠ .

(٤) ط : « بحلة قدحت » س : « حلّة قدمت » ، وأثبت مافي ل .

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ؛ بالكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتي ، وكما في ديوان المعاني ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم يندسوا » .

وأبياتُ أبي نواسٍ على أنه مولّد شاطر ، أشعرَ من شعر مهلهل في إطراق
النّاس في مجلسِ كليب ، وهو قوله ^(١) :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةَ البُخلِ ^(٢) وقد حلّ في دارِ الأمانِ مِنَ الأكلِ
وما خبزُهُ إلّا كآوى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى في الحزون ولا السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلّا كعنقاءٍ مُغربٍ تُصوّرُ في بسطِ الملوكِ وفي المثلِ
يحدثُ عنها النّاسُ من غيرِ رؤيةٍ سيوى صورةٍ ما أن تُمِرَّ ولا تُحلى
وما خبزُهُ إلّا كليبُ بنُ وائلٍ ليالى يحمى عزّه منبتُ البقلِ
ولإذ هو لا يستبُ خصمانِ عنده ولا القولُ مرفوعٌ بجِدٍّ ولا هزلِ

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نبيخت ، كما في الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس
١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان
إسماعيل بن نبيخت كما ترتعى الإبل في الحمض بعد طول الخلّة ، ثم كان جزاؤه منه
أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ناشق يرفا

وقال :

وما خبزُهُ إلّا كليب بن وائلٍ ليالى يحمى عزّه منبتُ البقلِ

البخلاء ٥٩ . وفي رسالة الحامد والحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ
يرتعى على مائدة إسماعيل الهاشمي ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض
الحسن بن هانئ يوماً بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل .
فقال له : ما أطعمكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب في قحف خنزير . فلم يكن
منه هذا القول إلّا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور في أخبار أبي نواس برواية : « واقية النمل » ، كما يقال :
« واقية الكلاب » .

فإن خبزُ إسماعيلَ حلٌّ به الذى أصابَ كليئاً لم يكن ذاك عن بَذلٍ ^(١)
ولكن قضاءً ليس يُسطاعُ دَفْعُهُ بِحيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِكْرٍ ذى عقلٍ ^(٢)

(شعر العرب والمولدين)

والقصيدة التى لا أحتشمُ منها ^(٣) ، ولا أهابُ الحصومة ^(٤) فيها : أن ^(٥)
عامّة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب ، أشعر من [عامّة]
شعراء الأمصار والقرى ، من المولدة ^(٦) والنابتة ^(٧) . وليس ذلك بواجبٍ
لهم فى كلِّ ما قالوه ^(٨) .

وقد رأيت ناساً منهم ^(٩) يهرجون أشعارَ المولدين ، ويستسقيطون مَنْ
رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلا فى راويةٍ للشعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو
كان له بصرٌ ^(١٠) لعرفَ موضعَ الجيّد ممّن كان ، وفى أىِّ زمان كان .

(١) فى ديوان المعاني والثمار : « عن ذل » ، وفى الديوان : « من ذل » ، وأنا
أرتضى ما هنا .

(٢) ل : « بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا فى س ، ل . وفى ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » مخرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الحصومة » ، ل : « ولا أهابُ الخصوم » ، وقد عدلت
القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » ول « الثانية » س : « النابتة » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشأهم » س : « نسايم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت ^(١) أبا عمرو [الشيباني] وقد بلغ من استجادته هذين البيتين ،
ونحن في المسجد يوم الجمعة ، أن كلّف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً ٤١
حتى كتبهما له . وأنا أزعّم أنّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً .
ولولا أن أدخل في [الحكم] بعض الفتك ^(٢) لزعمت أنّ ابنه لا يقول شعراً
أبداً ^(٣) ، وهما قوله :

لأَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَيْلَى فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ ^(٤)
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَفْظَعَ مِنْ ذَاكَ لَذَلَّ السُّؤَالُ ^(٥)

(القول في المعنى واللفظ)

وذهب الشيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعاني مطروحةٌ في الطريق
يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويُّ والقرويُّ ، [والمدنيُّ] . وإنما الشأنُ
في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ ^(٦) ، وسهولة المخرج ^(٧) ، [وكثرة المساء] ،

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفي ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا في ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفي ل : « أشد من ذاك على
كل حال » . وفي المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن
العجب أن ينعي الجاحظ على أبي عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره
فيجعل البيتين في مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « تمييز » وفي س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفى صحّة الطّبع وجوّد السّبك^(١) ، فإنما الشعر صناعة^(٢) ، وضرب من النّسج^(٣) ، وجنس من التّصوير .

وقد قيل للخليل بن أحمد : مالك لا تقول للشّعر ؟ قال : «الذى يجيئنى لأرضاه ، والذى أرضاه لا يجيئنى» .

فأنا أستحسن هذا الكلام ، كما أستحسن جواب الأعرابي حين قيل له : كيف تجدك ؟ قال : [أجدنى] أجدّ مالا أشتهى ، وأشتهى مالا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفع : مالك لا تجوز^(٤) البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إن جزئها^(٥) عرفوا صاحبها . فقال له السائل : وما عليك أن تعرّف بالطّوال الجياد ؟ ! [فعلم أنّه لم يفهم عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابي)

ونقول : إن^(٦) الفرق بين المولّد والأعرابي : أن المولّد يقول^(٧) بنشاطه وجمع^(٨) باله ، الأبيات^(٩) اللاحقة بأشعار أهل البدو ، فإذا^(١٠) أمعن انحلت قوّته ، واضطرب كلامه .

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .

(٢) ل : « صياغة » .

(٣) ط فقط : « الصنغ » .

(٤) أى تتجاوز . وفى ط ، س : « تجود » محرفة .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « جودتها » وهو تحريف «

(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف « ونقول » .

(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .

(٨) ط : « وجميع » ، والوجه ما أثبت من س ، ل .

(٩) كذا فى ل . وبدلها فى ط ، س : « فيشبه » .

(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر في تعظيم الأشراف)

وفي شبيهه بمعنى مهلهل وأبي نؤاس ، في التعظيم والإطراق عند السادة ،

يقول الشاعر^(١) في بعض بني مروان :

في كفه خَيْرُ رَأَى رِيحَهُ عَبِقُ في كفٍّ أَرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ^(٢)
يَغْضِي حَيَاءً وَيَغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتْ الْكَلِمُ
كَمْ هَاتِفٍ بِكَ مِنْ دَاعٍ وَهَاتِفَةٍ يَدْعُوكَ يَا قَوْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَوْمَ^(٣)

وقال أبو نؤاس في مثل ذلك^(٤) :

فَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً^(٥) لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَرَّةٍ
فَهَمُّ شَيْئٍ ظَنُّهُمْ حَذَرَ الْمَطْوِيِّ مِنْ خَبَرَةٍ^(٦)

(١) هو الفرزدق يقوله في هشام بن عبد الملك كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨)
وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزین الكنانی فی عبد الملك بن مروان كما في ديوان
الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠)
وأمالي المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير المصمى
في محمد بن علي بن الحسين . المؤلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما
في العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ
عن النسبة هنا ، وكذلك في البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة في
عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ ، ١٩٦) تحفظا منها .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، كما في الديوان ٦٦ من قصيدته
المشهورة التي مطلعها :

أيها المنتخب من عفره لست من ليلي ولا سمره

(٥) مائلة : واقفة ، يعني لإجلال له . وهذه رواية ل والديوان . وفي ط ، س :
« مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) في الديوان : « حذر المكتون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرَمَةَ في مديحِ المنصور ، وهو شبيهُ بهذا
وليس منه :

له لحظات عن حِفَافٍ سريره^(١) إذا كَرَّها فيها عقابٌ ونائلٌ^(٢)
٤٢ فأُمُّ الذي أَمُنْتَ آمِنَةَ الرَّدى وأُمُّ الذي أوعدتَ بالثُّكلِ ثا كلُّ^(٣)

(شعر في الحلف والعقد)

وقال مُهلِهْلٌ ، وهو يقع في باب الحلف وَكَّدَ بَعَقْدَ^(٤) :

[ملنا على وائل وأفلتنا يوماً عدى جُرَيْعَةَ الذَّقْنِ^(٥)]
دفعْتُ عنه الرِّمَاحَ مجتهداً حِفْظاً لِحِلْفِي وحلف ذى يَمَنٍ^(٦)
أذكرُ من عهدنا وعهدِهِمْ عهداً وثيقاً بِمَنْحَرِ البُدنِ
مابلٌ بجرٍّ كفا بصوقتها^(٧) وما أنافَ الهضابُ من حَضَنٍ^(٨)
يزيده اللَّيْلُ والنَّهارُ معاً شَدّاً ، خِرَاطَ الجَمُوحِ في الشَّطْنِ^(٩)

(١) كذا في س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفي . ل :
« عن حفا من » وفي ط : « في حفا من » . وفي العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن
خفاء سريرة » . وفي العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفافى سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفي ل : « حاولت بالثكل »
وفي س : « أنكلت » .

(٤) ط فقط : « في باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال في المثل : أفلتني جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن
ثم أفلتلك ، وهو يضرب مثلاً لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .

(٧) في اللسان : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحده
صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مابل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها »
وهو تحريف .

(٨) حَضَن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفي ط ، س : « حصن » مصحف .
وفيها أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماع . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع »
وصوابه من ل .

(شعر في مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حنّ (١) التغلبي :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهم ولسنا كمن يرضيكم بالملق (٢)
فسائل شرّ حيلًا بنا ومحلماً غداة نكر الخيل في كلّ خندق (٣)
لعمرك ما عمرو بنُ هندٍ وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق (٤)
فقام ابنُ كلثوم إلى السيف مغضباً فأمسك من ندمائه بالخنق (٥)
وعمه عمداً على الرأس ضربةً بذى شطبٍ صافي الحديدية مخفق (٦)

(١) جابر بن حنّ أحد شعراء المفضليات . وفي ط ، س : « ضابي بن حينا »
وهو تحريف ، والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبي كما في الشعراء ٩٦ والأغاني (٩ :
١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكا نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكماً » ، وأثبت
ما في ل . وفي س : « تكرر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلي أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة .
انظر لها الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) النسمان ، بالفتح : التديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفي ل : « ندمائه »
وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالخنق » وهو تحريف كذلك . وفي س :
« بالخنق » .

(٦) الشطب : طرائق السيف . و « الحديدية » هي في الأصل « الحديد » ، وأثبت ما في
الأغاني ليستقيم الشعر . والخنق ، كنبر : العريض من السيوف . وفي ط :
« محقق » وفي س : « محقق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر في الأقارب)

وقال المتلمس :

على كلّهم آسى وللأصل زلفة فحزح عن الأدنين أن يتصدّ عوا
وقد كان إخواني كريماً جوارهم ولكن أصل العود من حيث يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أحوالي أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرانيين ميسما
وما كنتُ إلاً مثلاً قاطعَ كفّه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما
يداهُ أصابتْ هذه حتفَ هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مقدّما
فأطرقَ إطرارقَ الشجاع ولو يرى مساعاً لنابيه الشجاعُ نصمّا^(١)
أحارثُ إنا لو تُسَاطُ دِماؤنا تَزَايِلُنَ حتّى لايمسَّ دَمٌ دِما^(٢)

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسألتُ عن قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لأبي
مريم الجنفي^(٣) : واللهِ لَأَنَا أَشَدُّ بغضاً لك من الأرض للدم^(٤) ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخطط . وفي ط ، س : « تساقط » ، وصوابه في ل . وكانوا يعتقدون
أنه إذا خطط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل النجاة وكان من أصحاب مسيامة ، وهو قتل
زيد بن الخطاب بن نفيل يوم النجاة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة
بعد عمران بن الحصين في زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) :
وقال أبو الحسن في شرح الكامل : ثقة كوفي . الكامل ٣٤٦ ليسك .

(٤) النص في الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال :
أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّمَّ الجارى من كلِّ شَيْءٍ بَيِّنٌ ، لا يغيضُ في الأرض ؛ ومتى جفَّ
[وتجلَّب] فقرفته ^(١) رأيتَ مكانه أبيض .

إلاَّ أنَّ صاحب المنطق قال في كتابه في الحيوان : كذلك الدَّماء ، إلاَّ ٤٣
دَمَ البعير .

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولبٍ ^(٢) :

إذا كنتَ في سعدٍ ، وأُمُك منهُمُ غريباً فلا تَغُرُّكَ أُمُك من سَعْدٍ ^(٣)
وقال ^(٤) :

وإنَّ ابنَ أختِ القومِ مُصغًى إنَّاءُه إذا لم يُزَاحِمْ خالَه بأبٍ جَلَدٍ ^(٥)

(١) قرفته : قشره . وفي ط ، س : « فقرفته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) في محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفي الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما في جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثاني : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما في العقد وشرح التبريزي (٢ : ٤١) :

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرء
قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون
الغدر في الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إناءه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المحضص (١٣ : ١٦١) .
وفي اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَخَيَّرَهُ اللهُ الْغَدَاةَ لِدِينِهِ عَلَى عِلْمِهِ وَاللهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسٌ^(١)

وقال آخر :

وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي فِي أَدِيمِكُمْ مَصْحًا وَلَكِنِّي أَرَى مُتَرْقِعًا^(٢)

وقال العجليّ ، أو العكلى^(٣) ، لنوح بن جرير :

[أَتَسْبِي فَأَرَاكَ مِثْلِي سُبَّةً وَأَسْبُ جَدَّكُمْ بِسَبِّ أَبِينَا]

ولقد أرى والمقتضى متجوز^(٤) يانوحُ أَنَّ أَبَاكَ لَا يُؤْفِينَا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَصِلَهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ سَمًا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْ عُ

(شعر في صاحب السوء)

وقال المقنّع الكِنْدِيُّ^(٥) :

وَصَاحِبِ السُّوءِ كَالِدَاءِ الْعِيَاءِ إِذَا مَا أَرَفَضَ فِي الْجَوْفِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا^(٦)

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « تخيَّره رب العباد . . . بالمبدأ عرف » .

(٢) المصح : موضع الصحة . س : « مترفعاً » وهو تصحيف ، صوابه في اللسان والمقاييس (رفع) .

(٣) كذا في س . وفي ط : « وقال العجلي ، أو العكلى » وفي ل : « وقال العكلى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفي س : « ولقد رأونا والقضا متخون » .

(٥) المقنّع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجل الناس وجهاً ، وكان إذا سافر الثام عن وجهه أصابته العين ، فكان لا يمشي إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عير .

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغاني (١٥ : ٧٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لا يبرأ منه . وفي ل : « كالداء العضال » .

يُنْبِي وَيُنْجِرِ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفَنًا ^(١)
كَمْهَرٍ سَوٍّ إِذَا رَفَعَتْ سَيْرَتَهُ رَامَ الْجِلَاحِ وَإِنْ خَفَضَتْهُ حَرَنًا ^(٢)
إِنْ يَحْيَى ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَعَزَلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَعْرِفْ لَهُ جَنَنًا ^(٣)

باب ^(٤)

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أَنَّ الذَّئْبَ ^(٥) بِصَيْدِ الطَّيِّبِ وَيُرِيغُهُ ^(٦) وَيُعَارِضُهُ ، فَإِذَا دَخَلَ
الحرم كَفَّ عَنْهُ .

ومن خصاله أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى الْكَعْبَةِ حَمَامٌ ^(٧) [إِلَّا وَهُوَ عَلِيلٌ . يُعْرِفُ
ذَلِكَ مَتَى امْتَحَنَ وَتَعَرَّفَتْ حَالُهُ ^(٨) . وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا] مَا دَامَ صَحِيحًا .
ومن خصاله أَنَّهُ إِذَا حَازَى أَعْلَى الْكَعْبَةِ عَرَقَةً ^(٩) مِنَ الطَّيْرِ كَالْبَيْمَامِ
وغيره ، انْفَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمَهَا ^(١٠) طَائِرٌ مِنْهَا .

(١) ل : « يَجْرَى وَيُنْجِر » ، وفي الشعراء : « يَنْبِي وَيُنْجِر » .

(٢) رفع سيرته : زاد في سرعة سيره .

(٣) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفي ل : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ لَا تَشْهَدُ لَهُ جَنِينًا » ، وهو
تحريف ما في الشعراء : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَشْهَدُ » .

(٤) قبل هذا في ل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

(٥) كَذَا فِي ل وَثَمَار الْقُلُوب ١٣ وَمَحَاضِرَات الرَّاغِب (٢ : ٢٦٣) . وفي ط ،
س : « الْكَلْب » ، وليس مراداً .

(٦) يريغه : يطلبه .

(٧) ط ، س : « عَلَى الْكَعْبَةِ حَمَامٌ » .

(٨) في ثمار القلوب : « عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ امْتَحَنَهُ وَتَعَرَّفَ حَالَهُ » .

(٩) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفي ط ، س
« عَرَفَ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(١٠) ط : « يَعْلَمُهَا » وَصَوَابُهُ فِي س ، ل .

ومن خصاله [أنه ^(١)] إذا أصاب المطر الباب الذي من شقِّ العراق ، كان الخِصْبُ والمطرُ في تلك السَّنة في شقِّ العراق ، [وإذا أصاب الذي من ^(٢) شقِّ الشَّام كان الخِصْبُ ^(٣) والمطر في تلك السَّنة في شقِّ الشَّام] ، وإذا ^(٤) عمَّ جوانب البيت كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا في سائر ^(٥) البلدان .

٤٤

ومن خصال الحرَم أن حَصَى الجَمَار يُرمى بها في ذلك المرمى ، مُذْ يَوْمَ حَجَّ النَّاسُ الْبَيْتَ عَلَى طَوَالِ الدَّهْرِ ، ثُمَّ كَانَتْهُ عَلَى مَقْدَارٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ لَا مَوْضِعُ الْآيَةِ وَالْعَلَامَةِ وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي فِيهَا ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَالْجِبَالِ . هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكْسَحَهُ السُّيُولُ ، وَيَأْخُذَ مِنْهُ النَّاسُ .

وَمِنْ سُنَّتِهِمْ : أَنْ كُلَّ مَنْ عَلَا الْكَعْبَةَ مِنَ الْعَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ ، لَا يَرُونَ الْمَلِكَ عَلَى مِنْعِهَا ، وَلَا يَجْمَعُونَ بَيْنَ [عَزٍّ] عَلَوُهَا وَذِلَّةٍ ^(٦) الْمَلِكِ . وَبِمَكَّةَ رِجَالٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ لَمْ يَدْخُلُوا الْكَعْبَةَ قَطُّ .

وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَبْنُونَ بَيْتًا مَرْبَعًا ، تَعْظِيمًا لِلْكَعْبَةِ . [وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلَّ بَيْتٍ مَرْبَعٍ كَعْبَةً ، وَمِنْهُ : كَعْبَةُ نَجْرَانَ] . وَكَانَ ^(٧) أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتًا مَرْبَعًا حُمَيْدُ بْنُ زَهِيرٍ ^(٨) ، أَحَدُ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى .

ثُمَّ الْبَرَكَةُ وَالشِّفَاءُ الَّذِي يَجِدُهُ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليست بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(٣) في الأصل ، أى ل التى منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .

(٤) ل : « فإذا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وبين » . وفي الثمار : « وذل الرق » .

(٧) كذا في ل . وفي ط ، س : « فكان » .

(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي . وكانت له دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرة من يُقيم عليه يجد فيه الشفاء ، بعد أن لم^(١) يدع في الأرض حمة^(٢) إلا أتاها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع^(٣) فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطير الأبايل ، والحجارة السجيل ، وأنهما لم تزل أمتنا ولقاحاً^(٤) ، لا تؤدى إناوة ، ولا تدن للملوك ، ولذلك سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يزل حراً لم يملكه أحد .

وقال حرب بن أمية في ذلك^(٥) :

أبا مَطَر هَلُمَّ إِلَى صَلَاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قَرِيْشٍ^(٦)
فَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَعِيْشَ فِيهِمْ أبا مَطَر هُدَيْتَ لَخَيْرِ عَيْشٍ^(٧)
وَتَنْزَلَ بَلَدَهُ عَزَّتْ قَدِيْمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ^(٨)
وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عز وجل ، حكاية عن إبراهيم

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأملاء .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفي ط ، س : « وانتقع » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) في السكامل ٧٠٦ ليسك : « واللقاح : الذي ليس في سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبي مَطَر الحضرمي ، يدعو به إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت في السكامل ضبط قطام . وقال ياقوت

في المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمراني : وفي كتاب

التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعني التنوين . في س : « فتكفك »

وفي المعجم : « ليكفيك » ، وفي السكامل « فتكفك كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .

(٧) س : « فتأمن رهطهم » .

(٨) كذا في ط ، س ، والمعجم ، والسكامل . وفي ل فقط : « عزت لقاحا »

وفي المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هي طيبة ، ولطيبها قيل تلفظ خبثها وينصع طيبها . وفي ربح
تراها وبنّة^(١) تربتها ، وعرف تراها^(٢) ونسيم هواؤها ، والنعمة^(٣) التي
توجد في سككها وفي حيطانها - دليل على أنها جعلت آية حين
جعلت حرماً .

وكل^(٤) من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق [ربح] الهواء
والترربة^(٥) في كل بلدة فإنه لا بدّ عند الاستنشاق والتثبت من أن يجدها
منقنة . فذلك^(٦) على طبقات من شأن البلدان ، إلا ما كان في مدينة
الرسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فللصباح^(٧) والعطر والبحور

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفي س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا في ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفي ل : « والنعمة » ، وهذه
محرفة لاريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعة » من فعم المسك
البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه في س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصباح ، بوزن كتان : عطر . ط ، س : « فللصبح » تحريف مأثب .
وفي ل : « وللصبح » .

والتَّضُوح^(١) ، من الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعافُ ما يوجد له في غيرها من البلدان ، وإن كان الصَّيَّاح^(٢) أجود ، والعطر أفخر ، والبخور أئمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

ورُبَّتْ بلدةٌ يستحيل^(٣) فيها العطرُ وتذهب رائحته ، كقَصَبَةِ الأهواز . ٤٥
وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكية ، وكره أهلها ذلك ، فقال شيخُ
منهم ، وصَدَقَهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنَّ
الطَّيِّبَ الفاخرَ يتغيَّرُ فيها حتَّى لا يُدْتَفَعَ منه بكثير^(٤) شيء ، والسَّلَاحَ يصدأ
فيها ولو كان من قلعةِ الهند^(٥) ، ومن طبع^(٦) اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

(١) التَّضُوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « والتضوع » ، وفي س : « والتضوح » ، وفي ل : « والضرخ » ، والصواب ما أثبتت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصباج » ، تحريف ما أثبت من ل . وانظر التنبيه الذي قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « يكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفي ط : « فلق » وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذي باليمن هو « القلعة » كما في المعجم والقاموس . وأثبت ما في ل .

شهرين ، ليس فيه سكون^(١) . فلم يُقِم بها^(٢) . ثم ذكر المدينة فقال :
وإنَّ الجُويَرَةَ السَّوداءَ ، لَتَجْعَلْ في رَأْسِهَا شَيْئاً من بَلَح ، وشَيْئاً من
نَضُوحٍ ، مما لا قِيَمَةَ لَهُ ؛ لِهَوَانِهِ عَلَى أَهْلِهِ ، فَتَجِدُ لَذَلِكَ^(٣) خُحْرَةً طَيِّبَةً^(٤)
وطيِّبَ رَائِحَةٍ لَا يَعْدِلُهَا^(٥) بَيْتُ عَرُوسٍ من ذَوِي الْأَقْدَارِ . حَتَّى إِنَّ النَّوَى
الْمُنْقَعِ ، الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي غَايَةِ النَّتْنِ ، إِذَا طَالَ إِنْقَاعُهُ ،
يَكُونُ عِنْدَهُمْ فِي غَايَةِ الطَّيِّبِ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

باب

ذكر الحمام^(١)

(أَجْنَاسُهُ)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشيٌّ ، وأهليٌّ ، وبيوتيٌّ ، وطورانيٌّ^(٧) .
وكلُّ طائرٍ يعرف بالزَّوْاجِ ، وبِحَسَنِ الصَّوْتِ ، والهِدِيلِ ، والدُّعَاءِ ، والترجيعِ
فهو حمام ، وإن خالف بعضُهُ بعضاً في بعض الصَّوْتِ واللَّوْنِ ، وفي بعض القَدِّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « فلم يقر بها » وتصحح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه في ل وثمار القلوب .

(٤) الحمرة ، مثله : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا في ل وثمار القلوب . وفي ط ، س : « لا يعدله » . يعدلها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست في ل . وفيها : « القول في الحمام » .

(٧) الطوراني : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل^(١) . وكذلك تختلف أجناس الدجاج^(٢) على مثل ذلك^(٣) ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دجاجا : كالديك الهندي والخيلاسي^(٤) والنبطي^(٥) ، وكالدجاج^(٥) السندي والزنجي وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعراب^(٦) والبخت^(٦) ، والفوالج ، والبهنويات^(٧) والصراصريات^(٨) ، والحوش ، والنجب^(٩) ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلا .

وما ذاك إلا كمخالفة الجرذان والفأر ، والنمل والذر ، وكاختلاف^(١٠) الضأن والمغز ، وأجناس البقر الأهلية والبقر^(١١) الوحشية ، وكقراءة ما بينهما^(١٢) وبين الجواميس .

(١) كذا في ل. وفي ط ، س : « وفي بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حمام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما في ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسي ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها في ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العراب » .

(٧) البهنويات من الإبل : ما بين الكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصراصريات : ما بين البخاق والعراب . ط : « الصراصريات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف في » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحياتُ والعقاربُ بضروب الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحياتٍ . وكذلك الكلابُ ، والغُرَبان . وحسبك بتفاوت ما بين الناس : كالزنج والصقالبة ، في الشُّعور والألوان ؛ وكياجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكنعانيين^(١) والعمالقة . فقد تخالف الماعزة الضائنة^(٢) حتى لا يقع بينهما تسافدٌ ولا تلاحق . وهي في ذلك غمٌّ وشاء .

قال : والقمرى حمام ، والفاختة حمام ، والورشان حمام . والشفنين^(٣) حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التي فيها ٤٦ ترجع إلى الحمام التي لا تعرف^(٤) إلا بهذا الاسم .

قال : وقد زعم أفليمون^(٥) (صاحب الفراسة) أن الحمام يتخذُ لضروب : منها ما يتخذ للأنس والنساء والبُيُوت ، ومنها ما يتخذ للزُّجال^(٦) والسباق .

(١) ط : « الكنعانيين » ، محرفة .

(٢) ط ٢ ص : « للضائنة » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من ص . ووافقا لما في السميرى .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، ص : « الذي لا يعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير في فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقراط ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالماً بها ؛ إذا رأى الشخص تركيبه ؛ استدلل بتركيبه على أخلاقه ، وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه في حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع في خمس وأربعين صفحة . وفي ط ، ص : « أفليمون » .

(٦) في الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية العرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزُّجَال : إرسال الحمام الهوادى ^(١)] .

(من مناقب الحمام)

ومن مناقب الحمام حُبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنتك لم ترَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً ، ولا أقصدَ ^(٢) مرتبةً من الحمام . وأسفل ^(٣) الناس لا يكون دُون أن يتَّخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتَّخذها . وهى شئٌ يتَّخذُه ^(٤) ما بين الحجَّام إلى الملك ^(٥) الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ الناس له ، ليس شئٌ مما يتَّخذونه همُّ أشدُّ شغفاً به ^(٦) ولا أشدُّ صِبايةً ^(٧) منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك فى الخِصيان كما تجده فى الفحول ، وتجدُه [فى الصِّبيان كما تجده فى الرِّجال ، وتجدُه] فى الفِتيان ^(٨) كما تجده فى الشيوخ ، وتجدُه فى النساء كما تجده فى الرِّجال . والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذى تظهر له عورة وحجم قضيب ^(٩) كالكلب والحمارِ وأشباه ذلك ، فيكون ذلك مما يكون يجب على الرِّجال ألاَّ يَدْخلوه دورهم .

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفى س : « أفسر » ، محرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتَّخذها » ، وأثبت ما فى ل . ط : « وهى شئ » ، ل : « وهو شئ » ، وأثبت ما فى س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شفقاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت ما فى ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة » ، وهى تحريف ، لوجود الباء فى كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل : « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب » ، بإقحام الواو .

(كلمة لثني في الحمام)

قال مثنى بن زهير : ومن العجب أن الحمامَ ملقَى ، والسَّكْرانَ موقى ،
فأنشده ابن يسير^(١) بيت الخزيمى^(٢) :
وأعددتُه ذخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المنايا بالذَّخائرِ مَوْلَعٌ^(٣)

(شرب الحمام)

ومنى رأى إنسانَ عطشانَ الديك والدَّجاجة يشربان الماء ، ورأى
ذنباً وكلباً يلطعان الماء لطعاً، ذهبَ عطشُهُ من قُبْحِ حسو الديك نغبةً نغبةً^(٤) ،
ومن لَطَعَ الكلب . وإنَّه كَبِرَى الحمام [وهو] يشرب الماء ! وهو^(٥) رِيَّان ،
فیشتهى أن يَكْرَعَ فى ذلك^(٦) الماء معه .

(١) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « ابن بشير »
وهذا تحريف .

(٢) فى ط : « الخزيمى » وفى س : « الخزيمى » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب
إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفى س :
« نغبة نغبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى ط ، س : « يشتهى أن يكون » ،
وله وجه .

(صدق رغبة الحمام في النسل)

والديك والكلب في طلب^(١) السِّفاد [وفي طلب الذَّرء] كما قال
أبو الأخرز^(٢) الحِماني :

* لَا مُبْتَغَى الضَّنَّ وَلَا بِالْعَازِلِ^(٣) *

والحمام أكثر معانيه الذَّرء وطلب الولد . فإذا علم الذكر أنه قد أودع
[رحم] الأنثى ما يكون منه الولد تقدّمًا في إعداد العش ، ونقل القصب^(٤)
وشقق^(٥) الخوص ، وأشباو ذلك من العيدان الخوارة الدقاق^(٦) حتى يعمل
أفحوصة وينسجها^(٧) نسجًا مدخلًا ، وفي الموضع الذي قد [رضيها] اتخذاه

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأخرز » وصوابه في ل . قال فيه صاحب المؤلف ٥٢ : « أحد
بنى عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان .
راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنن ، بالفتح ويكسر : الولد . وفي ط ، س : « الضر » ، وصوابه في ل
والجزء الأول ص ١٩٥ والمازل فسرّه الجاحظ في الجزء الأول ١١٠ . وفي ط ،
س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفي ل :
« العازل » .

(٤) ل : « تقدّم في نقل القصب » .

(٥) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشيء إذا شق .
وفي ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفي ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه في ل ونهاية
الأرب . وفي ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على التصواب في ل ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « حتى يعمل الخوص
وأشباو ذلك وينسجها » .

واصطنعاه ، بقدر جثمان الحمامة ، ثم أشخصاً لتلك الأفحوصة حُرُوفاً غيرَ مرتفعة ؛ لتحفظَ البَيضَ وتمنعه من التدحرج ، [ولتلتزمَ كَنَفِي ^(١) الجَوْجُو] ولتكون ^(٢) رِفْداً لصاحبِ الحُضْنِ ، وسنداً للبيض . ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرمُوص ^(٣) وتلك الأفحوصة ، يسخنّانها ويدفّيانها ^(٤) ويطيّبانها ، وينفيان عنها طبايعها الأول ^(٥) ، ويحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقةً من طبايعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقواهما الفاصلة ^(٦) [منهما ؛ لكي تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ ، في موضعٍ أشبهَ المواضع طباعاً بأرحامِ الحمام] ^(٧) ، مع الحضانة والوثارة ^(٨) ؛ لكي ^(٩) لاتنكسر البيضة بيئسَ الموضع ، ولتلاينكر طبايعها ^(١٠) طباعَ المكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البردِ والسَّخانةِ ^(١١) والرخاوةِ والصلابةِ . ثم إن ضربَها المخاضَ وطرقت ^(١٢)

-
- (١) في أصلها أى ل وكذا في نهاية الأرب : « كنفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجَوْجُو من الطائر : صدره .
- (٢) ط ، س : « ليكون » ، وفي ل : « وتكون » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .
- (٣) القرموص ، بالضم : العنكبوت يبيض فيه الحمام . وفي ط : « القرموص » ، وصوابه في س ، ل .
- (٤) ط فقط : « ويرفّيانها » ، والوجه ما أثبت .
- (٥) الطبايع ، بالكسر : الطبع .
- (٦) الفاصلة : المنفصلة . وفي ط ، س : « الفاصلة » ، وما كتبت من ل أشبه .
- (٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها في ط ، س : « من أرحامها » .
- (٨) الوثارة : أن يكون الشيء موطأً ممهداً . وفي ط : « والاثارة » ، وصوابه في ل ، س .
- (٩) ط : « لكن » وصوابه في ل ، س ونهاية الأرب .
- (١٠) الطبايع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبايعها » وفي س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .
- (١١) في ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .
- (١٢) طرقت تطريقاً : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَتْ ^(١) إلى الموضع الذى قد أعدته ، وتحاملت إلى المكان الذى اتخذته وصنعتة ، إلا أن يُقرَّعها ^(٢) رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنها ربما رمت بها دون كينها وظل عَشْمها ، وبغير موضعها ^(٣) الذى اختارته . والرَّعدُ ربما مَرِقَ ^(٤) عنده البيض وفسد ، كالمرأة التى تُسْقِط من الفَرْع ، ويموتُ جنينها من الرَّوع ^(٥) .

(عناية ذكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضعت البيضَ فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبانِ الحَضْنَ ويتعاورانه ، حتى إذا بلغ ذلك البيضُ مداه وانتَهَتْ أَيْامه ، وتمَّ مِيقاته الذى وظَّفه خالقه ، ودبَّره صاحبه ^(٦) ، انصدع القَيْضُ ^(٧) عن الفرخ ، فخرجَ

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة فى ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست فى ل ولا فى نهاية الأرب .

(٢) كذا فى ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفرعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط ما بين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدل : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القَيْض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التى خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عارىَ الجِلْد ، صغيرَ الجَنَاح ، قليلَ الحِيلَة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانه على خلاصه من قيضه ^(١) وترويح من ضيق هَوْتِه ^(٢) .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يعلمان أن الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما ^(٣) للغذاء ، فلا يكون لهما ^(٤) عند ذلك همٌ إلا أن ينفخا في حلوقهما ^(٥) الريح ، لتتسع الحوصلة بعد التحامها ، وتنفث بعد ارتفاقها . ثم يعلمان ^(٦) أن الفرخ وإن اتسعت حوصلته شيئاً ، أنه لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزقَّ بالطعم ^(٧) ، فيزقَّ عند ذلك باللُّعَاب المختلط بقواهما وقوى الطعم - وهم يسمون ذلك اللُّعَاب اللَّبَاء ^(٨) - ثم يعلمان أن طبع حوصلته يرق ^(٩) عن استمراء الغذاء

(١) في الأصل : « يبيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها البكوة ، وهى الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيص . والكلام من مبدل : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثنى بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صفا قلبكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت ما فى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا . والمعروف : « اللَّبَاء » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطَّعم^(١) ، وأنَّ الحوصلةَ تحتاجُ إلى دَبْغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانة والصلابة ، فيأكلان من شَوْرَج^(٢) أصول الحيطان ، وهو^(٣) شيءٌ بينَ المِلح الخالص^(٤) وبين التُّراب المِلح^(٥) ، فيزقَّانه به^(٦) حتَّى إذا علما أنه قد اندبَغ واشتدَّ زَقَّاه بالحبِّ الذي قد غبَّ^(٧) في حواصلهما ثم زَقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذي^(٨) هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزقَّانه بالحبِّ والماء على مقدارِ قُوَّتِهِ ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبضُّ نحوهما^(٩) حتَّى إذا علما أنه قد أطاق اللَّقْطَ منَعاه بعضَ المنع ، ليجتاح إلى اللَّقْطِ فيتعوَّده ، حتَّى إذا علما أن أداتِهِ^(١٠) قد تَمَّتْ ، وأن أسبابَهُ قد اجتمعتْ وأُنَّهما إن فَطَمَاهُ فطْماً مقطوعاً مجذوذاً^(١١) قوَّى على اللَّقْطِ ، وبلغ لنفسِهِ مُنتَهَى حاجتِهِ - ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَّياه متى رجع إليهما^(١٢)

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهذه الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « صروح » وفي س : « صروح » ، ل و عيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « سورج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما في ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما في ل .

(٦) كذا في ل : ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلاً حتَّى لان .

(٨) في الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله في الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أداته » ، وصوابها في ل ، س .

(١١) أى منقطعا لاعودة بعده إلى الزق . وفي ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة في ط ، س كلمة : « للعادة » وليست في ل ، ولا في نهاية الأرب .

ثُمَّ تَنْزَعُ [عَنْهُمَا] تِلْكَ الرَّحْمَةُ الْعَجِيبَةُ مِنْهُمَا لَهُ ، وَيَنْسِيَانِ ذَلِكَ الْعَطْفَ الْمَتَمَكِّنَ عَلَيْهِ ^(١) ، وَيُذْهِلَانِ عَنْ تِلْكَ الْأَثَرَةِ [لَهُ] ، وَالْكَدَّ الْمَضْنَى ^(٢) مِنَ الْغُدُوِّ عَلَيْهِ ، وَالرَّوَّاحَ إِلَيْهِ ^(٣) . ثُمَّ يَبْتَدِيَانِ الْعَمَلَ ابْتِدَاءً ثَانِيًا ، عَلَى ذَلِكَ النِّظَامِ وَعَلَى تِلْكَ الْمَقَدِّمَاتِ ^(٤) .

٤٨ فسبحان من عرفهما وألهمهما ، وهداهما ^(٥) ، وجعلهما دَلَالَةً لِمَنْ اسْتَدَلَّ ، وَنَحْبِيرًا صَادِقًا لِمَنْ اسْتَخْبَرَ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

(حالات الطَّعْمِ الَّذِي يَصِيرُ فِي أَجْوَافِ الْحَيَوَانِ)

وَمَا أَعْجَبَ حَالَاتِ الطَّعْمِ الَّذِي يَصِيرُ فِي أَجْوَافِ الْحَيَوَانِ ، وَكَيْفَ تَتَصَرَّفُ بِهِ الْحَالَاتُ ، وَتَخْتَلِفُ فِي أَجْنَاسِهِ الْوُجُوهِ ^(٦) : فَهِيَ ^(٧) مَا يَكُونُ مِثْلَ زَقِ الْحَمَامِ لَفَرْخِهِ ، وَالزَّقُ فِي مَعْنَى الْقَيْءِ أَوْ فِي مَعْنَى التَّقْيِئِ وَلَيْسَ بِهِمَا ^(٨) وَجَرَّةُ الْبَعِيرِ وَالشَّاةِ وَالْبَقَرَةِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، وَلَيْسَ بِهِ . وَالْبَعِيرُ يَرْبِدُ أَنْ

(١) لَيْسَتْ فِي ل .

(٢) ل : « وَالْكَدَّ عَلَيْهِ » .

(٣) « مِنَ الْغُدُوِّ . . . » الْخ لَيْسَ فِي ل .

(٤) ط ، س : « عَلَى هَذَا النِّظَامِ وَعَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل : بَعْدَ تَصْحِيحِ كَلِمَةِ « الْمَقَامَاتِ » مِنْ نِهَايَةِ الْأَرْبِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَهَنَاهُمَا » ، وَمَا كَتَبْتَ أَلْيَقَ بِالْكَلَامِ .

(٦) ط ، س : « وَتَخْتَلِفُ فِي أَجْنَاسِهَا الْوُجُوهِ » ، ل : « فِي أَجْنَاسِهِ فِي الْوُجُوهِ » وَصَحَّحْتُ الْكَلَامَ جَامِعًا بَيْنَهُمَا .

(٧) أَيْ مِنَ الْحَالَاتِ . وَفِي ل : « فَتَهُ » .

(٨) ط ، س : « التَّقْيِ وَلَيْسَ هُمَا » ، وَأَثْبَتَ الصَّوَابَ مِنْ ل .

يعود في خضمه^(١) الأول واستقصاء طعمه . وربما كانت الجرّة رجيعا .
والرجيع : أن يعود على ما قد أعاد عليه مرّة حتّى ينزعه من جوفه ، ويقبله
عن جهته .

(زَقَّ الحَمَام)

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُسْكَنه وقراره^(٢) ، وموضع حاجته
واستمرائه ، بالآثرة والبرّ ، إلى حوصلة ولده . [قد] ملك ذلك وطابت به نفسه
ولم تغث عليه نفسه^(٣) ولم يتقذّر^(٤) من صنيعه ، ولم تحبث نفسه^(٥) ، ولم
تغيّر شهوته . ولعلّ لذّته^(٦) في إخراجها أن تكون كذّته^(٧) في إدخاله ،
وإنما اللذة في مثل هذا بالحجاري^(٨) ، كنحو ما يعتري بحجري النطفة من
استلذاذ مرور النطفة ، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه ، وإخراجه بعد
إدخاله . والتمساح يخرج^(٩) على أنّه رجعه ونجوه^(١٠) الذي لا يخرج له ولا فرج
[له] في سواه .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « طحنه » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « مسكنه وقوابه » ، وما في ل أشبه
بلغة الجاحظ .

(٣) يقال غثت نفسه : لقيت ، أي غثيت غثيانا . وفي ط ، س : « تتعاث » ، ولم
أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) س : « يتقزز » ، ومؤادها واحد .

(٥) انظر ما جاء خاصا بهذا التعبير في ١ : ٣٣٥ س ١٠ .

(٦) ط ، س : « لذاته » .

(٧) ط ، س : « كذّاته » .

(٨) ط ، س : « كالحجاري » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٩) ط ، س : « والتمس إخراجها » ، وصوابه في ل . وانظر ماسياني .

(١٠) ط ، س : « ونجوه » ، وهو تصحيف ما في ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام)

وقد يعتري ذلك الإنسان لما يعرض من الداء ، فلا يعرف ^(١) إلا الأكل والقىء ، ولا يعرف النجوى إلا في الحين على بعض الشدة . وليس ما عرّض بسبب آفة كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسنور والكلب على خلاف ذلك كله ، لأنهما يُخرجانه بعارض يعرض لهما من خبث النفس ، ومن الفساد ^(٢) ، ومن التثوير والانقباض ^(٣) ثم يعودان بعد ^(٤) ذلك فيه من ساعتها ، مشتهيين له ، حريصين عليه . والإنسان إذا ذرعه ذلك لم يكن شيء أبغض إليه منه ، وربما استقاء وتكلف ذلك لبعض الأمر . وليس التكلف في هذا الباب إلا له .

وذوات الكروش كلها تقصص ^(٥) بجريتها ، فإذا أجادت مضغه أعادته ، والجيرة هي ^(٦) الفرث ، وأشد من ذلك أن تكون ^(٧) رجيعاً ، فهي تجيد مضغها وإعادتها إلى مكانها ، إلا أن ذلك مما لا يجوز أفواهاها ^(٨) . وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير ، بوجه من الوجوه .

(١) ل : « يعرض » .

(٢) المراد بخبث النفس ما يعرض لها من التقزز والغثيان . وفي س : « من حيث النفس والفساد » ، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القصص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو » ، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لا يجوز أفواهاها » .

[وقد يعترى سباع الطير شبيهة بالتيء ، وهو الذى يسمونه « الزمّج » ^(١) .
وبعض السمك يقيء قيئاً ذريعاً ، كالبال ، فإنه ربّما دسّع الدّسعة ^(٢) ،
فتلقى ^(٣) بعض المراكب ، فيلقون من ذلك شدّة . والناقة الضجور ربّما
دسعت بجرّتها فى وجه الذى يرّحلها ^(٤) أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدّ
الأذى . ومعلوم أنّها تفعل ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكروش من الظلف
والخفّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسمك
والتمساح الذى يشبه السمك فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن ^(٥) هو إلّا معاليق ^(٦) فيه ، وأنه فى صورة
الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدّبر ، ولم أحقّ ذلك ، وما أكثر من
لا يعرف الحال فيه .

(الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القول فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نزلت
الرحمة منه ، وذلك أنّه يبتدىء الذّكر الدّعاء والطرد ، وتبتدىء الأنثى بالتأثّى

(١) الزمّج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف
الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك . الديميرى .

(٢) دسّع : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرّحلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرحل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا ل . وزدتها للحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمّ تزيف وتشكّل (١) ، ثمّ تمكّن وتمنع ، وتجبّب وتصدفُ
بوجهها ، ثمّ يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزّل والتفتّل (٢) ،
ومن السّوف (٣) والقبّل ، ومن المصّ والرّشف ، ومن التنفّج والتنفّج ،
ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التّقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم
في جوف الفم ، وذلك من التّطاعُم ، وهي المطاعمة . وقال الشاعر :

لم أعطها ييىدى إذ بتُّ أرشفتها إلاّ تطاولَ غصنُ الجيدِ بالجيدِ (٤)
كما تطاعَمَ في خضراءِ ناعمةٍ مطوّقان أصاخا بعد تغريد
هذا مع إرسالها جناحيها وكفّتها على الأرض ، ومع تدّرعها وتبّعها (٥)
ومع تصاوله وتطاوُله ، ومع تنفّجه وتنفّخه ، مع ما يعتريه مع الحكّة والتفلىّ
والتنفّش (٦) حتّى تراه وقد رمى فيه بمثله (٧) .

ثمّ الذى ترى من كسّحه بذنبه (٨) ، وارتفاعه بصدّره ، ومن ضربه
بجناحه ، ومن فرحه ومَرّحه بعد قَمَطه والفرّاغ من شهوته ، ثمّ يعتريه ذلك
في الوقت الذى يفتر فيه أنسكحُ الناس .

(١) تزيف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكّل ، من الشكّل بالفتح :
وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتّل : التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشئ يعطوه : تناوله بيده .

(٥) فى الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . » الخ . وكلمة « هو » لا حاجة
إليها . والتدّرع : أصل معناه لبس الدرع . والتبعل : التزّين للبعل .

(٦) التنفّش ، بالفاء ، هو أن ينفّض الطائر ريشه . وفى الأصل : « والتنفّش » .

(٧) كذا . وهنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من مبدأ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسّحه : كسسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الحصلة يفوق بها جميع الحيوان ، لأنَّ الإنسان الذى هو أكثر الخلق فى قوَّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوان [فى التَّصْنُع و] التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل ^(١) أفتَرُ ما يكونُ إذا فرغ ، وعندها ٤٩ يركبهُ الفتور ، ويحبُّ فراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطه ، وترجعَ إليه قُوَّتُه .

والحمامُ أنشطُ ما يكونُ وأفرح ، وأقوى ما يكونُ وأمرح ، مع الزَّهو والشكل ^(٢) ، واللهو والجذل ، أبردُ ما يكونُ الإنسانُ وأفتَره ، وأقْطَعَ ما يكونُ وأقصره ^(٣) .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فضلُ الشَّهوة ، والآخرى دوامُ الشَّهوة فى جميع الدَّهر ، والآخرى قوة التَّصْنُع والتكليف ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصاله كلها كانت دونَ قوَّة الحمام عندَ فِراغِهِ من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنسِكُها أحدٌ ، ومزِيَّةٌ لا يَجْحَدُها أحدٌ !

(١) ط ، س : « والتمتع والشكل والتفتُّل » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الفنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد ما يكون الإنسان وأفتَر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنَّ النَّاسَ لم يَجِدُوا مثْلَ نشاطِ الحمامِ في وَقتِ فَتْرَةِ الإنسانِ إلاَّ ما وجدوه في البغال ؛ فإنَّ البغالَ تحْمِلُ أثقالها عَشِيَّةً ، فتسيرُ بَقِيَّةَ يومها وسواداً^(١) ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها^(٢) ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كانَ حَمَلًا من أصنافِ الدَّوابِّ أحمالها^(٣) ، لم يكنْ لشيءٍ منها هَمَّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاسِ إلاَّ المِراغة^(٤) والماء والعلف ، وللإنسانِ الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجلين والغَمْز والتَّؤوُّه^(٥) ؛ إلاَّ البغالَ فإنَّها في وقتِ إعياءِ جميعِ الدَّوابِّ وشِدَّةِ كلالها ، وشغلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاَّ أَنْ تَدُلِّيَ أَيْوَرها وتَشْطَّ^(٦) وتضربَ بها بطونَها ؛ وتُحْطِّها وترفعها . وفي ذلك الوقتِ لو رأى المُسكاري امرأةً حسناءَ كما انتشرَ لها ولا همَّ بها . ولو كانَ مُنْعِظًا ثم اعتراهُ بَعْضُ ذلك الإعياءِ لَنَسِيَ الانعاض .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وترزَعُ العَمَلَةَ^(٧) أنْها تَلتمسُ بذلك الرَّاحَةَ وتندأوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حَقًّا — إلاَّ في إمكانِ ذلك لها في ذلك الوقتِ ، وذلك لا يكونُ إلاَّ عن شهوةٍ وَشَبَقٍ مُفْرِطٍ .

(١) ط ، س : « سائر » .

(٢) ط ، س : « وصدرَ نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ أصنافِ الدَّوابِّ أثقالها » .

(٤) المِراغة : اسم من مرَّغه في التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدل : « وللإنسانِ » ساقط من ل .

(٦) شَطَّ وأَشْطَ : أُنْعِظَ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العَمَلَةُ ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفي ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشبه آخرٌ وشكلٌ من ذلك ، وذلك كالذى يُوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعدَ مسير الليلِ كُلِّه وبَعْضِ النَّهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقتِ ليس لهم إلاَّ أن يتمددوا ويقيّدوا^(١) دوابهم . والتركى فى ذلك الوقت إذا عابَ ظنباً أو بعضَ الصَّيد ، ابتدأ الرِّكْضَ بمثلِ نشاطه قبلَ أن يسيرَ ذلك السيرَ ، وذلك وقتَ يَهْمُ فيه الخارجِجىَّ والحصىَّ أنفُسُهُما^(٢) ؛ فإنَّهما المذكوران بالصَّبَرِ على ظَهَرِ الدَّابَّةِ .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرضِ بهيمةٌ تَفْطِمُ ولدَها عن اللَّبنِ دَفْعَةً واحدةً ، بل تجِدُ الظَّيَّةَ أو البقرةَ أو الأتانَ أو الناقةَ ، إذا ظنَّتْ أنَّ ولدَها قد أَطاقَ الأكلَ مَنَعَتْهُ بعضَ المنعِ ، ثمَّ لا تزالُ تُنَزِّلُ^(٣) ذلك المنعَ وترتبه وتدرِّجُه ، حتَّى إذا علمتْ أنَّ به غنى عنها إنَّ هى فطمته فطاماً لا رَجْعَةً فيه ، مَنَعَتْهُ كلَّ المنعِ .

(١) ل : « ويقودوا » ، تحريف ماقى ط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده . والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ سبى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزلة : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمي هذا التدبيرَ من البهائم التعفير^(١) ، ولذلك قال ليبد :
لمعفرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِدْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمْنُ طَعَامُهَا^(٢)
وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكونُ عملُ الحمامِ في فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنه يقلب بيضه ، حتى يصير الذي كان منه
يَلِي الأرضَ يَلِي بدنَ الحمام من بطنه وباطنِ جَنَاحِهِ ، حتى يُعْطَى جميعَ
البيضةِ نصيبها من الحضن ، ومن مَسَّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك
العملُ يفسدُه] .

وخصلةٌ أخرى محمودَةٌ في الحمام ، وذلك أنَّ البغلَ المتولّدَ بينَ الحمارِ
والرَمَكَةِ لا يبقى له نسل ، والرَّاعِي^(٣) المتولّدَ فيما بينَ الحمامِ والورشانِ ،
يكثُرُ نسلكه ويطولُ عمرُهُ ولَدِه . والبُخْتُ والفوالجُ ، إنَّ ضَرْبَ بعضها بعضاً
خرجَ الولدُ منقوصَ الخلقِ لا خيرَ فيه . والحمامُ كيفما أدْرَتَه ، وكيفما
زَاوَجَتْ بَيْنَ مَتَفِقِهَا ومُخْتَلَفِهَا ، يكونُ الولدُ^(٤) تامَّ الخلقِ ، مأمولَ الخيرِ .

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ٢ : ١٩٨ . س : « غُبْس » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والرَّاعِي » وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة
الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب .
اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مرتكباً مشتركاً [ماهو] ^(١) كالرأعي ^(٢) والورداني .
وعلى أن للورداني غرابة لون وظرافة ^(٣) قد ، وللرأعي ^(٤) فضيلة في عظم
البدن والفراخ . وله من ^(٥) الهديل والقرقرة ما ليس لأبويه ، حتى صار ذلك
سبباً للزيادة في ثمنه ، وعلة للحرص على اتخاذه .

والغنم على قسمين : ضأن ومعز ، والبقر على قسمين : أحدهما الجواميس ،
إلا ما كان من بقر الوحش . [والظلف] إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافد
ولا تلاقح ، فهذه فضيلة للحمام في جهة الإنسال ^(٦) والإلقاح ، واتساع
الأرحام لأصناف القبول . وعلى أن بين سائر أجناس ^(٧) الحمام من الوراشين ،
والقباري ، والفواخت ، تسافداً وتلاقحاً ^(٨) .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

ومما أشبه فيه الحمام الناس ، أن ساعات الحضان أكثرها على الأنثى ،
ولأنما يحضن الذكر في صدر النهار حضاناً يسيراً ، والأنثى كالمرأة التي تكفل

(١) زدتها ليلتم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالزاعبي » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من
الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفاً ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « للزاعبي » ، وانظر ماسبق .

(٥) ط فقط : « في » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه في ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ما أثبت من ل .

الصبيَّ فَنَفْطِمُهُ وَتَمْرُضُهُ ^(١) ، وَتَتَعَهَّدُهُ بِالْتَّمْهِيدِ وَالتَّحْرِيكِ . حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الْحَضَنُ وَانْصَرَمَ وَقْتُهُ ، وَصَارَ الْبَيْضُ فِرَاخًا كَالْعِيَالِ فِي الْبَيْتِ ، يَحْتَاجُونَ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، صَارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الرَّقِّ عَلَى الذَّكَرِ كَمَا كَانَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الْحَضَنِ عَلَى الْأُنْثَى .

وَمِمَّا أَشْبَهَ فِيهِ الْحَمَامُ النَّاسَ [مَا ^(٢)] قَالَ مِثْنَى بْنُ زُهَيْرٍ (وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْبَصْرَةِ ^(٣)) بِالْحَمَامِ وَكَانَ جَيِّدَ الْفِرَاسَةِ ، حَازِقًا بِالْعِلَاجِ ، عَارِفًا بِتَنْدِيرِ الْخَارِجِيِّ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ مَخْزِيلَةُ الْخَيْرِ - وَ [اسم] الْخَارِجِيُّ عَنْدهُمْ : الْمَجْهُولُ - وَعَالِمًا بِتَنْدِيرِ الْعَرِيقِ الْمُنْسُوبِ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ عَلَامَاتُ الْفُسُولَةِ وَسُوءِ الْهِدَايَةِ ^(٤) . وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُفَ ابْنُ قُرَشِيَّينَ ^(٥) [وَيَنْدُبُ ^(٦)] ابْنُ خُوَزَيٍّ ^(٧) مِنْ نَبْطِيَّةٍ ^(٨) . وَإِنَّمَا فَضَّلْنَا نِتَاجَ الْعِلْيَةِ عَلَى نِتَاجِ السَّفَلَةِ لِأَنَّ نِتَاجَ النَّجَابَةِ فِيهِمْ أَكْثَرُ ، وَالسَّقُوطُ فِي أَوْلَادِ السَّفَلَةِ أَعَمُّ . فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنْ يَكُونَ السَّفَلَةُ ^(٩) لَا تَلِدُ ^(١٠) إِلَّا السَّفَلَةَ ^(٩) وَالْعِلْيَةُ لَا تَلِدُ ^(١٠) إِلَّا الْعِلْيَةَ . وَقَدْ يَلِدُ الْمَجْنُونُ الْعَاقِلَ ، وَالسَّخِيُّ الْبَخِيلَ ، وَالْجَمِيلُ الْقَبِيحَ .

٥١

- (١) التمرِضُ : حَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَرِيضِ ، وَكَأَنَّ الْفَطِيمَ فِي سَبِيلِ الْمَرِيضِ . وَفِي س : « تَمْرُخُهُ » أَيْ تَدْلِكُهُ بِالذَّهْنِ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِالْفَطِيمِ .
- (٢) زِيَادَةُ يَقْتَضِيهَا الْكَلَامُ . (٣) ط ، س : « فِي الْبَصْرَةِ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .
- (٤) مَاسِيَأَى مِنْ الْكَلَامِ اسْتَطْرَادَ مِنَ الْجَاحِظِ . وَقَوْلُ مِثْنَى بْنِ زُهَيْرٍ سَيِّدًا فِي السُّطْرِ السَّادِسِ مِنَ الصَّفْحَةِ الْآتِيَةِ .
- (٥) ط ، س : « قُرَشِيَّينَ » وَهُمَا صَحِيحَتَانِ ، يُقَالُ قُرَشَى وَقُرَيْشَى . وَيَخْلُفُ ، بَضْمُ اللَّامِ : يَحْمِقُ .
- (٦) يَنْدُبُ : يَكُونُ نَدْبًا ، أَيْ ظَرْفًا نَجِيًّا . فِي ل : « يَنْتَدُبُ » وَ س : « يَنْدُرُ » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ فِيمَا وَجَّهَتْ بِهِ .
- (٧) الْخُوَزَيُّ : الْمُنْسُوبُ إِلَى خُوَزِسْتَانَ . وَفِي س : « حُرُورَى » ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ مَا فِي ل .
- (٨) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، ل . (٩) ط ، س : « السَّفَلَى » ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى « السَّفَلَةِ » .
- (١٠) ط ، س : « يَلِدُ » .

وقد زعم الأصمعيُّ أن رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تزوّجت امرأة من العرب فأنظر إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لا تخطئ الشبهة بواحدٍ منهم ! وإن كان هذا الموصى والحكيم ^(١) ، جعل ذلك حكماً عاماً فقد أسرف في القول ، وإن كان ذهب إلى التخويف والزجر والترهيب ، كي يختار لنفسه ، [و] لأن المتخير أكثر نجابة ^(٢) فقد أحسن .

وقال مثنى بن زهير ^(٣) : لم أر شيئاً قط في رجلٍ وامرأةٍ إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، كالمراة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكورة ، ورأيت امرأة لا تمنع يد لأمس ، ورأيت الحمامة لا تريف إلا بعد طرد شديد وشدة طلب ^(٤) ، ورأيتها تريف لأول ذكر يريد لها ساعة يقصد إليها ، ورأيت من النساء كذلك ، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكراً آخر لا تعدوه ، ورأيت مثل ذلك من النساء ، [و] رأيتها تريف لغير ذكرها وذكرها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن ، ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور ^(٥) ، ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لي لا تقمط [إلا ^(٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط ، ولا تدع أنثى تقمطها .

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا في ل ، ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيتُ ذَكَرًا [يَقمُطُ الذُّكُورَةَ وتَقمِطُه ؛ ورأيتُ ذَكَرًا] يَقمُطُها و [لا] يدعُها تَقمِطُه ^(١) ، ورأيتُ أنثى تُزيفُ للذُّكُورَةِ ولا تدعُ شيئاً منها يَقمُطُها .

قال : ورأيتُ هذه الأصنافَ كُلَّها في السَّحَّاقَاتِ مِنَ المذكَرَاتِ والمؤنثَاتِ ، وفي الرِّجَالِ الحَلَقِيِّينَ ^(٢) واللُّوطِيِّينَ ^(٣) . وفي الرِّجَالِ مِنَ لا يريدُ النساءَ ، وفي النساءِ مِنَ لا يريدُ الرجالَ ^(٤) .

قال : وامتنعتُ على خَصلَةٍ ، فواللهُ لقد رأيتُ مِنَ النساءِ مِنَ تُزني أبدأً وتساحقُ أبدأً ولا تتزوجُ أبدأً ، [ومن الرجالِ مَنْ يلوطُ أبدأً ، ويَزني أبدأً ولا يتزوجُ ^(٥)] ، ورأيتُ حمّاماً ذَكَراً يَقمِطُ مالتى ولا يزواجُ . ورأيتُ حمّامةً تمكُنُ كُلَّ حمّامٍ أرادَها مِنْ ذَكَرٍ وأنثى ، وتَقمُطُ الذُّكُورَةَ والإناثَ ، ولا تزواجُ . ورأيتها تزواجُ ولا تَبيضُ ، وتَبيضُ فيفسدُ بيضُها ؛ كالمرأةِ تتزوجُ وهى عاقرُ ، وكمالُها تلدُ وتكونُ خرقاءَ ورُهاءَ . ويعرضُ لها الغلظةُ ^(٦) والعقوقُ للأولادِ ، كما يعتري ذلكُ العُقَابُ .

وأما أنا فقد رأيتُ الجُفَاءَ للأولادِ شائعاً في اللّوآقِ كَحَمَلِنِ مِنَ الحَرَامِ . ولربّما ولدتُ مِنْ زَوْجِهَا ، فيكونُ عطفُها وتحنُّها كتحنُّ ^(٧) العفيفاتِ

(١) زيادة : « لا » ن س ، ل . وفي ط : « ويدعُها حتّى تَقمِطُه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقى : الذى فسدَ عضوه فانعكسَ ميلُ شهوته ، وهو من ألفاظِ المولدين . شفاء الغليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللّوآطين » .

(٤) ل : « من لا يريدُ إلا » فى الموضعين .

(٥) ط ، س : « من تُزنى أبدأً ولا تتزوجُ وتساحقُ أبدأً ولا تزواجُ أبدأً » . وإصلاح العبارة ولمّا كالمها من ل ، ونهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلظة »

(٧) ل : « وتحنُّها كتحنُّ » . والتمحن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّيِّرات ، فإِذَا هُوَ^(١) إِلَّا أَنْ تَزْنَى أَوْ تَقْحُبُ فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضْرِبْ بَيْنَهَا ٥٢
وبين ذلك الولد [ب] شبكة رَحِم ، [و] كَأَنَّهَا لَمْ تَلِدْهُ .

قال مثنى بن زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضتا منه ، وهو
يخضن مع هذه ومع تلك ، ويزقُ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثى تبيض
بيضة ، ورأيتُ أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاث بيضات .
وزعم أنه إنما جزم بذلك فيها ولم يظنه بالذكر ، لأنها قد كانت قبل
ذلك عند ذكرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنا حمامة في المنزل لم يعرض لها ذكرٌ إِلَّا اشتدت نحوهُ بجدةٍ
ونزقٍ^(٢) وتسرع ، حتى تنقر أين صادفت منه ، حتى يصد عنها^(٣) كالهارب
منها . وكان زوجها جميلاً في العين رائعاً ، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين
[وبنات^(٤)] وبنات بنات ، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهن^(٥) .
وقد بلغ من حظوته أني قدما رأيته أرادَ واحدةً من عرض تلك الإناث^(٦)
فامتنعت عليه ، وقد كُن يمتنعن من غيره . فبينما أنا ذات يوم جالسٌ بحيث
أراهن إذ رأيتُ تلك الأنثى قد زافت لبعض بنينا ! فقلت لخادمي^(٧) :

(١) ل : « هي » ، وهما صحيان في العربية ، أى فالشأن أو فالقصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . في ط ، ل : « تزق » محرفة . س : « تزف » أى
تمرح إسراراً . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف . ط ، س : « صادفته » وأثبت ما في ل . وفي ل :
« حتى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لخادم لى » .

ما الذى غيّرَها عن ذلك الخلق الكريم؟ فقال : إني رَحَلْتُ زوجها من القاطول^(١) فذهب ، ولهذا شهر^(٢) . فقلت : هذا عذر !

قال مثنى بن زهير : وقد رأيت الحمامة تزوج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، ورأيت ذكراً فَعَلَ^(٣) مثل ذلك فى الإناث . ورأيت الذَّكَرَ كثيرَ النَّسْلِ قوياً على القمط ، ثمَّ يُصْنِى كما يُصْنِى الرَّجُلُ إذا أكثر من النَّسْلِ والجماع^(٤) .

ثمَّ عَدَّدَ مَثْنَى أَبَواباً غيرَ مَحْفِظَتٍ مِمَّا يُصَابُ مثله فى الناس .

(خبرة مثنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنَّ مثنى كان ينظر إلى العاتق والمخلف^(٥) ، فيظن أنه يجيء من الغاية [فلا يكاد ظنه يخطئ *] . وكان إذا أظهرَ ابتِباعَ حمامٍ أغلوه عليه ،

(١) القاطول : نهر كان فى موضع ساءرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خلعت » مكان « رحلت » ، وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصنى الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق التناهى ، وذلك فى أول ما يتحسر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى

شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق »

وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ .

والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسمة .

وقالوا : لم يَطْلُبْهُ إِلَّا وقد رأى فيه علامةَ الحُجَىءِ من الغَايَةِ ، وكان يدسُّ في ذلك ففطِنوا له وتحَفَّظوا منه ، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه ، فلا يقصِّر عند الزَّجَال^(١) من الغَايَةِ .

وكان له خَصِيٌّ يقال [له^(٢)] خديج ، يجرى مجراه ، فـكـانـا إذا تناظرا في شأنِ طائرٍ لم تُخْلِفِ فراستَهُما .

(المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السَّنَةِ ، فإذا صانوه وحَفِظوه ، وأقاموا له الكفايةَ وأحسنوا تعهُدَه ، باضَ في جميع السَّنَةِ .
قالوا : والدَّجاجة تبيض في كلِّ السَّنَةِ خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عَظِيمُ الجَنَّةِ ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يَحْضُنُ ، ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة . وأكثرُ الدجاج العَظِيمُ الجَنَّةِ يبيضُ أكثرَ من الصَغيرِ الجَنَّةِ^(٣) .

(١) الزججال : إرسال الحمام كما سبق في ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل :

« الرجال » ، وصوابه مما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجَاجُ التي نسبت إلى أبي ريانوس^(١) الملك ، فهو طويلُ
البدن ويبيض في كلِّ يوم ، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريها .

ومن الدَّجَاج الذي يرَبَّى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم ، ومن
الدَّجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرَضُ^(٢) .

٥٣

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والخُطَّافُ تبيض مرتين^(٣) في السنة ، وتبنى بيتها في أوثق
مكانٍ وأعلىه .

فأما الحمام والفواخت ، والأطُرُ غَلَّات^(٤) والحمام البريُّ ، فإنها تبيض
مرتين في السنة . والحمام الأهليُّ يبيض عشرَ مرات . وأما القَبَجُ والدُّرَاجُ
فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيْرُ بيضاً لم تخرُج البيضة^(٥) من حدة التحديد والتلطيف ،
بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنَّ
الرأسَ المحدد هو الذي يخرج أولاً .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « ارديانوس » . وانظر الاستدراكات
بآخر هذا الجزء .

(٢) أى ما يعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ، ل ، س : « الغرض » ،
وهما تحريف مأثبت .

(٣) كذا في ط . وفي ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطُر غلة » ، والوجه مأثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدّد الأطراف فهو للإناث ،
وما كان مستديراً عريضاً الأطراف فهو للذكور .
قال : والبيضة عند خروجها لينة القشر ، غير جاسية ^(١) ولا يابسة
ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض ^(٢) الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو ^(٣)
فى الطيب دون الآخر ^(٤) . ويكون بيض الريح من الدجاج والقيج ^(٥) ،
والحمام ، والطاوس ، والإوز .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحضن الطائر وجنومه على البيض صلاح لبدن الطائر ، كما يكون
صلاحاً لبدن البيض . و [لا ^(٦)] كذلك الحضن على الفراخ والفراريج ^(٧)
فربما ^(٨) هلك الطائر عن ذلك السبب .

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى
البيض وأطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك
البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أطيب من
الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القيح : بالتحريك : الهجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الدرايح » ، وفى س :
« الدرايح » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة
كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيحِ إنما تكوّن^(١) من سفادٍ متقدّم . وذلك خطأ من وجهين : أمّا أحدهما فإنّ ذلك قد عُرف^(٢) من فرّاريج لم يرَينَ ديكاً قط . والوجه الآخر : أن بيضَ الرِّيحِ لم يكن منه فرّوج^(٣) قطّ إلّا أن يسفدَ الدجاجةَ ديكٌ ، بعد أن يمضي^(٤) أيضاً خلقُ البيض .

(معارف شتى في البيض)

قال : ويبض الصَّيْفُ المحضون أسرعُ خروجاً منه في الشتاء ، ولذلك تحضن الدجاجة البيضةَ في الصَّيْفِ خمس عشرة ليلة^(٥) .

قال : وربما عرّضَ غيمٌ في الهواء أو رعدٌ ، في وقتِ حضن الطائر ، فيفسدُ البيض . وعلى كل حالِ ففسادهُ في الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها في ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ ما يكون فسادُ البيض في الجنائب^(٦) ، ولذلك كان

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهي صحيحة ، وأثبت ما في س ، ل ونهاية الأرب .
١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما في القاموس .

(٤) ل : « يم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بانفتح ، وهي الريح الجنوبية .

ابن الجهم^(١) لا يطلب من نسائه الولد إلا والريح شمال . [وهذا عندي تعرض للبلاء ، وتحكك بالشر ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم^(٢) يسمى بيض الريح : البيض الجنوبي ؛ لأن أصناف الطير تقبل الريح في أجوافها .

وربما أفرخ^(٣) بيض الريح بسفاد كان ، [و] لكن لونه يكون متغيراً . وإن سفد الأنثى طائر من غير جنسها^(٤) ، غير خلق [ذلك] المخلوق الذي كان من الذكر المتقدم . وهو^(٥) في الديكة أعم .

ويقولون : إن البيض يكون من أربعة أشياء : فمنه ما يكون من التراب ، و [منه ما يكون] من السفاد ، ومنه ما يكون من النسيم إذا وصل إلى أرحامهن وفي بعض الزمان^(٦) ، ومنه شيء يعتري الحجل وما شاكله ٥٤ في الطبيعة ؛ فإن الأنثى ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق^(٧) الذكر في بعض الزمان فتحتشى من ذلك بيضاً . ولم أرهم يشكون أن النحلة المطلعة^(٨) تكون بقرب الفحال^(٩) وتحت ربحه ، فتلقح بتلك الريح وتكتفي بذلك .

(١) هو محمد بن الجهم البرمكي ، أسلفنا ترجمته في ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « أفرخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهى » .

(٦) ل : « ومنه ما يكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها في بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التي أدركت أن تتمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان

٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النحل .

قال : ويبضُّ أبطار الطير أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أن تتسع
الأرحام وتنتفخ الجنوب^(١) .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفقى] ضئيلاً ، فإذا زقَّ مِراراً فتَحَ الزَّقُّ
جلدةً غَبَّه^(٢) وحوصلته ، فخرجَ الصَّوتُ أغلظَ وأجهرَ .

(حياة البكر)

وهم لا يثِقون بحياة البكر^(٣) من الناس^(٤) كما يثِقون بحياة الثاني^(٥)
ويرون أن طبيعة الشباب والابتداء لا يعطيان^(٦) شيئاً إلا أخذَه تضايقُ
مكانه من الرَّحم ، ويحبُّون أن تبكَّرَ بجارية ! وأظنُّ أن ذلك إنما هو
لشدَّة خوفهم على الذكر . وفي الجملة لا يَتِمَّنون بالبكر الذكر^(٧) . فإن كان
البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءموا^(٨) به ، فإن كان البكرُ ابنَ بكرين فهو في الشؤمِ

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجوانب » .

(٢) الغب : ماتحت الحنك . وفي ط ، س : « عينه » ، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « بحيات ولد البكر » ، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات » ، س : « أنثى » ، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لا يتمنون للبكر » ، وهو
على الوجه في ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) في الأصل : « تشأم » ، وإنما يقال هذه لمن انتسب إلى يلد الشام .

مثلُ قيسِ بنِ زهير، والبسوس^(١)، فإن قيساً كان أزرق^(٢) وبكراً ابن بكرين .
ولا أحفظُ شأنَ البسوس حفظاً أجزمُ عايه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأما الحمام فإنه إذا قَطَّ تَنَفَّشَ^(٣) وتكَبَّرَ ونَفَضَ ذَنِبَهُ^(٤)
وضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ، وأما الإوزُ فإنه إذا سفِدَ أكثر من السباحة ، واعتراه
في الماء من المَرَحِ مثلُ ما يعترى الحمام في الهواء .

(١) هي البسوس بنت منقذ التميمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ،
فرماها كليب بن وائل لما رآها في حماه ، فلجأ الجري إلى البسوس ، فهيبت أهلها
للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب
البسوس - ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٩ والأغاني ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة
زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . الخصاص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون
ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعب كذا كل ضبي من اللؤم أزرق
وجاء في القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أي زرق العيون . وكان
شؤم قيس بن زهير في إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس :
فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وTRAهنا على السباق ، وحدث
خلاف بينهما في مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد
٣ : ٣١٣ . وانظر كامل ابن الأثير ١ : ٣٤٣ والأغاني ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣
وأمثال الميداني ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش : نفض ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : ويبيضُ الدجاجُ يتمُّ خلقه في عشرة أيام وأكثرَ شيئاً^(١) ، وأما بيض الحمام في أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربما احتبسَ البيضُ في جوفها بعدَ الوقتِ^(٢) لأمرٍ تعرَّضُ لها : إما لأمرٍ عرضَ لِعُشِّها [وأفحوصها] ، وإما لنتفٍ [ريشها]^(٣) ، وإما لعلَّةٍ وجعٍ من أوجاعها^(٤) وإما لصوتٍ رعدٍ ؛ فإنَّ الرَّعدَ إذا اشتدَّ لم يبقَ طائرٌ على الأرضِ واقع^(٥) إلاَّ عدداً فزعاً ، وإن كان يطيرُ رمى بنفسه إلى الأرضِ^(٦) . قال علقمة بن عبدة :

رغاً فوقَهُمْ سَقَبُ السَّمَاءِ فَدَاحِضٌ بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبٌ^(٧)
كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَبِيبٌ^(٨)

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء في قوله :

* كما الناس مجرم عليه وجارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدّر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س : « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .

(٧) سَقَبُ السماء ، هو ولد نافقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلاً في الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفي اللسان : « دحض برجله ودحض : فحص برجله » . وروى القائل البيت في أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد ما نسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفي س : « للطير هن دبيب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لدبيب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التقبيلُ إلَّا للحمام والإنسان ، ولا يدعُ ذلك ذكرُ الحمامِ
إلَّا بعدَ الحرَم . وكان في أكثرِ الظَّنِّ أنَّه أحوَجُ ما يكون [إلى] ذلك
التَّهْيِيجُ به عندَ الكِبَرِ والضعفِ .

وتزعمُ العوامُّ أنَّ تسافدَ الغِربانِ هو تطاعُمُها بالمناقيرِ ، وأنَّ إلقاحَها لئِما
يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرفون هذا .

قال : وإناثُ الحمامِ إذا تسافدتْ أيضاً قَبَّلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقالُ لئِها ٥٥
تبيضُ عن ذلك ، ولكنَّ لا يكونُ عن ذلك البيضُ فِرَاحَ ، وإنَّه في سبيل
بيضِ الريحِ ^(١) .

(تكوُّن الفرخ في البيضة)

قال : وَيَسْتَبِينُ خَلْقُ الْفِرَاحِ إِذَا مضت لها ثلاثةُ أَيَّامٍ بلياليها ،
وذلك في شَبَابِ الدَّجَاجِ ، وأمَّا في الْمَسَانِّ منها فهو أكثر . وفي ذلك الوقت
تُوجدُ الصُّفْرَةُ من النَّاحِيَةِ الْعُلْيَا ^(٢) من الْبَيْضَةِ ، عندَ الطَّرَفِ الْمُحَدَّدِ [و]
حيث يكونُ أوَّلُ نَقَرِها ، فَثُمَّ ^(٣) يَسْتَبِينُ في بَيَاضِ الْبَيْضَةِ مِثْلُ نقطةٍ من
دَمٍ ، وهي تَخْتَلِجُ وتتحركُ : والفرخُ إِثْمًا يُخْلَقُ من الْبَيَاضِ ، وَيَعْتَدِي

(١) سماء في ٢ : ٢٤١ « البيض الترابي » .

(٢) ط : « العليا » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفْرَةَ ، ويتمُّ خَلْقُهُ لعشرةِ أَيَّامٍ . والرَّأْسُ وَحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائرِ البدنِ .

(البيض العجيب)

قال : ومن الدَّجاجِ ما يبيضُ بيضاً له صُفْرَتَانِ في بعضِ الأحيان ، خبرني بذلك كم شئتَ^(١) ، من ثِقَاتِ أَصْحَابِنَا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دِجاجةٌ ثمانىَ عشرةَ بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحْتَانٍ^(٢) ، ثمَّ سَخْنَتْ وَحُضِنَتْ ، فخرجَ من كلِّ بيضةٍ فَرُوجَانِ ، ما خلا البيضَ الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من البَيْضَةِ فَرُوجَانِ^(٣) ، ويكون أحدهما أعظمَ جَنَّةً ، وكذلك الحمام . وما أَقلُّ ما يَزيدُ الحمامُ أن يكون أحدهُ الفرخَيْنِ^(٤) ذَكَراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربما باضتُ الحِمامَةُ وأشباهاها من الفَوَاحِشِ ثَلَاثَ بِيضَاتٍ ، فأما الأطرُغَلَاتِ والفَوَاحِشِ^(٥) فإنها تبيضُ بِيضَتَيْنِ ، وربما باضتُ ثَلَاثَ

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ . وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) الحة والمخ : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « فالفواخت » ، ووجهه ما أثبت من ل .

بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحداً فقط .

قال : وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مرور الحول عليه كملأ^(١) ، والحمامة في أكثر أمورها يكون أحد فرخيها ذكراً والآخر أنثى ، وهى تبيض أولاً البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوماً وليلة ، ثم تبيض الأخرى ، وتحضن مابين السبعة عشر يوماً إلى العشرين ، على قدر اختلاف طباع الزمان ، والذي يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض ، والحمام أبر بالفراخ .

[قال] : و [أمّا] جميع أجناس الطير ممّا يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ، ماعدا الخطّاف فإنه يبيض مرتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعقاب تبيض^(٢) ثلاث بيضات ، فيخرج لها فرخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ، وقال آخرون : قد تحضن ويخرج

(١) كلا : أى كاملاً . وبالأخيرة جاءت الرواية في ط ، س .

(٢) في الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثة أفراخ ، ولكنّها ترمى بواحد^(١) استئقلاً للتكسّب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلّا بما^(٢) يعترىها من الضّعف عن الصّيد ؛ كما
يعترى النّفساء من الوهن والضعف ، وقال آخرون : العقاب طائر سيّئ
الخلق ، ردىء التّربية ، وليس يُستعان^(٣) على تربية الأولاد إلّا بالصّبر .
وقال آخرون : [لا ، و] لكنّها شديدة النّهم والشرّ ، وإذا لم تكن
أمّ الفراخ ذات أثر لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا في العَقَق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتّى قالوا : « أحمق
من عَقَق » ، كما قالوا : « أحذر من عَقَق » .
وقالوا : وأمّا الفرخ الذى يُخرجه العُقاب ، فإنّ المكلفّة ، وهى طائر
يقال لها كاسِر العظام^(٤) ، تقبله^(٥) وتربّيه .

والعقاب تحضن^(٦) ثلاثين يوماً ، وكذلك كلُّ طائر عظيم الجثّة ، مثل
الإوز وأشباه ذلك ، فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوماً . مثل الحدّا^(٧)
ومثل أصناف البُرّة^(٨) كالبواشق واليآي^(٩) .

(١) ط ، س : « بواحدة » .

(٢) بما : بمعنى لما . وفى ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .

(٣) ل : « يقوى شيء » .

(٤) ل : « يقال لها قينا » .

(٥) تقبله : تكفله . والقبيل : الكفيل .

(٦) فى الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .

(٧) هو جمع حدأة . وفى ط ، ل : « الحدأة » .

(٨) ط : « البزات » ، وصوابه فى س ، ل . وهو جمع باز .

(٩) اليآي : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبهه الباشق . قال أبو نواس
فى طردية :

حفظ المهيمن يؤيؤ ورعاه ما فى اليآي يؤيؤ شرواه

أى شبيهه . ط : « اليآي » . س : « اليآي » ، وهما تحريف ما أثبت
وهذه الكلمة والى قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة^(١) تبيضُ تبيضَتين . وربّما باضت ثلاثَ بيضات وخرَجَ منهن ثلاثَةُ فِراخ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنَّها تربِّي وتحضن^(٢) .
وجميعُ الطيرِ المعقَّفِ المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها^(٣) عندَ قوَّتها على الطيرِ آن . وكذلك سائرُ الأصنافِ مِنَ الطَّيرِ^(٤) ؛ فإنَّها تطردُ للفراخ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف^(٥) ؛ فإنَّها لا تزالُ لولدها قابلةً ، ولحالِهِ متفقَّة .

(أجناس العقبان)

وقال قوم^(٦) : إنّ العقبانَ والبزاة الثَّمامة ، والجهازرانك^(٧) ، والسَّمنان^(٨) .

(١) س : « والحدأة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتحضن » .

(٣) ط ، س : « أعششها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان الثَّمامة : الثَّمامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهازرانك » أو « الجهازرانك » هي مركبة من « جهاز » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصفر والأسود والأزرق فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين فى ريش تلك الطير . وقالت : هذه الكلمة هي فى الأصل محرفة فى ط ، س : « الجهازدانك » وفى ل : « الجهازدانك » . وقد اتضح الصواب بما تفضل به حضرة الأب .

(٨) كذا فى ط ، س . وفى ل : « النيمات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزَّمَاجِجُ^(١) والزَّرَارِقَةُ^(٢) إنها كُلُّهَا عِقْبَان . وَأَمَّا الشَّوَاهِينُ وَالصَّقُورَةُ ،
وَالْيَوَائِي^(٣) ، فَإِنَّهَا أَجْناسٌ أُخَر .

(حَضْنُ الطَّيْرِ)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سَمِينَةٌ طَيِّبَةٌ جَدًّا] . وَأَمَّا الْإِوزَةُ فَلِئِذَا
[التى] تَحْضُنُ دُونَ الذَّكَرِ^(٤) ، وَأَمَّا الْغُرَبَانُ فَعَلَى الْإِنَاثِ الْحَضْنُ ، وَالذَّكَوْرَةُ
تَأْتِي الْإِنَاثَ بِالطَّعْمَةِ^(٥) .

وَأَمَّا الْحَجَلُ فَإِنَّ الزَّوْجَ مِنْهَا^(٦) يَهَيِّئَانِ لِلْبَيْضِ عُشَّيْنِ وَثِقَيْنِ^(٧)

= الْأَبْ أَنْتَاس ، فَكُتِبَ إِلَى : « وَالسَّهَانُ مِنَ الْبَزَاةِ وَالْجَوَارِحِ : كُلُّ مَا طَعَنَ مِنْهَا
فِي السِّنِّ ، وَهِيَ جَمْعُ سَمِينٍ . وَالْعَوَامُ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ يَسْمُونَهَا : سَمْنَانٌ - كَرِغْفَانٌ -
فَهِيَ إِذَا طَعَنَتْ فِي السِّنِّ ضَخْمَ جَسْمِهَا وَقَعَدَتْ عَنِ الصَّيْدِ » . « وَالتَّيْمِيَّاتُ
مَنْسُوبَةٌ إِلَى نَيْمٍ ، بِالْكَسْرِ ، الْفَارَسِيَّةُ ، بِمَعْنَى نَصْفٍ . وَيُشَارُ بِهِ إِلَى تِلْكَ الْبَزَاةِ ،
أَوْ الْعَقْبَانِ الصَّغِيرَةِ الْجِسْمِ ، وَهِيَ تَكُونُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ أَشَدَّ صَيْدًا وَجَرَاءً مِنْ
نَظَائِرِهَا الْكَبِيرَةِ الْجِسْمِ أَوْ الْجَفَّةِ . وَيُؤَقُّ بِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ ، أَوْ مِنَ الْأَرْجَاءِ
الْجَبَلِيَّةِ » . وَعَقِبَ حَضْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِ الْبَزْدَرَةِ
الَّتِي سَرَقْتُ مِنْى . وَكَانَ عِنْدَى مِنْهَا ثَلَاثُ نَسَخٍ مَمْلُوءَةٍ أَوْ مَشْحُونَةٍ اصْطِلَاحَاتٍ » .

(١) الزَّمَاجِجُ : جَمْعُ زَمَجٍ ، بِضَمِّ الزَّيِّ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ الْمَفْتُوحَةِ .
(٢) الزَّرَارِقَةُ : جَمْعُ زَرَقٍ بِضَمِّ الزَّيِّ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَالْمَعْرُوفُ زَرَارِيقٌ . وَفِي
الْأَصْلِ : « الزَّرَاقَةُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَهُوَ جَمْعُ يَوْيُؤُ . ط ، س : « وَالْيَوَائِي » .
(٤) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط : « وَأَمَّا الْإِوزُ فَلِئِذَا تَحْضُنُ دُونَ
الذَّكَوْرَةِ » وَمِثْلُهُ فِي س بِزِيَادَةِ « الَّتِي » بَعْدَ « فَإِنَّهَا » .

(٥) فِي السَّانِ : « الطَّعْمَةُ » ، بِالضَّمِّ : شِبْهُ الرِّزْقِ . وَفِي ل : « بِالطَّعْمِ » ، وَمِثْلُهُ
فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٩٤) وَهُوَ بِالضَّمِّ : الطَّعَامُ .

(٦) ل ، ط : « مِنْهَا » ، وَصَوَابُهُ فِي س .
(٧) الْوَثِيقُ : الْحَكْمُ . وَبَدَلُهَا فِي ط : « بَيْضَتَيْنِ » وَفِي س : « بَيْضَيْنِ »
وَهُوَ تَحْرِيفٌ عَجِيبٌ .

مقسومين^(١) عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى^(٢) ، وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيش خمساً وعشرين سنة ، ولا تلقح الأنثى بالبيض^(٣) ولا يلقح الذكر إلا بعد ثلاث سنين .

(الطاوس)

قال : وأما الطاوس فأول ما تبيض فإنها تبيض ثمانين^(٤) بيضات . وتبيض أيضاً بيض الريح . والطاوس يلقى ريشه في زمن الخريف إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط^(٥) . وإذا بدأ الشجر يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوس فأكتسى^(٦) ريشاً .

(١) ط فقط : « مقسومتين » .

(٢) فصلت هذا الضبط لما جاء في نهاية الأرب نقلاً عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما في التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميري ، مع نسبه إلى التوحیدی .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه مأثبت كما في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ل : « يلقى ورقه » وفي ط « فإذا بدأ » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عُشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقِيلِ الْجَثَّةِ فليس يَهَيَّ لِيَبْضِهَ عُشًّا ؛ من أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُجِيدُ ^(١) الطَّيْرَانِ ، وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ الْهَوْضُ وَلَا يَتَحَلَّقُ ^(٢) ، مثل الدَّرَّاجِ وَالْقَبَّجِ ، [وَإِنَّمَا يَبْضُ عَلَى التُّرَابِ] . وفراخ هذه الأجناس كفراريح الدجاج ، وكذلك فراريح البطِّ الصَّيْنِيِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضِ كَاسِيَةً [كَاسِيَةٌ ^(٣)] تَلْقُطُ مِنْ سَاعَتِهَا ، وَتَكْفِي نَفْسَهَا .

(القبجة)

قال : [و] إِذَا دَنَا الصَّيَّادُ مِنْ عُشِّ الْقَبْجَةِ ^(٤) وَلَهَا فَرَاخٌ ، مَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَرًّا غَيْرَ مُفَيْتٍ ^(٥) ، وَأَطْمَعَتْهُ فِي نَفْسِهَا لِيَتْبِعَهَا ^(٦) ، فَتَمَرُّ الْفَرَاخُ فِي رَجْوَعِهَا إِلَى مَوْضِعِ عُشِّهَا ^(٧) . وَالْفَرَاخُ ^(٨) لَيْسَ مَعَهَا مِنَ الْهِدَايَةِ مَامِعٌ

(١) ط ، س : « يجيد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أى طار واستدار في طيرانه ، لكن هكذا

جاءت في ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفي ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفراخ ولثلا تغلط في رجوعها إلى موضع عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمّها . وعلى أن القَبَجَةَ سَيِّئَةُ الدَّلَالَةِ والهِدَايَةِ ، وكذلك كُلُّ طَائِرٍ يَعَجَّلُ لَهُ
الْكَيْسُ وَالْكُسُوءُ ، وَيَعَجَّلُ لَهُ الْكَسْبُ فِي صِغَرِهِ .

وهذا إِنَّمَا اعْتَرَاهَا لِقَرَابَةِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّيَكِ .

قال : فإذا أَمِنَ الصَّائِدُ خَلْفَهَا وَقَدْ خَرَجْتَ الْفَرَاخُ مِنْ مَوْضِعِهَا ، طَارَتْ ٥٧
وَقَدْ نَحْتَهُ ^(١) إِلَى حَيْثُ لَا يَهْتَدِي الرَّجُوعَ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعِ عَشَّهَا ^(٢) ، فَإِذَا سَقَطَتْ
قَرِيباً دَعَتْهَا بِأَصْوَاتٍ لَهَا ، حَتَّى يَجْتَمِعْنَ إِلَيْهَا .

قال : وَإِنَاثُ الْقَبَجِ تَبْيِضُ [خَمْسَ عَشْرَةَ بَيْضَةً إِلَى سِتِّ عَشْرَةَ
بَيْضَةً . قال : وَالْقَبَجُ طَيْرٌ مُنْكَرٌ] وَهِيَ تَفْرُ ^(٣) بَيْضِهَا مِنَ الذَّكَرِ ؛ لِأَنَّ الْأُنْثَى
تَشْتَغِلُ بِالْحَضْنِ عَنْ طَاعَةِ الذَّكَرِ فِي طَلَبِ السَّفَادِ . وَالْقَبَجُ الذَّكَرُ يُوصَفُ
بِالْقُوَّةِ عَلَى السَّفَادِ ، كَمَا يُوصَفُ الدِّيَكُ وَالْحَجَلُ وَالْعُصْفُورُ .

قال : فَإِذَا شَغِلَتْ عَنْهُ بِالْحَضْنِ ، طَلَبَ مَوَاضِعَ بَيْضِهَا حَتَّى يَفْسِدَهُ ^(٤)
فَلِذَلِكَ تَرْتَادُ ^(٥) الْأُنْثَى [عَشَّهَا] فِي مَخَابِي ^(٦) إِذَا أَحَسَّتْ بِوَقْتِ الْبَيْضِ .

وَإِذَا قَاتَلَ بَعْضُ ذُكُورِ الْقَبَجِ بَعْضاً فَالْمَغْلُوبُ مِنْهَا مَسْفُودٌ ، وَالْغَالِبُ

(١) ط : « نَحْت » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٢) يُقَالُ : هُوَ لَا يَهْتَدِي الطَّرِيقَ ، وَلَا يَهْدَى — بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ وَتَشْدِيدِ الدَّالِ
الْمَكْسُورَةِ — ، وَلَا يَهْدَى — بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْهَاءِ وَالْدَّالِ الْمَشْدُودَةِ . كُلُّ أَوَّلِكَ
بِمَعْنَى لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ . فِي ط : « إِلَى مَوْضِعِهَا » .

(٣) س : « تَشْفَل » .

(٤) ل : « يَفْسِدُهَا » ، وَلَهَا وَجْهٌ .

(٥) تَرْتَادُ : تَطْلُبُ . وَفِي ل : « تَوَغَّل » ، وَلَا يُقَالُ أَوْغَلَهُ .

(٦) ط ، س : « مَخَابِي » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرضُ للديكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَلَ بينَ الديكةِ ^(١) ديكٌ غريب ، فما أَكْثَرَ ما تجتمع عليه حتى تسفده ! .

(وثب الذُّكورة على الذُّكورة)

وسفادُ ذُكورة هذه الأجناس إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأما ذُكورة الحمير والخنازير والحمام ، فإنَّ ذُكورها تثبُّ على بعضٍ من جهة الشهوة .

وكان عند يعقوب بن صباح ^(٢) الأشعثيُّ ، هِرَانٌ ضخمان ، أحدهما يكومُ الآخر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، وَمِنْ غيرِ أن يكونَ المسفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثْلَ ما يريدُ منه السَّافِدُ . وهذا البابُ شائعٌ في كثير من الأجناس ، إلاَّ أَنَّهُ في هذه [الأجناس] ^(٣) أُوْجَدَ .

(صيد البزاة للحمام)

ثمَّ رَجَعَ بنا القَوْلُ إلى ذِكْرِ الحمام ، مِنْ غيرِ أن يشاب ^(٤) بذكر غيره .

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتحاب » ويصح بـ « انتشاب » أى تعلق . وأثبت ما في ل . ويشاب : يخلط :

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُرْزَاةَ عشرةَ أجناسٍ ، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائعة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلَّا وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ في حال طَيْرَانِهِ ولا في حالِ جَثْوِهِ ، [ولا يعرض له] إلَّا أن يجده ^(١) في بعض الأغصان ، أو على [بعض] الأنشاز ^(٢) والأشجار . فعَدَّدَ أجناسَ صيدها ، ثمَّ ذَكَرَ أنَّ الحمامَ ^(٣) لا يخفى عليه في أوَّل ما يرى البازيَ في الهواء أيُّ البُرْزَاةِ هُوَ ، وأيُّ نوعٍ صيده ^(٤) ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازي أشكال : أوَّل ذلك أنَّ الحمامَ في أوَّلِ نُهوْضِهِ يفصلُ بين النَّسر والعقاب ، وبين الرَّحمةِ والبازي ، وبين الغرابِ والصَّقرِ ، فهو يَرى الكُرْكِيَّ والطَّبْرَزين ^(٥) ولا يستوحشُ منهما ! ويرى الزُّرْقَ فيتضاءل . فإن رأى الشَّاهينَ فَقَدْ رأى السَّمَّ الذعاف الناقع ^(٦) .

(إحساس الحيوان بعدوّه)

والنَّعْجَةُ ترى الفِيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعيرَ ، فلا يَهْزُها ^(٧) ذلك ، وترى السَّبُعَ وهي لم تره قبل ذلك ^(٨) ، وَعَضُوْهُ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، وللوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « صيده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا في ل ، س . والمعروف في الطبرزين أنه النَّفسُ التي يملقها الفارس في سرج جواده . انظر معرب الجواليقي ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفي

ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « الذي لم تره قبل فتحافه » وفيه تحريف .

وهى أهولُ في العين وأشنعُ ، ثم ترى الأسدَ فتخافه . وكذلك البَبرُ والنمرُ :
فإن رأت الذئبَ [وحده] اعتراها منه وحده مثلُ ما اعتراها من تلك
الأجناسِ لو كانت مجموعةً في مكانٍ واحدٍ . وليس ذلك عن تجربةٍ ،
ولا لأنَّ منظره أشنعُ وأعظمُ ، وليسَ في ذلك عِلَّةٌ ^(١) إلا ما طُبعت عليه من
تمييز الحيوان عندها . فليس بمُسْتَنَكِرٍ أَنْ تَفْصِلَ الحمامةَ بينَ البازي ^(٢)
والبازي ، كما فصلت بين البازي والكركي .

فإن زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب ^(٣) فنقارُ الكركيَّ أشنعُ [وأعظمُ]
وأفزع ^(٤) ، وأطولُ وأعرض ^(٥) . فأما ^(٦) طَرَفُ منقار [الأبعث ^(٧)] فما
كانَ ^(٨) كلُّ سنانٍ وإن كان مذبذباً ^(٩) [ليبلغه .

(١) ط : « عليه » ، وهى على الصواب في ل ، س .

(٢) أى تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك في الصفحة السابقة س ٦ .

ل فقط : « الرخة » تحريف .

(٣) في الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست في ل .

(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .

(٧) في القاموس : أن الأبعث طائر ، ولم ينعه .

(٨) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٩) مذبذباً ، بالذال المعجمة : محذراً . وفي الأصل ، وهو هنا ل :

« مذبذباً » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيف يكونُ للحمام من المعرفة ^(١) والفطنة

ما تذكرون ، وقد جاء في الأثر ^(٢) : « كُونُوا بُلْهًا ^(٣) كالْحَمَام » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أَخْرَقَ مِنْ حَمَامَةٍ » ، ومَّا يدل

على ذلك قولُ عبيد بن الأبرص :

عَيَّسُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةُ

جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ ^(٤)

(١) ط ، س « الحركة » ، ويوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل ، س . وهو الموافق لما جاء في البيان (٢ : ٢٧٥) :

« وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفي

ط : « وقد جاء في الحديث » كما في محاضرات الراغب (٤ : ٣٠٠) . وجاء

في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال

للحواريين : كونوا حلهاء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص في إنجيل متى

(الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا

حكاه كالحيات وبسطاه كالحمام » .

(٣) في الأصل : « بلهاه » ، وإنما هي « بلها » كما في ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به

الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . والثمامة : واحدة

الثمائم ، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين

ضعيف وقوى : فيتكسر عشا ويقع البيض فينكسر . انظر عيون الأخبار (٢ :

٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميداني (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عبيدًا إنما عني حمامة من حمامكم هذا الذي أنتم به تفخرون ،
فقد أكثرتم في ذكر^(١) تدبيرها لمواضع بيضها ، وإحكامها لصنعة
عشاشها^(٢) وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنه إنما عني بعض أجناس الحمام الوحشي والبرّي ، فقد
أخرجتم بعض الحمام من حُسن التدبير . وعبيدٌ لم يُخصَّ حماماً دون حمام .

(رغبة عثمان في ذبح الحمام)

وحدث أسامة بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشياخنا منذُ زمانٍ ، يحدثُ
أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ - رضى الله تعالى عنه - أراد أن يذبحَ الحمامَ ثمَّ قال :
« لولا أنَّها أُمَّةٌ من الأممِ لَأَمَرْتُ بِذَبْحِهنَّ »^(٣) ، ولكنَّ قُصُوهنَّ . [فدلَّ بقوله :
قُصُوهنَّ] على أنَّها إنما تُذْبَحُ لرغبة^(٤) مَنْ يَتَّخِذهنَّ ، ويلعبُ بهنَّ من
الفِتْيَانِ والأحداثِ والشُّطَّارِ^(٥) ، وأصحابِ المراهنة والقمار ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزيد والمبالغة .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أعشها » وانظر التنبيه رقم ٣

ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ، وأثبت ما في ل .

(٤) ل : « لسورة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذى أعيأ أهله ومؤدبه خبثا ، وشر عن الطريق

السوى : أى عدل عنه . وقيل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام

التسابق به ، على نحو ما يفعل بالخيول . انظر صورة من ذلك في أخبار

الظراف ص ٣٨ .

يَتَشَرَّفُونَ^(١) عَلَى حُرْمِ النَّاسِ وَالْجِيرَانِ ، وَيَتَخَدَّعُونَ^(٢) بِفِرَاحِ الْحَمَامِ أَوْلَادِ النَّاسِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَاهِقِ^(٣) وَمَا أَكْثَرَ مَنْ قَدْ فَقِيَ عَيْنًا وَهَشِمَ أَنْفًا ، وَهَشِمَ فَنًا ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ، وَلَا يَقِفُ عَلَى مَقْدَارِ مَا رَكِبَ بِهِ الْقَوْمَ . ثُمَّ تَذْهَبُ^(٤) جِنَايَتُهُ هَدْرًا ؛ وَيَعُودُ ذَلِكَ الدَّمُ مَطْلُولًا بِلَا عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ وَلَا قِصَاصٍ وَلَا أَرْشٍ^(٥) ؛ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ مَجْهُولًا .

وَعَلَى شَبِيهِ بِذَلِكَ كَانَ عَمْرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَمْرٌ يَذْبَحُ الدِّيَكَةَ^(٦) وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ .

قَالُوا : فَبِمَا ذَكَرْنَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَكْلَ لَحْمِ الْكِلَابِ لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِهِمْ وَلَا اخْتِلَافِهِمْ ، وَلَا مِنْ دَوَاعِي^(٧) شَهَوَاتِهِمْ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ الْأَمْرُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَذْبَحُ الدِّيَكَةَ وَالْحَمَامَ ، وَقَتْلُ الْكِلَابِ . [وَلَوْلَا أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا قُلْنَا ، لَقَالُوا : اقْتُلُوا الدُّبُوكَ وَالْحَمَامَ كَمَا قَالَ : اقْتُلُوا الْكِلَابَ] . وَفِي تَفْرِيفِهِمْ بَيْنَهَا دَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَاقِ الْحَالَاتِ عِنْدَهُمْ .

(١) التَّشَرَّفَ : التَّطَلَّعَ . وَفِي ط فَقَطْ : « يَشْرَفُونَ » مِنْ الْإِشْرَافِ : أَيْ الْإِطْلَاعِ . وَمَا أَثَبْتُ أَقْرَبَ وَأَشْبَهَ .

(٢) ط ، س : « وَيَتَخَدَّعُونَ » .

(٣) الْجَلَاهِقُ : هُوَ الطَّيْنُ الْمَدُورُ الْمَدْمَلَقُ ، يَرَى بِهِ عَنِ الْقَوْسِ ، فَارِسِي ، أَصْلُهُ جَلَاهَهُ . الْجَوَالِيْقُ ٤٢ .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « ذَهَبَتْ » .

(٥) الْعَقْلُ : الدِّيَةُ . وَالْقَوْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ ، بِمَعْنَى الْقِصَاصِ ، وَهُوَ قَتْلُ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ . وَالْأَرْشُ : دِيَةُ الْجَرَاحَاتِ .

(٦) كَذَا فِي ل . وَكَمَا سَبَقَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وَفِي ط ، س :

« أَرَادَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَذْبَحَ الدِّيَكَةَ » .

(٧) ط ، س : « وَلَا كَانَ فِي دَوَاعِي » .

قال : حدثني أسامة بن زيد^(١) ، وإبراهيم بن أبي يحيى ، أن عثمان شكوا إليه الحمام ، وأنه قال : « مَنْ أَخَذَ مِنْهُنَّ شَيْئاً فَهُوَ لَهُ » . وقد علمنا أن اللفظ وإن كان قد وقع على شكايه الحمام ، فإن المعنى إنما هو على شكايه أصحاب الحمام ، لأنه ليس في الحمام معنى يدعو إلى شكايه^(٢) .

قال : وحدثنا عثمان قال : سئل الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس ، قال : لا تأكله ، فإنه من أموال الناس ! فجعله مالا ، ونهى عن أكله بغير إذن أهله . وكل ما كان مالا فيبيعه حسن وابتياؤه حسن . فكيف يجوز لشيء هذه صفته أن يُذبح ، إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن اتخذه لما لا يحل ! !

قال : ورووا عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : نهى عثمان عن اللعيب بالحمام^(٣) ، وعن رمى الجلاهق . فهذا يدل على ما قلنا .

(آمن حمام مكة وغز لانها)

والناس يقولون : « آمن من حمام مكة » ، ومن غز لان مكة . وهذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد . قال عتبة الأسدي^(٤) لابن الزبير :

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عتيبة بن هيرة الأسدي : شاعر جاهلي إسلامي . الذيل ١٤٩ . وانظر الأغاني ١٨ : ١٢٨ . وفي الأصل : « عتبة » ، تحريف .

ما زلت مذ حَجَجَ بِمَكَّةَ مُحَرَّمًا^(١) فِي حَيْثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَامٌ
فَلَتَنْهَضَنَّ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي الْبُرَا يَحْتَبِنَ عُرْضَ نَحَارِمِ الْأَعْلَامِ^(٢)
أَبْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ ؟ ! يَا لِّلرَّجَالِ لِحِفَّةِ الْأَحْلَامِ^(٣) !
وَقَالَ النَّابِغَةُ فِي الْغَزْلَانِ وَأَمْنِهَا ، كَقَوْلِ جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ فِي الْحَامِ :
لَا وَالَّذِي آمَنَ الْغَزْلَانِ تَمَسُّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ^(٤)
وَلَوْ أَنَّ الطَّبَّاءَ ابْتُلِيتِ مِمَّنْ يَتَّخِذُهَا بِمِثْلِ^(٥) الَّذِي ابْتُلِيتَ بِهِ الْحَامِ
ثُمَّ رَكَبُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْغَزْلَانِ بِمِثْلِ مَا رَكَبُوهُمْ بِهِ فِي الْحَامِ ، لَسَارَوْا فِي ذَبْحِ
الْغَزْلَانِ كَسِيرَتِهِمْ فِي ذَبْحِ الْحَامِ .

وَقَالُوا : إِنَّهُ كَيْبُلُغٌ مِّنْ تَعْظِيمِ الْحَامِ لِحُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ
يَشْهَدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا حَامًا قَطُّ مَقْطُوعًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، إِلَّا مِنْ

(١) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الْوَجْهَ . . وَفِي ط ، س : « مَلْحَدًا » ، مِنْ الْإِلْحَادِ بِمَعْنَى
الظُّلْمِ فِي الْحَرَمِ . وَلَا يَصِحُّ لِأَنَّ الشَّعْرَ مَدْحٌ . وَقَدْ أَشَارَ عَقِيبةٌ إِلَى مَا كَانَ مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فِي مَكَّةَ ، حَيْثُ بَوَّعَ لَهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَخَلَعَ يَزِيدُ
ابْنَ مَعَاوِيَةَ ، وَأَقَامَ بِهَا تِسْعَ سِنِينَ وَقَتْلَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى يَدِ الْحِجَابِ
بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ . انْظُرْ تَارِيخَ الْإِسْحَاقِ ص ٥١ .

(٢) الْعَيْسُ ، الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالِطُ بَيَاضَهَا شُقْرَةَ . وَالْبُرَا : جَمْعُ بَرَّةَ ، كَثِيبَةٌ ، وَهِيَ
الْحَاقِقَةُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ . يَحْتَبِنُ : يَقْطَعُنُ . وَالنَّحَارِمُ : الطَّرِيقُ فِي الْأَرْضِ الْغَلِيظَةِ .
س : « تَحْتَبِنُ عُرْضَ نَحَارِجٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) بَنُو الْمَغِيرَةِ هُمُ بَنُو مَرْوَانَ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُمْ عَائِشَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بِنْتُ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
ابْنِ أُمَيَّةَ . انْظُرْ الْإِصَابَةَ ٧٠٩ مِنْ قِسْمِ النِّسَاءِ ، وَالْعَقْدَ ٣ : ١٤٨ . وَآلُ خُوَيْلِدٍ
هُمُ بَنُو الزَّيْبِرِ ، وَهُوَ الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى . انْظُرْ
الْمَعَارِفَ ٩٦ .

(٤) ط ، س : « وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ لَ هُوَ الْوَجْهَ ؛ لِمَا سَبَقَ
مِنْ السِّكْلَامِ . وَالْغَيْلُ ، بِالْكَسْرِ ، وَالسَّعْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ : أَجْمَتَانِ كَانَتَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَمِنَى . شَرَحَ الْمَعْلَقَاتِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ٣٠٠ .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « يَمْنُ يَتَّخِذُهَا مِثْلًا » .

عِلَّةٌ عَرَضَتْ لَهُ . فَإِنَّ^(١) كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اِكْتِسَابًا مِنَ الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ
جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ . وَإِنْ كَانَ هَذَا إِتِمَامًا كَانَ [مِنْ] طَرِيقِ الْإِلْهَامِ ،
فَلَيْسَ مَا يُلْهِمُهُمْ كَمَا لَا يُلْهِمُهُمْ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٢) فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ بَيْتِي تَفَرَّعَ فِي الذَّوَائِبِ وَالسَّنَامِ
وَأَذَا نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ تَبَدَّى بِمَكَّتْهَا الْبُيُوتَ مَعَ الْحَمَامِ^(٣)
وَقَالَ كَثِيرٌ - أَوْ غَيْرُهُ مِنْ^(٤) بَنِي سَهْمٍ - فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَعَنَّ اللَّهَ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامٍ
أَيَسَّبُ الْمُطِيبُونَ جَدُودًا^(٥) وَالْكَرَامُ الْأَنْحَوَالِ وَالْأَعْمَامِ
يَأْمَنُ الظُّبَى^(٦) وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْ مَنْ آلَ الرَّسُولَ عِنْدَ الْمَقَامِ !!
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلِمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ^(٧)

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما في المؤلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) في المؤلف : « بمككتنا » . وفي الأصل : « من الحمام » ، صوابه في المؤلف .

(٤) ط ، س : « في » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ في البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القمري يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما في معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . في ل : « أيسب المطيبين » ، وفي المعجم « أتسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت في المعجم وبعد البيت الذى يليه في البيان :

طبت بيتنا وطاب بيتك بيتاً أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام » ، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأن ابن الزبير وشأن ابن الحنفية^(١) ، فقال :

ومن يرَ هذا الشيخَ بالخيف من مَن^(٢)

مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ

سَمِيَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ^(٣) وَفَكَأَنَّ أَغْلَالَ وَنَفَاعُ غَارِمٍ.

أَبَى فَهُوَ لَا يَشْرِي هُدًى بِضَلَالَةٍ وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأُمٍّ.

وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ حُلُولاً بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفِ الْحَارِمِ^(٤).

بِحَيْثُ الْحَمَامُ آمَنَاتٌ سِوَاكَنْ وَتَلْقَى الْعَدُوَّ كَالْوَلِيِّ الْمَسْلَمِ.

(حماسة نوح)

قال صاحب الحمام : أمّا العرب والأعراب والشُعراء ، فقد أطبقوا على

أَنَّ الْحَمَامَةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ دَلِيلَ نُوحٍ وَرَأْتَهُ^(٥) ، وَهِيَ الَّتِي اسْتَجَعَلَتْ^(٦)

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابني علي
بيد أن والدته هذين هي فاطمة الزهراء ، وأمّ ذلك هي خولة بنت جعفر الحنفية ،
فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً
واسع العلم . وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدي ،
وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١
وتوفي سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من مَنى . ومَنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم الرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجاوزون
في مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المحارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً في الأرض يصلح مرقاً للسفينة . انظر الحيوان
(٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجمالة — كسحابة — وهي الرشوة . والرشوة : العطاء في
مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الذى فى عنقها ، وعند ذلك أعطاه الله تعالى تلك الحليّة ؛
ومنحها تلك الزينة ، بدعاء نوح عليه السلام ، حين رجعت إليه ومعها من
الكرم ما معها ، وفى رجلها من الطين والحماة ما برجلها ، فعوضت من
ذلك الطين خضاب الرجلين ، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق .

(شعر فى طرق الحمامة)

وفى طوقها يقول الفرزدق (١) :

فمن يك خائفاً لأذاة (٢) شعري فقد أمّن الهجاء بنو حرام-
هم قادوا (٣) سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام-
وقال فى ذلك بكر بن النطاح (٤) :

(١) يقول هذا الشعر فى رجل من بنى حرام ، كان قد هجا الفرزدق ، فخشى قومه من لسان
الفرزدق فجاؤا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) .
والبيتان لم أجدهما فى الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبي فى النثر ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفى ط فقط : « لأذات » محرفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والعمدة . وبدلها فى النثر :
« منعوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان فى زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ،
وكان يعاشر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من
المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر
صاحب المقطعة الرقيقة التى تغنيها فى عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم .
وأول هذه المقطعة :

أكذب نفسى عنك فى كل ما أرى وأسمع أذى منك ما ليس تسمع
وهى صوت من أصوات الأغاني (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غَنَّتْني بَبْغَدَادَ قَيْنَةٌ وإن شئتُ غَنَّتْني الحَمَامُ المطوقُ
لباسي الحسامُ أو إزارُ مُعَصْفَرٍ ودرعُ حديدٍ أو قيصُ مَخْلُقٍ (١)
فذكر الطوق ، ووصفها بالغناء والإطراب . وكذلك قال حميد بن ثور :
رَقُودُ الضُّحَى لَا تَعْرِفُ الجِيرَةَ (٢) القصصاً (٣)

ولا الجيرة الأذنينَ إِلَّا تَجَشُّمًا (٤)
ولستُ مِنَ اللّائِي يكونُ حديثُها أَمَامَ بَيوتِ الحَيِّ إِنَّ وَلِئَمَّا
ثم قال :

وما هاج هذا الشوقَ إِلَّا حمامةٌ دَعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرَحُّةً وتَرْتَمًا (٥)

٦١

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد في حال الحرب ، والإزار المصفر والقيص المخلق في حال السلم . المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقية . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفيرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندرة ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل في امرأة خفيرة . الأغاني (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيزة » تصحيف .

(٣) القصص : جمع قصوى ، وهي البعيدة . وقد رسمت في ل : « القصى » وهي كتابة جائزة ، فإكان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا . انظر المقصور ص ٦٠ .

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حل نفسه عليه وتكلفه . وفي ل : « تجمًا » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القمارى ، أو هو صوت الحمام . وروى في ل وكذا اللسان

(حرر) : « في حمام نرنا » وأثبت ما في ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣

ليسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب

الكاتب ٢٣ ونثار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة : ضد الفرحة .

مطوّقة خطباء^(١) تصدّح كلما دنا الصَّيْفُ وانجاب الربيعُ فأُنْجَا^(٢)

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إِذَا شئتُ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثِ أُوَيْلِمِلْمَا^(٣)

عجبتُ لها ، أتى يكونُ غِنَاؤُهَا فصيحاً ولم تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَأَ

ولم أَرْ حَزُونًا لَهُ مِثْلُ صَوْتِهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْمَجَا

وقال في ذكر الطوق - وأنّ الحَمَامَةَ نَوَاحَةٌ - عبدُ الله بن أبي بكر^(٤)

وهو شهيد يوم الطائف^(٥) ، وهو صاحبُ ابن صاحب^(٦) :

(١) الخطباء : التي فيها خطبة ، أى سواد وياض . وفي س فقط : « غضباء »

أى حمرة الساقين ، ويعزز هذه ما ورد في الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهى رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفي ل « وانزال » وهى صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أطلع وولى . وفي س : « بأنجا » تحريف .

(٣) الأجزاء : جمع جزع بالكسر ، وهو منحى الوادى . وبيشة ، بالكسر : بلد جنوبي مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلم : موضع على ليلتين جنوبي مكة . ويقال له أيضاً « ألم » و « يرمم » . وجاء في ل : « بينهما » ولم أر هذه اللغة . وفي س : « يتلما » وهى تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبي بكر وهما في الغار ومعه أخبار قریش فيبيت عندها ويخرج من السحر فيصبح مع قریش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر في حصارها ، فات شهيدا في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف في غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرم بالطائف ثيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفي الأصل : « يوم اللطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان في سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طَلَّقَ اليومَ مثلها ولا مثْلها في غيرِ جرمٍ تَطْلُقُ^(١)
أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وما نَاحَ قُرَى الحَمامِ المَطْوَقُ
وقال جَهَنمُ بنُ خَلَفٍ ، وذكرها بالتَّوْرَحِ ، والغناء ، والطَّوْقِ ، ودعوة
نوح ؛ وهو قَوْلُهُ :

وقد شاقني نَوْحُ قُرِيَّةٍ طُرُوبِ العَشِيِّ هتوفِ الضُّحَى
من الورقِ نَوَّاحٍ باكرت عَسِيبَ أَشْأٍ بذاتِ الغَضَا^(٢)
تَغَنَّتْ^(٣) عَلَيْهِ بلحنٍ لها يُهِيجُ للصَّبِّ ما قد مَضَى
مَطْوَقَةٍ كُسِيتْ زِينَةٌ بدعوة نوحٍ لها إِذْ دَعَا^(٤)
فلم أرَ بَاكِئَةً مِثْلها تَبْكِي ودَمْعُهَا لَا تُرَى^(٥)
أَضَلَّتْ قُرَيْحًا فَطَافَتْ لَهُ^(٦) وقد عَلِقَتْهُ حَبَالُ الرَّدَى
فلما بدا اليأسُ مِنْهُ بَكَتْ عَلَيْهِ ، وما ذا يَرُدُّ البَسْكَ
وقد صادَهُ ضَرْمٌ مُلْحِمٌ خَفُوقُ الجَنَاحِ حَثِيثُ النَّجَا^(٧)

(١) يشير بذلك إلى زوجه ، عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت
حسنة جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازية ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل
ثم تبعها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجما . الإصابة ٦٩٢
قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ - وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعها نفسه -
وتبعه الراغب الأصفهاني في المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠
والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .

(٢) الأشياء : صفار النخل ، أوعامته . والعسيب : الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف .

(٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .

(٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .

(٥) هذا البيت أثبت في ط بعد البيت الآتي . والوجه ما كتبت من ل ، س .

(٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أي من أجله أيضا .

(٧) الضرم : الشديد الجوع . والملمح ، بكسر الحاء : الذي يطعم صاحبه لحم الصيد ،

ويفتح الحاء : الذي يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحديث النجا : السريع
الطيران . وقد عني به البازي أو الصقر .

حَدِيدُ الْمَخَالِبِ عَارِي الْوَظِيهِ فِ ضَارٍ مِنَ الْوَرَقِ فِيهِ قَنَا^(١)
تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ جَوَامِزَ^(٢) مِنْهُ إِذَا مَا اغْتَدَى

(نزاع صاحب الديك في الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأما قوله :

مَطْوَقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوْقًا وَلَمْ يَخْصُصْ بِهِ^(٣) طَيْرًا سِوَاهَا
كَيْفَ لَمْ يَخْصُصْ بِالْأَطْوَاقِ^(٤) غَيْرَ الْحَمَامِ ، وَالتَّدَارِجُ أَحَقُّ بِالْأَطْوَاقِ ٦٢
وَأَحْسَنُ أَطْوَاقًا مِنْهَا ، وَهِيَ فِي ذُكُورِهَا أَعَمُّ ؟ ! وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصِفْ بِالطَّوْقِ
الْحَمَامَةَ الَّتِي فَاخَرْتُمْ بِهَا الدِّيكَ ؛ لِأَنَّ الْحَمَامَةَ لَيْسَتْ بِمَطْوَقَةٍ ، وَإِنَّمَا الْأَطْوَاقُ
لِلذُكُورِ^(٥) الْوَارِشِينَ [وَأَشْبَاهُ الْوَارِشِينَ ، مِنْ] نَوَائِحِ الطَّيْرِ وَهَوَاتِفِهَا
وَمَغْنِيَاتِهَا . وَلِلذَلِكَ قَالَ شَاعِرُكُمْ ، حَيْثُ يَقُولُ^(٦) :

(١) الورق : جمع أ ورق ، وهو ما في لونه بياض إلى سواد . وفي ل : « الزرق »
وما جاء في وصف الصقر بالزرقه قول ذي الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أفضى ينفذ الطال أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا في الفرس عيب ،
وفي الصقر والبازي مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جزم إذا عدا .

(٣) في الأصل : « بها » والضمير عائده إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه في ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبي بكر كما سبق في ص ١٩٩ .

أَعَاتَكَ لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَحَ قُرَى الْحَمَامِ الْمَطُوقُ^(١)
وقال الآخر^(٢) :

وقد شاقني نوحَ قَرِيَّةٍ طُروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى
ووصفها فقال :

مَطُوقَةٍ كَسَيْتَ زِينَةً بِدَعْوَةِ نُوْحٍ لَهَا إِذْ دَعَا
فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ الْحَمَامَ وَالْقَمْرِيَّ وَالْيَمَامَ وَالْفَوَاحِشَ وَالذَّبَّاسِيَّ^(٣) وَالشَّفَانِينَ
وَالْوَرَاشِينَ حَامٌّ كُلُّهُ ، قُلْنَا : إِنَّا نَزَعِمُ أَنَّ ذِكُورَةَ التَّدَارِجِ وَذِكُورَةَ
الْقَبَاجِ ، وَذِكُورَةَ الْحَجَلِ دِيوَكُ كُلُّهَا . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَالْفَخْرُ
بِالطُّوقِ نَحْنُ^(٤) أَوْلَى بِهِ .

قال صاحب الحمام : العرب تسمي هذه الأجناسَ كلها حماماً ،
فيجمعونها بالاسم العام ، وفرّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صورها متشابهة^(٥)
وإن كان في الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفي الجُثثِ بعضُ الائتلافِ^(٦)
وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه^(٧) من طريق الزَّوْاجِ ، ومن طريق

(١) بدل هذا الشطر الأخير في كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهنم بن خلف كما سبق في ص ١٩٩ ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدبّاسي : جمع دبسي بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشي
ط ، س : « الديسي » ل : « الدبسي » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هي في القُدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب
الريش ، وصِيفَةِ^(١) الرُّعوس والأرجل والسُّوق والبرَّاثِنِ^(٢) . والأجناسُ
التي عدتُم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زِواج . وليس بين
الدَّيْسكة وبينَ تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلاَّ أنَّها من الطَّير الموصوفة^(٣) بكثرةِ
السَّفاد ، وأنَّ فراخها وفرارِيجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسية] . والبطُّ
طائرٌ مثقل ، وقد ينبغي أن تجعلوا فرخَ البطةِ فرُوجاً ، والأنثى دجاجةٌ
والذَّكَرَ ديكاً ، ونحنُ نجدُ الحَمامَ ، ونجدُ الوراشينَ ، تنسافد وتلاقح ،
[ويحيى منها الرابعيُّ والوردانيُّ ؛ ونجدُ الفَواخِثَ والقهارى تنسافد وتلاقح] ،
مع ما ذكرنا من التشابه في تلك الوجوه . وهذا كُلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها
من بعضٍ كالْبُخْتِ والعِرابِ ونتائج ما بينهما^(٤) ، وكالبراذين والعِناق ،
وكُلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التَّدارج والقَبَج والحَجَلِ
والدَّجاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا .

وعلى أنَّنا قد وجدنا الأَطواقَ عامَّةً في ذواتِ الأَوْضاحِ مِنَ الحَمامِ ،
لأنَّ فيها من الألوانِ ، ولها من الشَّيآتِ وأشكالِ [و]^(٥) ألوانِ الريشِ
ما ليس لغيرها من الطَّير . ولو احتَجَجنا بالتَّسافِدِ دونَ التَّلَاقِحِ ، لكان
لِقائلِ مقال ، ولكنَّا وجدناها تجمع^(٦) الخِصْلَتينِ ، لأنَّنا قد نجدُ سُفهاءَ

(١) الصيفة ، بالكسر : الهيئة والخلقة . وفي ط ، س : « وصفة » .

(٢) البراثن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « ونتائج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وجدنا ما يجمع » .

النَّاسُ ، ومن لا يتقَدَّرُ^(١) من الناس والأحداث^(٢) ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، وَيَقِلُّ طَرُوقُهُ^(٣) ، وتطول عُرْبَتُهُ^(٤) ؛ كالمعزَّب^(٥) من الرِّعاء^(٦) فإنَّ هذه الطَّبَقَةَ من النَّاسِ ، لم يَدْعُوا^(٧) نَاقَةً ، ولا بَقْرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْرًا ، ولا كلبَةً ، إلَّا وقد وقعوا عليها .

ولوَّلا أنَّ في نفوس النَّاسِ وشهواتِهِمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة^(٨) ، لمَّا وجدتَ هذا العملَ شائعاً في أهل هذه الصِّفَةِ^(٩) ، ولوَّ جمعتهُم لجمعتَ أكثرَ من أهلِ بَغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقَحْ واحد^(١٠) منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنَّ بعض هذه الأجناس يتلقَّى^(١١) ذلك بالشَّهْوَةِ المَفرِطَةِ .

ولقد خبَّرَنِي من إخوانِي من لا أُنَّهَمُ خَبْرَهُ أنَّ مملوكاً كان لبعض أهل القطيعة - أعني قطيعة الربيع^(١٢) - وكان ذلك المملوكُ يَكُومُ بغلةً

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنيهما متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفي الأصل : « تقل طروقه » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرأة أهل .

(٥) المعزَّب : الذي أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسر هاء : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في ل .

(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة .

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « في هذه الصِّفَةِ » ولعل صوابهما : « في هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفي ط ، س : « وعلى أنها تتلق ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التي لملك لأحد عليها ، ولا عارة

توجب ملكاً لأحد . ويظهر أن أول من توسع في هذا النظام في الإسلام هو

الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردي في الأحكام السلطانية

(١٦٨ - ١٧٥) حديثاً مسهباً في هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس

حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت

بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وَأَنَّهَا كَانَتْ تودق وتتلَمَّظ^(١) وَأَنَّهَا^(٢) فِي بَعْضِ تِلْكَ الْوَقَعَاتِ تَأَخَّرَتْ
وَهُوَ مَوْعِبٌ فِيهَا ذِكْرَهُ تَطْلُبُ الزِّيَادَةَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَمْلُوكُ يَتَأَخَّرُ وَتَتَأَخَّرُ الْبَغْلَةُ
حَتَّى أَسْنَدَتْهُ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْإِصْطَبِلِ ، فَاضْطَغَطَتْهُ حَتَّى بَرَدَ^(٣) ، فَدَخَلَ
بَعْضُ مَنْ دَخَلَ فَرَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ^(٤) فَصَاحَ بِهَا [فَتَنَحَّتْ] وَخَرَّ
الْغَلَامَ مَيِّتًا^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي صَدِيقٌ لِي قَالَ : بَلَغَنِي عَنْ بَرْدَوْنٍ لَزُرْقَانَ^(٦) الْمَتَكَلِّمُ ، أَنَّهُ
كَانَ يَدْرِيبُ^(٧) لِلْبَغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالْبَرَاذِينَ حَتَّى تَكُومَهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا فِي ذَلِكَ
الْإِصْطَبِلِ ، فَتَنَاوَلْتُ الْمَجْرَفَةَ^(٨) ، فَوَضَعْتُ رَأْسَ عَوْدِ الْمَجْرَفَةِ^(٩) عَلَى

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تتلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل .
ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : « فَإِنَّهَا » وَوَجْهَهُ فِي ل ، س .

(٣) « اضْطَغَطَتْهُ » بِقَلْبِ تَاءِ الْإِفْتِمَالِ ضَادًا ، شَذُوذُ صَرْقٍ ، قِيَاسُهُ : اضْطَغَطَتْهُ .
وَحَكِي صَاحِبُ اللِّسَانِ : « اضْطَغَطَ » . قَالَ : « وَالْقِيَاسُ اضْطَغَطَ » . وَلَمْ أَرَهَا
إِلَّا مُتَعَدِّيَةً بِعَلَى . وَبَرَدَ : مَاتَ .

(٤) ل : « فَإِذَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ » .

(٥) ل : « فَخَرَّ الْعَبْدَ مَيِّتًا » . خَرَّ : سَقَطَ .

(٦) زُرْقَانُ هَذَا هُوَ غَلَامُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارِ النَّظَامِ وَتَلْمِيذُهُ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ شَدَّادِ بْنِ عَيْسَى ،
كَانَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (الْمَسَامَعَةُ) . وَقَدْ حَكَى زُرْقَانُ عَنِ النَّظَامِ أَقْوَالَ فِي الْفَرْقِ ٥٠ - ٥١
وَقَدْ عَدَّهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي التَّنْبِيهِ وَالْإِشْرَافِ ٣٤٢ . ط ، س : « لَوْزِقَانُ » ل : « لَزُرْقَانُ »
وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) يَدْرِيبُ هَا : يَطَاوِعُهَا فِيمَا تَطْلُبُ مِنْهُ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ فِي الْحَمَامِ . وَفِي ط ، س :
« يَشْمَعُ » وَمُؤَدَّاهُمَا وَاحِدٌ .

(٨) الْمَجْرَفَةُ : الْمَكْنَسَةُ وَزَنَا وَهْمَى . ط ، س : « الْمَحْرَفَةُ » تَصْحِيفٌ
مَافِي ل .

مَرَّائِهِ^(١) وَإِنَّهُ لَأَكْثَرُ مِنْ ذِرَاعٍ وَنِصْفِ^(٢) ، وَإِنَّهُ لَخَشِنٌ غَلِيظٌ غَيْرَ
مَحْكُوكٍ [الرَّأْس] وَلَا مُمْلَسَةٍ^(٣) ، فَدَفَعْتَهُ حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى الْعُودِ ، وَامْتَنَعَ مِنَ
الدَّخُولِ بِيَدِنِ الْمَجْرُفَةِ . فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا رَأَاهُ تَأَطَّرَ وَلَا انْتَنَى .
قال صاحب الحمام : فهذا فرق ما بيننا وبينكم .

(ما وُصِفَ بِهِ الْخَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ وَحُسْنِ الْغِنَاءِ وَالنُّوحِ)

وَنَذَكَرُ^(٤) مَا وُصِفَ بِهِ الْخَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ^(٥) ، وَمِنْ حُسْنِ الْغِنَاءِ وَالْإِطْرَابِ
وَالنُّوحِ وَالشَّجَا^(٦) . قال الحسن بن هانئ :
إِذَا ثَدَّتْهُ الْغُصُونُ جَلَلَنِي فَيَنْبَانُ مَا فِي أَدِيمِهِ جُوبٌ^(٧)

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : تخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) في الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة في البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر
الآق وما بعده ناطق به . وفي الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفي ،
صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجي » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعنى ظل العنب . جللني : غطاني . والفينان : أصله الحسن الشعر
الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى
الفجوة . وفي ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود
وأصح . وقبل هذا الأبيات في الديوان ٢٤٢ :

قطر بل مربعي ولي بقرى الكر خ مصيف وأمى العنب
ترضمني درها وتلحفني بظلمها والمجير يلتهب

تَبَيْتُ فِي مَاتِمٍ حَامِئُهُ كَمَا تُرْنُ الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ (١)
يَهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخْفُنَا طَرْبُ (٢)

وقال آخر (٣) :

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَنَنِ وَهْنًا (٤) وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فَقُلْتُ اعْتَذَارًا عِنْدَ ذَاكَ وَإِنِّي (٥)
كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ

وقال نصيب :

٦٤

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بِسُعْدَى شَفَيْتَ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدُمِ
وَلَكِنْ بَكَيْتُ قَبْلَ فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ فَكَلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابي :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَاطِعَةَ الْقَوَى (٦) عَلَى أَنَّ قَلْبِي لِلْفِرَاقِ كَلِيمٌ

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترني » وهي صحيحة ، يقال رنى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « ترامي » وهي رواية غير مقبولة . الفواقد : جمع فاقد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفواقد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بنى مروان ، كما في حاسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكى » وأثبت ما في ل والحامسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبوع صوابه في س والحامسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته ، جمع قوة ، . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت^(١) وإن هبَّ يوماً للجنوبِ نسيم^(٢)

[وقال] المجنون ، أو غيره :

ولولم يهيجني^(٣) الراحون لهاجني حمامٌ ورقٌ في الديارِ وقوعٌ

تجاوبنَ فاستبكينَ من كان ذا هوى نوائحُ لا^(٤) تجري لهنَّ دموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسيالاتِ الدحائلِ^(٥) باللوى^(٦)

عليكنَّ من بين السَّيالِ سلامٌ

أرى الوحشَ آجلاً^(٧) إلیكنَّ بالضحى

لهنَّ إلى أفئاسكنَّ^(٨) بغام^(٩)

(١) ل ، « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعنى » وصواب هذه الرواية : « يرعنى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب في الأرض ضيق فله ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه الخبايا الصناعية التي يحتمى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا في البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الأخاييل » و س : « الأحاييل » و ل : « الدخاييل » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس أحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فء ، وهو الغال . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرها وجها .

وَأَتَى لِحُلُوبٍ لِي الشَّوْقُ كُلَّمَا تَرَمَّ فِي أَفْنَانِكُنَّ^(١) حَمَامُ

وقال عمرو^(٢) بن الوليد :

حَالٍ مِنْ دُونِ أَنْ أَحَلَّ بِهِ النَّأَى وَصَرَفُ النَّوَى وَحَرْبُ عُقَامُ^(٣)

فَتَبَدَّلْتُ مِنْ مَسَاكِينِ قَوْمِي وَالْقُصُورِ الَّتِي بِهَا الْأَطَامُ

كُلَّ قَصْرِ مَشِيدٍ ذِي أُوَاسٍ^(٤) تَتَغْنَى عَلَى ذِرَاهِ الْحَمَامُ

وقال آخر^(٥) :

أَلَا يَا صَبَا نَجِدْ مَتَى هِجَّتَ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ هَاجَ لِي مَسْرَاكِ وَجَدَّ أَعْلَى وَجَدَّ^(٦)

أَنَّ هَتَفْتُ وَرَقَاءً فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنٍ غَضَّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ^(٧)

(١) س : « أفنانكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغاني (١ : ٦) ، وكذا

ذكره المرزباني في الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو

ابن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » .

وكان يكثر القول في حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من

أخرج من بني أمية ونفاهم إلى الشام . وفي ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعري وأين مني ليت أعل العهد يلبن فبرام

أم كمهدى العقيق أم غيرته بعدى الحادثات والأيام

وبأهلي بدلت عكا ولحما وجذاما وأين مني جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين ،

وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش »

قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) دوعيد الله بن المدينة الخثعمي ، كما في الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات في ديوان

ابن المدينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) آن : أى الآن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فن » . والرند :

شجر طيب الرائحة .

بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَسْكُنْ
 جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَسْكُنْ تَبْدِي^(١)
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا^(٢) يُمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
 بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَيْنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الحمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيات ،
 ومنسوبات . والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب
 النسب التي تضاف إلى ابن السكبي ، والشرقي بن القطامي ، وأبي اليقظان^(٤) ، ٦٥
 وأبي عبيدة النحوي ؛ بل إلى دَغْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وابن لسان الحمرة^(٥) ،
 بل إلى صحار العبدى . وإلى أبي السَّطَّاحِ اللَّخْمِي^(٦) ، بل إلى النَّخَّارِ

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لا تبدي » وأثبت رواية ل
 والحامسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب في ل
 والحامسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت - وكان جديراً بالملاحظ أن يثبت ؛ لأنه يتم المعنى - :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

(٤) في الأصل : « ابن أبي اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبي لليقظان
 في الجزء الثاني ص ١٠ .

(٥) سبق ترجمته في (٢ : ٢٠٠) ، وترجمة صحار في (١ : ٩٠) .

(٦) وكذا في البيان (١ : ٣٦٢) وفي بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح » ، وفي الفهرست
 ١٥٦ : « ابن النطاح » ، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العذري^(١) ، وصُبح^(٢) الطائي ، بل إلى مشجور^(٣) بن غيلان الضبي ، وإلى سَطِيح الذئبي ، بل ابن شريعة الجرهمي^(٥) ، وإلى زيد بن السكيس النمرى ، وإلى كل نسابة راوية ، وكل متفنن علامة .

ووصف الهذيل المازني ، مثنى بن زهير وحفظه لأنساب الحمام ، فقال : والله لو أنسب من سعيد بن المسيب ، وقتادة بن دعامه^(٦) للناس ، بل هو أنسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل

(١) النخار العذري ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب « العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ في البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم في الحملات ، وفي الصفح والاحتال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حى فنخر » . وفي البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلمظ معاوية معه في البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفي البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « ميحور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١) . وفيه يقول الفلاح بن حزن المنقري :

إذا قال بلذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالحنق

ولجبر فيه هجاء . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبي ، قال ابن إسحق في السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلي ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قتلتهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا حالته — زعوا — فاتفقا في تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدهما في أوائل السيرة . ط ، س : « الدليل » ، وهو تحريف صوابه في السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر في المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية — ويقال سارية — الجرهمي ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبي سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده في معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليبسك ١٣٢ مصر . وشريعة ، بوزن عطية ، كما في الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعامه السدوسي البصري ينتهى نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أُعرفَ بالأَمْهَاتِ الْمُتَجِبَاتِ مِنْ سُحَيْمِ بْنِ حَفْصٍ ^(١) ، وأُعرفَ بِمَا دَخَلَهَا مِنْ الْمُجَنَّةِ وَالْإِقْرَافِ ، مِنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ .

(مِمَّا أَشْبَهَ فِيهِ الْحَمَامُ النَّاسَ)

قال : وَمِمَّا أَشْبَهَ فِيهِ الْحَمَامُ النَّاسَ فِي الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ وَرَقَّةِ الطَّبَاعِ ، وَسُرْعَةِ الْقَبُولِ وَالْإِنْقِلَابِ ^(٢) ، أَتَىكَ إِذَا كُنْتَ صَاحِبَ فِرَاسَةٍ ، فَمَرَّ بِكَ رَجَالٌ بَعْضُهُمْ كُوفِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ بَصْرِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ مَدَنِيٌّ ^(٣) ، وَبَعْضُهُمْ شَامِيٌّ وَبَعْضُهُمْ يَمَانِيٌّ ، لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ أُمُورُهُمْ فِي الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ وَالْقُلُودِ وَالنَّعْمِ أَيْهِمْ ^(٤) بَصْرِيٌّ ، وَأَيْهِمْ كُوفِيٌّ ، وَأَيْهِمْ شَامِيٌّ ، وَأَيْهِمْ يَمَانِيٌّ ، وَأَيْهِمْ مَدَنِيٌّ . وَكَذَلِكَ الْحَمَامُ ؛ لَا ^(٥) تَرَى صَاحِبَ حَمَامٍ تَخْفَى عَلَيْهِ نَسَبُ الْحَمَامِ ^(٦) وَجَنَسُهَا وَبِلَادُهَا إِذَا رَأَاهَا .

= أَعْمَى ، وَكَانَ تَابِعِيَا عَالِمَا كَبِيرَا نَسَابَةٍ ، وَكَانَ ذَا عِلْمٍ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ ، أَخَذَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَابْنِ سِيرِينَ . وَقَدْ أَثَرَتْ عَنْهُ النِّسْيَانُ : قَالَ يَوْمًا : مَا نَسِيتُ شَيْئًا قَطُّ ! ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ نَاوِلْنِي نَعْلِي . فَقَالَ : نَعْلُكَ فِي رَجْلَيْكَ !! وَلَدَ سَنَةِ ٦٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١١٧ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَفِيَا تِ الْأَعْيَانِ ، وَمَعْجَمِ الْأَدْيَاءِ ، وَالْمَعَارِفِ .

(١) هُوَ أَبُو الْيَقْظَانَ الَّذِي سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « لِلْإِنْقَابِ » .

(٣) كَذَا فِي ط ، س وَهُوَ الْوَجْهَ . جَاءَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ : « وَالْمَشْهُورُ عِنْدَنَا أَنَّ النِّسْبَةَ إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ، مَدَنِيٌّ ، مُطْلَقًا . وَإِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْمَدَنِ ، مَدَنِيٌّ ؛ لِتَفَرُّقِ لَا لَعَلَّةٍ أُخْرَى . وَرَبَّمَا رَدَّهُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْأَصْلِ فَنَسَبَ إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ أَيْضًا مَدَنِيٌّ » . وَفِي ل : « مَدَنِيٌّ » .

(٤) ط ، س : « أَنَّهُ » مَكَانُ « أَيْهِمْ » فِي مَوَاضِعِهَا الْخَمْسَةِ .

(٥) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط ، س : « أَلَا » .

(٦) ط ، س ، « جَاعَتَهُ » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخر ، أنَّ الحمام الواحد يباعُ بخمسة دینار ، ولا يبلغ (١) ذلك بازٍ ولا شاهين ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تدرجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردنا أن نحقق الخبرَ بأنَّ برذونا أو فرساً يبيع بخمسة دینار ، لما قدرنا عليه إلا في حديث السمر (٢) .

وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ، ثم دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية يبيع الفرخ الذكر من فراخه بعشرين دیناراً أو أكثر ، ويبعث الأنثى بعشرة دنانير أو أكثر ، ويبعث البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزوج منهما [في الغلة] مقام ضيعة ، وحتى (٣) ينهض بمؤنة العيال ، ويقضى الدين ، وتبنى من غلاته وأثمان رقابه الدور الجياد (٤) ، وتبتاع الحوانيت المغلة . هذا ، وهي في ذلك الوقت ملهى عجيب ، ومنظر أنيق ، ومعتبر لمن فكر ، ودليل لمن نظر (٥) .

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « الجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست مما

يبني . وضوايه في ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَرَ ورأى قَصُورَهَا ^(١) المبنية لها بالشَّامات ^(٢) وكيف
اختزان ^(٣) تلك الغلات ، وحَفِظَ ^(٤) تلك المِثُونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام ،
وأصحابَ الهدى ^(٥) وما يحتملون فيها من الكُلف الغلاظِ أَيَّامَ الزَّجَلِ ،
في حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك في بُطون السفن ، وكيف تُفَرَّدُ ٦٦
في البيوت ، وتُجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتُفَرَّقُ إذا كانت التَّفْرِقَةُ أمثل ^(٦)
وكيف تُنْقَلُ ^(٧) الإناثُ عن ذُكُورِها ، وكيف تنقَلُ الذُّكُورَةُ عن
إناثها [إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوى ^(٨) إذا تقاربت أنسابُها ،
وكيف يُخافُ على أعراقِها من دخول الخارجياتِ فيها ، وكيف يحتاط ^(٩)
في صحَّةِ طَرَقِها ونَجْلِها ^(١٠) ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ ^(١١) أَنْ يَقْمُطَ الأنثى ذَكَرٌ من

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن في جبل اللكام قرب

أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .

(٢) الشامات هي بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة

وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ،

س : « بالسامان » محرف .

(٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٤) ل : « وخفة » تحريف .

(٥) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) في التنبيه الثالث .

(٦) هذه الجملة ليست في ل .

(٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه في ل .

(٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يَحْتال » .

(٩) ط ، س : « يَحْتال » .

(١٠) النجل : النسل وزنا وهي .

(١١) في الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ فِي النَّجْلِ بنصيبٍ ، فتعتريه الهُجْنَةُ - والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرَقِهَا ^(١) . وهم لا يحوطون أرحام نساءهم كما يحوطون أرحامَ المنجيات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلِها من الغاية ، والذين يَعْلَمُونَ ^(٢) الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيفَ يَتَخَيَّرُونَ الثَّقةَ وموضعَ ^(٣) الصَّدْقِ والأمانةِ ، والبُعْدِ من الكَذِبِ والرَّشوةِ ، وكيفَ يَتَوَخَّوْنَ ذَا التَّجَرُّبَةِ والمعرفةَ اللَّطيفةَ ، وكيفَ تسخو أنفُسُهُمُ بالجماعة ^(٤) الرَّفِيعَةِ ، وكيفَ يختارون لحملها من رجال الأمانةِ والجلَدِ والشفقةِ والبَصَرَ وحُسْنَ المعرفةِ - لَعَلَّ عند ذلك ^(٥) صاحب الدِّيكِ والكلبِ أنهما لا يجريان في هذه الحلبةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلةَ ^(٦) .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات الحِفْظِ والذِّكْرِ ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ما ليس لشيء]

(١) طَرَقِها : أى طارِقها ، وهو فحل الأُنثى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه في س .

(٣) ط ، س : « في موضع » ، ووجه ما أثبت من ل .

(٤) الجماعة ، مثلية : ما جعل للإنسان في مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ في ص ٢١٣ . ط ، س :

« ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية » ، بمعنى الحكم .

وكفالك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يحىء من برغمة^(١) ،
لا بل من العليق ، أو من خرشنة^(٢) [أ] و من الصفصاف^(٣) ، لا بل
من البغراس^(٤) ، ومن لؤلؤة^(٥) .

ثم الدليل على أنه يستدلُّ بالعقل والمعرفة ، والفكرة^(٦) والعناية ،
أنه إنما يحىء من الغاية على تدريج وتدريب وتنزيل^(٧) . والدليل على علم
أربابه بأن تلك المقدمات قد نجحَ فيه ، وعلمَ في طباعه ، أنه إذا بلغ الرقّة
غمزوا به بكرة^(٨) إلى الدرب وما فوق الدرب من بلاد الروم ، بل
لا يجعلون ذلك تغميراً^(٩) ؛ لمكان المقدمات والترتيبات التي قد عملت فيه
وحذقته ومرنته .

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٣١) .
وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغيث معجمة مفتوحة وميم مفتوحة .
ط ، س : « ركة » ل : « رمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .
(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفي ط ، س :
« حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية
وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم ما يمر عنه اليوم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة في لطف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين
أنطاكية أربعة فراسخ . وفي الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت
من المعجم والقاموس . وهذه الكامة وكلمة « من » بعدها ساقطتان من ل .
(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « عن التدريج والتدريب والتنزيل » وفي س مثل
ما في ط مع إبدال كلمة : « والتدريب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمزوا به : دفموا به . في ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف
صوابه في ل .

(٩) ط ، س : « تغميزاً » ، وهو تصحيف ما في ل .

ولو كان الحمام مما يُرسل بالليل^(١) ، لكان مما يستدلُّ بالنجوم ؛
لأننا رأيناه يلزم بطنَ الفُرات ، أو بطنَ دجلة ، أو بطنَ الأودية التي قد مرَّ
بها ، وهو يرى ويُبصرُ ويفهمُ انحدارَ الماء ، ويعلمُ بعدَ طولِ الجولانِ
[و]^(٢) بعدَ^(٣) الزَّجال ، إذا هو أشرف على الفُرات أو دجلة ، أن طريقَه
وطريقَ الماء واحد ، وأنه ينبغي أن ينحدر معه .

وما أكثرَ ما يستدلُّ بالجَوَادِّ^(٤) من الطُّرُق إذا أعيته بطونُ الأودية .
فإذا لم يَدِرْ أمْصَعِدْ هو أمْ مُنْحَدِرٌ ، تَعَرَّفَ ذلك بالريح ، ومواضع^(٥) قُرُصِ
الشمس في السماء . وإنما يحتاج إلى ذلك كله إذا لم يكن وقعَ بعدَ على رسمٍ يعملُ
عليه^(٦) . فربما كَرَّ^(٧) حين يزجل به^(٨) [يميناً و] شمالاً ، وجنوباً وشمالاً ،
وصباً ودُبُوراً — الفَرَسِخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة .

(١) ل : « بالليل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٣) كذا في ل ، ط . وفي س : « بقدر » .

(٤) الجواد : جمع جادة ، وهي معظم الطريق . وفي ط ، س : « بالجو-
أو » ، تحريف .

(٥) كذا في ل ونثار الأزهار . وفي ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفي الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت
من نثار الأزهار .

(٧) كَرَّ : عطف ، أي مال في سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغمر والمجرب من الحمام)

وفي الحمام الغمر والمجرب . وهم لا يُخاطرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغمر عريقاً^(١) فصاحبه يضمن به ، فهو يريد أن يدرّبه ويمرّنه^(٢) ثم يكلفه بعد الشيء الذي اتّخذه له ، وبسببه^(٣) أصطنعه [واتّخذه] . وإمّا أن يكون الغمر مجهولاً ، فهو لا يتعنى^(٤) ويُشقى نفسه ، ويتوقع^(٥) الهداية من الأغمار الجاهيل .

وخصلة أخرى : أن المجهول إذا رجّع مع الهدى^(٦) المعروفات ، فحمله معها إلى الغاية^(٧) فجاء سابقاً ، لم يكن له كبير ثمن حتى تتلاحق به^(٨) الأولاد . فإن أُنجبَ فيهنّ صار أباً^(٩) مذكوراً ، وصار نسباً^(١٠) يرجع إليه ، وزاد ذلك في ثمنه .

(١) العريف : المعروف ، وبه سمى عريف القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقاً » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدرّبه أو يمرّنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتّخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبق » تحريف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من

الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح

فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ما أثبت

من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبداً » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيباً » .

فأما المجرب غير الغمر ، فهو الذى قد عرفه الورود والتحصب^(١) ؛
لأنه متى لم يقدر على أن ينقض حتى يشرب الماء من بطون الأودية^(٢)
والأنهار والغدران ، ومناقع^(٣) المياه ، ولم يتحصب^(٤) بطلب
بزور البرارى ، وجاع وعطش - التمس مواضع الناس . وإذا
مر بالقرى والعمران^(٥) سقط ، وإذا سقط أخذ بالبائس^(٦)

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفى ط ، س « بالورود » ولا يصح ؛ لأن
« عرف » لاتعنى بالباء ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه يزيد ، أى سماه
يزيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء المهملة :
خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن
المدن حتى لا يقع فى أيدي الناس . ط : « والتحصب » ، س : « والتخضب »
وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوساط الأودية » . وفى ل : « من
أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س :
« مواقع » ، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخضب » س : « يتخضب »
محرفتان هما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « العمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى السكرملى ، بما يأتى :

« البايكر » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياه مثناة ساكنة ، فكاف فارسية
مثناة مكسورة ، فياه مثناة تحتية ساكنة فراه - : كلمة فارسية مركبة من : باى
وهو نوع من الطير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine
وبالإلمية باوا . ومن « كير » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : جالب البوهة
ويراد بذلك مصيدة تحبك بالخيال عيوننا كعيون شبكة صيد السمك ، وتجعل على
شكل سلة كبيرة تقلب على فها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصلى ،
وباب داخلى ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصلى ، يراه كل ناظر إليه . أما
الداخلى فيكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر
الداخلى إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى =

وبالْقَفَّاعَة (١) وبِالْمُقَفِّ (٢) وبالتَّدْبِيقِ (٣) وبِالدُّشَاخِ (٤) ، ورمى أيضا بالجَلاهِقِ (٥) ، وبغير (٦) ذلك من أسباب الصيد .

والحمام طائرٌ مُلقًى غير مُوقًى (٧) ، وأعداؤه كثير ، وسباعُ الطَّير تَطْلُبُه أشدَّ الطَّلَب . وقد يترفع مع الشَّاهين (٨) ، وهو للشاهين أخوف . فالحمام

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر في أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولج ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذي يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لا يهتدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محاولا التخلص من مأزقه . ووضعت البوهة لتكون ملوفا لسائر الطير ، فإن هذا الملوفا يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنتذه من ورطته ، أو لترافقه في أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئا من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يخرج المصيد » اهـ .

(١) القفاعة كرمانة : شيء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصا . يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : « باللقف » .

(٣) التدبيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الدشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل معناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ما تكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، في دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرمل . قلت : وهذه الكلمة هى في ط ، س : « وبالفخ » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهاق : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسي معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهاق » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عنتا من الناس والطير . وغير موق : غير مصون من الأذى . ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيرا سريعا .

أَطِيرُ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، وَلَكِنَّهُ يُذْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ
وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَجَارَ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَأَاهُ ^(١) ، وَالشَّاةُ إِذَا رَأَتْ الذَّنْبَ ،
وَالْفَارَةَ إِذَا رَأَتْ السَّنَّورَ .

(سرعة طيران الحمام)

وَالْحَمَامُ أَشَدُّ طَيْرَانًا مِنْ [جَمِيعِ] سَبَاعِ الطَّيْرِ ، إِلَّا فِي انْقِضَاضِ
وَانْحِدَارِ ^(٢) ؛ فَإِنَّ تِلْكَ تَنْحَطُّ أَنْحِطَاطَ الصَّخُورِ . [وَ] ^(٣) مَتَى التَّقَتْ أُمَّةٌ ^(٤)
مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، أَوْ جُفَالَةٌ ^(٥) مِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ ، أَوْ طِرْنٌ عَلَى عَرَقَةٍ ^(٦) وَخَبِيطٌ
مَمْدُودٌ ، فَكُلُّهَا يَعْتَرِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّقْصِيرُ عَمَّا ^(٧) مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، إِذَا طَارَتْ ^(٨)
فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ .

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا في الانقضااض والانكدار » . والانكدار بمعنى الانقضااض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما في اللسان . ل : « رامة » س : « وأمه » ط :

« وأمه » ، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفي ط ، س : « حفالة » بالخاء المهملة ،

وهي بمعنى الخشالة : الردى من كل شيء . وليس مرادا هنا ، فهي مصحفة عما في ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفي ط ،

س : « غرقة » ولا تصح . و « طرن » محرفة في الأصل فهي في ط ، س : « طرف »

وفي ل : « كن » ، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند » ، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثُرْنَ من الحمام ؛ فإنَّهُنَّ كلما التفتن وضاق موضعهنَّ كان أشدَّ لطيرانهنَّ . وقد ذكر ذلك النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ في قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَى إِذْ نَظَرَتْ

إلى حمامٍ شراعٍ واردٍ الثَّمَدِ^(١)

يُخَفُّه جَانِبَا نَيْقٍ وَيَتَّبِعُهُ

مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُسْكَحَلْ مِنَ الرَّمَدِ^(٢)

قالت : أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَامَتَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ^(٣)

فَحَسَبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ تِسْعَاوَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ^(٤)

فَكَمَلَتْ مَائَةً فِيهَا حَامَتُهَا وَأُسْرَعَتْ حَسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ^(٥) ٦٨

(١) احكم : كن حكيماً . وأراد فتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شراع » هى رواية الأصمعى كما فى الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشراع : التى شرعت فى الماء . والرواية المعروفة : « سراع » بالمهمله ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالاولى يكون التكرار ؛ إذ الشراع هنَّ الواردات . والثمد : الماء الثقيل . والحمام وما أشبهه من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتياع كما فى الخزانة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة : « مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد به « مثل الزجاجاة » عيني الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجاة . و « لم تسكحل من الرمَد » أى لم ترمد فتكحل ، كقواه :

* على لاحب لايمتلى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » .

وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبه : عدَّوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَدِيحُ الحاسبِ وسرعةَ إصابته ، شَدَّدَ الأمرَ وضيقه عليه ؛ ليكونَ أحمدَ له إذا أصاب ؛ فجعلهُ حَزَرَ^(١) طيراً ، والطيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرعُ الطيرِ ، وأكثرُها اجتهداً في السرعةِ^(٢) إذا كثُرَ عددُهم ؛ وذلكَ أنَّه يشتدُّ^(٣) طيرانُهُ عندَ المسابقةِ والمنافسةِ . وقال : يحفُّه جانبا نيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمامَ إذا كان في مضيقٍ من الهواءِ كان أمرَعَ منه إذا اتسعَ عليه الفضاءُ .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرِّبُ ويمرِّنُ ويُنزِلُ في الزُّجَّالِ ، والغايةُ يومئذٍ واسط^(٤) . فكيف يصنَعُ اليومَ بتعريفه الطَّرِيقَ وتعريفه الورودَ والتحصُّب^(٥) ، مع بُعد الغاية ؟ !^(٦) .

(١) الحزر ، بالزاي الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فيبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخاً . وبداها في ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التخصب » ل ،

س : « التخضب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزَّجَل من الحَمَام)

والبغداديون يختارون للزَّجَال من الغايةِ الإناث ، والبصريُّون يختارون الذُّكور . فحجَّةُ البغداديين أن الذَّكر إذا سافر وبعُدَ عهده بقمطِ الإناث ، وتاقَتْ نفسه إلى السَّفاد ، ورأى أنشاه في طريقه ^(١) ، ترك الطَّلَبَ إن كان بعُدَ في الجولان ؛ أو ترك السَّيرَ إن كان وقع على القَصْد ، ومالَ إلى الأنثى وفي ذلك الفسادُ ^(٢) كلُّه .

وقال البصريُّ : الذُّكْرُ أحنُّ إلى بيته لمكان أنشاه ، وهو أشدُّ متناً وأقوى بدنًا ، وهو أحسنُّ اهتداء . فنحنُ لا ندعُ تقديمَ الشيء القائم إلى معنى قد يعرضُ وقد لا يعرضُ .

(نصيحة شدفويه في تربية الحَمَام)

وسمعتُ شدفويه السَّائِحِي ^(٣) من نحو خمسين سنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار ^(٤) : اجعل كعبةَ حمامك في صَحْنٍ دارك ، فإنَّ الحَمَامَ إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل إلى معلاته إلا بجمع النَّفْسِ والجناحين ، وبالنهوضِ ومكابدةِ الصُّعُودِ — اشتدَّ مثنه ، وقوى

(١) ل : « في طريقه وبجيبه » .

(٢) ط فقط : « السَّفاد » محرف .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « مرفوحة السَّائِحِي » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أبي العمان » .

جناحه ولحمه . ومتى أراد بيته فاحتاج ^(١) إلى أن ينتكس ويحيى منقضا -
كان أقوى على الارتفاع في الهواء بعد أن يروى ^(٢) . وقد تعلمون أن
الباطنيين أشد [متنا] من الظاهريين ^(٣) ، وأن النقرس لا يصيب الباطني
في رجله ^(٤) ليس ذلك إلا لأنه يصعد إلى العلالي ^(٥) فوق السكناديج ^(٦)
درجة بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درّبت الحمام [على] ^(٧) هذا الترتيب
كان أصوب . ولا يعجبني تدريب العاتق وما فوق العاتق ^(٨) إلا من الأماكن
القريبة ؛ لأن العاتق كالفتاة العاتق ، وكالصبي الغرير ، فهو لا يعده ضعف
البدن ، وقلة المعرفة ، وسوء الإلف . ولا يعجبني أن تتركوا الحمام حتى

(١) ط : « فاحتاج » ، تحريف ما في س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هي في ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد »

ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » في ل . وإن كان وجهه

في العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » ، إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام

« شذويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجعله جمع العاقلين .

وفي ط : س : « الباطنيين » و « الظاهريين » وهو لا جرم تحريف .

والباطني : نسبة إلى الباطن ، وهو الذي تكون تربته في باطن بيت مكنون قد مهدت

له في داخله كناديج : أي درجات يصعد عليها إلى قمروصه . والظاهري : نسبة إلى

الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قمروصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران

لأبالصعود التدريجي كما يصنع الباطني .

(٤) ل : « لا يصيب الباطني في رجله » .

(٥) العلالي : جمع عليّة ، بالضم والكسر ، وهي الغرفة .

(٦) السكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهي خشبة عظيمة يستخدمها

الباني في بناء الجدران والطيّقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت :

« الكندجة » في القاموس بفتح الكاف والذال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات

التي يصعد عليها الحمام . وفي ط : « السكناويج » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرغه ما لم يستحكم . ل : « المتق » في الموضعين .

إذا صار في عدد المسانِّ واكتهل ، ولَدَّ البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوَّةِ شبابه ، حملتموه على الزَّجَلِ ، وعلى التَّمْرينِ ، ثُمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لَا ، ولكنَّ التَّدريبَ مع الشباب ، وانتهاء الحِدَّةِ^(١) ، وكمال القوَّةِ ، ٦٩
من قبل أن تأخذ القوَّةُ في التَّقْصانِ . فهو يلقنُ بقربه من الحداثة^(٢) ،
ويُعرِّفُ بخروجه من حدِّ الحداثة^(٣) . فابتدئوا به التَّعلِيمَ والتَّمْرينَ في هذه
المنزلة الوسطى .

(الوقت الملائم لتدريب فراخ الحمام)

وَهُمْ إذا أرادوا أن يَمْرِنُوا^(٤) الفِراخَ أخرجوها وهي جائعة ، حتى إذا
ألقوا إليها الحبَّ أسرعَّت النزول . ولا تُخْرَحُ والريِّحُ عاصف ، فتخرج قبل
المغربِ وانتصافِ النهار . وحذِّقْهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنَّ
الذكورة يعثرها الذَّشاطُ والطَّيرانُ والتَّبَاعُدُ ومجاورة القبيلة . فإن طارت
الفِراخُ معها سقطتْ على دُورِ الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ
وعنايةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلَةٍ ؛ لأنَّ الذي يُراد منها إذا احتيج^(٥) إليه بعد هذه
المقدمات كان أيضاً من العَجَبِ العجيب .

(١) س : « مع انتهاء الحدة والشباب » .

(٢) كذا في ل : وفي ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جنن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار الحمام)

وحدَّثني بعض من أُنقُ به أنَّ يعقوبَ بن داود ، قال لبعض من دَخَلَ عليه - وقد ذهب عني اسمُه ونسيتهُ ، بعد أن كُنْتُ عرفتُه - : أَمَا تَرَى كيف أَخْلَفَ ظَنُّنا وأَخْطَأَ رَأْيُنَا ، حتَّى عَمَّ ذلك ولم يَخْصَّ ؟ ! أَمَا كَانَ في جميع من اصْطَنَعْنَاهُ واختَرْنَاهُ ، وتفرَّسْنَا فيه الخِير وأردنَاهُ ^(١) بِهِ - واحداً ^(٢) تكفينا معرفته ^(٣) [مؤنَّة] الاحتجاج عنه ، حتَّى صرْتُ لَا أَقْرَعُ ^(٤) إِلَّا بِهِمْ ، وَلَا أَعَابُ ^(٥) إِلَّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إنَّ الحمام يُخْتَارُ من جهة النَّسَب ، ومن جهة الخِلْقَةِ ، ثمَّ لَا يَرْضَى له أربابُه بذلك حتَّى ترتبُه وتنزله وتدرَّجُه ^(٦) ، ثمَّ تُحْمَلُ الجماعةُ منه ^(٧) بعد ذلك التَّرتيب والتَّدرِيب إلى الغاية ، فيذهب الشُّطْرُ ويرجع الشُّطْرُ ، أو شبيهُ بذلك أو قَرِيبٌ ^(٨) من ذلك . وأنتَ عَمَدْتَ إلى حمامٍ لم تَنْظُرْ في أنْسَابِهَا ولم تَتَأَمَّلْ مَخِيلَةَ الخِيرِ في خَلْقِهَا ^(٩) ثمَّ لم تَرْضَ حتَّى ضَرَبْتَ بِهَا بِكَرَّةٍ ^(١٠) واحداً

(١) ط ، س ، « أردناه » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرفته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفها .

(٤) كذا في ل ، س . وهو الصواب . وفي ط : « أفزع » .

(٥) ط ، س : « أداب » محرف .

(٦) كذا في ط ، س ، وفي ل : « حتَّى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيها » و « قريبا » والوجه الرفع كما في ل .

(٩) الخيلة : موضع الظن ، فهي كالملظة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة

موضع الخير » وفيها أيضاً : « في خلقها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما في ل .

إلى الغاية^(١) ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ^(٢) ألا يرجع إليك واحدٌ منها ، وإنما كان العَجَبُ في الرجوع ، فأما في الضلال فليس [في] ذلك عَجَبٌ^(٣) . وعلى أنه لو رجع منها^(٤) واحدٌ أو أكثرُ من الواحدِ لكان خطؤك موقراً عليك ، ولم ينتقصه خطأٌ من أخطأ ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجرى طائراً من الغاية على غير [عِرْقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحمام الإلف والأنس والنزاع والمشوق . وذلك يدلُّ على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يُحفظ ، وصون ما ينبغي أن يَصان وإنه نُحِلِّقُ صدق^(٥) في بني آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق^(٦) في بعض الطير .

وقد قالوا : عمر الله البلدان بحبِّ الأوطان^(٧) .

٧٠

قال ابن الزبير : ليس النَّاسُ بشيءٍ من أقسامهم^(٨) أفنَعَ منهم بأوطانهم !

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « نحبي صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « شيء » تحريف . ط ، س : « في أقسامهم » ، ووجه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طوائف النَّاسِ في حبِّ الأوطان ، فقال : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ^(١) ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^(٢) ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنْتُ فيهم كمْطُورٍ ببلدتهِ فسرَّ أنَّ جَمَعَ الأوطانِ والمطرَا ^(٣)
فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ مَوْضِعٍ فيجىءُ ؛ ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق مَوْضِعٍ
وإلى رخام ^(٤) ونَقان ^(٥) فيرسل من أبعد من ذلك فيجىءُ . [ثم يصنع به مثلاً
ذلك المزار الكثرية ، ويزاد في الفراسخ] ، ثم يسكون جزاؤه ^(٦) أن يغمر
به ^(٧) [من] ^(٨) الرِّقَّة إلى لؤلؤة ^(٩) فيجىءُ . ويُسترقُّ من منزل

(١) هذا القول حكاية عن بني إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم - وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميراً يتولى قيادتهم في حرب العمالة وكان العمالة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبي قال لهم : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقفاً عنهم عن القتال - فأجابوه بما في هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكري في ديوان المعاني (٢ : ١٨٧) تعقيبا على هذه الآية : « ففعل

خروجهم من ديارهم كفء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده في الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعاني ٢ : ١٩٠) :

كمطور ببلدته فأضخى غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم مَوْضِعٍ ، ولم أحقه . وفي ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل في بلاد أرمينية . وفي ط ، س :

« قفار » : وفي ل : « تفاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « الحرارة » ! وفي س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به . س : « يغمر » تصحيف .

(٨) التكلة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه^(١) فيقصُّ ، ويَغْبُرُ هناك حولاً وأكثرَ من الحول ، فحينَ يَنْبِتَ جناحُه يحنُّ إلى ألفه وَيَنْزِعُ إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثَّانِي أنفعَ له ، وأنعمَ لباله . فِيَهَبُ فَضْلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذي لو أصاب في غير بلاده الرِّيفَ لم يَقَعْ ذلك في قلبه ، وهو يعالجهم^(٢) على أن يُعْطَى عَشْرَ ما هو فيه^(٣) في وطنه .

ثمَّ ربَّما باعه صاحبه ، فإذا وجد مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى ربَّما فَعَلَ ذلك مراراً . وربَّما طار دَهْرُهُ وجالَ في البلادِ ، وألفَ الطَّيْرانَ والتَّقْلُبَ في الهواء ، والتَّنَظَّرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه^(٤) فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه في دريماس^(٥) ، فينبِتَ جناحُه ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّرُ له . نَعَمْ ، حتَّى ربَّما جَدَفَ^(٦) وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليه ، وإمَّا بلغَ عذراً .

(١) يَسْتَرْقُ : من الاستراق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفي ل : « يصالحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له في الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : السكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه

الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س : « جد » ، وفي ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولكنه لا يُبْعِد ، لأنه إذا كان مقصوصاً من شقٍّ واحدٍ اختلفَ خلقه ، ولم يَعتَدِلْ وزنه ، وصارَ أحدهما هوائياً والآخر أرضياً . فإذا قصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوصاً فقد بلغَ بذلك التعديلَ من جناحيه^(١) أكثرَ مما كانَ يبلغُ [بهما] إذا كانَ أحدهما [وافياً] والآخرُ مبتوراً^(٢) .

فالكلبُ الذى تدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد ، لا يبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّبِكِ الذى لا يفخرُ^(٣) للدِّبِكِ بشيءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف ، أحقُّ بالألَّا يعرِضَ فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسانُ شديدَ الخُصْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدُوَّ كانَ خطؤه أقصر ، وكانَ عن ذلك القَصْدِ والسَّنَنِ أَذْهَبَ ، وكانت غايَةُ مجهوده أقربَ^(٤) .

(١) فى الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قصَّ أحدهما وترك الآخرَ وافياً » .

(٣) أى لا يجد شيئاً من وفاء الدِّبِكِ يستطيع أن يفخر به .

(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبرني كم شئت^(١) ، أن نباتة الأقطع [وكان] من أشداء الفتيان^(٢) وكانت يده قطعت^(٣) من دوين المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه ، فإن أصاب الضريبة ثبتت ، ٧١ وإن أخطأ سقط لوجهه ؛ إذ لم يكن جناحه^(٤) [الأيسر] يمسكه ويثقله حتى يعتدل بدنه .

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أن الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة ، وإذا كانت ثلاثة

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق في ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤

وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) في الأصل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث

الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعت » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أي يده ، أو عضده أو إبطه .

كان^(١) صاحبُ الثلاثةِ كالجاذفِ^(٢) من الطَّير ، الذى أحدُ جناحيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّير أن لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَلْقُهُ وصارَ بَعْضُهُ يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدي والأرجلَ فى جميع الحيوان لا تسكونُ إلَّا أزواجاً . فلو جعلتمُ لِكُلِّ واحدٍ مِنْهُم مائةَ جناحٍ لم تُشْكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم تنجوَّزَه . قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن ، ورأينا ماله قرنانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعْبٌ فى مقاديم القرون^(٣) ، ورأينا بعضها بُجَّاءً ولأخواتها قرون ، ورأينا منها مالا يقال لها جُمَّ لأنَّها ليست لها شكلُ ذوات القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةَ^(٤) قرونٍ نابتةٍ فى عظم الرأسِ أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرونًا جوفاً فيها قرون ، ورأينا قرونًا لاقرون فيها ، ورأيناها مُصمَّمةً ، ورأينا بعضها ينصلُّ قرْنُهُ فى كلِّ سنة ، كما تسَلَخُ الحيةُ جلدها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرون الأيائل . وقد زعموا أنَّ للحِمار الهنْدِيَّ^(٥) قرنا واحداً .

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجاذف : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالجاذق » وفى ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهنْدِي هو الكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهنْدِي هو أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهنْدِي » .

وقد رأينا طائراً شديداً الطيران بلا ريشٍ كأنه خفاش ، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافي الجناح ، ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرّزور . ونحن نؤمن بأن جعفر الطيّار ابن أبي طالب ، له جناحان يطير بهما في الجنان ، جُعلا له عوضاً من يديه اللتين قطعنا على لواء المسلمين في يوم مؤتة ^(١) . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم - وهو سهلٌ جائزٌ شائعٌ مفهوم ، ومعقولٌ قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه ألا يطير ^(٢) إلا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوضع ، وركّب غير هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق ^(٣) تلك الطبيعة . ولو كان الوطواط في وضع أخلاطه ^(٤) وأعضائه وامتزاجاته ^(٥) كسائر الطير ، لما طار ^(٦) بلا ريش .

(١) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضاً يلقب بذي الهجوتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ٦١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ - ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وضع في أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البحريون أنهم يعرفون^(١) طائرًا لم يسقط قط ، وإنما يكون سقوطه من لدن خروجه من بيضه [إلى] أن يتم^(٢) قصب ريشه ، ثم يطير ٧٢ فليس له رزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض ؛ إلا أنه قصير العمر سريع الانحطام .

(بقية الحديث في أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزج^(٣) الطائر ويُعجن غير عجنه الأول^(٤) [فيعيش ضعف ذلك العمر] . وقد يجوز أيضاً أن يكون موضع الجناح الثالث بين^(٥) الجناحين ، فيكون الثالث للثاني كالثاني للأول ، وتكون كل واحدة من ريشة عاملة في التي تليها من ذلك الجسم^(٦) ، فتستوى في القوى وفي الحصص .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذي حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزويني في عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « يمرح » . وفي س : « يموج » ، بحرفتان .

(٤) س : « غير عجنه الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « للبدن » .

ولعلَّ الجناح الذى أنكره الملحدُ الضَّيِّقُ العَظَنُ ^(١) أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلبِ ^(٢) .

ولعلَّ ذلكَ الجناحَ أن تكونَ الريشةُ الأولى منه معينةً للجناحِ الأيمنِ والثانيةُ معينةً للجناحِ الأيسرِ . وهذا مما لا يضيِّقُ عنه الوهمُ ، ولا يعجزُ عنه الجوازُ ^(٣) .

فإذا كانَ ذلكَ ممكناً ^(٤) فى معرفة العبدِ بما أعاره الربُّ جلَّ وعزَّ ، كانَ ذلكَ فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثرَ من يضيِّقُ صدره لقلَّةِ علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلَّ ذى أربعٍ فإنَّه إذا مشى قدَّم إحدى يديه ، ولا ^(٥) يجوز أن يستعملَ اليَدَ الأخرى ويقدمها بعدَ الأولى حتَّى يستعملَ الرَّجْلَ المخالِفةَ لتلكَ اليدَ : إنَّ كانتَ اليَدُ المتقدِّمةُ اليمنى حرَّكَ الرَّجْلَ اليسرى ، وإذا حرَّكَ الرجلَ اليسرى لم يحركِ الرَّجْلَ اليمنى — وهى أقربُ إليها ^(٦) وأشبهُ بها — حتَّى يحركِ اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

(١) الضيق العطن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العطن مريض الإبل والغنم حول الماء . ط ، ل : « لضيق العطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و^(١)] في طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكِبَتْهُ في رجله ، وجميعَ ذواتِ الأربعِ فإنما رُكِبها في أيديها . وكلُّ شيءٍ ذي كفٍّ وبَنانٍ كالإنسان ، والقرد ، والأسدِ ، والضَّبِّ ، والدَّبِّ ، فكفُّه في يده . والطَّائِرُ كفُّه في رجله .

(استعمال الإنسان رجله فيما يعمل به في العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجله ما كان [يعمل^(٢)] بيديه ، وما أقف على شيءٍ من عمل الأيدي إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفْرِغَ رجله ما في دَسْتِجَه^(٣) نبيذ في قناني رِطْلِيَّاتٍ وَفُقَاعِيَّاتٍ^(٤) ، فراهنوه ، وأزعجني أمرٌ فتركتُه عند ثقاتٍ لا أشكُّ في خبرهم ، فزعموا أنَّه وَفَى وزاد . قلت :

(١) الزيادة من س .

(٢) التكلفة من ل ، س .

(٣) الدسْتِجَة : واحدة الدسْتِج ، وهي - كما في تاج العروس - : آنية تحول باليد وتنقل . فارسي معرب : « دسْتِ » . وأصل « دسْتِ » في الفارسية بمعنى اليد . انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطلِيَّات ، أي تسع للواحدة منها رطلا . والفُقَاعِيَّات : ضرب من القوارير صغار ، ولم أجد لها نصاً يفمرها .

قد عَرَفْتُ قَوْلَكُمْ « وَفِي » فَمَا مَعْنَى قَوْلِكُمْ « زَادَ » . قالوا : هو أَنَّهُ لو صَبَّ
من رَأْسِ الدَّسْتِيحَةِ حَوَالَى أَفْوَاهِ الْقَنَانِيِّ كَمَا يَعْجِزُ عَنْ ضَبْطِهِ جَمِيعُ أَصْحَابِ
الْكَمَالِ فِي الْجَوَارِحِ ، لَمَا أَنْكَرْنَا ذَلِكَ . وَلَقَدْ فَرَّغَ مَا فِيهَا فِي جَمِيعِ الْقَنَانِيِّ
فَمَا ضَبَّعَ أَوْقِيَّةً وَاحِدَةً .

(قِيَامُ بَعْضِ النَّاسِ بِعَمَلِ دَقِيقٍ فِي الظَّلَامِ)

وخبَّرَنِي الْحَزَامِيُّ^(١) عَنْ خَلِيلِ أَخِيهِ^(٢) ، أَنَّهُ مَتَى شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ
فِي بَيْتٍ لَيْلًا بِلَا مُصْبَاحٍ ، وَيَفْرَغَ [قُرْبَةً]^(٣) فِي قَنَانِيٍّ فَلَا يَصْبُغُ^(٤) إِسْتَارًا^(٥)
وَاحِدًا فَعَلَهُ .

و [لو] حَكَى لِي الْحَزَامِيُّ هَذَا الصَّنِيعَ عَنْ رَجُلٍ وُلِدَ أَعْمَى أَوْ عَمِيَ
فِي صَبَاهُ ، كَانَ يَعْجِبُنِي مِنْهُ أَقْلٌ . فَأَمَّا مَنْ تَعَوَّدَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَهُوَ
يَبْصُرُ فَمَا^(٥) أَشَدَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَهُوَ مَغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ . فَإِنْ كَانَ أَخُوهُ قَدْ
كَانَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا غَمَّضَ عَيْنَيْهِ فَهُوَ عِنْدِي عَجَبٌ . وَإِنْ كَانَ يَبْصُرُ
فِي الظُّلْمَةِ فَهُوَ قَدْ أَشْبَهَ فِي هَذَا الْوَجْهِ السَّنُورَ وَالْفَأْرَ ؛ فَإِنَّ هَذَا عِنْدِي عَجَبٌ

(١) هو أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَاسِبٍ ، كَانَ مُعَاوِرًا لِلْجَاوِزِ ، وَقَدْ أَفْرَدَ

لَهُ حَدِيثًا فِي الْبُخْلَةِ ٤٧ - ٥٤ . وَفِي ط ، س : « الْحَزَامِيُّ » وَفِي ل :

« الْحَزَامِيُّ » .

(٢) ل : « مُلِيكَ » .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ س . وَبَدَلَهَا فِي ل : « قَرَابَةً » مُحَرَّفَةً .

(٤) الْإِسْتَارُ : ثَلَاثَةُ أَخْصَاسِ الْأَوْقِيَةِ ؛ إِذَا الْأَوْقِيَةُ إِسْتَارَ وَثَلَاثَا إِسْتَارَ .

(٥) ل : « يَبْصُرُهُ » .

آخر ، وغرائب الدنيا كثيرة عند كل من كان كلفاً بتعارفها ، وكان له في العلم أصل ، وكان بينه وبين التبيين^(١) نسب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لا تجذبهم إلا في حالتين : [إما في حال]^(٢) إعراض عن التبيين وإهمال للنفس^(٣) ، وإما في حال^(٤) تكذيب وإنكار وتسرع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب ، والرغبة في الفوائد . ثم يرى بعضهم أن له بذلك التكذيب فضيلة^(٥) ، وأن ذلك باب من التوقي ، وجنس من استعظام الكذب ، وأنه لم يكن كذلك إلا من حاق الرغبة^(٦) في الصدق . وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول . والحق^(٧) الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحث عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقض واستحال ، والآخر ما امتنع في الطبيعة ، وخرج من طاقة الحلقة . فإذا خرج الخبر من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم^(٨) الجواز ، فالتدبير^(٩) في ذلك التثبت

(١) التبين : التفهم . وفي ط س : « التبيين » ، وتوجيه من ل . و « نسب »

هي في الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما في ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها في ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان :

« وبئس الشيء » . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحقُّ في ذلك هو ضالَّتكَ ، والصدِّق هو بُغيَتكَ ، كائناً ما كان ، وقَعَ منك بالموافقةِ ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أنَّ ثوابَ الحقِّ وثمرَةَ الصدِّق أجدى عليك من تلك الموافقةِ لم تقع^(١) على أن تعطى الثَّبتَ حقّه .

(تشبيه رماد الأثافي بالحمام)

قال : وهم يصفون الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة ، ويجعلون الأثافي أظناراً لها ، للانحناء الذي في أعلى تلك الأحجار ، ولأنها كانت معطّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمّة :

كأنَّ الحمامَ الورقَ في الدَّارِ جَثَمَتِ على خرقٍ بين الأثافي جَوَازِلُهُ^(٢)

شبهَ الرماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجثوم في الطير^(٣) مثل الرُّبوض في الغنم . وقال الشماخ :

وارثِ رمادٍ كالحمامةِ مائلٍ ونُويينٍ في مَظْلومَتَيْنِ كُدَاهِمَا^(٤)

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : « أجثم » مكان « جثمت » ، وهو تحريف صوابه في ل ، س والديوان ٤٦٥ . وروى في أمالي المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقمت » . قال المرتضى : « شبه الأثافي بالحمام الورق ، وجعلها ظنوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفراخ خرق قد سقط ريشه . والجوازِل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخيل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنوى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والسكدي : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية في ديوان الشماخ : « ونويان » . وقبل البيت :

أقامت على ربعيها جارتا صفا كيتا الأعلى جونتنا مصطلامها

وبعده :

أفاما الليل والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طلالها

وقال أبو حية :

[مِنْ الْعَرَصَاتِ غَيْرِ مَخْدُ نُؤْيٍ كِبَاقِي الْوَحْيِ خُطٌّ عَلَى إِمَامٍ ^(١)
وغيرِ خِوَالِدٍ لَوْحْنٍ حَتَّى بِهِنَّ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ] ^(٢)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطِرْنَ مَعَ الْحَمَامِ
وقال العرجي :

وَمَرِيضٌ أَفْرَاسٍ وَخِيْمٌ مُصْرَعٌ وَهَابٍ كَجُثْمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدٌ ^(٣)
وقال البعيث :

وَسُفْعٌ ثَوَيْنَ الْعَامَ وَالْعَامَ قَبْلَهُ وَسَحَقٌ رَمَادٍ كَالنَّصِيفِ مِنَ الْعَصَبِ ^(٤)

(بعض ما قيل من الشعر في نوح الحمام ، وفي بيوتها)

وقالوا في نوح الحمام ، قال جِرَان الْعُود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ كَأَنَّهُ صَوْتُ أَنْبَاطٍ مَثَاكِيلٍ ^(٥)

(١) الخد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب .
وفي القرآن الكريم : « يوم تدعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرهن النار . وعنى بالخوالد الأثافي لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن
ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود في البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب في القيط وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد
من الأخبية . وقيل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابي : الرقيق الدقيق المرتفع ،
وأراد به الرماد .

وقيل البيت كما في ديوان العرجي ١١٧ :

فؤادك أن يحتاج لما بدا له رسوم المغاني والأثافي الرواكذ

(٤) النصيف : ماله لوزنان . والعصب : ضرب من البرود العينية ، يعصب غزلها
أى يجمع ويشد ، ثم يصنع وينسج فيأتى موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض
لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا في ارتفاع مواضع بُيوتها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العرض أصبح بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصاً^(١)
وذا^(٢) شُرُفات يقصر الطرف دونه ترى للحمام الورق فيه قرامصاً^(٣)
وقال عمرو^(٤) بن الوليد :

فتبدلت من مساكن قومي والقصور التي بها الآطام
كل قصر مشيد ذي أواس تنغى على ذراه الحمام^(٥)
والحمام أيضاً ربما سكن أجواف^(٦) الركايا ، ولا يكون ذلك إلا
للوحشى منها ، وفي البير التي لا تُورد . قال الشاعر :
بدلو^(٧) غير مُكربّة أصابت^(٨) حماماً^(٩) في مساكنه فطاراً
يقول : استقى بسفرته^(١٠) من هذه البئر ، ولم يستق بدلو . وهذه
بئر قد سكنها الحمام لأنها لا تُورد .

-
- (١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القث .
(٢) ط ، س : « وذى » .
(٣) القرامص : جمع قرمص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .
(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف مأثبات من ط ، س . وانظر تحقيق السابق في التنبيه الثاني ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .
(٥) سبق الكلام في شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .
(٦) ط ، ل : « أجواف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة في جدار الركية .
(٧) ط : « بدلو » وصوابه في ل ، س .
(٨) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .
(٩) ط : « حماما » وهو تطبيع .
(١٠) السفرة : ما يوضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر ما يكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملقوة » س : « بملقوة » .

وقال جهنم بن خلف^(١) :

وقد هاج شوقى أن تغت حمامة مطوقة ورقاء تصدح في الفجر
هتوف تبكى ساق حر ، ولن ترى لها دمة يوماً على خدّها تجرى
تغت^(٢) بلحن فاستجابت لصوتها نوائح بالأصياف^(٣) في فن السدر^(٤)
إذا فترت كرت بلحن شج لها^(٥)

يهيج^(٦) للصبّ الحزين جوى الصدر
دعتهن مطراب العشيات والضحى بصوت يهيج المستهام على الذكر
فلم أر ذا وجد يزيد صباة عليها ، ولا شكلى تبكى على بكر^(٧)
فأسعدتها بالنوح كائما شربن سلافاً من معتقة الخمر^(٨)
تجاوبن لحناً في الغصون كأنها نوائح ميّت يلتدمن لدى قبر^(٩)
بسرّة واد من تبالة مونيقي كسا جانبيه الطلح واعتم بالزهر^(١٠)

(١) جهنم بن خلف المازني : راوية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمعي ، وله شعر في الحشرات والجوارح من الطير . الفهرست ٤٧ ليسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابي » وأثبت ما في ل .

(٢) ل : « فغت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأصياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير في كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « يهيج » .

(٧) يزيد صباة ، أى تكون صبايته أشد وأعنف من صبايتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالعوج » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العرييد .

(٩) يلتدمن ، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها في النباحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد النين ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارى والفواخيت والدَّباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدل هديلاً . فإذا طَرَب قيل غرَّد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير . وأما أصحابنا فيقولون : إنَّ الجمل يهدر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل ٧٥ وربما كان بالراء .

وبعضهم يزعم أنَّ الهديلَ من أسماء الحمام الذَّكر . قال الرَّاعى وأسمه عبيد بن الحصين - :

كهدهد كسرَ الرُّماةُ جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلاً (١)

(ساق حرّ)

وزعم الأصمعى أنَّ قوله : « هتوفُ تبكى ساق حرّ » إنما هو حكاية صوت وحشيّ الطير من هذه النواحيات . وبعضهم يزعم أنَّ « ساق حرّ » هو الذَّكر ، وذهب إلى قول الطَّرمَّاح فى تشبيه الرَّماد بالحمام ، فقال :
بين أظَارِ بمظلومةٍ كسرةِ السَّاقِ ساقِ الحمامِ (٢)

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلاً أخذ المصدق إبله . وقبل البيت :

أخذوا حولته فأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا
وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزائنة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظار : الأثافي . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرمّاح ٩٥ - ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغاني .

(صفة فرس)

وقال آخر^(١) يصف فرساً :

يَنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَمَامٍ^(٢) الْأَغْلَانِ رَفَعُ يَدٍ عَجَلَى وَرَجُلَ شِمَالٍ
* تَظْمَأُ مِنْ تَحْتُ وَتُرَوَّى مِنْ عَالٍ^(٣) *

الأغلان^(٤) : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهري الشجر^(٥)

قال : والمعنى : أن الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها . وقوله : شمال
أى خفيفة .

باب^(٦)

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشَّيات ، ويكون فيها
المصمَّت والبهيمُ أكثرُ ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِينِ^(٧) ما يكون
فى الحمام ، فإما ما يكون أخضرَ مُصمَّتاً ، [وأحمر مصمَّتاً] ، وأسودَّ

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل :

« حمام » تصحيف .

(٣) تظمأ : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل :

« يظمأ » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهري الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرائه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التحاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا ^(١)] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلا أن الهداية للخضر والنمر ^(٢) . فإذا ابيض الحمام [كالقيقع] فثله من الناس الصقلابي ^(٣) ، فإن الصقلابي ^(٣) فطير ^(٤) خام ^(٥) لم تنضجه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] في البلاد التي شمسها ضعيفة .

وإن اسود ^(٦) الحمام فإنما ذلك احتراق ، ومجازة لحد النضج . ومثل [سود الحمام ^(٧)] من الناس الزنج ؛ فإن أرحامهم تجاوزت حد الإنضاج إلى الإحراق ، وشيئت ^(٨) الشمس شعورهم فتقبضت . والشعر إذا أدنيت من النار تجعد ، فإن زدته تفلل ^(٩) ، فإن زدته احترق .

وكما أن عقول سودان الناس وحرائمهم دون عقول السمر ، كذلك يبيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية .

-
- (١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .
 (٢) النمر : جمع أئمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .
 (٣) كذا جاء . والوجه « صقلابي » ، نسبة إلى صقلب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .
 (٤) فطير : لم ينضج . وفي ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .
 (٥) الخام : أصل معناه الدبس الذي لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ في دبغه ، وهي كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .
 (٦) ط : « أسود » وهو خطأ .
 (٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » في ط ، س .
 (٨) شيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .
 (٩) يقال شعر مقلقل : شديد الجمودة . في الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطرد لغوى)

وأصل الخضره إثمها هو لون الرِّيحان والبقول^(١) ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراءَ ، حتَّى سَمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيلَ . قال الشَّامُخُ بْنُ ضَرَّارٍ :

٧٦ وَرُحْنٌ رَوَاحاً مِنْ زَرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَالَةً جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا^(٢) .
وقال الرَّاجِزُ :

حَتَّى انْتَضَاهُ الصُّبْحُ مِنْ لَيْلٍ خَضِرٍ^(٣) مِثْلَ انْتِضَاءِ الْبَطْلِ السَّيْفِ الذِّكْرُ^(٤)
* نَضَوُ هَوًى بِالِ عَلَى نِضْوٍ سَفَرٍ^(٥) *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . قَبَائِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ . مُدْهَمَّتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرُّى سوداوان .
ويقال : إنَّ العراقَ إثمها سَمَّى سَوَاداً بِلَوْنِ السَّعَفِ الَّذِي فِي النَّخْلِ ، وَمِثْلِهِ .

والأَسْوَدَانِ : الماءُ والتمرُّ : والأَبْيَضَانِ : الماءُ واللبنُ . والماءُ^(٦)
أَسْوَدُ إِذَا كَانَ مَعَ التَّمْرِ ، وَأَبْيَضُ إِذَا كَانَ مَعَ اللَّبَنِ .

(١) ل : « إنما هو للرِّيحان والبقول » .

(٢) يدلُّ هذا البيتُ جميعه في ط ، س : « فنازعت جلباباً من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملاً من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحاً » لأنه في صفة ناقة واحدة كما في الديوان ص ٣١ ومقابلها وكما في رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والغزيمية . وزباله ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية في رسائل الجاحظ : « حتَّى انتضاني » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديد الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عني بالنضو البالي : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سُودُ البطون وحُمُر الكُلَى^(١) ، ويقولون : سود الأكباد يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادهم^(٢) . ويقال للحافر أسود البطن ، لأنَّ الحافر لا يكون في بطونها شحم^(٣) .

ويقولون : نحن بخير ما رأينا سواد فلان بين أظهرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظله .

فأما خضر محارب^(٤) ، فإنما يريدون السُّود^(٥) وكذلك : خضر غسان . ولذلك قال الشاعر :

إِنَّ الْخَضْرَاءَ الْخَضِرَ الَّذِينَ غَدَوْا أَهْلَ الْبَرِيصِ ثَمَانٍ مِنْهُمْ الْحَكَمُ^(٦)
ومن هذا المعنى قول القرشي^(٧) في مديح نفسه :

(١) الكلى : جمع كلية . وفي الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « لأن الحوافر لا يكون في بطونها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصيفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « السود » وليس مراداً ، وجاء في الرسائل ٧٢ ساسي : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو السيد الحمولة . وفي الأصل : « الخضارمة » وصوابه في رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفي الأصل : « البريص » بالصاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفي الرسائل : « ثمانى » ، أى ارتفع نسبى إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كما في رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس اللهبي ، كما في الرسائل أيضاً والكامل ١٤٣ ليسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكتايبات الجرجاني ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هى التسمية الصحيحة . وابن الأنباري في الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعطاء .

وأنا الأخضرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنه قد ولدته سوداء .
وإذا قالوا : فلان أخضر البطن ، فإنما يريدون أنه حائك ، لأنَّ الحائكَ
بطنه لطول^(١) النزاقه بالخشبة التي يطوى عليها الثوب يسود .

(عداوة العروضي للنظام)

وكان سبب عداوة العروضي^(٢) لإبراهيم النظام ، أنه كان يسميه
الأخضر البطن ، والأسود البطن ؛ فكان يكشفُ بطنه للناس — يريدُ
بذلك تكذيبَ أبي إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزوان : إنما يريد
أنك من أبناء الحاكة ! فعاداه لذلك .

(استطرد لغوى)

فإذا قيل أخضر للنواجذ ، فإنما يريدون أنه من أهل القرى ، فمن
يأكل الكراث والبصل .
وإذا قيل للشور : خاضب ؛ فإنما يريدون أن البقل قد خضبَ أظلافه
بالخضرة . وإذا قيل للظلم : خاضب ، فإنما يريدون^(٣) حمرةً وظيفه^(٤)

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .

(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد في البخلاء ص ٤٥ ، وهو من معاصري الجاحظ .

(٣) كذا في س . وفي ط ، ل : « يرون » .

(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وظيفه »

وهذه تحريف .

فإنهما يَحْمَرَّانِ فِي الْقَيْظِ ، وَإِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ خَاضِبٌ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الْحِنَاءَ
فَإِذَا كَانَ خَضَابُهُ بغيرِ الْحِنَاءِ قَالُوا : صَبَغَ ^(١) وَلَا يُقَالُ خَضِبَ .

وَيَقُولُونَ فِي شَبِيهِهِ بِالْبَابِ الْأَوَّلِ : الْأَحْمَرَانِ : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ
وَالْأَبْيَضَانِ : الْمَاءُ وَاللَّبَنُ ، وَالْأَسْوَدَانِ : الْمَاءُ وَالتَّمْرُ .

وَيَقُولُونَ : أَهْلَكَ النِّسَاءُ الْأَحْمَرَانِ ^(٢) : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ ، وَأَهْلَكَ
النَّاسَ الْأَحْمَارَ : الذَّهَبَ ، وَالزَّعْفَرَانُ ، وَاللَّحْمَ ، وَالْحُمْرَ .
وَالْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُمَا الْمُلَوَّنَانِ ^(٣) .

وَالْعَصْرُ : الدَّهْرُ ، وَالْعَصْرَانِ : صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ ^(٤) ،
وَالْعَصْرَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٥) :
وَأَمْطَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي

وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

(١) ط ، س : « صَبَغَ » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط : « الْأَحْمَرَانِ » وَفِي س :
« الْأَحْمَارُ يَرَادُ » . وَانْظُرْ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ لِلْحَجَبِيِّ ١٦ - ١٧ .

(٣) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط ، س : « لَوْنَانِ » .

(٤) جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « حَافِظٌ عَلَى الْعَصْرَيْنِ » أَيْ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ ، وَسَمَّيَا
الْعَصْرَيْنِ لِأَنَّهُمَا يَقَعَانِ فِي طَرَفِي الْعَصْرَيْنِ ، وَهُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . وَجَاءَ أَيْضًا تَفْسِيرُهُ
فِي الْحَدِيثِ : « قِيلَ : وَمَا الْعَصْرَانِ ؟ قَالَ : صَلَاةُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةُ قَبْلَ
غُرُوبِهَا » . وَكَلِمَةُ : « الْفَجْرُ » هِيَ فِي الْأَصْلِ « الْعَصْرُ » مُخَرَّفَةٌ . وَ« صَلَاةُ
الْعِشَاءِ » بَدَلُهَا فِي ط ، س : « الْعِشَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٥) هُوَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيُّ كَمَا فِي حِمَاةِ الْبَحْتَرِيِّ ٤١٥ . وَقَبْلَهُ :

أَلَيْنَ إِذَا لَانَ الْغَرِيمُ وَالْتَوَى إِذَا اشْتَدَّ حَتَّى يَدْرِكَ الدِّينَ قَاتِلِي

(٦) رَوَى : « وَأَنْطَلَهُ » فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى (٢ : ٣٨) وَهِيَ لُغَةٌ . وَكَلِمَةُ « رَاغِمٌ »
هِيَ فِي ط : « زَاغِمٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س وَاللَّسَانُ وَالْأَضْدَادُ ١٧٥
وَمُخَاضِرَاتُ الرَّاغِبِ (١ : ٢٢٩) حَيْثُ تَجَدُّ نَظَائِرُ هَذَا الْمَعْنَى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنما هو البائع والمشتري^(١) ، فدخل
المبتاع في البائع .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأم في اسم الأبوة ، كأنهم يجمعون على أنبه^(٢) الاسمين
وكتوبهم : ثبيرين^(٣) ، والبصرتين^(٤) . وليس ذلك بالواجب ؛ وقد قالوا :
سيرة العمرين ، وأبو بكر فوق عمر ، قال الفرزدق :
أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ
وَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادرعته بأربعةٍ والشخصُ في العينِ واحدٌ^(٥)
فإنه ليس يريد لون الجلباب ، ولكنه يريد سبوغه .

(١) ل : « فإِنَّمَا هُوَ بَائِعٌ وَمَشْتَرٍ » .

(٢) أنه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفي ط ، س : « ابنه » وصوابه في ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما في المزهري (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من
جبال مكة ، وفي ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل في كل من ط ،
س : « كالبهرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التي شخصها واحد
في العين ، أي التي يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علاقي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ما جد

فالأحم العلاقي ، بكسر العين ، هو الرجل . والأحم : الأسود . والعلاقي : المنسوب
إلى علاق : رجل من الأزد صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع .
والأعيس : الذي خالط بياضه شقرة . وعنى جملة . والمهري : منسوب إلى مهرة بن
حيدان . والأروع : الذي يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

ولاشهر حديث في ديوان المماني (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩)
والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابيّ)

قال : وكذلك قول الأعرابيّ حين قيل له : بأى شيء تعرف حملَ شاتيك ؟ قال : « إذا استفاضت خاضرتها ، ودجت شعرُها »^(١) . فالداجي هاهنا اللابس .

قال الأصمعيّ ومسعود [بن فيد^(٢)] الفزارى : ألا ترونه يقول : « كان ذلك وثوبُ الإسلامِ داجٍ » . وأما لفظ الأصمعيّ فإنه قال : كان ذلك منذ دجا الإسلام . يعنى أنه ألبس كلَّ شيء^(٣) .

(شِيَاتِ الحِمَامِ)

ثمّ رجع بنا القول إلى ذكر شِيَاتِ الحِمَامِ .
وزعموا أنّ الأوضح كلّها ضعف ، قليلها وكثيرها ، إلّا أنّ ذلك بالحِصَصِ على قدر الكثرة والقلّة ، كذلك هى فى جميع الحيوانِ سواءً مستقبلُها ومستدبرُها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لا يغادر شيئاً ألبتة ؛ لأنّ الكَلْبَةَ السَّلْوَقيَّةَ البيضاءً أكرمُ وأصيدُ ، وأصبرُ من السَّوداءِ^(٤) .
والبياضُ فى النَّاسِ على ضروب : فالمعيب منه بياضُ المُغْرَبِ^(٥)

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هى فى الأصل « قيد » بالتقاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما فى اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه فى ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شيء منه أبيض . ط : « البياض المغرب » وتصحيحه من ل ، س .

والأشقرُّ والأحمرُّ أَقْلُ في الضَّعْفِ والفَسَادِ ، إِذَا ^(١) كَانَ مُشْتَقًّا مِنْ بَيَاضِ
الْبَهَقِ وَالْبَرَصِ وَالْبَرَشِ [والشَّيْبِ] .

والمَغْرَبُ عند العرب لا خَيْرَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ . والفَقِيع ^(٢) لا يُنَجِّبُ ، وليس
عنده إِلَّا حَسَنُ بَيَاضِهِ ، عند من اشْتَهَى ذلك .

(سوابق الخليل)

وزعم ابن سلام الجُمُحِيُّ أَنَّهُ لم يَرِ قَطُّ بَلْقَاءَ وَلَا أُبْلُقَ [جاء] سابقاً .
وقال الأصمعيُّ : لم يسبق الحَلْبَةُ أَهْضَمُ قَطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجَفَّرَ ^(٣) من
الخليل ، كما قال ^(٤) :

٧٨ خِيطٌ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ ^(٥)
ويقولون : إِنَّ الفَرَسَ بَعُنَقِهِ وَبَطْنَهُ .

وخبرني بعض أصحابنا ، أَنَّهُ رأى فَرَساً لِلْمَأْمُونِ بَلْقَاءَ سَبَقَتْ الحَلْبَةُ .
وهذه نادرةٌ غريبةٌ .

(١) كَذَا فِي ل ، س . وَفِي ط : : « وَإِذَا » .

(٢) الفَقِيع : الأَبْيَضُ مِنَ الْحَمَامِ .

(٣) الْمُجَفَّرُ ، بَضْمُ الْمِيمِ وَفَتْحُ الْفَاءِ : الْوَاسِعُ الْجَفْرَةُ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ وَسْطُ الْفَرَسِ .

(٤) هُوَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ ، كَمَا فِي أَدَبِ السَّكَاتِبِ ٨٩ وَالْاِقْتِضَابِ ٣٣٠ .

(٥) يَقُولُ : كَأَنَّهُ زَفَرَ زَفْرَةً امْتَلَأَ جَوْفَهُ بِهَا ثُمَّ خِيطَ عَلَى ذَلِكَ فَلَمْ تَلْحَقْهُ دِقَّةٌ وَلَا هَضَمٌ .
وَالْهَضَمُ (بِالْتَحْرِيكِ) : اسْتِقَامَةُ الضَّلُوعِ وَانْضِمَامُ أَعَالَى الْبَطْنِ . وَهَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ
مِنْ ل . وَقَدْ أَصْلَحْتُهُ مِنَ اللَّسَانِ وَالْمَصْدَرَيْنِ السَّابِقَيْنِ . وَهُوَ فِي ط : س
مَحْرَفٌ هَكَذَا :

خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ قَمْ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِرْقَةٍ وَهَضَمَ

(نظافة الحمام ونفع ذرقه)

والحمام طائر ألوف مألوف ومحَبَّب ، موصوفٌ بالنَّظافة ، حتى إنَّ ذرقه لا يعاف^(١) ولا تنن له ، كسَلَّاح^(٢) الدَّجَاج والدَّيْسَكَة . وقد يُعالج بذرقه صاحبُ الحِصاة . والفَلَّاحون يجدون فيه أكثرَ المنافع . والخبَّاز يُلقي الشيء منه في الحمير لينتفخ العجينُ ويعظمَ الرغيف ، ثمَّ لا يستبينُ ذلك فيه . ولذرقه غلاتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الحَجَر . وهو يصلحُ في بعض وجوه الدَّبْع .

باب (٣)

[وقال صاحبُ الديك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزعمكم^(٤) ولدَ غيره ، وصنَّعَ به كما يصنع بفرخه ، وذلك أنهما يحضنان كلَّ بيض ، ويزنقان كلَّ فرخ ، وما ذاك منهما إلَّا فى الفَرَط .

(لؤم الحمام)

فأمَّا لؤمه فن^(٥) طريق الغيرة ، فإنَّه يرى بعينه الذَّكَرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطرُدُ أنشاه ويكسَحُ بذنبه حَوْلهَا ، وينطوَس^(٦) لها

(١) لا يعاف : لا يكره .

(٢) السَلَّاح ، بالضم : النجور .

(٣) ليست فى ل .

(٤) كذا فى ط ، س . وفى ل : « وإن برعم بیره » ، وليس يستقيم هذا .

(٥) كذا فى ل . وبدلها فى ط س : « فى » وأثبت الصواب .

(٦) التَّطوَس : التَّزَيْن . ويراد به هنا إبداء المحاسن فى الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعينه - ثم لم نر قط ذكراً واثباً ذكراً عند مثل ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدّ عليه ويمنعه إذا جثمت^(١) له وأراد أن يعلوها ؛ فكلّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخل ومن النفاسة^(٢) . وإذا لم يكن من ذكرها إلّا مثل ما يكون من جميع الحمام علم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهض تفعل ذلك ، وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى] .

قال : وأمّا ما ذكرتم من أن الحمام معطوفٌ على فراخه ما دامت محتاجةً إلى الزقّ ، فإذا استغنت نُزِعَتْ منها الرحمة ، فليس ذلك كما قلتم . الحمام طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذكرَ ربما كانت معه الأنثى السنينَ ، ثمّ تنقل عنه وتواري [عنه] شهراً واحداً ، ثمّ تظهر له مع زوجٍ أضعف منه ، فيراها طولَ دهره وهي إلى جنب بيته وتماريده^(٣) فكانه لا يعرفها بعد معرفتها الدَّهرَ الطويل^(٤) ، وإنما غابت عنه الأيّام اليسيرة . فليس بوجه^(٥) ذلك الجهل الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت ، إلّا على

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها في ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلاً .

(٣) التماريد : جمع تماراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه . ط : « وجمراه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س : « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب في ل ، س . وفي ط : « يوجد » .

الغباوة وسوء الذكر ، وأن الفرخ حين استوى ريشه وأشبه غيره من الحمام
جهل الفصل^(١) الذى بينهما .

فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدها مع ذكرٍ ضعيف وهو مسلمٌ لذلك ٧٩
وقانع به ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ فى أصل الطبيعة .

(قسوة الحمام)

قال : وباب آخر من لؤمه : القسوة ، وهى ألؤم اللؤم ، وذلك أن الذكر
ربما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفه ، فينقر رأسه والآخرُ
مستخذ^(٢) له ، قد أمكنه من رأسه خاضعاً له ، شديد الاستسلام لأمره ،
فلا هو يرحمه لضعفه وعجزه عنه ، ولا هو يرحمه لخضوعه ، ولا هو يميل^(٣)
وليس له عنده وتر . ثم ينقر يافوخه حتى ينقب عنه ، ثم لا يزال ينقر
ذلك المكان بعد النقب حتى يخرج دماغه فيموت بين يديه .

فلو كان ممّا يأكل اللحم واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ، إذ لم
يعد ما طبع الله عليه سباع الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائم الطير من القسوة ما لا نرى من سباع الطير
لم يكن لنا إلا أن نقضى عليه من اللؤم على حسب مباينته لشكل

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشئ .

(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ، وهو تصحيف .

(٣) ل : « ولا يميل » .

الهيمة ، ويزيد^(١) في ذلك على ما في جوارح الطير من^(٢)
السَّبعية .

(أقوال لصاحب الديك في الحمام)

وقال صاحب الديك^(٣) :

زعم أبو الأصبع بن ربيع^(٤) قال : كان رَوْحُ أبو همام صاحب
المعَمَّى ، عند مثنى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء
جماعة فصعدوا . فلم يلبث أن جاء آخرون ، ثم لم يلبث أن جاء مثلهم ، فأقبلَ
عليهم فقال : أيُّ شيء جاء بكم ؟ وما الذي جَمَعَكُم اليوم ؟ قالوا : هذا اليوم
الذي يرجع فيه مَزَاجيلُ الحمام من الغاية . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ
نَتَمَتَّعُ بالنَّظَرِ إليها إذا أقبلت . قال : لَكِنِّي أتمتُّع بتغميض العين إذا أقبلت ،
وترك النَّظَرَ إليها !! ثمَّ نزل وجلس وحده .

(التلهي بالحمام)

وقال مثنى بن زهير ذات يوم : ما تلهي النَّاسُ بشيءٍ مثل الحمام ،
ولا وجدنا شيئاً مما يتخذهُ النَّاسُ ويلعبُ بِهِ ويلهِي بِهِ ، يخرج من أبواب

(١) ل : « وزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه في ل .

(٣) هذه الجملة ليست في ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدل : « أبو الأصبع بن ربيع » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجدد - كالحمام - وأبو إسحاق^(١) حاضر - فغاظه ذلك ،
 وكظم على غيظه . فلمّا رأى مثنيّ سكوته عن الردّ عليه طمع فيه فقال :
 يبلغ والله من كرم الحمام ووفائِهِ ، وثباتِ عَهْدِهِ ، وحنينِهِ إلى أهله ، أنّي
 ربّما قصّصْتُ الطَّائرَ^(٢) بعد أن طار عِنْدِي دهراً ، فتى نَبَتَ جَنَاحُهُ
 كنباتهِ الأوّل ، لم يَدْعُهُ سوءُ صنعيّ إليه إلى الدّهَابِ عني . ولربّما يَغْتُهُ
 فيقصّه المبتاعُ حيناً ، فما هو إلّا أن يجدَ في جَنَاحِهِ قوّةً على النهوض
 [حتّى أراه^(٣)] أتاني جادفاً أو غير جادف^(٤) . وربّما فعلتُ ذلك به مراراً
 كثيرة ، كلّ ذلك لا يزداذُ إلّا وفاء .

٨٠

قال أبو إسحاق : أمّا أنت فأراك دائباً تحمده وتذمُّ نَفْسَكَ . ولئن
 كان رجوعه إليك من السّكرمِ إنَّ إخراجَكَ له من اللُّؤمِ ! وما يُعجِبُنِي
 من الرّجال مَنْ يَقْطَعُ نَفْسَهُ لصلّةِ طائرٍ ، وينسى ما عليه في جنبِ مالِلهيمة .
 ثم قال : خبرني عنكَ حين تقول : رجّعَ إلىّ مرّةً بعدَ مرّةٍ ، وكلّما زهِدْتُ
 فيه كان فيّ أرغَبَ ، وكلّما باعدتُهُ كان لي أَطْلَبُ ؛ إليك جاء ، وإليك حنّ
 أم إلى عُسّه الذي درج منه ، وإلى وكرهِ الذي رُبّي فيه ؟ ! أرايت أن لو
 رجّعَ إلىّ وكرهِ وبيته ثمّ لم يجدك ، وألفاك غائباً أو ميّتاً ، أكان يرجعُ
 إلى موضعه الذي خلفه ؟ ! وعلى أنلك تتعجّب من هدايته ، وما لك فيه

(١) هو إبراهيم بن سيار النّظام شيخ الجاحظ .

(٢) في الأصل : « قصّصت الطَّائرَ دهراً » . وكلمة : « دهراً » مقحمة بلا ويب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكلمة للكلام .

(٤) جَدَفَ الطَّائرَ جدوفاً : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأماً شكركُ على إرادته لك ، فقد تبينَ خطَاؤُك^(١) فيه ،
وإنما بقي الآنُ حسنُ الاهداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرَّخَمَ من لثام الطير وبغائثها ، وليست من عتاقها
وأحرارها ، وهى من قواطع الطير ، ومن موضع مَقَطْعِهَا إلينا^(٢) [ثمَّ]
مرجعها إليه من عندنا ، أكثرُ وأطولُ من مقدارِ أبعدِ غايات حمامكم . فإن
كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تَقَطِّعُ الصَّحَارَى والبرارىَّ
والجزائرَ والغياضَ والبحارَ والجبالَ ، حتَّى تصير إلينا فى كلِّ عامٍ—فإن قلت
إنها ليستْ تخرج إلينا على سمِّ ولا على هدايةٍ ولا دَلالةٍ ، ولا على أمارَةٍ
وعَلامَةٍ ، وإنما هَرَبَتْ من الثَّالُوجِ والبرَدِ الشديدِ ، وعلمتْ أنَّها تحتاجُ إلى
الطَّعْمِ ، وأنَّ الثلجَ قد ألبَسَ ذلكَ العالمَ ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ فى هربها
إلى أن تصادفَ أرضاً خِصْباً^(٣) دفناً ، فتقيمُ عندَ أدنى ماتجد — فما تقولُ فيها
عند رجوعها ومعرفتها بأخسارِ الثَّلُوجِ عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدت^(٤)
طريقَ الرجوعِ ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجاربِ

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصب بكسرهما ، وخصب بالفتح . بدلها فى ل :

« بيضاء » وليس بشئ .

(٤) يقال هو يهْدِي الطريقَ ويَهْدِي الطريقَ بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أن طَيْرَ كلِّ جهةٍ إذا قَطَعَتْ رَجَعَتْ إلى بلادها وجبالها وأوكارها ، وإلى غياضها وأعشها^(١) . فتجد هذه الصِّفة في جميع القواطع من الطَّير ، كرامها كلثامها^(٢) ، وبهائمها كسباعها . ثمَّ لا يكون اهتداؤها على تمرينٍ وتوطينٍ ، ولا عن تدريبٍ وتجريبٍ ، ولم تلقن^(٣) بالتَّعليم ، ولم تثبَّت بالتَّدبير والتَّقويم . فالقواطع لأنفسها تصير إلينا ، ولأنفسها تعودُ إلى أوكارها . وكذلك الأوابد من الحمام ، لأنفسها ترجع . وإلفها للوطن إلفٌ مشتركٌ مقسومٌ على جميع الطَّير . فقد بَطَلَ جميعُ ما ذكرت .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطَّيرِ قواطعُ السَّمكِ ، كالأسبور^(٤) والجواف^(٥) والبرستوج^(٦) ، فإنَّ هذه الأنواعَ تأتي دِجَلَةَ البصرةِ من

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولثامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ولم تعلِّ » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والمرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المعلوم ٢٣٢ . ولم أهد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « الأسبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه في أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه في عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، يوزن غراب ، كما في القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة في س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفي ط بلفظ « الجوان » وصوابه في القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو في القاموس : « البرشتوك كسقنقور : سمك بحري » قلت : هو =

٨٦ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء في ذلك الإبتان ، كأنها ، تتحمّضُ بحلاوة الماء وعذوبتيه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمّضُ الإبلُ فتطلب الحَمْضَ - وهو ملحٌ - بعدَ الخلَّة - وهو ماحلاً وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأسدُ إذا أَكثَرَتْ مِنْ حَسْرِ الدِّمَاءِ - والدِّمَاءُ حلوةٌ - وأَكَلِ اللَّحْمِ واللَّحْمُ حلوٌ - طلبتِ المِلْحَ لتَمْلَحَ^(١) به ، وتجعله كالحمض بعدَ الخلَّة .
ولولا حُسْنُ موقعِ المِلْحِ لم يُدْخِلْهُ النَّاسُ فِي أَكْثَرِ طَعَامِهِمْ .
والأَسَدُ يخرجُ للتَمْلَحِ ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ حَتَّى يَجِدَ مَلَّاحَةً^(٢) . وربما اعتادَ الأَسَدُ مكاناً فيجده ممنوعاً ، فلا يَزَالُ يَقْطَعُ الفَراسِخَ الكثيرةَ بعدَ ذلك^(٣) فإذا تَمَلَّحَ رجعَ^(٤) إلى موضعيهِ وَغِيْضَتِهِ وَغَرِيْنِهِ ، وغابه وعريسته^(٥) ، وإن كان الذي قَطَعَ خمسين فرسخاً .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسي معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف في أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفي عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في البصرة » . ط : « البرستوج » تصحيف .

- (١) كذا في ل . وفي ط ، س : « تستملح » .
- (٢) الملاحظة : منبت الملح أي معدنه . وأفعال هذه الجملة في س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أي بضم الهمزة وإسكان السين .
- (٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « وبعد ذاك » والواو مقحمة .
- (٤) س : « عاد » .
- (٥) الغاب : جمع غابة ، وهي الأجمة . والأوفق في هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(مجيء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي يقبل إلينا فيها هذه الأصناف^(١) وهي تقبل مرتين في كل سنة ، ثم نجدُها في إحداهما أَسَمَنَ^(٢) الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر ، فإذا مضى ذلك الأجلُ ، وانقضتِ عِدَّةُ^(٣) ذلك الجنس ، أقبل^(٤) الجنس الآخر . فهم^(٥) في جميع أقسام شهور السنّة من الشتاء والربيع ، والصيف والخريف ، في نوعٍ من السمك غير النوع الآخر . إلّا أن البرستوج^(٦) يُقبل إلينا قاطعاً من بلاد الزنج^(٧) ، يستعذب الماء من دجلة البصرة ، يعرف ذلك جميع الزنج والبحريين .

= بالإفراد ليتساقط الكلام ، ولكن هكذا وردت في ل . وفي ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه في ط ، س .

(١) كذا في ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين في ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بعد هذا اللفظ في ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفي الكتاب العزيز : « ولتلكوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه في ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البرستوج » ، وهو تصحيف نهبت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها مايعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالي وما جاورها من الجنوب

وأكبر بلادهم هي (مقدشو) كما ورد في معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهي عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بِلَادِ الزَّيْجِ وَالصَّيْنِ عَنِ الْبَصْرَةِ)

وهم يزعمون أنَّ الذي بين البصرة والزَّيْجِ ، أبعدُ مما بين الصَّيْنِ وبينها^(١)

وإنما غلطُ ناسٍ فزعموا أنَّ الصَّيْنِ أبعدُ ، لأنَّ بحرَ الزَّيْجِ^(٢) حفرةٌ واحدةٌ عميقة^(٣) واسعة ، وأمواجها عظام ، ولذلك البحرُ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهةِ الزَّيْجِ شهرين ، وريحٌ تهبُّ من بلادِ الزَّيْجِ تريدُ جهةَ عُمانَ شهرين ، على مقدَّارٍ واحدٍ فيما بينَ الشَّدةِ واللَّينِ ، إلَّا أنَّها إلى الشَّدةِ أقربُ ، فلما كان البحرُ عميقاً والريُّ قويَّةً ، والأمواجُ عظيمةً ، وكان الشَّراعُ لا يحطُّ ، وكان سيرهم مع الوترِ ولم يكن مع القوسِ^(٤) ، ولا يعرفون الخِيبَ والمكلاً^(٥) ، صارت الأيَّامُ التي تسير فيها السُّفنُ إلى الزَّيْجِ أقلَّ .

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه في ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميقة » وصوابه في ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخيب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلاً ، كمظم : المرفأ .

يقول : لا يضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س :

« الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذى أثبت في ل .

(البزستوج)

قال : والبزستوج^(١) سَمَكٌ يَقْطَعُ أمَواجَ الماءِ ، وَيَسِيحُ^(٢) إلى البصرة
عَنِ الزَّنْجِ ، ثُمَّ يَعُودُ مَافْضِلَ عَنْ صَيْدِ النَّاسِ إلى بلادِهِ وبِحَرِهِ . وذلك أَبْعَدُ
مِمَّا بَيْنَ البصرة إلى العليق^(٣) المَرارَ الكثيرة . وهم [لا]^(٤) يصيدون من
الْبَحْرِ فيما بَيْنَ البصرة إلى الزَّنْجِ^(٥) من البزستوج^(٦) شَيْئاً [إِلَّا] في إِبَانِ
مَجِيئِهَا إلَيْنَا ورجوعِهَا عَنَّا^(٧) ، وإِلَّا فالبحر منها فارغٌ خالٍ .
فعامة الطير أعجبُ من حمامكم ، وعامةُ السَّمَكِ أعجبُ من الطَّيرِ .

(هداية السمك والحمام)

والطَّيرُ ذو جناحين ، يَحْلِقُ في الهواءِ ، فله سُرْعَةُ الدَّرَكِ وبلوغُ الغاية
بالطيران^(٨) ، وله إدراكُ العالمِ بما فيه بعلامات وأمارات^(٩) إذا هو ٨٢

(١) ط : « والبزستوج » وصوابه في ل ، س . وانظر التحقيق في ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا في ل ، ط . وفي س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا في ل ، وانظر ماسبق في ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العليق » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) في ط فقط بعده هذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البزستوج » وهو تصنيف أنظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حَلَقَ^(١) في الهواء ، وعلا^(٢) فوق كل شيء . والسَّمَكَةُ تَسْبِجُ في غَمْرِ الْبَحْرِ والماء^(٣) ، ولا تَسْبِجُ في أعلاه . ونَسِيمُ الهواء الذي^(٤) يعيشُ به الطيرُ لو دامَ على السمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لَقَتَلَهُ^(٥)

وقال أبو العنبر^(٦) : قال أبو نُخَيْلَةَ الرَّاجِزِ^(٧) وَذَكَرَ السمك :

تَغْمُهُ النَشْرَةُ^(٨) والنَّسِيمُ فَلَا يَزَالُ مُغْرَقًا^(٩) يَعُومُ
فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَهُ تَخْمِيمُ^(١٠) وَأُمُّهُ الْوَالِدَةُ الرَّءُومُ
* تَلْهَمُهُ جَهْلًا وَمَا يَرِيمُ *

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه في طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجد هذه إلا في تحلق القمر : صارت حوله دوار ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجذ أنى ضبطت « تسبح » من التمسبح ، وهو مراد الجاحظ ، جاء في نقل الدمي : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله في غمر الماء » وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذي » وصوابه في ل ، س والدمي .

(٥) قال الدمي معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه ، فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم فقال : ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء في معجم المرزباني ٥١٣ : « أبو العنبر بن أبي نُخَيْلَةَ ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نُخَيْلَةَ الرَّاجِزِ سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) . في الأصل : « بن أبي نُخَيْلَةَ الرَّاجِزِ » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشرة » وصوابه في ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقاً » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدمي : « حيم » ، وصوابه في ل واللسان .

يقول : النشرة والنسيم الذي يُحيي جميع الحيوانات ، إذا طال عليه
الْحُمُومُ^(١) وَاللَّخْنُ وَالْعَفْنُ ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمَكَ
ويكرِّبُهُ ، وأُمُّهُ التي ولدته تأكله ، لأنَّ السَّمَكَ يأكلُ بعضُهُ بعضاً ، وهو
في ذلك لا يَرِيْمُ هذا الموضع^(٢) .

وقال رؤبة^(٣) :

والحوت^(٤) لا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْتَهُمُهُ يُصْبِحُ عَطْشَانَ فِي الْمَاءِ فَهُ^(٥)
يصف طباعه واتِّصَالَهُ بالماء ، وأَنَّهُ شديد الحاجة إليه ، وإن كان
غَرِقاً [فيه^(٦)] أبداً .

- (١) الحُموم : العفن . ط ، س : « الحُموم » وتصحيحه من ل واللسان .
(٢) رام الموضع يريمه : تركه .
(٣) في محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا .
والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما في ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغني ١٢٠ :
* قلت لوزير لم تصله مريمه *
(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغني . وقد
روى البكري الأرجوزة في أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقبل هذا البيت :
* أناك لم يخطئ به ترسمه *
يعني نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .
(٥) استشهد به ابن سيده في المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فه » وقال :
« وهذا الإبدال إنما هو في الأفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغي
أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها
عن الإضافة . قال البكري : « يقول : إنه لا يروى حتى يلتق المملوح » .
(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر في الهجاء)

وأنشدني محمد بن يسير لبعض المدينين ^(١) ، يهجو رجلا ، وهو قوله :
لو رأى في السقف فرجاً لنزاً حتى يموتاً ^(٢)
أو رآه وسط بحر صار فيه الدهر حوتاً ^(٣)
قال : يقول في الغوص في البحر ، وفي طول اللبث فيه . ^(٤)

(شعر في الضفدع)

وقال الذكواني ، وهو يصف الضفدع :
يُدخل في الأشداق ^(٥) ماءً ينصفه كما ^(٦) ينق والنقيق يُتلفه
قال : يقول : الضفدع لا يصبوت ، ولا يتهياً له ذلك حتى يكون في فيه
ماء ، وإذا أراد ذلك أدخل فكه الأسفل في الماء ، وترك الأعلى حتى
يبلغ الماء نصفه .

(١) الصواب أن الشعر لأبي نواس ، وليس في هجاء رجل ، بل في غرض آخر .
انظر الكنايات للجرجاني ٣٧ ومعاهد التنخيص (١ : ٣٤) وأخبار
أبي نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفي الأصل : « لنزا » وصوابه في أخبار أبي نواس . وفي المعاهد :
« لنزى » تحريف كتابي . وفي الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتنعاط » . المعاهد : « صار للإنعاط » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) في الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما في الديمرى وعيون الأخبار

(٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س ، « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ : « فَلَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ خُصُومَهُ
لَآنَ فَاهُ مَلَانِ مَاءً » . وقال شاعرهم^(١) :

وما نسيت مكان الأمرِكِ بذا يامن هويتُ ولسكنُ في فِى ماء^(٢)
ولئنما جعلوا ذلك مثلاً^(٣) ، حينَ وجدُوا الإنسانَ إذا كانَ فى فِى ماء
على الحقيقة لم يَسْتَطِيعْ^(٤) الكلام . فهو تأويلُ قولِ الذَّكَّوانِ :

* يُدْخِلُ فى الأَشْدَاقِ ماءً يَنْصُفُهُ *

بفتح الباءِ وضمَّ الصَّادِ ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قولِ الشاعرِ^(٥) :

وكنْتُ إذا جارى دَعَا لِمُضَوِّفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِزْرَى^(٦) ٨٣
[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر^(٧) :

* فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أَوْ يَزِيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْلُ ، وإنَّما هو من بلوغِ
نِصْفِ السَّاقِ .

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « بذا * من الوشاة » . وفى الديوان : « وما جهلت
مكان لاشريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سيده فى المخصص

(١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحرر بن شيط ، كما سبق فى ٦٠ . وصدره :

* فَلَا يَأْتِكُمْ خَبْرَ يَقِينِ *

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

* كَيْمَا^(١) يَنْقُ وَالنَّقِيقُ يُتْلِفُهُ *

فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٢) :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتَهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وَقُلَّ مَعْنَى سَمِعْنَاهُ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ الْحَيَوَانَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ، وَقَرَأْنَاهُ فِي كُتُبِ الْأَطْبَاءِ وَالتَّكْلِمِينَ - إِلَّا وَنَحْنُ قَدْ وَجَدْنَاهُ^(٣) [أَوْ] قَرِيبًا مِنْهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْأَعْرَابِ ، وَفِي^(٤) مَعْرِفَةِ أَهْلِ لُغَتِنَا وَمِلَّتِنَا . وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ لَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَجْمَعًا^(٥) . وَعَلَى أُنْتَى قَدْ تَرَكْتُ تَفْسِيرَ أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، وَشَوَاهِدَ عَدِيدَةٍ^(٦) مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الرَّأْيِيَّةُ النَّحْرِيرُ^(٧) ؛ مِنْ خَوْفِ التَّطْوِيلِ .

(١) ط ، س : « كَمَا » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هُوَ الْأَخْطَلُ كَمَا فِي الْبَيَانِ (١ : ٢٧٠) وَالْحَيَوَانَ (٥ : ١٥٤) . وَلِلْبَيْتِ قِصَّةٌ

طَرِيفَةٌ فِي الْعَقْدِ (٢ : ١٤) وَمَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ (٢ : ١٩٩) وَالْكِتَابَاتِ ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وَجَدْنَاهُ » .

(٤) ل : « فِي » وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٥) ط ، س : « لَذَكَرْتُ لَكَ الْجَمِيعَ » .

(٦) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَعَ شَوَاهِدَ كَثِيرَةٍ » .

(٧) النَّحْرِيرُ : الْخَازِقُ الْفَطْنُ الْبَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ . ط ، س : « إِلَّا الرُّوَاةَ لِلتَّحَرُّزِ »

تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون^(١) صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساءِ المسرَّولاتِ العِظامَ الحِسانَ ، ذواتِ الاختِيالِ والتَّبَخُّرِ والهُدِيرِ ؛ واجعل حمامَ الفِراخِ ذواتِ الأنسابِ الشريفة^(٢) والأعراقِ الكريمة ، فإنَّ الفِراخَ لَنَمَّا تَكْثُرُ عن حُسْنِ التَّعَهُدِ ، ونظافةِ القِراميصِ^(٣) والبُرُوجِ . واتَّخِذْ لهنَّ بيتاً محفوراً على خِلقةِ الصَّومعةِ ، محفوفاً من أسفلهِ^(٤) إلى مقدارِ ثُلثي حِيطانِهِ بالتماريدِ^(٥) ، ولتَكُنْ واسعةً وليكنَ بينها حِجَازٌ^(٦) . وأجودُ ذلك أن تكونَ تماريدُها محفورةً في الحائطِ^(٧) على ذلك المِثالِ ، وتعهَّدَ البُرُجُ بالكُنسِ والرَّشِّ^(٨) [في زمانِ الرَّشِّ] ، وليكنَ مخرَجُهنَّ من كَوٍّ^(٩) في أعلى

(١) ط ، س : « أفليمون » بالقاف ، تصحيف ما في ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس ماري : هي يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهي مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حِجَاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكُنس . وكلمة « الرش » هي في ط : « الريش » وصوابها في ل ، س .

(٩) الكو : الخرق في الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط : « من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّوْمَةُ ، وليكن مقتصدًا في السَّعَةِ والضَّيْقِ ، بقدر ما يدخل منه ويخرج
[مند] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعت أن يكون البيتُ بقُربِ مزرعةٍ
فافعل . فإن أعجزَكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِرَاسَةِ التي لا تخطئُ .
وقلِّمًا يُخطئُ المتفرِّسُ .

قال : وليس كلُّ الهدى ^(١) تقوى على الرجعة من حيثُ أُرسلتُ ؛
لأنَّ منها ما تفضل قوتهُ على هدايته ، ومنها البطيءُ وإن كان قويًا ،
ومنها السَّريعُ وإن كان ضعيفًا ، على قدر الحنين والاعتزام ^(٢) . ولا بدَّ
لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التَّعليمِ أولًا والتَّوطينِ آخرًا .

(انتخاب الحمام)

وقال : جماع الفِرَاسَةِ لا يخرج ^(٣) من أربعة أوجه : أولها التقطيع ،
والثاني الحبسةُ ، والثالث الشمائل ، والرابع ^(٤) الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والحليقة ، واستدارةُ الرأس من غير عِظَمٍ
ولا صِغَرٍ ، مع عظم القرطمتين ^(٥) ، واتِّساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

(١) الهدى سبق الكلام عليها في (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال
ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمات : مجتمع أصل الشيء . ط ، س : « جميع الفِرَاسَةِ لا يخرج »

(٤) في الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفي س أيضًا : « والثانية »
« والثالثة » وليس بشيء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان من أعلام الكرم في الخيل ؛ للاسترواح^(١) وغير ذلك . ثم حسن
خلقة العينين ، وقصر المنقار في غير دقة^(٢) ثم اتساع الصدر وامتلاء
الجؤجؤ ، وطول العنق ، وإشراف المنكبين ، وطول القوادم في غير إفراط ،
ولحوق بعض الخوافي ببعض ، وصلابة العصب^(٣) في غير انتفاخ ولا يئس
واجتماع الخلق في^(٤) غير الجعودة والكزازة ، وعظم الفخذين ، وقصر
الساقين والوظيفين ، [وافتراق^(٥) الأصابع] ، وقصر الذنب وخفته ، من
غير تفنين وتفرق^(٦) . ثم توقد الحذقتين ، وصفاء اللون . فهذه أعلام
الفراسة في التقطيع .

وأما أعلام المجسة ، فوثاقة الخلق ، وشدة اللحم ، ومثانة العصب ،
وصلابة القصب ، ولين الريش في غير رقة^(٧) وصلابة المنقار
في غير دقة .

وأما أعلام الشئال ، فقلة الاختيال ، وصفاء البصر^(٨) وثبات النظر

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم في الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت ما في ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠
والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) في الأصل - وهو هنا ل - : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله في الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنن » وأثبت
صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) في الأصل : « دقة » بالبدال ، وأثبت ما في المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدة الحذر ، وحسن التلفت^(١) ، وقلة الرعدة عند الفزع ، وخفة النهوض إذا طار ، وترك المبادرة إذا لقط .

وأما أعلام الحركة ، فالطيران^(٢) في علو ، ومد العنق في سمو ، وقلة الاضطراب في جو السماء ، وضم الجناحين في الهواء^(٣) ، وتدافع الركض في غير اختلاط ، وحسن القصد في غير دوران ، وشدة المد في الطيران . فإذا أصبته جامعاً لهذه الخصال^(٤) فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيه من المحاسن تكون هدايته وفرأته .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أن الحمام من الطير الرقيق ، الذي تسرع إليه الآفة ، وتعرّوه الأدوية^(٥) ، وطبيعته الحرارة واليبس . وأكثر أدوائه الخنن والكباد ، والعطاش ، والسل ، والقمل^(٦) . فهو يحتاج إلى المسكن البارد

(١) في الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه في المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص في أعلام الحجة خصالاً أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) في الأصل : « في جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكاً . وأثبت ما في المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنن : داء في الخلق . والكباد ، كغراب : وجع الكبد . والعطاش ، كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لا يروى صاحبه . وهى في ط ، س : « العطاش » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظِيفُ ، وإلى الحبوبِ الباردة كالعَدَسِ والماشِ^(١) والشَّعِيرِ المنخولِ .
والقُرْطُمُ له بمنزلة اللحم للإنسان ؛ لما فيه من قوَّة الدَّسَمِ .

فمَّا يُعَالَجُ بِهِ السَّكَادُ : الزَّعْفَرَانُ والسكر الطَّبْرَزْدُ^(٢) ، وماء الهندبا ،
يجعل في سُكَّرَجَةٍ^(٣) ، ثُمَّ يُوجَرُ^(٤) ذلك أو يَمِجُّ في حلقة مجاً وهو
على الرِّيقِ .

ومَّا يُعَالَجُ بِهِ الْخُثَّانُ أَنْ يَلَيِّنَ لِسَانَهُ يوماً أو يومين بدُّهْنِ البنفسجِ ،
ثُمَّ بِالرَّمَادِ والملحِ ، يُدْلَكُ بهما^(٥) حَتَّى تَنْسَلَخَ الْجِلْدَةُ الْعُلْيَا^(٦) الَّتِي غَشِيَتْ
لِسَانَهُ^(٧) . ثُمَّ يَطْلَى بِعَسَلٍ وَدُهْنٍ وَرَدٍ^(٨) ، حَتَّى يَبْرَأَ .

ومَّا يُعَالَجُ بِهِ السَّلُّ أَنْ يُطْعَمَ الْمَاشَ الْمَقْشُورَ ، وَيَمِجُّ فِي حَلْقِهِ مِنْ
الْأَبْنِ الْحَلِيبِ ، وَيُقَطَّعَ مِنْ وَظِيفِيهِ عِرْقَانِ ظَاهِرَانِ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ ، مِمَّا
يَلِي الْمَفْصَلَ [مِنْ بَاطِنِ] .

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزد : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطبرزد » تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر ما يوضح فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب في حلقة ليبلعه . ط : « يوجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « بهما » .

(٦) ط : « الجلدة العليا » ، وصوابه في ل ، س ، و عيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل و عيون الأخبار .

(٨) كذا في ل : و عيون الأخبار . وفي ط ، س : « الورد » .

وَمَّا يَعَالِجُ بِهِ الْقَمَلَ أَنْ يُطْلَى أَصُولُ رِيْشِهِ بِالزَّبَقِ الْخَلَّلِ^(١) بَدْهَنِ
الْبَنْفَسَجِ ، يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْقُطَ قَلْبُهُ ؛ وَيُكْنَسُ مَكَائُهُ
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ كَنْسًا نَظِيفًا .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أَنَّ الحمامَ والطيرَ كُلَّهَا لَا يَصْلُحُ التَّغْمِيرُ^(٢) بِهِ مِنَ الْبُعْدِ .
وهدأيته على قَدْرِ التَّعْلِيمِ ، وعلى قَدْرِ التَّوْطِينِ . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى^(٣)
ظَهْرِ سَطْحٍ يَعْلُو عَلَيْهِ ، وَيُنْصَبَ عَلَيْهِ عِلْمٌ يَعْرِفُهُ ، وَيَكُونُ طَيْرَانُهُ لَا يَجَاوِزُ
مَحَلَّتَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ عِلْفُهُ^(٤) بِالْعِدَاةِ وَالْعَشَى ، يُلْقَى لَهُ فَوْقَ ذَلِكَ السَّطْحِ ، قَرِيبًا
٨٥ مِنْ عِلْمِهِ الْمَنْصُوبِ لَهُ ، حَتَّى يَأْلَفَ الْمَكَانَ وَيَتَعَوَّدَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ . وَلَكِنْ

(١) في مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء » . وهذه
الكلمة جاءت في ل : « المنحل » . وجاء في عيون الأخبار : « ودواء
القمل أن تطلَى أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق »
محرقة صوابها « الزئبق » كما ورد في النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد
ذلك ماورد في المعتمد ١٢٨ في الكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيداً
للجرب والقمل » ، وما جاء في تذكرة داود في الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل
إذا جعل في الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأول ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ،

كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لَيَنْظُرُ^(١) مِنْ أَىِّ شَيْءٍ يَتَّخِذُ الْعِلْمُ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ ، وَلَا يَكُونَ شَيْئاً تَرَاهُ مِنَ الْبُعْدِ أَسْوَدَ . وَكَلِمَا^(٢) كَانَ أَعْظَمَ كَانَ أَدَلَّ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطِيرَ وَزَوْجَتَهُ مَعاً ، وَلَكِنْ يَنْتَفِئُ أَحَدُهُمَا وَيَطِيرُ الْآخَرُ ، وَيُخْرِجَانِ إِلَى السَّطْحِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يَطِيرُ الْوَاقِي الْجَنَاحَ ؛ فَإِنَّهُ يَنَازِعُ إِلَى زَوْجَتِهِ . وَإِذَا عَرَفَ الْمَكَانَ ، وَدَارَ^(٣) وَرَجَعَ ، وَأَلِفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، وَنَبَتَ رِيشُ الْآخَرِ ، صَنَعَ بِهِ كَذَلِكَ .

وَأَجُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُخْرِجَا إِلَى السَّطْحِ وَهُمَا مَقْصُوصَانِ ، حَتَّى يَأْلِفَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ يَطِيرَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ ، وَيُصْنَعُ بِالثَّانِي كَمَا صُنِعَ بِالْأَوَّلِ .

وَمَا أَشْبَهَ قَوْلَهُ هَذَا بِقَوْلِ مَاسْرُجِيهِ ؛ فَإِنَّهُ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ ، طِبَاعَ جَمِيعِ الْأَلْبَانِ ، وَشُرْبَهَا لِلدَّوَاءِ^(٤) ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الصِّفَةِ قَالَ : وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ حَالَ^(٥) الْأَلْبَانِ فِي أَنْفُسِهَا ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْقِيكَ اللَّبَنَ ؛ فَإِنَّكَ بَدَأَ^(٦) تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفِ جَوْفِكَ^(٧) ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ قَدْرِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ^(٨) .

(١) ط ، س : « يَنْظُرُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَكَلِمَا » وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) ط ، س : « وَدَارَهُ » ، وَوَجْهَهُ فِي ل .

(٤) الْمُرَادُ بِكَامَةِ : « الدَّوَاءُ » التَّدَاوَى .

(٥) ل : « وَصَفْتُ لِلرِّجَالِ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٦) بَدَأَ : أَىِّ أَوَّلًا . ل : « بِدَيْثًا » . ط : « أَبْدَأَ » وَهَذِهِ مُحَرَّفَةٌ تَفْسِدُ الْمَعْنَى .

(٧) ط ، س : « ثَوْبِكَ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٨) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ اللَّبَنِ مِنْ جِنْسِ عِلَّتِكَ » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجارٍ كان عندي ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريم
فقلت له : إنَّ إحكامَ تعليقِ البابِ شديدٌ ، ولا يحسنه من مائةِ نجارٍ نجارٌ
واحد . وقد يُذكر بالحدق في نجارة السَّقُوف^(١) والقباب ، وهو لا يكملُ
لتعليق^(٢) بابٍ على تمامِ الأحكامِ [فيه . والسَّقُوف] ، والقباب عند
العامةِ أصعب :

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنَّ الغلامَ والجاريةَ يشويانِ الجَدَى والحملَ
ويحكما الشئ^(٣) ، وهما لا يُحكما شئً جنبٍ . ومن لا عِلْمَ له يظنُّ أنَّ شئً
البعضُ أهونُ من شئٍ الجميع !

فقال لي : قد أحسنتَ حينَ أعلمتَنِي أنَّكَ تبصِرُ العملَ ، فإنَّ معرفتي
بمعرفتك تمنعني من التشفيق^(٤) . فعَلَّمْتَهُ فَأَحْكَمَ تَعْلِيْقَهُ ، ثمَّ لم يكنْ عندي
حَلَقَةٌ لوجهِ البابِ إذا أردتُ إصْفَاقَهُ ، فقلت له : أكره أن أحبسَكَ^(٥) إلى

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليقِ الباب : نصبه وتركيبه ، كما في اللسان . ط ، س : « لا يكمل تعليق »
وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكما الشئ » وأثبت ما في ل .

(٤) كذا في ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شفق النسيج الملحفة تشفيقا : جعلها
شفقا - بالتحريك - في النسيج . وشفق النسيج : رديته . وفي ط ، س :
« التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشئ . وفيها أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكره حبسك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت
القول كما ترى .

أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع . ولكن انقلب إلى موضعها^(١) . فلما ثقبه وأخذ حقه ولآنى ظهره للانصراف ، والتفت إلى فقال : قد جودتُ الثقب ، ولكن انظرُ أىُّ نجارٍ يدقُّ فيه الزرَّة^(٢) ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقَّ الباب — [والشق عيب] — فعلمتُ أنه يفهمُ صناعتهُ فهماً تاماً .

(قص الحمام ونتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصَّهما ولم ينتفهما^(٣) . وبين النتفِ والقصِّ بونٌ بعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لا يُوجعُ ولا يُقرِّحُ مُغارِزَ قصب الرِّيش^(٤) ، والنتفُ يُوهن المنكبين^(٥) . فإذا نتفَ الطائرُ مراراً لم يقوَ على الغاية ، ولم يزلْ واهنَ المنكبين . ومتى أبطأ^(٦) عليه فتفه وقد جفَّت أصولُه وقربت من الطَّرْح كان أهونَ عليه ، وكلما كان النباتُ أطراً^(٧) كان أضرباً ٨٦

(١) كذا في ط . وفي ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائداً إلى الحلقة . س : « في موضعها » .

(٢) في الأصل : « الزرة » . وجاء في لسان العرب (زرر) : « ويقال للحديدة التي تجعل فيها الحلقة التي تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا في ط ، س ، وهو الصواب . وفي ل : « إذا أراد أن يلقى زوجاً يعلمهما كتهما » .

(٤) بدل هذا في ط ، س : « لا يرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لا يوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) في الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٧) أطراً : من الطرء ، وهو ظهور الشيء فجأة . وفي ل : « أطراً » بدون همز =

عليه . وإنه ليلبغ من مضرته ، أن الذَّكَرَ لا يجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لا تجيدُ القبول . وربما نتفت الأنثى وقد احتشت بيضاً ، وقد قاربت أن تبيض ، فتبطلُ بعدَ وقتها الأيامَ ؛ وربما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجل الحمام)

قال : وإذا بلغَ الثَّاني مبلغَ الأوَّلِ في استواءِ الرِّيشِ ، والاهتداءِ إلى العَلمِ ، طيراً جميعاً ، ومُنِعاً من الاستقرارِ ؛ إلّا أن يظنَّ بهما الإعياءَ والكلالَ . ثمَّ يُوطَّنُ^(١) لهما المَزَاجِلُ برّاً وبحراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في [الهواءِ] السَّمَتَ ونفَسَ العَلمِ ، وأقاصى ما كانا يريانِه^(٢) منها عند التَّباعدِ في الدَّورَانِ والجَوْلَانِ . فإذا رَجعا من ذلك المَكانِ مَرَّاتٍ زُجِلا^(٣) من أبعدَ منه — وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجَلوا من جميع التَّوطِيناتِ ، مالم تبعُدْ ، مرَّتينِ [مرَّتينِ] — فلا يزالان كذلك حتَّى يبلغا الغايةَ ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكَّرَه فيرجعَ إليه . فإنَّ^(٤) خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غصا . وتكون صواب كتابة ما في ل : « أطرى » .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه في ل .

(٣) زجلا : أى أرسل على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما في ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجته ، عرضت عليه زوجةً أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمتها^(١) مرَّةً حيلَ بينه وبينها يومه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أن يُحمَلَ^(٢) ، فإذا أطاف^(٣) بها مُنَحَّيت عنه ، ثمَّ مُحمِل إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعَ له .

وقال : اعلّموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِلِ ماقلَّتْ أعلامُه ، كالصَّحارى والبحار .
قال : والطير تختلفُ في الطَّباع اختلافاً شديداً : فمنها القويُّ ، ومنها الضعيف ، ومنها البطيء ، ومنها السريع ، ومنها الدَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ، ومنها القليل الصَّبرُ على العطش ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لا يخفى فيهنَّ عند التَّعليم والتَّوطين ، في سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبعدَنَّ^(٤) غايَةَ الضَّعيف والدَّهولِ والقليل الصَّبر على العطش ، ولا تزجِلَنَّ ما كان منشؤه في بلاد الحرِّ في بلاد البرد ، ولا ما كان منشؤه في بلاد البرد في بلاد الحرِّ ؛ إلَّا ما كان بعد الاعتیاد . ولا يصبرُ على طول الطيران في غير هوائه [وأجوائه طائرٌ] إلَّا بطول الإقامة في ذلك المكان ، ولا تستوى حاله وحال من لا يعدُّو هوائه^(٥) والهواء الذى يقربُ من طِباع هوائه .

(١) تسنَّمتها : علاها . وفى ل : « تجنَّمتها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث « فلزمتها حتى تجنَّمتها » .

(٢) أى يحمل على الزَّجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يفلدو دواء » و ط :

« يفلدو دواء » .

(تعليم الحمام ورود الماء)

قال : ولا بدَّ أن يُعَلَّمَ الورودَ ، فإذا أَرَدَتْ به ذلك فأوْرِدْهُ العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثُمَّ حُلْ^(١) بينه وبين النَّظَرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصره بأصابعك عن جهة الماء واتَّساع المورد ، إلَّا بقدر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثُمَّ أَوْسِعْ له إذا عَبَّ قليلاً بقدر مالا يَرُوءه ذلك المنظر^(٢) وليكن معطشاً ؛ فإنه أجدرُ أن يشرب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثُمَّ تفسحُ له المنظرَ أولاً أولاً ، حتَّى لا يُنْكِرَ ما هو فيه . فلا تزالُ به حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغيرِ سترة^(٣) .

(امتناسه وامتنعاشه)

قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأَهْلَى الذى عايشَ النَّاسَ ، وشربَ من المساقى ٨٧ ولَقَطَ فى البيوتِ يَخْتَلُ^(٤) بالوَحدة ، وَيَسْتَوْحِشُ^(٥) بالغربة .

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه »

مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو

ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يَخْتَلُ : يضعف . ط ، س : « يَخِيلُ » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنَّ الوحشيَّ يستأنس ، والأهليَّ يستوحش ^(١) .

قال : واعلم أنَّه ينسى التأديبَ إذا أهملَ ، كما يتأدَّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجل)

وإذا زَجَلْتَ فلا تُخْطِرْ به ^(٢) من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن رتَّب ذلك ؛ فإنَّه ربَّما اعتادَ المجيء من ذلك البُعد ، فتي ^(٣) أرسلته من أقربَ منه تحيِّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمره ابتداءً . وهم اليومَ لا يفعلون ذلك ؛ لأنَّه إذا بلغ الرِّقَّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقدُ] صار عُقْدَةً ^(٤) ، وصار له ثمنٌ وغَلَّة . فهو لا يرى أن يُخاطر بشيءٍ له قدر . ولكنه إن جاء من هِيتَ أدْرَبَ ^(٥) [به] ؛ لأنَّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

(١) ط ، س : « يستوحش بالغربة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطف » . وفي ل : « تتخطف » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإن » .

(٤) للعقدة ، أصلها : الضيعة والمقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . وبدلها في

ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا

دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدروب كان

يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب

أمكن أن يزجل إلى المكان للبعيد . جاء في ط ، س : « درب » . وهو

نقص وتشويه صوابه في ل .

وليس له اسم ولا ذكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير^(١) ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حَوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم^(٢) .
وقال : لا ترسل الزَّاق^(٣) حتى تستأنف [به] الرياضة^(٤) ولا تدعْ ماتِعِدُّه للزَّجال^(٥) أن يحصن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإنَّ ذلك ممَّا ينقُضُه^(٦) ويُفْتَحُه^(٧) ، ويعظم له رأسه ، لأنَّه عندَ ذلك يسمَن وتكثر رطوبته ، فتقدِفُ الحرارةُ تلك الرُّطوبة الحادَّة العارضة إلى رأسه ، فإنَّ ثقب^(٨) البيضَ وزقَّ وحَضَن ، احتجَّت إلى تضميره واستئناف^(٩) سياسته . ولكنْ إنْ بدا لك أن تستفرخه^(١٠) فانقلُ بيضه إلى غيره ، بعد أن تُعلِّمه بعلامةٍ تعرفه بها إذا انصدع .

-
- (١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .
(٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هدام اليوم » وصحته بما ترى .
(٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أى يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .
(٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .
(٥) للزجال : للزجل . وجاء في ل : « للزجل » .
(٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقضه » وليست من لغة الجاحظ .
(٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سمان . وفي ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتا .
(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « ثقب » وها بمعنى .
(٩) ل : « استئنان » وليس بشيء .
(١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمام أيضاً فَزَعٌ وَذُعْرٌ ؛ عن طلب شئٍ من الجوارح له ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى الزَّجْلِ حَتَّى تَرْضِمَهُ وَتُسْتَفْرِخَهُ^(١) ؛ فَإِنْ ذَلِكَ الذُّعْرَ لَا يَفَارِقُهُ وَلَا يَسْكُنُ حَتَّى تَسْتَأْنِفَ بِهِ التَّوطينَ .

(طريقة امتهـكثار الحمام)

وإن أردتَ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْفِرَاحِ فَأَعْزِلِ الذُّكُورَةَ عَنِ الْإِنَاثِ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ ، حَتَّى يَصُولَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ اجْمَعْ بَيْنَهَا ؛ فَإِنْ بَيَضَهَا سَيَكْثُرُ وَيَقِلُّ سَقَطُهُ وَمُرُوقُهُ . وَكَذَلِكَ كُلُّ أَرْضٍ أُثْبِرَتْ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَالُ^(٢) لَمَّا كَانَ مِنَ الْحَيَوَانِ حَائِلًا . قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :

مِنْ سَرَاةِ الْهَجَانِ صَلَّبَهَا الْعُضُّ وَرَعَى الْحِمَى وَطُولُ الْحَيَالِ^(٣)

(١) ترضمه ، هكذا وردت في ط ، س . وفي القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها في ل : « تريجه » . و « تستفرغه » هي في ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحيال : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحيال من الحيوان » .

(٣) يقول : هي من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت — وكذلك رعيها في الحمى — وهو مكان في نجد — وخلوها من الحمل زمنا طويلا . وكلمة « العض » هي في الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها في ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزني ١٨٨ وكذا في اللسان (مادق : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجعل ذلك مثلاً :

قَرَّبَا مَرِيْطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِيَحْتُ حَرْبُ وَاثِلَ عَنْ حِيَالٍ^(١)

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون^(٢) صاحب الفراسة ، لصاحبه : وأنا محدثك عن نفع الحمام بحديث يزيدك رغبة فيها : وذلك أَنَّ مَلِيكَيْنِ طلب أحدهما مُلْكَ صاحبه ، وكان المطلوبُ أَكْثَرَ مَالاً وَأَقْلَرَّ رَجَالاً ، وأخصب بلاداً ، وكانت بينهما مسافة من الأرض بعيدة ، فلما بلغه ذلك دعا خاصته فشاوَرَهُمْ ٨٨ في أمره وشسكا إليهم خوفه على مُلْكِهِ ، فقال له بعضهم : دامت لك أيها الملكُ السلامة ، ووُقيتَ المسكروه ! إِنَّ الذي تَأَقَّتْ له نفسك قد يُحْتَالُ له باليسير من الطمع ، وليسَ مِنْ شَأْنِ العاقلِ التَّغْرِيرُ ، وليس بعد المناجزة بقيّة ، والمناجزُ لا يدري لمن تكون الغلبة ، والتمسكُ بالثقة خيرٌ من الإقدام على الغرر .

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب واثل تلك الحروب الكثيرة التي كانت أبداً مشتعلة بين ابني واثل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتي لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبي ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابني لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابني واثل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ بشع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ لبيسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذي شهده الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قضة) . انظر خبره في العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أفليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دَامَ لك العزُّ ، ومُدَّ لك في البقاء ! ليسَ في الذُّلِّ دَرَكَ ولا في الرُّضا بالضمِّ بَقِيَّةٌ ، فالرَّأْيُ اتِّخَاذُ الحُصُونِ وإِذْكَاءُ العُيُونِ ، والاستعدادُ للقتالِ ؛ فَإِنَّ الموتَ في عزٍّ خيرٌ من الحياة في ذلٍّ (١) ! .

وقال بعضهم : وُقِيَتْ وكُفِّيَتْ ، وأُعْطِيَتْ فَضْلَ المَزيدِ ! الرَّأْيُ طلبُ المصاهرة له (٢) والخِطْبَةُ إليه ؛ فَإِنَّ الصَّهْرَ سببُ أُلْفَةٍ تقعُ به الحُرْمَةُ ، وتثبت بِهِ المودَّةُ ، وَيَحِلُّ به صاحِبُهُ المحلُّ الأدنى (٣) . ومن حلٍّ من صاحبه هذا المحلُّ لم يَحِلَّه مما عَراه (٤) ، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه (٥) . فالتمس خِلَاطَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الخِلَاطَةِ عداوَةٌ ، ولا مَعَ الشَّرْكَةِ مَبَايَنَةٌ !

فقال لهم (٦) الملك : كلُّ قَدِ أشارَ برأْيٍ ، ولكلُّ مدَّةٍ ، وأنا ناظِرٌ في قولِكُمْ ، وباللهِ العِصْمَةِ ، وبشكره تَمَّ النِّعْمَةُ . وأظْهَرَ الخِطْبَةَ إلى الملكِ الذي فَوْقَهُ ، وأرسلَ رُسُلًا ، وأهدى هدايا ، وأمرَهُمْ بِمِصْنَعَةٍ جَمِيعَ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ ، ودسَّ رجُلًا من ثِقَاتِهِ ، وأمرَهُمْ بِاتِّخَاذِ الحِمَامِ في بلاده وتَوَطُّبِنِهَا واتَّخَذَ أيضًا عِنْدَ نَفْسِهِ مِثْلَهُنَّ ، فرفَعَهُنَّ من غَايَةِ إلى غَايَةٍ . فجعلَ هؤلاء يرسلون من بلادِ صاحِبِهِمْ ، وجعلَ مَنْ عِنْدَ الملكِ يرسلون من بلاد (٧)

(١) ل : « فلان المحاماة عن العز خير من الحياة في ذل » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الرأي أن تطلب مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بكل ما يعرفه ويطلع على دخيلته . ط :

« لم يخل ما عراه » س : « لم يخل مما عراه » وأثبت ما في ل .

(٥) كذا في ل . وناواه : تسهيل ناواه . والمناوأة : المعادة . ط ، س :

« ولم يمتنع منه بشيء امتنع منه » .

(٦) في الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذا في ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفي ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهم^(١) بمكاتبتِهِ بخبرِ كلِّ يوم ، وتعليقِ الكتُبِ في أصولِ
أجنحة الحمام^(٢) . فصار لا يخفى عليه شيءٌ من أمره . وأطمعهُ الملكُ في التزويجِ
واستفردَهُ^(٣) وطاولَهُ ، وتابَعَ [بين] الهدايا ، ودسَّ لحرسِهِ رجالاً يلاطفونَهُمْ
حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلَمَّا كَتَبَ أصحابُهُ إليه بغرَّتِهِمْ وصل الخبر
إليه من يومه ، فسار إليه في جندٍ قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْضِ
ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثُمَّ يَبْتَهِمُهُمْ^(٤) ووثبَ أصحابُهُ من داخلِ المدينةِ
وهو وجنده من خارج^(٥) ، ففتحوا الأبوابَ وقتلوا الملكَ . وأصبحَ قد غَلَبَ
على تلكِ المدينة ، وعلى تلكِ المملكة ، فَعَظُمَ شأنُهُ ، وأعظمتُهُ الملوكُ ،
وذكرَ فيهم بالحزمِ والسكِّدِ .
ولمَّا كان سبب ذلك كله الحمام ! .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي ط ، س : « في أول أذنان الحمام ! » .

(٣) ل : « استفذه » ط : « استفرده » وصوابه في س . واستفرده : أراد

أرسل إليه رسلاً ، وفي القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » .
وفي اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) يبتهم : أوقع بهم ليلاً .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو

من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له في نفع الحمام)

قال : وأحدثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللدنة فيهن ، والصواب في معاملتهن . قال : وذلك أن رجلاً أتاني مرة فشكا إليّ حاله في فتاة علّقها فتزوّجها^(١) ، وكانت جارية [غراً] حسنة ، وكانت بكرّاً ذات عقلٍ وحياء ، وكانت غريبةً فيما يحسن ٨٩ النساء من استمالته أهواء الرجال ، ومن أخذها بنصيبها من لذة النساء فلما دخل بها^(٢) امتنعت عليه ، ودافعت^(٣) عن نفسها ، فزاوها بكلّ ضربٍ كان يحسنه من لطفٍ ، وأدخل عليها من نسائه ونسائها من ظنّ^(٤) أنّها تقبلُ منهنّ ، فأعيتهنّ ، حتى همّ^(٥) برفضها مع شدّة وجده بها ، فأتاني فشكا ذلك إلىّ مرة ، فأمرته أن يُفردّها ويخلّيها من الناس ، فلا يصلَ إليها أحدٌ ، وأن يُضعفَ لها الكرامة في اللطف والإقامة لما يُصلحها من مطعم ومشرب وملبس وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأة^(٦) وتُعجبُ به ، وأن يجعلَ خادمها أعجميّةً لا تفهمُ عنها ، وهي في ذلك عاقلة ، ولا تفهمُها إلّا

(١) ل : « فزوجه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودفعته » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كذا في ل . أي عزم على ذلك . وفي ط ، س : « اهتم » ، أي أحزنه رفضها إياه .

(٦) كذا في س ، وفيه جزالة . وفي ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء^(١) ؛ حتى^(٢) تستوحشَ إليها وإلى كل من يصل^(٣) إليها من النساء
[و^(٤)] حتى تشتهيَ أن تجدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحشة
الوَحدة ، وأنْ يَدْخُلَ عليها أزواجاً من الحمام ، ذواتِ^(٥) صورةٍ حسنة ،
وتُخَيِّلَ وهدير^(٦) فيصيرُهنَّ في بيتٍ نظيف ، ويجعلُ لهنَّ في البيتِ تماريد^(٧)
وبين يَدَي البيتِ حجرةً نظيفة ، ويفتحُ لها من بيتها باباً فيصِرْنَ نُصَبَ
عينها فتلهو بهن وتنظرُ إليهنَّ ، ويجعلُ دخوله^(٨) عليها في اليومِ دَفْعَةً
لايزيدها^(٩) فيه على النَّظَرِ إلى تلك^(١٠) الحمام ، والتسليَ بهنَّ ، والاستدعاء
لهنَّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج^(١١) ، فإنَّها لاتلبثُ أنْ تنفكرَ في صنيعهنَّ
إذا رأتُ حالهنَّ ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لاتلبثُ حتى تحرَّكها ، ويكونُ أوفقُ
المقاعدها الدنوّ^(١٢) منهنَّ ، وأغلبُ الملامى عليها النَّظَرُ إليهنَّ ؛ لأنَّ الحواسَّ
لا تؤدَّى إلى النَّفسِ شيئاً من قِبَلِ السَّمْعِ ، والبَصَرِ ، والذوقِ ، والشمِّ

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقبل » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفي ط ، س : « تخيل » ، وهى هنا بمعنى الخلق
في الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويحمل لهن » ، وصوابه في ل . والتماريد : جمع تماريد بالكسر
وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٨) ط ، س : « وتجعل دخوله » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .

(١٠) كذا في ل . وفي ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « يخرج » .

(١٢) س : « لهن » .

والجسّة^(١) إلا تحرك من العقل في قبول ذلك أو رده ، والاحتياال في إصابته أو دفعه ، والكراهية^(٢) له أو الشرور به بقدر ماحرك النفس منه . فإذا رأيت الغالب عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمل لهنّ ، فأدخل عليها امرأة مجرّبة غزلة تأنس بها ، وتفظنها^(٣) لصنيعهنّ ، وتعجبها منهنّ ، وتستميل ففكرتها إلهنّ ، وتصف لها موقع اللذة على قدر ماترى من تحريك الشهوة . ثم أخرج المرأة عنها ، وحاول الدنوّ منها ، فإن رأيت كراهية^(٤) أمسكت وأعدت المرأة إليها ، فإنها لا تلبث أن تمكّنك . فإن فعلت ماتحب وأمكنكك بعض الإمكان ، ولم تبلغ ما تريد فأخبرني بذلك .

قال : وقلت له : مر المرأة فلنساءلها عن حالها في نفسها ، وحالك . عندها ، فلعل فيها طبيعة من الحياء تمنعها^(٥) من الانبساط ، ولعلها [غرّ] لا يلمس ما قبلها من الخرق^(٦) . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق] ، فأشارت^(٧) عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠ بما ترين من هذا الحمام ؛ فقد ترين الزوجين كيف يصنعان ! قالت : قد

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو حجة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تظفنها : تجعلها تظفن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعها » .

(٦) ط : « لا تلمس ما قبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق »

ل : « لا يلمس ما قبلها بالخرق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تَأَمَّاتُ ذَلِكَ فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَحْسِنُهُ ! فَقَالَتْ لَهَا : لَا تَمْنَعِي يَدَهُ
وَلَا تَحْمِلِي عَلَى نَفْسِكَ الْهَيْبَةَ ^(١) ، وَإِنْ وَجَدْتِ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئاً تَدْعُوكِ إِلَيْهِ
لَذَّةً فَاصْنَعِيهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْخُذُ بَقَلْبِهِ ، وَيَزِيدُ فِي مَحَبَّتِكَ ، وَيَحْرُكُ ذَلِكَ مِنْهُ
أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاكَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَالَ حَاجَتَهُ وَذَهَبَتْ الْحَشْمَةُ ، وَسَقَطَتِ الْمُدَارَاةُ ^(٢)
فَكَانَ سَبَبُ الصَّنْعِ لَهَا ، وَالخُرُوجُ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَى الْأُنْسِ ^(٣) ، وَمِنْ الْحَالِ
الدَّاعِيَةِ إِلَى مَفَارِقَتِهَا إِلَى الْحَالِ الدَّاعِيَةِ إِلَى مَلَازِمَتِهَا ، وَالضَّنُّ بِهَا ^(٤) - الْحَمَامُ ^(٥) .

(الخوف على النساء من الحمام)

وَمَا أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ ، مَنْ لَيْسَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِدْخَالِ الْحَمَامِ إِلَى نِسَائِهِ
إِلَّا هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي حَثَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفِرَاسَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا
قَدْ تَذَكَّرَ وَتَشَبَّهَنِي وَتَمَحَّنَ ^(٦) . وَأَكْثَرُ النِّسَاءِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : إِمَّا
امْرَأَةً قَدْ مَاتَ زَوْجُهَا ، فَتَحْرِيكُ طِبَاعِهَا خِطَارَ ^(٨) بِأَمَانَتِهَا وَعَنْمَافِهَا . وَالْمُغْيِبَةُ ^(٩)

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفُرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشبهنى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحَّن : تصيب بالحنة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، :

« إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأوليين وإسكانها
فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

فى مثل هذا المعنى . والثالثة : امرأة قد طال لُبُّها مع زوجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت^(١) ذلك تحرك منها كلُّ ساكن وذكرَت ما كانت عنه بمندوحة .

والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب^(٢) ، ما لم تهيجس في صدرها الخواطر ، ولم تتوهم حالات اللذة وتحرك^(٣) الشهوة . فأما إذا وقع ذلك فعزُّها أضعفُ العزم ، وعزُّها على ركوبِ الهوى^(٤) أقوى العزم .
فأما الأبقارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يؤخذن بالقراءة في المصحف^(٥) ، ويحتالَ لهن حتى^(٦) يصرنَّ إلى حال التشيخ^(٧) والجبن والكرآزة^(٨) ، وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل قليلاً ولا كثيراً - أحوجُّ .

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الحام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشيء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب في ط ، س . وفي ل : « إلا أن » .

(٧) التشيخ : مصدر شيخ : صار شيخاً . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة

وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكرازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهى بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لمجوز سنديّة)

ولقد ركبت عجزاً سنديّةً ظهرَ بعيرٌ ، فلما أقبلَ بها [هذا] البعيرُ
وأدبرَ وطمر^(١) ، فمخضها مرّةً مخضَ السقاء^(٢) ، وجعلها مرّةً كأنّها ترهز^(٣)
فقلت بلسانها - وهى سنديّةٌ أعجميّةٌ - أخزى الله هذا الدّمل^(٤) ؛ فإنّه
يذكرُ بالسّرّ^(٥) ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنّه يذكرُ بالشر . حدثنا
بهذه النّادرة^(٦) محمّد بن عبّاد بن كاسب .

(نادرة لمجوز من الأعراب)

وحدّثنا ربّيعي الأنصاريُّ : أن عجزاً من الأعرابِ جَلستُ في طريق
مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقّوها قدحاً فطابت نفسها ،

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرّة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت
في ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) في الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ في البيان
(١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س ؛ « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما في ل والبيان . جاء
في البيان : « فجملت الشين سيناً والجيم ذالاً » . وانظر نظائر هذه اللفظة
في البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثُمَّ سَقَوْهَا قَدْحًا آخَرَ فَأَحْمَرَّ وَجْهَهَا وَضَحِكَتْ ، فَسَقَوْهَا قَدْحًا
ثَالِثًا فَقَالَتْ : خَبِّرُونِي عَنْ نَسَائِكُمْ بِالْعِرَاقِ ، أَيُشْرَبُ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ ؟ فَقَالُوا :
نَعَمْ . فَقَالَتْ : زَيْنَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

(عقاب خصي)

وزعم إبراهيم الأنصاريُّ المعتزليُّ أَنَّ عَبَّاسَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ جَرِيرٍ دَخَلَ
مَقْصُورَةَ لِبَعْضِ جَوَارِيهِ ، فَأَبْصَرَ حَامِئًا قَدْ قَطَعَ حَمَامَةً ، ثُمَّ كَسَحَ بِذَنْبِهِ
وَنَفَسَ رِيْشَهُ ، فَقَالَ : لِمَنْ هَذَا الْحَمَامُ ؟ فَقَالُوا : لِفُلَانٍ خَادِمِكَ - يَعْنُونَ ^(١)
خَصِيًّا لَهُ - فَقَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

٩١

(قول الحطيئة في الغناء)

و [قد] قال الحطيئة لفتيانٍ من بني قُرَيْعٍ ^(٢) - و [قد] كانوا رُبَّمَا
جَلَسُوا بِقُرْبِ خَيْمَتِهِ ، فَتَغَنَّى ^(٣) بَعْضُهُمْ غِنَاءَ الرِّكْبَانِ - فَقَالَ : يَا بَنِي قُرَيْعِ !
إِيَّايَ وَالْغِنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الزَّيْنِ ^(٤) !

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قُرَيْع كانوا من مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة
فيخضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العدة (١ : ٢٥ - ٢٦) . ط : « قُرَيْع » ،
تحريف ما في ل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغنى » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأما أبو أحمد التمار المتكلم ، فإنه شاهد صاحب حمام في يوم مجيء حمامه من واسط ، وكانت واسط يومئذ الغاية ، فرآه كلما أقبل طائر من حمامه نعر^(١) ورقص ، فقال له : والله إنى لأرى^(٢) منك عجبا ؛ أراك تفرح بأن جاءك^(٣) حمام من واسط ، وهو ذلك الذى كان ، وهو الذى جاء ، وهو الذى اهتدى ؛ وأنت لم تجي ولم تهتد ؛ وحين جاء من واسط ، لم يجي معه بشيء من خبر أبي حمزة ، ولا بشيء من مقاريض^(٤) واسط ، وبزيون^(٥) واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خطمي^(٦) ، ولا بشيء من جوز

(١) نعر نعيراً ونعارة : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « البزيون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من

رقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أى يشبه « البز » . و « يون »

لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س :

« بزبوه » وهى على الصواب الذى أثبت في ل .

(٦) الخطمي بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته

« كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمى Malvarotundifolia . ويعرف

أيضاً بالخبازى البرية . وكتب الفقه الإسلامى تردد ذكر هذا النبت في باب الجنائز ؛

إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين

٤٩ - ٥٠ . ل « خطي » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيء من زبيب^(١) . وقد مرَّ بكسكر^(٢) ، فأين كان عن جداء كسكر ،
ودجاج كسكر^(٣) ، وسمك كسكر ، وصحناء^(٤) كسكر ، ورُبَيْثاء^(٥) كسكر
[وشعير كسكر؟!] ذهب صحيحاً نشيطاً ، ورجع مريضاً كسلان ، وقد غرمت
ما غرمت^(٦) !! فقل لي : ما وجه فرحك ؟ فقال : فرحي أنني أرجو أن أبيعه
بخمسين ديناراً . قال : ومن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال : فلان ، وفلان .
فقام ومضى إلى فلان^(٧) فقال : زعم فلان أنك تشتري منه^(٨) حماماً جاء
من واسط بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لي^(٩) لم تشتريه

(١) ل : « وشيء من جوز ، وشيء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبدت عجبى هناك من تقدير
تمنه ، لكن وجدت ياقوتا يؤيد ما ذكره في كسكر بما ذكره في (واسط)
أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعني واسطاً — كوز زبد بدرهمين
واثنى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجا بدرهم » . ط ، س :

« عن دجاجها » .

(٣) الصحناء والصحناء ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح .
القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل
بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحناءها » تحريف وأثبت ما في ل .
وفي س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) في مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الرُبَيْثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل
من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « ستر »
وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ما عرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل ، وفي ط : « فقال له » .

بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : فَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَلَمْ تَشْتَرِهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَبِيعُ الْفَرَخَ مِنْهُ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِي مِنْكَ ؟ قَالَ : مِثْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ . فَأَخَذَ نَعْلَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّكَ تَشْتَرِي مِنْهُ فَرَخًا مِنْ طَائِرٍ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَقُلْ لِي : لِمَ تَشْتَرِي فَرَخَةَ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَبَاهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِي بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ يَجِيءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ ؟ قَالَ : [يَكُونُ أَنْ] أَبِيعَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : فُلَانٌ . فَتَرَكَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّ فَرَخًا مِنْ فَرَاخِهِ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ اشْتَرِيَتْهُ أَنْتَ مِنْهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ^(١) . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : وَلَمْ تَشْتَرِهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ [قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ لَمْ تَشْتَرِهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟] قَالَ : فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِ الْأَوَّلِ ^(٢) . فَقَالَ : لَارْزُقَ اللَّهُ مَنْ يَشْتَرِي حَمَامًا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَلَا رِزْقَ اللَّهُ [إِلَّا] مَنْ لَا يَشْتَرِيهِ بِقَلِيلٍ وَلَا بِكَثِيرٍ ^(٣) .

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارًا » .

(٢) ل : « مثل قوله الأول » ، وصوابه في ط ، س .

(٣) كلمة « دينارًا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هي في ط : « يشريه » وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادير لأبي أحمد التمار)

وأبو أحمد هذا هو الذى قال - وهو يعظ بعض المسرفين - لو أن رجلاً ٩٢
كانت عنده ألف ألف دينار ثم أنفقها كلها لذهبت [كلها] . وإنما سمع
قول القائل : لو أن رجلاً عنده ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يضع عليها
لكان خليقاً أن يأتي عليها ^(١) .

وهو القائل فى قصصه : ولقد عظم [رسول الله صلى الله عليه وسلم] [حق الجار] ، وقال فيه قولاً أستحيى والله من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم ^(٢) : بلغنى أن فى بستانك أشياء تهمنى ، فأحب
أن تهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم ^(٣) .
وكان زجاجاً ^(٤) قبل أن يكون تماراً .

وزعم سليمان الزجال ^(٥) وأخوه ثابت ، أنه قبل أن يكون تماراً ^(٦) قال يوماً -
وذكر الحمام ، حين زهد فى بيع الحمام ؛ وذكر بعض الملوك - فقال :
أما فلان فإنه لما بلغنى أنه يلعب بالحمام سقط من عيني !

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمننا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل :
« جدالاً » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفى ؛ لما ساقى
من الكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١) .

[تمّ القول في الحمّام ، والحمد لله وحده] .

باب

القول في أجناس الذّبان ^(٢)

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، وصلى الله
على سيّدنا محمدٍ النَّبِِّ الأُمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلّم ، وعلى أبرار عِترته ^(٣)
الطيبين الأخيار ^(٤) .

أوصيك أيّها القارئ المتفهم ، وأيّها المستمع المنصت المصيخ ^(٥) ، ألاّ تحقرَ
شيئاً أبداً لصغر جثته ، ولا تستصغر قدره لقلة ثمنٍ .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأدنون من مضي وغبر .
ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها في ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون
المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَلَ لَيْسَ بِأَدَلَّ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْخِصَاةِ ، وَلَا الْفَلَكَ الْمَشْتَمِلِ عَلَى عَالَمِنَا هَذَا بِأَدَلَّ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ . وَأَنَّ صَغِيرَ ذَلِكَ وَدَقِيقَهُ كَعَظِيمِهِ وَجَلِيلِهِ . وَلَمْ تَفْتَرِقِ الْأُمُورُ فِي حَقَائِقِهَا ، وَإِنَّمَا افْتَرَقَ الْمَفْكَرُونَ فِيهَا ، وَمَنْ أَهْمَلَ النَّظَرَ ، وَأَغْفَلَ مَوَاضِعَ الْفَرْقِ ، وَفُصُولَ الْحُدُودِ .

فَإِنْ قَبَلَ تَرْكُ النَّظَرِ ، وَمِنْ قَبْلِ قَطْعِ النَّظَرِ ، وَمِنْ قَبْلِ النَّظَرِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ النَّظَرِ ، وَمِنْ قَبْلِ الْإِخْلَالِ بِبَعْضِ الْمَقَدَّمَاتِ ، وَمِنْ قَبْلِ ابْتِدَاءِ النَّظَرِ مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ ، وَاسْتِمَامِ النَّظَرِ مَعَ انْتِظَامِ الْمَقَدَّمَاتِ - اخْتَلَفُوا .

فَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ جُمَاعُ هَذَا الْبَابِ ، إِلَّا مَا لَمْ نَذْكُرْهُ مِنْ بَابِ الْعِجْزِ وَالنَّقْصِ ؛ فَإِنَّ الَّذِي امْتَنَعَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ قَبْلِ النُّقْصَانِ الَّذِي فِي الْخِلْقَةِ^(١) يَابُّ عَلَى حِدَةٍ .

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا بَابَ الْخَطَا وَالصَّوَابِ ، وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّكْمِيلِ . فَإِيَّاكَ أَنْ تَسِيءَ الظَّنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ لِاضْطِرَابِ الْخَلْقِ ، وَلِتَفَاوُتِ التَّرَكِيبِ ، وَلِأَنَّهُ مَشْنُوءٌ فِي الْعَيْنِ ، أَوْ لِأَنَّهُ قَلِيلُ النَّفْعِ وَالرَّدِّ ؛ فَإِنَّ الَّذِي تَنْظُنُّ^(٢) أَنَّهُ أَقْلُهَا نَفْعًا لِحَلِهِ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَهَا رَدًّا . فَلَا يَكُنْ^(٣) ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ عَاجِلِ أَمْرِ الدُّنْيَا ،

(١) ط ، س : « الَّذِي بَابُهُ فِي الْخِلْقَةِ » . وَكَلِمَةُ « بَابُهُ » مُقَحَّمَةٌ .

(٢) ط ، س : « يَظُنُّ » ، وَتَقْرَأُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

(٣) ط : « إِنْ لَا يَكُونُ » س : « لَا يَكُونُ » وَتَصْحِيحُهُ وَفَقَ مَا فِي ل .

كان ذلك في آجل أمر^(١) الدين . [وثواب الدين] وعقابه باقيان ، ومنافع الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيت شيئاً من الحيوان بعيداً من المعاونة ، وجاهلاً بسبب^(٢) المكائفة^(٣) ، أو كان مما يشتدُّ ضرره ، وتشتدُّ الحراسة منه ، كذوات الأنياب من الحيات والذئاب^(٤) وذوات الخالب من الأسد والنمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدَّبَر ، فاعلم أنَّ مواقع^(٥) منفعتها من جهة الامتحان ، والبلوى . ومن جهة ما أعد الله عزَّ وجلَّ للصَّابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن]^(٦) علم أنَّ الاختيارَ والاختبار [لا]^(٧) يكونان والدنيا كلها شرٌّ صرفٌ أو خيرٌ مخض ؛ فإنَّ ذلك لا يكون إلاَّ بالمزاوجة بين المكروه والمحبوب ، والمؤلم والملدِّ ، والمحقر والمعظم ، والمأمون والخوف . فإذا كان الحظُّ الأوفرُّ في الاختبار والاختيار^(٨) ، وبهما يُتوسَّل إلى ولاية الله عزَّ وجلَّ ، وآيِد^(٩) كرامته ، وكان ذلك إنما^(١٠) يكون في الدار الممزوجة من

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما في ل .

(٣) المكائفة ، بالنون : المعاونة . كاففه : عاونه . ل : « المكائفة » بالناء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه في ل ، س .

(٥) ليست في ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآيِد : الدائم . ويدلها في ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشر ، والمشاركة والمركبة بالنفع^(١) والضرر ، المشوبة باليسر والعسر -
فليعلم موضع النفع في خلق العقرب ، ومكان الصنع في خلق الحية ، فلا
يحقرن الجرجس^(٢) والفرأش والذرة والذبابة^(٣) ولتقف حتى تنفكر في الباب
الذي رميت إليك بجملته ، فإنك ستكثر حمد الله عز وجل ، على
خلق الهمج والحشرات ، وذوات السموم والأنياب ، كما حمده على خلق
الأغذية من الماء والنسيم .

فإن أردت الزراية والتحقيق ، والعداوة والتصغير ، فاصرف ذلك كله
إلى الجن والإنس ، واحقر منهم كل من عمل عملاً من جهة الاختيار^(٤)
يستوجب به الاحتقار ، ويستحق به غاية المقت من وجه ، والتصغير
من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة^(٥) ، واستثقلت من جهة الفطرة
ضربين من الحيوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضرباً يقتلك بشدة أسرهِ^(٦) لم
تلم . إلا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لأذاك^(٧) ، وإنما خلقهما لتصبر
على أذاهما ، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها [إلا] بالصبر^(٨) .

(١) ل : « ومكان النفع في صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البهوض الصغار . ويقال أيضاً : القرص ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت
في ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختيار » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أسرهِ » تحريف .

(٧) ط : « لذلك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التي تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارة بن واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلَّا عَلَى حَالٍ^(١) مكروه . فسواءٌ عليك [أ] كان المكروه سُبُعًا وثَنَابًا ، أو كَانَ مَرَضًا قَاتِلًا . وَعَلَى أَنَّكَ لَا تَدْرِي ، لَعَلَّ النَزْعَ ، وَالْعَلَزَ وَالْحَشْرَجَةَ^(٢) ، أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ مِنْ لَذَعِ^(٣) حَيَّةٍ ، وَضَغْمَةِ سَبْعٍ^(٤) . فَلَا تَكُنْ لَهُ حُرْقَةً كَحَرَقِ النَّارِ^(٥) وَأَلَمُ كَأَلَمِ الدَّهْقِ^(٦) ، فَلَعَلَّ هُنَاكَ مِنَ السَّكَرَبِ مَا يَكُونُ مَوْقِعَهُ مِنَ النَّفْسِ فَوْقَ ذَلِكَ .

وقد علمنا أَنَّ النَّاسَ يُسَمُّونَ^(٧) الْإِنْتِظَارَ لَوَقْعِ السَّيْفِ عَلَى [صَلِيفٍ^(٨)] الْعُنُقِ جَهْدَ الْبَلَاءِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْجُهْدُ مِنْ شَكْلِ لَذَعِ النَّارِ ، وَلَا مِنْ شَكْلِ أَلَمِ الضَّرْبِ بِالْعَصَا . فَافْهَمْ فَهَمَّكَ اللَّهُ مَوَاقِعَ النِّفْعِ كَمَا يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْحِكْمَةِ ، وَأَصْحَابُ الْأَحْسَاسِ الصَّحِيحَةِ .

وَلَا تَذْهَبْ فِي الْأُمُورِ مَذْهَبَ الْعَامَّةِ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخَاصَّةِ ، فَإِنَّكَ مُسْتَوَلٌّ عَنْ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَجْعَلْ لِعِبَادٍ^(٩) ، وَلَمْ تَتْرَكَ

(١) حَالٌ ، أَيْ حَاضِرٌ . ل : « عَاجِلٌ » .

(٢) النَزْعُ : قَلْعُ الْحَيَاةِ . وَالْعَلَزُ بِالتَّحْرِيكِ : هَلَعٌ يَصِيبُ الْمُحْتَضِرَ . وَالْحَشْرَجَةُ : الْغُرْغُرَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ .

(٣) ط ، س : « لَذَعٌ » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٤) هَاتَانِ سَاقِطَتَانِ مِنْ ل . وَالضَّغْمَةُ : الْعُضَةُ . وَاسْمُ الْأَسَدِ ضَيْغِمًا لِذَلِكَ .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط : « فَلَا يَكُونُ حُرْقَةً كَحَرَقِ السَّعِ » وَفِي س : « فَلَا يَكُونُ لَكَ حُرْقَةً كَحَرَقِ السَّعِ » ، مُحَرَّفَتَانِ .

(٦) الدَّهْقُ ، بِالتَّحْرِيكِ : خَشَبَتَانِ يَغْمِزُ بِهِمَا السَّاقُ ، فَارْسِيَّتُهُ : أَشْكَنْجُهُ .

(٧) ل : « لَا يُسَمُّونَ » ، وَكَلِمَةُ « لَا » تُفْسِدُ الْمَعْنَى .

(٨) الصَّلِيفُ ، كَأَمِيرٍ : عَرَضُ الْعُنُقِ .

(٩) ل : « لِفَوَا » .

هَمَلًا . واصْرِفْ بُغْضَكَ إِلَى مُرِيدٍ ظَلَمَكَ ^(١) ، لَا يَر_اقِبُ فِيكَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ،
وَلَا مُودَةً ، وَلَا كِتَابًا وَلَا سُنَّةً . وَكَلِمَا زَادَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نِعْمَةً اَزْدَادًا ^(٢)
عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلَكَ بُغْضًا . وَفِرَّ كُلَّ الْفِرَارِ وَاهْرُبْ كُلَّ الْهَرَبِ ، وَاحْتَرَسْ
كُلَّ الْاِحْتِرَاسِ ، مَنْ لَا يَر_اقِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَمْرِينَ ،
إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ مَعَ ظُهُورِ آيَاتِهِ وَدَلَالَاتِهِ ، وَسُبُوغِ آلَائِهِ ، وَتَنَابُعِ
نِعَائِهِ ، وَمَعَ بَرَهَانَاتِ رُسُلِهِ ، وَبَيَانِ كِتَابِهِ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِهِ عَارِفًا وَبَدِينَهُ ^(٣)
مَوْقِنًا ، وَعَلَيْهِ مَجْتَرَأًا ، وَبُحْرَمَاتِهِ مُسْتَخَفًّا . فَإِنْ كَانَ بِحَقِّهِ جَاهِلًا فَهُوَ بِحَقِّكَ
أَجْهَلُ ، وَلَهُ أَنْ تَكْفُرَ . وَإِنْ كَانَ بِهِ عَارِفًا وَعَلَيْهِ مَجْتَرَأًا فَهُوَ عَلَيْكَ أَجْرًا ، وَلِحَقُوقِكَ
أَضْيَعٌ ^(٤) وَلَا يَأْدِيكَ أَكْفَرُ .

فَأَمَّا خَلْقُ الْبَعُوضَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْفَرَاشَةِ وَالذَّبَّانِ ^(٥) وَالْجَعْلَانِ ،
وَالْيَعَاسِيْبِ وَالْجِرَادِ — فَإِيَّاكَ أَنْ تَهَآوَنَ بِشَأْنِ هَذَا الْجُنْدِ ، وَتَسْتَخَفَّ ^(٦) بِالْآلَةِ
الَّتِي فِي هَذَا الذَّرِّءِ ^(٧) ؛ فَارَبَّتْ أَمَةٌ قَدْ أَجْلَاهَا عَنْ بِلَادِهَا ^(٨) النَّمْلُ ، وَنَقَلَهَا

(١) س : « لِمَنْ يَرِيدُ ظَلَمًا » .

(٢) ط فقط : « اَزْدَادُوا » .

(٣) س : « وَبَذَنِيهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) ط ، س : « وَخَلَقَكَ » . وَ « أَضْيَعٌ » تَفْضِيلٌ مِنْ أَضَاعَ . وَفِي التَّفْضِيلِ
مِنْ أَفْعَلٍ مَذَاهِبُ ثَلَاثَةٌ : الْمَنْعُ مَطْلَقًا ، وَالْجَوَازُ مَطْلَقًا ، وَالْمَنْعُ إِنْ كَانَتْ الْهَمْزَةُ
لِغَيْرِ النِّقْلِ .

(٥) الذَّبَّانِ : جَمْعُ ذَبَابٍ . ط ، س : « وَالذَّبَابُ » .

(٦) ط : « تَسْتَخَفُّ » تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٧) الذَّرُّءُ : الْخَلْقُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الذَّرُّ » .

(٨) ل : « مَسَاكِنَهَا » .

عن مساقطِ رَغْوِسِهَا الذَّرُّ ، وأَهْلِيكَ بالفَأْر^(١) ، وَجُرِدْتَ بِالْجَرَادِ ، وَعُذِّبْتَ
بِالْبَعُوضِ ، وَأَفْسَدَ عَيْشَهَا الذَّبَّانُ ؛ فَهِيَ جُنْدٌ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْلِكَ
بِهَا قَوْمًا بَعْدَ طُغْيَانِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ ؛ لِيَعْرِفُوا أَوْ لِيُعْرِفَ بِهِمْ أَنَّ كَثِيرَ
أَمْرِهِمْ ، لَا يَقُومُ بِالْقَلِيلِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِيهَا بَعْدُ مُعْتَبَرٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ،
وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ فَكَّرَ ، وَصَلَاحٌ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ^(٢) ، وَبَلَاوَى وَمُخَنَّةٌ ، وَعَذَابٌ
وَنِقْمَةٌ ، وَحُجَّةٌ صَادِقَةٌ ، وَآيَةٌ وَاضِحَةٌ^(٣) ، وَسَبَبٌ إِلَى الصَّبْرِ وَالْفِكْرَةِ . وَهَمَا
جِمَاعُ الْخَيْرِ فِي بَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاسْتِبَانَةِ^(٤) ، وَفِي بَابِ الْأَجْرِ وَعِظَمِ الْمَثُوبَةِ^(٥) .
وَسَنَدُ كَرِّ جَمَلَةٍ مِنْ حَالِ الذَّبَّانِ ، ثُمَّ نَقُولُ فِي جَمَلَةٍ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ
شَأْنِ الْغُرَبَانِ وَالْجَمْعَانِ .

(أَمْثَالُ فِي الْفَرَاشِ وَالذَّبَابِ)

وَيَقَالُ^(٦) فِي مَوْضِعِ الذَّمِّ وَالْهَجَاءِ : « مَا هُمْ إِلَّا فَرَاشُ نَارٍ وَذِبَّانُ
طَمَعٍ » . وَيَقَالُ : « أَطْيَشُ مِنْ فَرَاشَةٍ ، وَأَزْهَى مِنْ ذِبَّانٍ » .

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لا يشك
الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذي
فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشيء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ بَنِي ذُوبِيَّةَ رَهْطَ سَلَمَى فَرَاشٌ حَوْلَ نَارٍ يَصْطَلِينَا

يُطْفِنَ بَحْرَهَا وَيَقَعْنَ فِيهَا وَلَا يَدْرِينَ مَاذَا يَتَّقِينَا

والعرب تجعل الفراش والنحل والزناجير والدبر كلها من الذباب .

وأما قولهم ^(١) : « أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ » فَلَاَنَّ الذَّبَابَ يَسْقُطُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ ^(٢)

الجبَّار ، وعلى موقٍ عينيه ^(٣) ليأكله ، ثم يطرده فلا ينطرد ^(٤) .

٩٥

(معانٍ وأمثلة في الأنف)

والأنف هو النخوة وموضع التجبر .

وكان من شأن البطارقة ^(٥) وقواد الملوك إذا أنفوا [من شيء] أن ينخروا

كما ينخِر الثور عند الذبح ، والبرذون عند النشاط .

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق العين : طرفها مما يلي الأنف . والعينين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك

جائز في العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سواتهما » بالافراد ، في قراءة

الحسن . انظر هم الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفي ط ، س

« فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وهو معرب من الرومي : Patricius .

والأنف هو موضع الخنزروانة والشَّعْرَةِ^(١) . وإذا تكبَّرت النَّاقَةُ بعد أن تَلْقَحَ فإِنَّهَا^(٢) تَزُمُّ بأنفها .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كِبَرِهِ مائلَ الوجه . وشُبَّهَ بالأسد فقليلُ أصيد ؛ لأنَّ عُنُقَ الأسدِ من عَظْمٍ واحدٍ ، فهو لا يلتفتُ إلَّا بِكُلِّهِ ، فلذلك يقال لِلْمُتَكَبِّرِ : « إِنَّمَا أَنْفُهُ فِي أَسْلُوبٍ » ، ويقال : أَرغَمَ اللهُ أَنْفَهُ وَأَذَلَّ معطِسَهُ ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفك راغم ! والرَّغَامُ : التراب . ولولا كذا وكذا^(٣) هُشِّمَتْ أنفك . فإنما يخصُّون بذلك الأنف ؛ لأنَّ الكبرِ إليه يضاف^(٤) : قال الشاعر^(٥) :

يَا رَبِّ مَنْ يُبَغِّضُ أَذْوَادَنَا رُحْنٌ عَلَى بَغْضَائِهِ وَاغْتِدَيْنِ^(٦)
لَوْ نَبَتَ الْبَقْلُ عَلَى أَنْفِهِ لَرُحْنٌ مِنْهُ أَصْلًا قَدْ أَبِينِ^(٧)

(١) الخنزروانة ، بالخاء والزاي مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله الشعرة ، كهزمة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه في ل ، س . وفي ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيثة ، كما في أمالي ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « عل بغضائه » أنهم يرعين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بغضائه » هي في ط : « بغضائه » وفي س : « بعصائه » ، وصوابها من ل وأمالي ابن الشجرى ، والمحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمين : الأصيل ، وهو العشي أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشيء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبهن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه في ل . والرواية في المحاضرات : « رعين » . وجاء في ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو^(١) الذَّبَّانَ إلى السُّقُوطِ عليه . وهم يعرفون الغُدَّةَ^(٢) إذا فُشَّتْ أو أَصَابَتْ بعيراً بِسُقُوطِ الذَّبَّانِ عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط^(٣) الذَّبَّانِ على البعير يحتال الجَمَّالُ للسلطان ، إذا كان قد تسخرَ إبله^(٤) وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة^(٥) ؛ فإنه يعمدُ إلى الخَضْخاضِ^(٦) فيصبُّ فيه شيئاً من دِيسٍ^(٧) ثم يَطْلِي به ذلك البعير ، فإذا^(٨) وجد الذَّبَّانَ ريحَ الدِّبْسِ تساقطَنَ عليه ، فيدعى عند ذلك أنَّ به غُدَّةً^(٩) ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السلطانِ^(١٠) ما يُوجد عليه من الذَّبَّانِ ! فما أكثر ما يتخلصون بكراهم أموالهم^(١١) بالحيلِ من أيدي

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملاً بلا أجره . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما في ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضخاض : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : غسل التمر ، وغسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا في ل . وفي ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة

وفي ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخلصون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلْطَانُ ، ولا يظنُّ ذلك السُّلْطَانُ إِلَّا أَنَّهُ متى شاء أَنْ يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهمٍ فَعَلَ . والغَدَّةُ ^(١) عندهم تُعَدَّى ، وطِبَاعُ الإِبِلِ أَقْبَلُ شَيْءٌ لِلأَدْوَاءِ الَّتِي تُعَدَّى ، فيقول الجمالُ عِنْدَ ذلك للسُّلْطَانِ : لو لم أخفُ على [الإِبِلِ إِلَّا] بعيرى هذا المَغْدُ أَنْ يُعَدَّى لَمْ أَبَالِ ^(٢) ، وليكنِّي أَخَافُ إِعْدَاءَ الغَدَّةِ ومُضَرَّهَا فى سائرِ مالى ! فلا يزالُ يستعطفُه بذلك ، ويحتالُ له به ^(٣) حتى يَخْلَى سبيلَه .

(نفور الذِّبَّانِ من بعض الأشياء)

ويقالُ إِنَّ الذِّبَّانَ لا يَقْرُبُ قِذْرًا فِيهِ كَمَاءٌ ، كما لا يَدْخُلُ سَامٌ أُبْرِصُ ^(٤) بيتاً فِيهِ زعفران .

(الخوف على المكلوب من الذِّبَّانِ)

ومن أَصابه عَضُّ الكلبِ الكَلْبِ حَمَا وجهَه من سقوطِ الذِّبَّانِ عَلَيْهِ . قالوا : وهو أَشَدُّ عَلَيْهِ من دَيْبِ الدُّبُرِ ^(٥) على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعرة » . وانظر التنبيه الثاني من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر »

ولم أجد لها وجهاً تصح به وكلمة « يعلى » هى فى س : « يعر » وليست

مرادة . ل : « لم أبال » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لا تدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الديب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالكسر ، سيفسره

الجاحظ بعد هذا .

(النُّبْر)

وَالنُّبْرُ دَوِيبَةٌ إِذَا دَبَّتْ عَلَى الْبَعِيرِ ، تَوَرَّمْ ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

قال الشاعر وهو يصف ^(١) سِمْنَ إبله ، وَعِظَمَ أبدانها :
حمر تحقّنت النّجيل كأنّما بجلودهنّ مدارجُ الأنبار ^(٢)

(مميزات خلقية لبعض الحيوان)

وليس في الأرض ذبابٌ إلّا وهو أقرح ^(٣) ، ولا في الأرض بعيرٌ إلّا ٩٦
وهو أعلم ^(٤) ، كما أنّه ليس في الأرض ثورٌ إلّا وهو أفطس .

وفي أنّ كلّ بعير أعلمُ يقولُ عنتره :

وحليل غانية تركتُ مجدلاً تمكو فريصته كشدق الأعم ^(٥)

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » في اللسان : « جردا » . وتحقّنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحقّنت الحيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينة على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب في وجهه قرحة . انظر أمثال الميداني (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقرح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التي تسير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « حليل » والصواب في ل ، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهي الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة في وسط الجنب عند منبض القلب ، وهي ترتعد عند الفزع . قال التبريزي : « كأن هذه الطعنة في ستمها شدة الأعم » . وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتى بعد سطر . وأنا أقول : إنه في هذا البيت ما شبهها بشدة الأعم في السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكى الصوت الصادر من شدة البعير . وهذا لا يمنع أن بعض الشعراء أراد في شعره هذا المعنى الذي أدركه التبريزي والجاحظ .

كَأَنَّهُ^(١) قال : كَشَدَقَ البعير ؛ إذ كان كلُّ بعيرٍ أعلم .
والشعراء يشبّهون الضربةَ بِشِدْقِ البعير ، ولذلك قال الشاعر^(٢) :
كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فَأَقْرَاسِيَّةٍ من المصاعِبِ في أشدِّاقِهِ شَنَعٌ^(٣)
وقال الكميت :

* مَشَافِرَ قَرْحَى أَكَلْنَ البَرِيرَا^(٤) *

وإذا قيل الأَعْلَمُ ، عَلِمَ أَنَّهُ البعير ، كما أَنَّهُ إذا قيل الأَقْرَحُ^(٥) علم أَنَّهُ
الذَّبَّانُ . قال الشاعرُ :

وَلَأَنْتَ أَطْيَشُ ، حِينَ تَغْدُو سَادِرًا حذر الطعان ، مِنْ الْقَدْوَحِ الْأَقْرَحِ^(٦)
يعني الذَّبَّانُ لَأَنَّهُ أَقْرَحُ^(٧) ، ولأَنَّهُ أَبْدَا يَحْكُ بِإِحْدَى ذِرَاعَيْهِ عَلَى

(١) كَذَا في ل ، وهو الوجه . وفي ط ، س : « كما أَنَّهُ » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما في البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكرأ كان أو أنثى ، وهو في الذكور أغلب . والمصاعب ، واحدها مصعب ، وهو الفحل . في أشدِّاقه : أراد في شديقه ، ومثل هذا جائز . في الأصل : « في أشدِّاقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة في فيه ، فيعدل لذلك مشفره . والبرير :

الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما في الحيوان ٥ : ٦٠٢ :

* تشبه في الهام آثارها *

(٥) في الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا في ط ، س ، وفي ل

« حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعى الجنان » كما في أمثال الميداني (١ :

٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب . والقدوح : الذى

يملك ذراعاً بذراع ، يحكى فعل القادح الذى يطلب النار . والأقرح : الذى

في وجهه قرحة . وفي الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه

في الثمار وأمثال الميداني .

(٧) في الأصل : « أقدح » . وانظر التنبيه السالف .

الأخرى كأنه يقدح بعودى مَرَخٍ وعَفار^(١) ، أو عرجون ، أو غير ذلك مما يقدح به .

(أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض)

ولا يعلم في الأرض شاعرٌ تَقَدَّمَ في تشبيهه مُصِيبِ تامٍّ ، وفي معنى غريبٍ عجيبٍ ، أو في معنى شريفٍ كريمٍ ، أو في بديعٍ مُخْتَرَعٍ ، إلّا وكلُّ مَنْ جاء من الشعراء مَنْ بَعْدَهُ أو معه ، إنْ هو لم يَعدْ^(٢) على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنه لا يدعُ أن يستعينَ بالمعنى ، ويجعلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى^(٣) الذى تنازعهُ الشعراءُ فتختلفُ ألفاظهم ، وأعاريفُ أشعارهم ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعله [أن] يجحد أنه سمع بذلك المعنى قَطُّ ، وقال إنه خَطَرَ على بالى من غير سماع ، كما خَطَرَ على بال الأوّل . هذا إذا قرَّعوه به . إلّا ما كان من عنبرة في صفة الذباب ؛ فإنه وصفه فأجاد صفته^(٤) فتحامى معناه جميعُ الشعراء

(١) المَرخ ، بالفتح : شجر من العضاء خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المَرخ يتخذ الزندة ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقتلح بهما . قال :

إذا المَرخ لم يور تحت العفار وذن بقدر فلم تعقب

ط : « يعود من مرخ ، أو عفار » ، س : « يعود في مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرض له أحد منهم^(١) . ولقد عَرَضَ له بعضُ المحدثين ممن كان يحسنُ القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر^(٢) . قال عنترة :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً فَتَرَكَنَ كُلَّ حَلِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ^(٣)
فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يَغْنَى وَحْدَهُ هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتَرِّمْ
غَرْداً يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
قال : يريد فعل الأقطعِ المكبَّ على الزَّنَادِ . والأجْذَمُ : المقطوع

٩٧ اليدين . فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثمَّ حَكَ إحدى يديه بالأخرى ، فشَبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدَحُ بعودين . ومتى سقط الذبابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة .

(قول في حديث)

وقد كان عندنا في بني العديَّة^(٤) شيخٌ منهم مُنْكَرٌ^(٥) ، شديد المعارضة [فيه توضيح] ، فسمعتني أقول : قد جاء في الحديث : « إِنَّ تَحْتَ جَنَاحِ

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدري الآن من عني الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذي أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الثرة : الصحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم في استدارته لا قدره .

(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التوضيح : التخنيث . وفي الحديث : « إن رجلاً من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيح » أى تخنيث .

الذُّباب اليمِين شفاءً وَتَحْتَ جَنَاحِهِ الْأَيْسَرُ ^(١) سَمًّا . فَإِذَا سَقَطَ فِي إِنَاءٍ أَوْ فِي شَرَابٍ أَوْ فِي مَرَقٍ فَاعْمِسُوهُ فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ يَرْفَعُ عِنْدَ ذَلِكَ الْجَنَاحَ الَّذِي تَحْتَهُ ^(٢) الشِّفَاءَ ، وَيَحِطُّ [الْجَنَاحَ] الَّذِي تَحْتَهُ السَّمَّ . فَقَالَ : يَا ابْنِي أَنْتَ وَأُمِّي هَذَا يَجْمَعُ الْعَدَاوَةَ وَالْمَكِيدَةَ !

(قصة التيمي مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أناسٌ من الأزد ، ومعهم ابن حزن ^(٣) ، وابن حزن هذا عدوىٌّ من آل عموج ^(٤) ، وكان يتعصب ^(٥) لأصحابه من بني تميم وكانوا على نبيلٍ ، فسقط ذبابٌ في قدح بعضهم ، فقال له الآخر : غطَّ التيمي ، ثم سقط آخر في قدح بعضهم ، فقال الباكون ^(٦) : غطَّ التيمي ! فلمَّا كان في الثالثة قال ابن حزن : غطَّه فإنَّ كان تميميًّا رسَبَ ، وإن كان أزدِيًّا طفا . فقال صاحب ^(٧) المنزل : ما يسرُّني أنَّه كان نقصكم حرفاً ^(٨) . وإنما عَنَى أَنَّ أزدَ عُمانَ مَلَّاحُونَ .

(١) س : « اليميني » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » في المواضع الثلاثة . وأثبت ما في ل .

(٤) ط ، س « عدوى » : نسبة إلى عدوى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما في ل . وهو منسوب إلى بني العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما في المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هى في ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) في الأصل : « يتصمب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفي س : « كان قال بعضهم حرفا » .

(ضروب الذَّبَّانِ)

والذَّبَّانِ (١) ضروبٌ سوى ما ذكرناه (٢) من الفَرَّاشِ والنَّحْلِ والزَّنَابِيرِ .
فمنها الشَّعْرَاءُ (٣) ، وقال الراجز :

* ذَبَّانٌ شَعْرَاءٌ وَبَيْتٌ مَازِلٌ (٤) *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَّةٍ يَتَخَلَّقُ مِنْهَا وَلَا يُرِيدُ سِوَاهَا (٥) . ومنها
ذَبَّانٌ (٦) الكَلَابِ وَالرِّيَاضِ . وكلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يَأْلَفُ مَا خَلَقَ مِنْهُ . قال
أَبُو النَّجْمِ :

مُسْتَأْسِدٌ ذَبَّانُهُ فِي غَيْطَلٍ يَقْلَنُ لِلرَّائِدِ أَعْشَبَتْ أَنْزَلَ (٧)

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ما ذكر » .

(٣) الشعراء ، يفتح الشين وكسرهما ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ،
أو أحر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً ، واسمه العلمي :

. Hippodoscidae

(٤) « بيت مازل » كذا في الأصل وسيأتي في ص ٣٩٠ : « وصيف مازل » . وفي

نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبله :

* تذب عنها بأنيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبت : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرت وتكاثرته .

ويروى : « مستأسداً » . والفَيْطَلُ : الشجر الكثير الملتف ، وكذلك العشب . وأرجوزة

أبي النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أشطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩)

سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل في طنين الذباب)

والعربُ تسمي طنينَ الذَّبَّانِ والبعوضِ غِنَاءً . وقال الأخطلُ
في صفة الثَّور :

فرداً تغنيهِ ذَبَّانُ الرِّياضِ كما غَنَّى الغُواةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أسْوارِ^(١)
وقال حَضْرَمِيٌّ بن عامرٍ في طنين الذباب :

ما زالَ إهداءُ القَصائِدِ بَيْنَنَا شَتَمَ الصَّدِيقِ وكَثْرَةَ الألقابِ
حَتَّى تَرَكْتَ كَأَنَّ أَمْرَكَ بَيْنَهُمْ في كُلِّ مَجْمَعَةٍ طنينُ ذُبَابٍ^(٢)
ويقال : « ما قولي هذا عندك إلا طنينُ ذُبَابٍ »^(٣) .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذَّبَابِ وقتٌ تهيج فيه للسَّفاد^(٤) ، مع قصر أعمارها . وفي الحديث :
« أَنَّ عُمرَ الذَّبَابِ أربعون يوماً » ، ولها أيضاً وقتٌ هيج في^(٥) أَكْلِ الناسِ

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س :
« بصيح » ، وهي تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم
قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديماً .

(٢) ط و ثمار القلوب ٣٩٧ : « في كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للسكلام يستهان ولا يبالي به . ثمار القلوب . في ل :
« كطينين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعَضُّهم ، وشَرَبِ دَمائهم . و [إنما يعرض هذا] الذَّبَّانِ في (١) [البيوت عند قرب أيَّامها ؛ فإنَّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكاً . والذَّبَّانِ] في وقتٍ من الأوقات من خُوف الإبل والدوابِّ .

(علّة شدّة عضّ الذباب)

والذُّباب والبَعُوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقويتْ على خَرَقِ الجلودِ الغِلاظ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] :
 ٩٨ مثل السِّفَاةِ دَائِمٌ طَنِينُهَا (٢) رَكَّبَ في خُرطومها سِكِّينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيء أقوى عضّاً وناباً وفكّاً ؛ كالذئب والخنزير ، والكلب . وأمّا الفيل فإنَّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنَّ لكلِّ شيءٍ من الحيوان أنفاً ، وهو يده ، ومنه يُغْنَى (٣) وفيه يجري الصَّوت ، كما يُجرى الزَّامرُ الصَّوتَ في القصبةِ بالنَّفخ . ومتى تضاعطَ الهواءُ صَوْتاً على قَدَرِ الضَّغَطِ ، أو على قدر الثَّقَبِ (٤) .

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السِّفَاةُ : واحدة السِّفَا ، وهو شوك البهي والسنبُل ، أو كل الشوك . والرجز

رواه أبو علي في الأملی (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميري : « مثل

السفاة دائماً طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « يضي » .

(٤) ل : « السبب » ، وصوابه في ط ، س .

(أمثال من الشعر في الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذَّبَّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التصغير والتقليل ضربوا بالذَّبَّان المثل . قال الشاعر ^(١) :

رَأَيْتُ الْخُبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخُبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوَّحْتَنَا لِنَذْبٍ عَنَّا وَلَكِنْ خِفْتَ مَرْزِيَةَ الذُّبَابِ ^(٢)

وقال آخر ^(٣) :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أُغْلِقَ بَابُهُ وَتَعَلَّقَتْ هَمْدَانُ بِالْأَسْيَابِ ^(٤)
أَيَقَنْتُ أَنَّ إِمَارَةَ ^(٥) ابْنِ مِضَارِبٍ ^(٦)

لم يبق منها قيسٌ أَيْرِ ^(٧) ذبابٍ

(١) هو أبو الشمتق كما في عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء في البخلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمتق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيتين ، كما أعادهما في ١٠٦ . وقد نسب البيت الثاني مع سابق له غير المروى هنا ، إلى أبي الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبي نواس كما في المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة في العقد (٦ : ١٩١) تأليف .

(٢) المرزقة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاي مكسورة ؛ من رزأه : أى أصاب منه شيئا . سهلت الهمة هنا ، وجاءت بالهمز في البخلاء وديوان المعاني (١ : ١٨٧) . ورويت في العقد (٤ : ٢٢٥) : « بن دب الذباب » . والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هيئته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى في (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت مائى ل والجزء السادس وثمار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القلوب .

(٦) كذا في ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفي الثمار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التى بعدها هى في ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أثره ^(١) ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحر :
 ما كنت عن قومي بمهتضم ^(٢) لو أن معصياً له أمرٌ

كلفتني مخ ^(٣) البعوض فقد أقصرت لأنجح ولا عذر ^(٤) .

(ما يبلغ من الحيوان وما لا يبلغ)

قال : وليس شيء مما يطير يبلغ في الدم ، وإنما يبلغ في الدماء من السباع ذوات الأربع . وأما الطير فإنها تشرب حسوا ، أو عبة بعد عبة . ونعبة بعد نعبة . وسباع الطير قليلة الشرب للماء ، والأسد كذلك . قال أبو زبيد الطائي ^(٥) :

تذب عنه كف بها رمق طيراً عكوفاً كزور العرس ^(٦)

(١) ط ، س : « أثره » ، وصوابه في ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والثمار . و « كلفتني مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميداني (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا عذر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته في (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التي بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التي تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهي في تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفاً والبيتان في صفة أسد صريع ، كما في الأغاني (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدها ابن الشجري في حماسه ص ٢٧٣ .

إذا ونى 'ونية' دَلَفَنَ له فهنَّ مِنْ والغِ ومُنْتَهَسِ (١)
 قال : والطير لا تلغ ، وإنما يلغ الذباب . وجعله من الطير ، وهو وإن
 كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ،
 جاز أن يستعير للطير ولغ السباع فيجعل حسوها ولغا ، وقال الشاعر :
 سراع إلى ولغ الدماء رماحهم وفي الحرب والهيحاء أسدضراغم (٢)

(خصلتان محمودتان في الذباب)

قال وفي الذباب خصلتان من الخصال المحمودة : أمّا إحداها فقرب الحيلة
 لصرف أذاها ودفع مكروها (٣) ؛ فن (٤) أراد إخراجها من البيت فليس بينه
 وبين أن يكون البيت على المقدار الأول من الضياء والسكن (٥) [بعد
 إخراجها] مع السلامة من التأذى بالذبان - إلا أن يغلق الباب ، فإيهم
 يتبادرن إلى الخروج ، ويتسابقن في طلب الضوء والهرب من الظلمة ، فإذا
 أرخى الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من مكروه الذباب . فإن
 كان في الباب شق (٦) ، وإلا جافى المغلق أحد البابين عن صاحبه (٧)

(١) وفي : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيحاء »

وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيحاء أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه في ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء في المغلق أحد - س : إحدى - البابين من صاحبه »

وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه ^(١)] إطباقاً . وربما خرجن من الفتح الذى يكون بين أسفل الباب والعتبة . والحيلة فى إخراجها والسلامة من أذاها يسيرة ^(٢) ، وليس كذلك البعوض ؛ لأنّ البعوض إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانه ، ويشتدُّ كلبه ^(٣) فى الظلمة ، كما يقوى سلطان الذباب ^(٤) فى الضياء ، وليس يمكنُ الناسَ أنْ يُدخلوا منازلهم من الضياء ما يمنعُ عملَ البعوض ؛ لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بإدخال الشمس ، والبعوض لا يكون إلاّ فى الصَّيف ، وشمسُ الصَّيفِ لا صبرَ عليها . وليس فى الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلاّ ومعه نصيبه من الحرِّ ، وقد يفارق الحرُّ الضياءَ ^(٥) فى بعضِ المواضع ، والضياءُ لا يفارقُ الحرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإمكان الحيلة فى الذباب يسير ، وفى البعوض عسير !

والفضيلة الأخرى : أنه لولا أن الذبابة تأكل البعوضة [و] تطلبها وتلتمسها

على وجوه حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأهلها فيها قرار !

(الحكمة فى الذباب)

وذكر محمد بن الجهم — فيما خبرنى عنه بعضُ الثقات — أنه قال لهم

ذاتَ يوم : هل تعرفون الحكمة التى استفدناها فى الذباب ^(٦) ؟ قالوا : لا .

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى العُص .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتغنيه ^(١) : وذلك
أني كنت أريد القائلة ^(٢) ، فأمرت بإخراج الذباب وطرح الستر وإغلاق
الباب ^(٣) قبل ذلك بساعة . فإذا خرجن حصل في البيت البعوض ، في سلطان
البعوض ^(٤) و [موضع] قوته . فكنت أدخل إلى القائلة فيأكلني
البعوض أكلاً شديداً . فأتيت ذات يوم المنزل في وقت القائلة ، فإذا
ذلك البيت مفتوح ، والستر مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك
في يومهم ، فلما اضطجعت للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً ^(٥) وقد كان
غضبي اشتد على الغلمان ^(٦) ، فنمت في عافية . فلما كان من الغد عادوا
إلى إغلاق الباب وإخراج الذباب ، فدخلت ألتبس القائلة ، فإذا البعوض
كثير . ثم أغفلوا ^(٧) إغلاق الباب يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتهم
فلما صرت إلى القائلة لم أجد بعوضة واحدة ، فقلت في نفسي [عند ذلك] : ١٠٠
أراني قد نمت في يومي [الإغفال و] التضييع ، وامتنع مني النوم في أيام
التحفظ والاحتراس . فلم لأجرب ترك إغلاق الباب في يوم هذا . فإن نمت ^(٨)

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « وتصيدها وتلقطها وتغنيها » ، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم في القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فأغلاق الباب » ، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) في الأصل « أغفلوا » ، والوجه ما أثبت . وانظر ماسياً في بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط : « نمت » .

ثلاثة أيام^(١) لا ألقى من البعوض أذى مع فتح الباب ، علمتُ أَنَّ الصَّواب في الجمع بين الذَّبَّانِ و [بين^(٢)] البعوض ؛ فَإِنَّ الذَّبَّانِ [هـى التى] تُفْنِيهِ^(٣) ، وَأَنَّ صَلَاحَ أَمْرِنَا فى تَقْرِيبِ مَا كُنَّا نَبَاعِدُ . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمَّ . فصرنا إذا^(٤) أردنا إخراجَ الذَّبَّانِ أخرجناها بأيسر حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوض أفئناها [على أيدي الذَّبَّانِ بأيسر حيلة] .
فها تان خَصْلَتان من مناقب الذَّبَّانِ .

(طَبَّ القَوَابِلِ والعِجَازِ)

وكان محمد بن الجهم^(٥) يقول : لانتهاونوا بكثيرٍ مِمَّا تَرَوْنَ^(٦) من علاجِ القَوَابِلِ والعِجَازِ ، فَإِنَّ كَثِيرًا من ذلك إِنَّمَا وَقَعَ لِإِهْنٍ^(٧) من قدمائِ الأَطْبَاءِ ؛ كَالذَّبَّانِ يُلْقَى فى الإِثْمِدِ ويسحق معه ، فيزيد [ذلك^(٨)] فى نور البصر ، ونفاذ^(٩) النظر ، وفى تشديد^(١٠) مراكز [شعر^(١١)] الأشْفَارِ^(١٢) فى حَاقَاتِ الجُفُونِ .

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤)

والمقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إلهيم » ، وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .

(٨) من ل وعيون الأخبار .

(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : « ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشْفَار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضره)

وقلت له مرّة : قيل لماسرجويه : ما بال الأكرّة^(١) وسكّان البساتين ، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشربهم ماء السّوّاقى على المالح^(٢) أقلّ النَّاس خُفْشَانَا [وعَمِيَانَا] وُعْمَشَانَا^(٣) وعُورَا ؟ قال : إنى فكّرت فى ذلك فلم أجده له علّة إلّا طول وقوع أبصارهم على الخضره .

(من لا يتقرّز من الذّبان والزناير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السّفالة^(٤) ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهم] لا يرمدون . وليس لذلك أكلوه^(٥) وإنماهم كأهل خُرَاسان الذين يأكلون فراخ الزّناير ، والزّناير ذِبان ، وأصحاب الجبن الرّطب يأخذون الجينة التى قد نَغِلَتْ^(٦) دوداً ، فيسكنها [أحدهم^(٧)] حتّى يخرج ما فيها من الدّود فى راحته ، ثمّ يقمّحها كما يقمّح السّويق^(٨) . وكان الفرزدق يقول : ليت أنهم دفعوا إلى

(١) الأكرّة : جمع أكار ، وهو الحراث .

(٢) كذا . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على السبك المالح » .

(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذى ضعف بصره خلقة ، أو الذى قسد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذى لا يبصر ليلاً .

(٤) السّفالة ، بالضم من بلاد الزنج .

(٥) ط : « أكلوا » .

(٦) نغلت : فسدت .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) قح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيب من اللذبان ضربة واحدة ، بشرط أن آكله لراحة الأبد منها ^(١) . وكان كما زعموا ^(٢) شديد التقذر لها [والتقرُّز] ^(٣) منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثُمّامة : تساقط ^(٤) اللذبان في مرق بعض القصّاص وعلى وجهه فقال : كثير الله بكنّ القبور !
وحكى ثُمّامة عن هذا القاص أنه سمعه بعبّادان ^(٥) يقول في قصصه :
اللهم منّ علينا بالشهادة ، وعلى جميع المسلمين !

(قصّة في عمر الذُّباب)

وقال لي المسكّي مرة : إنما عمر اللذبان أربعون يوماً . قلت ^(٦) : هكذا جاء في الأثر . وكنا يومئذ بواسط في أيّام العسكر ^(٧) وليس بعد أرض

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا في ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفي ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبّادان : جزيرة في دجلة ، قرب مصبها . وفي العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل « عمر » فعلا .

(٧) ل : « المساكر » . وانظر ماورد في ص ٣٤٧ .

الهند أكثر ذباباً من واسط ، ولربما رأيت الحائط وكان عليه مسحا^(١)
شديد السواد من كثرة ما عليه من^(٢) الذبان . فقلت للمكي : أحسب الذبان
يموت^(٣) في كل أربعين يوماً ، وإن شئت في^(٤) أكثر ، وإن شئت في أقل .
ونحن كما ترى ندوسها بأرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين
يوماً^(٥) ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميتاً . فلو كان ١٠١
الأمر على ذلك لرأينا الموتي كما رأينا الأحياء . قال : إن الذبابة إذا أرادت أن
تموت ذهبت إلى بعض الخرابات^(٦) . قلت : فإننا قد دخلنا كل خربة^(٧)
في الدنيا ، ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً .

(المكي)

وكان المكي طبيباً^(٨) طيب الحجج ، ظريف الحيل^(٩) ، عجيب العلل
وكان يدعى كل شيء على غاية الإحكام ، ولم يُحكَمْ شيئاً قط ، [لا] من

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :

ثم شرين بنيط والجمال كأ
ن الرشع منهن بالآباط أمساح

(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذي عليه » .

(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .

(٤) ط ، س : « في » .

(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوماً » .

(٦) الخرابات : جمع خربة ، كقرفة ، وهي موضع الخراب . ط ، س : « الخرايب »

وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .

(٧) ط ، س : « خربة » ، وهي على الصواب في ل .

(٨) طبيباً ، أي ظريفاً فدكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طبيباً » .

(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدقيق . وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه ،
وأخبرك عن بعض عله ؛ لتلّهي^(١) بها ساعة ، ثمّ نعود إلى [بقية]
ذكر الذّبان .

(نَوَادِرُ الْمَكِّيِّ)

ادّعى هذا المكيّ البصّرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى برذونٍ واقف ، قد
ألقي صاحبه [في] فيه اللّجام ، فرأى فأسَ اللّجام^(٢) وأين بلغَ منه ، فقال
لى : العجب ! كيف لا يذرعُه القيء ، وأنا لو أدخلت إصبعي [الصغرى]
في حلقى لما بقيَ في جوفى شيءٌ إلّا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنّك
تُبصر^(٣) ! ثمّ مكث البرذونَ ساعةً يلوّكُ لجامه ، فأقبل علىّ فقال لى :
كيف لا يبرُدُ أسنانه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلك !
ثمّ رأى البرذونَ كلّما لأك اللّجامَ والحديدة^(٤) سال لعابُه على الأرض
فأقبل علىّ وقال : لولا أنّ البرذونَ أفسدُ الخلق عقلاً لكان ذهنه قد
صفأ^(٥) ! قلت له : قد كنت أشكُ في بصرك بالدّوابّ ، فأما بعدَ هذا فلستُ
أشكُ فيه !

(١) ل : « لتلّهي » ، وحذف التاء في مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللّجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لأكه يلوّكه لوكا : عضه . ل : « كلما لأك الحديدة » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فقال لى إن البرذون أفسد الخلق عقلاً ، ولولا

ذلك لكان ذهنه قد صفأ » .

وقلت له مرةً ونحن في طريق بغداد: ما بالُ الفرسخِ في هذه الطريق يكون
فرسخين ، والفرسخ يكون أقلَّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكَّر طويلاً ثمَّ
قال : كان كِسرى يُقَطِّعُ للنَّاسِ الفراسخَ ، فإذا صانَعَ صاحبُ القطيعة
زادوه ، وإذا لم يصانِعْ نقصوه !

وقلت له مرةً : علمتُ أنَّ الشارِى^(١) حدَّثنى أنَّ المخلوعَ^(٢) بعث إلى
المأمونِ بجِرابٍ فيه سمسمٌ ، كأنَّه يخبرُ أنَّ عنده من الجند بعددِ ذلك [الحبَّ]
وأنَّ المأمونَ بعثَ إليه بديكٍ أعورَ ، يريدُ أنَّ طاهر بن الحسين^(٣) يقتلُ هؤلاءِ
كلَّهم ، كما يلقطُ الديكُ الحبَّ ! قال : فإنَّ هذا الحديثُ أنا ولَّدته . ولكن
انظرْ كيفَ سارَ في الآفاقِ ؟ !
وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

(١) ل : « السيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأمين للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه
الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه
بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ . وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد
وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحل رأسه إلى خراسان ووضع
بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة
٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، ففى ذلك يقول عمرو بن بانه :

ياذا اليمينين وعين واحده نقصان عين وعين زائده

(معارف في الذباب)

ثمَّ رجع بنا القول إلى صلة كلامنا في الإخبار عن الذَّبَّان .
 فأما سكَّان بلاد الهند فإنَّهم لا يطأُخون قِدْرًا ، ولا يعملون حَلْوَى ^(١) ولا يكادون يأكلون إلَّا ليلاً ؛ لما يتهافت من الذَّبَّان في طعامهم . وهذا يدلُّ على عفَن التُّربة وَلَحْن الهواء .
 ولِلذَّبَّانِ يعاسيبٌ وَجِحْلانٌ ^(٢) ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير . ولو كانت هذه الأصناف التي يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتخذ رئيساً يدبِّرها ويحوطها ، لَأَتَمَّا أخرج ^(٣) ذلك منها العقلُ دونَ الطَّبع ، وكالشيء ينخصُّ به البعوض دون الكل ^(٤) - لكان الذَّرُّ [وَالنَّمْلُ] أَحَقَّ بذلك من السِّكْرَاكِيَّ والغَرَانِيقِ ^(٥) والثَّيْرَانِ ، ولِكَانَ الفيلُ أَحَقَّ به من البعير ؛ لأنه ليس للذَّرِّ قائدٌ ولا حارس ، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعض المواضع ، ويوردها بعضاً .

١٠٢

-
- (١) في الأصل : « الحلوا » ، وإنما هي « الحلوى » تقصير وتتمد .
 (٢) الجِحْلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جعل بالفتح ، وهو العظيم من اليعاسيب . واليعاسيب هي كبار الذباب كما نقل الهميري عن الجاحظ . ونقظ « الجِحْلان » جاء في الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .
 (٣) ل ، س : « خرج » .
 (٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدَّى العبارتين واحد .
 (٥) الغرانيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير المساء . ويطلق في العراق على ما يسمى بالإوز العراقي .

وكلُّ قائِدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُودِ . وهذا الاسمُ مستعارٌ من
فحل النحل وأمير العسالات^(١) .

وقال الشاعر^(٢) وهو يعنى الثور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عافَ باقِرُّ وما ذنبُه إذ عافَتِ الماءَ باقِرُّ
وكما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان^(٣) وفساده :
« فإذا كان ذلك ضُربَ يعسوبُ الدِّينِ بذَنبِه »^(٤) .

وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد]^(٥)
قتيلاً يوم الجمل : « لهُنى عليكَ يَعْسوبُ قريش ! جدَعْتَ أنْفى وشَفَيْتَ
نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة »^(٦) .

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو المبيان للفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض
مسافراً أو مجاهداً . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللمعابة معان آخر
تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتَّاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد
وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير
ورآه على وهو قتيل فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط
فى الإصابة ٥٠٣٨٣ . والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهزلة . قال ابن دريد : « وأسيد : فيل من
قوهم أسد يأسد أسداً إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، بالضم ، حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقذر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنتن من العذرة ، فكذاك لا شيء أقذر من الذبّان والقمل . وأما العذرة فلو لا أنها كذلك لكان الإنسان مع طول رؤيته لها ، وكثرة شمها لها من نفسه في كلّ يوم صباحاً ومساءً ، لقد كان ينبغي أن يكون قد ذهب تقدره له على الأيام ^(١) ، أو تمحق ^(٢) ، أو دخله ^(٣) النقص . فبأنها ستين عاماً وأكثر وأقل على مقدار واحد [من التّن] في أنف الرجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك ^(٤) ، وقد رأينا المِران ^(٥) والعادات وصنيعها في الطّباع ، وكيف تهوّن الشديد ، وتقلّل الكثير . فلو لا أنها فوق كلّ شيء من التّن ، لما ثبتت هذا الثّبات ، ولعرض لها ما يعرض لسائر التّن . وبعد فلو كان إنما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقدره له على الأيام » . ل : « أن يكون

ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يحق » ، وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « في أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المِران بمعنى التمود والإلف . ووجدته مصدراً لما رنت الناقة مرانا ، إذا ظهر

أنها قد لحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة .

ط ، س : « المرات » تحريف .

يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِ نَفْسِهِ ، لِكَانَ ذَلِكَ أَشْبَهَ . فَإِذْ قَدْ ثَبَتَ فِي أَنْفِهِ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ ^(١) ، وَهُوَ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ ، وَحَتَّى صَارَ يَجِدُهُ أَنْتَنَ مِنْ رَجِيعِ [جَمِيعِ] الْأَجْناسِ - فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لَمَّا قَدْ خُصَّ بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْقَمَلِ الَّذِي إِنَّمَا يُخْلَقُ مِنْ عَرَقِ الْإِنْسَانِ ، وَمِنْ رَائِحَتِهِ ، وَوَسَخِ جِلْدِهِ ، وَبَخَارِ بَدَنِهِ . وَكَذَلِكَ الذَّبَّانُ الْخَالِطَةُ لَهُمْ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ ، وَالْمَلَايِسَةُ لَهُمْ دُونَ جَمِيعِ الْهَوَامِّ وَالْهَمَجِ وَالطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ حَتَّى تَكُونَ أَلْزَمَ مِنْ كُلِّ مَلَاذِمٍ ، وَأَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ؛ حَتَّى مَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ ، وَلَا مِنْ ثَوْبِهِ ، وَلَا مِنْ طَعَامِهِ ، وَلَا مِنْ شَرَابِهِ ، [حَتَّى لَزِمَهُ لَزُومًا] لَمْ يَلْزِمَهُ شَيْءٌ ^(٢) قَطُّ كَلْزُومِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ يَسَافِرُ السَّقَرِ الْبَعِيدَ مِنْ مَوَاضِعِ الْحِصْبِ ، فَيَقْطَعُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفَارَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا وَلَا بِقَرْبِهَا نَبَاتٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا حَيَوَانٌ ، ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ يَتَوَخَّى عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَائِطِ فِي تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ أَنْ يَفَارِقَ أَصْحَابَهُ ، فَيَتْبَاعِدُ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي صَحْرَاءِ ١٠٣ خُلُقَاءِ ^(٣) ، فَإِذَا تَبَرَّرَ فَنِي وَقَعَ بَصْرُهُ عَلَى بَرَارِيهِ رَأَى الذَّبَّانَ سَاقِطًا عَلَيْهِ . فَقَبَّلَ ذَلِكَ مَا كَانَ يَرَاهُ . فَإِنْ كَانَ الذَّبَابُ شَيْئًا يَتَخَلَّقُ لَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَهَذِهِ أَعْجَبُ مَا رَأَاهُ وَمَا أَرَدْنَا ^(٤) ، وَأَكْثَرَ مِمَّا قُلْنَا . وَإِنْ كَانَ قَدْ كَانَ سَاقِطًا عَلَى الصُّخُورِ الْمُلْسِرِ ، وَالْبِقَاعِ الْجُرْدِ ، فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ ، وَفِي الْهَاجِرَةِ

(١) ط ، س : « عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ التَّنِ » .

(٢) ط ، س : « وَلَا مِنْ شَرَابِهِ لَمْ يَلْزِمَ شَيْئًا » وَلَهُ وَجْهٌ .

(٣) الْخُلُقَاءُ : الْمُصِيتَةُ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا ، الْمَلْسَاءُ . ل : « صَخْرَةٌ مَلْسَاءٌ » .

(٤) ط فَقَطْ : « أَرَدْنَاهُ » . ل : « أَعْجَبُ مَا أَرَدْنَا » .

التي تشوي كل شيء ، وينتظر مجيئه - فهذا أعجب مما قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إما طائفة^(١) معه ، وإما ساقطة عليه ، فلما تبرز انتقلت عنه إلى برازه ، فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذباب ؛ لأن العصافير ، والخطاطيف ، والزرارير ، والسنانير ، والكلاب وكل شيء يألف الناس ، فهو يقيم مع الناس . فإذا مضى الإنسان في سفره ، فصار كالمستوحش^(٢) ، وكالتازل بالقفار ، فكل شيء أهلى يألف الناس فإنما هو مقيم على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش ؛ إلا الذبان .

قال : فإذا كان الإنسان يستقذر الذبان في مرقه وفي طعامه هذا الاستقذار ، ويستقذر القمل مع محله من القرابة والنسبة هذا الاستقذار فعلوم أن ذلك لم يكن إلا لما خص به من القدر . وإلا فبدون هذه القرابة وهذه الملازمة ، تطيب الأنفس عن كثير من المحبوب .

(إلحاح الذباب)

قال : وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهم ربما تعودن المبيت على خوص فسيلة وأقلاها^(٣) من فسائل الدور ، أو شجرة ، أو كيلة^(٤) ، [أو]

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمستوحش » .

(٣) الفسيلة ككريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاها : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود خصوصها .

(٤) الكيلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوق به من البعوض .

ط ، س : « أو بلة » .

باب ، أو سقف بيت ، فيُطَرَّدْنَ إذا اجتمعن لوقتهنَّ عند المساء^(١) ليلتين أو ثلاث ليال ، فيتفرقن أو يهجرن ذلك المكان في المُستَقْبَلِ ، وإن كان ذلك المكان قريباً ، وهو لهنَّ معرض ، ثم لا يدعْنَ أن يلتمسن ميئاً غيره . ولا يعرض لهنَّ من اللجاج في مثل ذلك ، مثل الذي يعرض لهنَّ من كثرة الرجوع إلى العينين والأنف بعد الذبِّ والطرد ، وبعد الاجتهاد في ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمد بن حرب^(٢) : ينبغي أن يكون الذبَّانُ سُماً نَاقِعاً ؛ لأنَّ كُلَّ شَيْءٍ يشتدُّ أذاه باللمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجدرُّ أن يؤذى . وهذه الأفاعي والثعابين والجرارات^(٣) قد تمسُّ جلودها ناساً فلا تضرُّهم^(٤) إلا بأن تلبس إبرة العقرب وناب الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرجل يدخل في خرق أنفه ذباباً ، فيجول في أوله من غير أن يجاوز [ما حاذى]

(١) ط ، س : « المشاء » .

(٢) هو أبو علي محمد بن حرب الهلالي ، كان من أعلام متكلمي الخوارج ، وكان من البلغاء الأئييناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ في غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صفار تجرر أذناها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب في ل .

(٤) ط : « ولا تضرهم » محرفة .

روثة أنفه وأرنبته^(١) فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالنفخ وشدة النفس ولم يكن له هنالك لبث ، ولا كان منه عضو ، وليس إلا ما مس^(٢) بقوامه ١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في^(٣)] ذلك المكان من أنفه ، من الدغدغة والأكال^(٤) والحكة ، ما لا يصنع الخردل^(٥) وبصل الترجس ، ولبن التين . فليس يكون ذلك منه إلا وفي طبعه من مضادة طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادة شئ وإن أفرط .

قال : وليس الشأن في أنه لم ينخس^(٦) ، ولم يجرح ، ولم يخز^(٧) ولم يعض ، ولم [يغمز] ، ولم يחדش . وإنما هو على قدر منافرة الطباع للطباع ، وعلى قدر القرابة والمشاكلة .

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصحته في ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريق ماروي داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأضحى . وبديل هذه الكلمة في ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « يغمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجد الإنسان يغمّ بِتَنَقُّضٍ^(١) الفتيلة وصوتها عند قرب انطفاء النار ، [أ] ولبعض البلبل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصوت بالشديد^(٢) ، ولكن الغمّام به ، والتكره له ، يكون في مقدار ما يعتريه من أشدّ الأصوات . ومن ذلك المسكروه الذى يدخل على الإنسان من غطيط النائم ، وليست تلك الكراهة لعلّة الشدّة والصلابة ، ولكن من قبل الصوورة والمقدار ، وإن لم يكن من قبل الجنس^(٣) . وكذلك صوت احتكاك الآجر الجديد ببعضه ببعض ، وكذلك شجر الآجام على الأجراف^(٤) ؛ فإن النفس تكرهه كما تكره صوت الصّاعقة . ولو كان على ثقة من السلامة من الاحتراق ، لما احتفل بالصّاعقة ذلك الاحتفال . ولعلّ ذلك الصوت وحده ألا يقتله^(٥) . فأما الذى نشاهد اليوم الأمر عليه ، فإنه متى قرب منه قتله . ولعلّ ذلك إنما هو لأنّ الشئ إذا اشتدّ صدمته^(٦) فسَخّ القوة

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهى في ط :

« بتنقض » ، وفي س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم

وبضمين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والنهر .

(٥) ل : « ولعلّ ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذي فيه ^(١) الإنسان والمحيط [به] أن يحمى ويستحيل ناراً ^(٢) ؛
للذي قد شارك ذلك الصوت من النار . وهم لم يجدوا الصوت ^(٣) شديداً جداً
إلا ما خالط منه النار .

(ما يقتات بالذباب)

وقال ابن حرب : الذبَّان قوتُ خلقٍ كثيرٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ ،
وهو قوتُ الفرائيج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخلد ^(٤) ، وضروب
كثيرة من الهمج ، همج الطير ، وحشرات السباع ^(٥) . فأما الطير والسودانيات ^(٦) ،
والحصانيات ^(٧) ، والشاهمركات ^(٨) ، وغير ذلك من أصناف الطير ، وأما
الضباع - فإنها تأكل الجيف ، وتدع في أفواها فضولاً ، وتفتح أفواها

(١) ل : « في » .

(٢) كذا في ل واللسان (صق ٦٧) . وفي س : « يستحر » وفي ط : « ويستخر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ في (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزراير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) في القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحصانيات » ، تصحيف

صوابه في ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد في المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل

الساقين . يذا فسرهُ شيخ المحققين الأب أنستاس ماري في رسالة إلى . وقال : « هو بالفرنسية :

Echassier ، وبالمعنى المتقدم في الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة

وفسرت خطأ في (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات

(١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

لِلذَّبَّانِ ، فَإِذَا احْتَشَتْ ضَمَّتْ عَلَيْهَا . فهذه إنما تصيد الذَّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ ، وهو الاختطافُ والاختلاس ، وإعجالها عن الوثوب إذا تَلَقَّطَتْه بأطراف المناقير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيْث لِلذَّبَّابِ)

فَأَمَّا الصَّيْدُ الَّذِي لَيْسَ لِلْكَلْبِ ، وَلَا لَعَنَاقِ الْأَرْضِ ^(١) ، وَلَا لِلْفَهْدِ ، وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِثْلُهُ فِي الْحَذَقِ وَالْخِتَلِ وَالْمُدَارَاةِ ، وَفِي صَوَابِ اللَّوْثِيَّةِ ، وَفِي التَّسَدُّدِ وَسُرْعَةِ الْخُطْفِ ، [فليس ^(٢)] مِثْلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ اللَّيْثُ وَهُوَ الصَّنْفُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الْعَنَاكِبِ بِصَيْدِ الذَّبَّانِ ^(٣) ؛ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ إِذَا عَايَنَ الذَّبَّانَ سَاقِطاً ، كَيْفَ يَلْطَأُ ^(٤) بِالْأَرْضِ ، وَكَيْفَ يَسْكُنُ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ لِلْوْثِيَّةِ ، وَكَيْفَ يُؤَخَّرُ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الْغِرَّةِ ، وَكَيْفَ يَرِيهَا أَنَّهُ عَنْهَا لَاهٍ ؛ ١٠٥ فَإِنَّكَ تَرَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً لَمْ تَرِ مِثْلَهُ مِنْ فَهْدٍ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ الْفَهْدُ مَوْصُوفاً مَنَعُوتاً .

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسناً . الحيوان (٦ : ٣٥٢)

في الأصل : « لعناق » بالهاء ، وهو خطأ .

(٢) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .

(٤) لطاء بالأرض ، كنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطى » .

واعلم أنه قد ينبغي ألا يكون في الأرض شيء أصيد منه ؛ لأنه لا يطير ،
ولا يصيد إلا ما يطير ! ويصيد طائراً شديداً الحذر ، ثم يصيد صياداً ! لأن
الذباب يصيد البعوض . وخديعتك للخداع أعجب ، ومكرك بالماكر أغرب !
فكذلك يكون صيد هذا الفن ^(١) من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزناير للذباب)

وزعم الجرداني ^(٢) أن الوزغ تختل الذبان ، وتصيدها صيداً حسناً
شبيهاً بصيد الليث .

قال : والزنبور حريص على صيد الذبان ، ولكنه لا يطعم فيها إلا أن
تكون ساقطة على خرء ، دون كل تمر وعسل ؛ لشدة عجبها بالخمر ، وتشاغلها
به ! فعند ذلك يطعم فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجرداني ^(٣) وتابعه كيسان : أن الفهد إنما أخذ ذلك عن الليث . ومتى
راه ^(٤) الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه ؟ ! فظننت أنهما قلداً في ذلك بعض
من إذا مدح شيئاً أسرف فيه .

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلاً في س : « الجرداني » .

(٣) س : « الجرداني » . ل : « الجرداني » .

(٤) ل : « وحي » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أَنَّ السَّبَّعَ الصَّيُودَ إِذَا كَانَ مَعَ سَبْعٍ هُوَ أَصْبَدُ مِنْهُ ، تَعْلَمُ مِنْهُ وَأَخَذَ عَنْهُ . وَهَذَا لَمْ أَحَقِّقْهُ . فَأَمَّا الَّذِي لَا أَشْكُ فِيهِ فَأَنَّ الطَّائِرَ الْحَسَنَ الصَّوْتِ الْمَلْحَنَ ، إِذَا كَانَ مَعَ نَوَائِحِ [الْمَطِيرِ] ^(١) وَمَغْنِّيَاتِهَا ، فَكَانَ بِقَرَبِ الطَّائِرِ ^(٢) مِنْ شِكْلِهِ ، وَهُوَ أَحْذَقُ مِنْهُ [وَأَكْرَزُ] ^(٣) وَأَمْهَرُ ، جَاوِبُهُ وَحَكَاهُ ، وَتَعْلَمُ مِنْهُ ، أَوْ صَنَعَ شَيْئًا يَقُومُ مَقَامَ التَّعْلَمِ .

(تعليم البراذين والطيور)

وَالْبِرْدُونَ يُرَاضُ فَيَعْرِفُ مَا يَرَادُ مِنْهُ ، فَيَعِينُ عَلَى نَفْسِهِ . وَرَبَّمَا اسْتَأْجَرُوا لِلطَّيْرِ رَجُلًا يَعْلَمُهَا . فَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا فِي الْبَلَابِلِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُدْعَى لَهَا فَيَطَارِحُهَا مِنْ شَكْلِ أَصْوَاتِهَا .

(ما يَخْتَرَعُ الْأَصْوَاتَ وَاللَّحُونِ مِنَ الطَّيْرِ)

وَفِي الطَّيْرِ مَا يَخْتَرَعُ الْأَصْوَاتَ وَاللَّحُونِ الَّتِي لَمْ يُسَمِعْ بِمِثْلِهَا قَطُّ مِنَ الْمُؤَلِّفِ لِلَّحُونِ مِنَ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهُ رَبَّمَا أَنْشَأَ لِحَنًا لَمْ يَمُرَّ عَلَى أَسْمَاعِ ^(٤) الْمَغْنِّينِ قَطُّ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أحذق .

(٤) ط : « سماع » .

وأكثر ما يجدون ذلك من الطير في القمارى ، وفي السودانيات^(١) ، ثم في الكرازة^(٢) . وهي تأكل الذبان أكلاً ذريعاً .

(اللجوج من الحيوان)

ويقال إن اللجاج في ثلاثة أجناس من بين جميع الحيوان : الخنفساء ، والذباب ، والدودة الحمراء ، فإنها في إبان ذلك تروم الصعود إلى السقف ، وتمرّ على الحائط الأملس شيئاً قليلاً فتسقط وتعود ، ثم لا تزال تزداد شيئاً ثم تسقط ، إلى أن تمضى إلى باطن السقف ، فربما سقطت ولم يبق عليها إلا مقدار إصبع ، ثم تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المغاليس فيها)

والخنفساء ثقيل قبل قبل الإنسان فيدفعها ، فتبعد بقدر تلك الطردة والدفعة ثم تعود أيضاً ، فيصنع بها أشد من تلك ثم تعود ، حتى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضبه سبباً لقتلها .

(١) السودانيات : الزراير .

(٢) الكرازة : جمع كرتز ، كقبر ، وهو البازي . ط ، س : « الكرازة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتى سقط إلى المفاليس ^(١) أن ١٠٦
الحنافس تجلب الرزق . وأن دنوها دليل على رزق حاضر : من صلة
أو جائزة ، أو ربح ، أو هدية ، أو حظ . فصارت الحنافس إن دخلت
في قمصهم ثم نفذت إلى سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثر
ماعدتهم اليوم الدفْع لها ببعض الرفق . ويظن بعضهم أنه إذا دفعها ^(٢)
فعادت ، ثم دفعها ، فعادت ، ثم دفعها فعادت - أن ذلك كلما كان
أكثر ، كان حظُّه من المال الذي يؤمِّله عند مجيئها أجزَل ^(٣) .
فانظر ، أية واقية ، وأية حافظة ^(٤) ، وأى حارس ، وأى حصن أنشأه
لها هذا القول ^(٥) ! وأى حظ [كان] لها حين صدقوا [بهذا الخبر]
هذا التصديق ^(٦) ! والطَّمع هو الذى أثارَ هذا الأمرَ من مدافنه ^(٧) ، والفقر
هو الذى اجتذب ^(٨) هذا الطَّمع واجتلبه . ولكن الويل لها إن ألحَّت على
غنى عالم ، وخاصةً إن كان مع جدته وعلمه حديداً عجولاً ^(٩) .

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المفاليس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » فى مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا فى ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « مواقفه » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفى الأصل :
« مع حلوته » .

(اعتقاد العامة في أمير الذبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنين (١) الملحَّ في ذلك ،
الجهيرَ الصوت ، الذي تسميه العوامُ : « أمير الذبّان » ، فكانوا يحتالون
في صرفه (٢) وطرده [وقتله] ، إذا أكرههم بكثرةِ ظنينه وزجله وهماهمه (٣)
فإنه لا يفتّر (٤) . فلما سقط إليهم أنه مبشّرٌ بقدومِ غائبٍ وُبرء سقيم ، صاروا (٥)
إذا دخل المنزلَ وأوسعهم شراً ، لم يهجه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنسى في أجلٍ شيءٍ من الحيوان هيباً لذلك
سبباً ، كما أنه إذا أراد أن يقصُر عمره [ويحينَ يومه] هيباً لذلك (٦) سبباً .
فتعالى الله علواً كبيراً !

ثمَّ رجّع بنا القولُ إلى إلحاحِ الذبّان .

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هي في ط ، س :
« البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشيء .

(٣) هماهم : جمع هممة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أي لا يسكن ولا ينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه في ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سَوَّار وإلحاح الذُّباب)

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبدُ الله بنُ سَوَّار^(١) ، لم يرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زَمِيئاً ولا رَكِيئاً^(٢) ، ولا وقوراً حلياً ، ضَبَطَ من نفسه ومَلَكَ من حركته مثلَ الذي ضَبَطَ ومَلَكَ . كان يصليُّ الغداةَ في منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأتِي مجلسه فيحتبي ولا يَسْكِي ، فلا يزالُ منتصباً لا يتحرَّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حَبَوته^(٣) ولا يحولُ رجلاً عن رجل^(٤) ، ولا يَعتمد على أحدٍ شِقِيه ، حتَّى كأنه بناءٌ مبنًى ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتَّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمَّ يعودُ إلى مجلسه فلا يزال كذلك^(٥) حتَّى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حتَّى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يُصليُّ العشاء [الأخيرة^(٦)] وينصرف . فالحق يقال : لم يقم

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العبدي البصري . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار في ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى في في أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزيمت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعصاة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلا على رجل » وأثبت مافي ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتَّى يقوم » ساقط من ل ، وثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هي المغرب .

في طول تلك المدّة والولاية مرّة واحدة إلى الوضوء ، ولا احتاج إليه ،
 ١٠٧ ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب . كذلك كان شأنه في طوال الأيام
 وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها ^(١) . وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا
 يُشير برأسه . وليس إلّا أن يتكلم [ثم يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني
 الكثيرة] ^(٢) . فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه ، وفي السّماطين ^(٣)
 بين يديه ، إذ سقط على أنفه ذباب فاطال المكث ، ثمّ تحول إلى مؤق
 عينه ^(٤) ، فرام ^(٥) الصبر في سقوطه على المؤق ، وعلى عضه ونفاذ خرطومه
 كما رام ^(٦) من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته ،
 أو يغضّ ^(٧) وجهه ، أو يذب بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليه من الذباب
 وشغله وأوجعه وأحرقه ، وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل ، أطبق جفنه
 الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن والى ^(٨) بين الإطباق
 والفتح ، فتنحى ريثما سكن جفنه ، ثمّ عاد إلى مؤقه بأشدّ من مرّته الأولى
 فغمس خرطومه في مكان كان قد أواهه قبل ذلك ، فكان احتمال له

(١) كلمة : « في » ساقطة من ل في الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السباط ، بالكسر : الصف .

(٤) في الأصل : « عينيه » ، وأثبت ما في النّار . والمؤق : طرف العين مما يلي الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التبيين السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غصونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض »

بمعنى يخفض . وفي النّار : « بعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت ما في ل والنّار .

أضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى^(١) ، فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين^(٢) ، وفي تتابع الفتح والإطباق ، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده . فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه يده ، ففعل ، وعيون القوم إليه ترمقه ، وكأنهم لا يرونه^(٣) ، فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، ثم ألجأه إلى أن يذب عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمثاله وجلسائه . فلما نظروا إليه قال : أشد أن الذباب ألح^(٤) من الخنفساء ، وأزهي من الغراب ! وأستغفر الله ! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً ! وقد علمت أنني عند الناس من أزم الناس^(٥) ، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه ! ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل » ، وصوابه في ل . ونحو منه ما في الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح في فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست في الثمار . وليس ما يمنع بقاءها . و « يرونه » هي في الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا في الأصل : « ألح » بالحاء كما في أمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما في الثمار وكما سيأتي في ص ٥٠٠ .

(٥) أزم الناس : أي أشدهم وقاراً وسكوناً . ط : « أضعف » ووجهه في س ، ل . وفي الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هي في ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بين اللسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مهيباً في أصحابه ،
وكان أحدَ من لم يَطْعَنُ عليه في نفسه ، ولا في تعريض أصحابه للمَنَالَةِ (١) .

(قصة في إلحاح الذباب)

فأما الذي أصابني أنا من الذَّبَّانِ ، فَإِنِّي خَرَجْتُ أَمْشِي فِي الْمَبَارِكِ (٢)
أَرِيدُ دَيْرَ الرَّيِّعِ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَهَرَدْتُ فِي عَشْبٍ [أَشْبٍ] (٣)
وَنَبَاتٍ مُلْتَفٍّ كَثِيرِ الذَّبَّانِ ، فَسَقَطَ ذَبَابٌ مِنْ تِلْكَ (٤) الذَّبَّانِ عَلَى أَنْفِي ،
فَطَرَدْتُهُ ، فَتَحَوَّلَ إِلَى عَيْنِي (٥) [فَطَرَدْتُهُ ، فَعَادَ إِلَى مُوقِ عَيْنِي] ، فَزِدْتُ
فِي تَحْرِيكِ يَدَيَّ فَتَنَحَّيْتُ عَنْهُ بِقَدْرِ شِدَّةِ حَرَكَتِي (٦) وَذَبْتُ عَنْ عَيْنِي - وَلِذَبَّانِ
الْكَلَا وَالْغِيَاضِ وَالرَّبَايِضِ وَقَعَ لَيْسَ لغيرها - ثُمَّ عَادَ إِلَى فَعَدْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
١٠٨ عَادَ [إِلَى] فَعَدْتُ بِأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا عَادَ اسْتَعْمَلْتُ كُمِّي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنْ
وَجْهِ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأَنَا فِي ذَلِكَ أَحْتُ السَّيْرِ ، أَوْمِلُ بِسُرْعَتِي انْقِطَاعَهُ عَنِّي (٧)
فَلَمَّا عَادَ نَزَعْتُ طَيْلَسَانِي (٨) مِنْ عُنْتِي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنِّي بَدَلِ كُمِّي ، فَلَمَّا

(١) المَنَالَةُ : مصدر نلت أنال .

(٢) المَبَارِك : اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبيد الله القسري . ويمشي فيه :

أَي فِي شَاطِئِهِ . ط ، س : « مِنْ عِنْدِ ابْنِ الْمَبَارِكِ » .

(٣) أَشْبٍ : أَي مُلْتَفٍّ . وَكَلِمَةُ « عَشْبٍ » سَاقِطَةٌ مِنْ ل .

(٤) ط ، س : « ذَلِكَ » .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « فَطَرَدْتُهُ فَلَمْ أَقْدِرْ فَتَحَوَّلَ إِلَى عَيْنِي » .

(٦) ل : « فَتَنَحَّيْتُ عَنْ قَدْرِ شِدَّةِ حَرَكَتِي » .

(٧) ل : « أَحْتُ السَّيْرِ » وَقَدْ سَقَطَ مِنْهَا « أَوْمِلُ بِسُرْعَتِي » .

(٨) الطَيْلَسَانُ : كِمَاءٌ مَدُورٌ أَخْضَرٌ ، لَحْمَتُهُ أَوْ مَسْدَاهُ مِنْ صَوْفٍ ، يَلْبَسُهُ
الْخَوَاصُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ ، وَهُوَ مِنْ لِبَاسِ الْعَجَمِ ، وَهُوَ لَفْظٌ مَعْرَبٌ
مِنْ تَالَسَانَ الْفَارْسِيَّةِ .

عَاوَدَ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ حِيلَةً اسْتَعْمَلْتُ الْعَدُوَّ ، فَعَدَوْتُ مِنْهُ شَوْطاً [تَأَمَّاً] لَمْ
أَتَكَلَّفْ مِثْلَهُ مَذْ كُنْتُ صَبِيئاً ، فَتَلَقَّانِي الْأَنْدَلُسِيُّ فَقَالَ لِي : مَالِكُ يَا أَبَا عُمَانَ !
هَلْ مِنْ حَادِثَةٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، [أَكْبَرُ الْحَوَادِثِ] ، أُرِيدُ أَنْ أَخْرِجَ مِنْ مَوْضِعٍ
لِلذَّبَّانِ عَلَى فِيهِ سُلْطَانٌ ! فَضَحِكُ حَتَّى جَلَسَ . وَانْقَطَعَ عَنِّي ، وَمَا صَدَّقْتُ
بِانْقِطَاعِهِ عَنِّي حَتَّى تَبَاعَدَ ^(١) جَدًّا .

(ذَبَّانُ الْعَسَاكِرِ)

وَالْعَسَاكِرُ أَبْدَأَ كَثِيرَةَ الذَّبَّانِ . فَإِذَا ارْتَحَلُوا لَمْ يَرَ الْمَقِيمُ بَعْدَ الظَّاعِنِ
مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرَ .

وَزَعِمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَّبِعْنَ الْعَسَاكِرَ ، وَيَسْقُطْنَ عَلَى الْمَتَاعِ ، وَعَلَى
جِلَالِ ^(٢) الدَّوَابِّ ، وَأَعْجَازِ الْبَرَاذِينِ الَّتِي عَلَيْهَا [أَسْبَابُهَا ^(٣)] حَتَّى تَوْدِي إِلَى
الْمَنْزِلِ الْآخِرِ .

[وَ] قَالَ الْمَسْكِيُّ : يَتَّبِعُونَنَا لِيُوْذُونَا ، ثُمَّ لَا يَرْكَبُونَ إِلَّا أَعْنَاقَنَا
وَدَوَابَّنَا ^(٤) !

(١) ل : « تَبَاعَدَتْ » .

(٢) الْجِلَالُ : جَمْعُ جَلٍ بِالضَّمِّ وَبِالْفَتْحِ ، وَهُوَ مَا تَلْبَسُهُ الدَّابَّةُ لِتَصَانَ بِهِ .

(٣) كَذَا فِي س . وَبِدَلْفَا فِي ل : « أَرِبَابُهَا » .

(٤) هَذَا حِكَايَةٌ مِنَ الْجَاهِظِ لِلْفُظَّاءِ الْمَسْكِيِّ . وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ ضَمِيرِ الْعَاقِلِ لَغَيْرِهِ .

(تَخْلُقُ الذَّبَابَ - ١ -)

ويقول بعضهم : بل إنما يتخلَّق من تلك العُفوناتِ والأبْخَرَةِ والأنفاسِ ،
فإذا ذهبَت فَنِيَتْ مع ذهابها ^(١) ويزعمون أنَّهم يعرفون ذلك بكثرةِها
في الجنائبِ ، وبقِلَّتِها في الشَّائِلِ ^(٢) .

قالوا : وربَّما سدَّدنا فَمَ الآنيةِ التي فيها الشَّرَابُ بالصَّمامَةِ ، فإذا
نزعناها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً .

وقال ذو الرِّمَّةِ ^(٣) :

وَأَيْقَنَ أَنَّ الْقِنَعَ صَارَتْ نِطَافُهُ ^(٤) فَرَأَشاً وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابَسُ
[الْقِنَعُ : الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء ^(٥) . والفراش : الماء الرقيق
الذي يبقى في أسفل الحياض] .

وأخبرني رجلٌ من ثَقِيفٍ ، من أصحاب النِّبَيْذِ أنَّهم [ربَّما] فلقوا السَّفَرَجْلَةَ
أَيَّامَ السَّفَرِ جُلَّ لِلنَّقْلِ ^(٦) والأكل ، وليس هناك من صغار الذَّبَّانِ شيءٌ أَلْبَتَّةَ

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « فإذا ذهب ذلك خف » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب . وهي الرياح الجنوبية . والشَّائِل : جمع شال ، بالفتح ، وهي
الريح الشمالية . ل : « في الشال » .

(٣) يصف الحمر الوحشية . ديوانه ٣١٣ .

(٤) النطاف : جمع نقطة ، وهي هنا الماء الكثير . وتقال أيضاً للماء القليل ،
بل هو الأكثر . ط ، س : « نطاقة » ووجهه في ل .

(٥) النقران : جمع نقر . و « يجتمع » هي في الأصل : « يجمع » ، والتفسير بعده مخالف
للاستشهاد . وانظر ماسياً في ٥ : ٤٠٤ .

(٦) النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب ، وهو ما يعبث به الشارب على شرابه .

ولا يُعَدِّمُهُمْ أَنْ يَرَوْا عَلَى مَقَاطِعِ السَّفَرِ جُلَّ ذُبَابًا صَغَارًا . وَرَبَّمَا رَصَدُوها وَتَأَمَّلُوها ، فيجدونها تعظُم حتى تُلحق بالكبار في السَّاعة الواحدة .

(حياة الذُّباب بعد موته)

قال : وفي الذُّبان طبع كطبع الجعلان ، فهو طبعٌ غريبٌ عجيب . ولولا أَنَّ العِيانَ قَهَرَ أَهْلَهُ لَسَكَانُوا خَلْقَاءَ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَبَرَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ الْجُعَلَ إِذَا دُفِنَ فِي الْوَرْدِ ^(١) مَاتَ فِي الْعَيْنِ ، وَفَنِيَتْ حَرَكَاتُهُ كُلُّهَا ، وَعَادَ جَامِداً تَارِزاً ^(٢) وَلَمْ يَفْصِلِ النَّاطِرُ إِلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُعَلِ الْمَيِّتِ ، مَا أَقَامَ عَلَى تَأْمَلِهِ ^(٣) . فَإِذَا أُعِيدَ إِلَى الرُّوثِ عَادَتْ إِلَيْهِ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ مِنْ سَاعَتِهِ ^(٤) .

وَجَرَّبْتُ أَنَا [مِثْلَ] ذَلِكَ فِي الْخَنَفَسَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ فِيهَا قَرِيباً مِنْ صِفَةِ الْجُعَلِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ كُلُّ ذَلِكَ [إِلَّا] ^(٥) لِقَرَابَةِ [مَا] بَيْنَ الْخَنَفَسَاءِ وَالْجُعَلِ . وَدَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْرَجَ إِبْجَانَةً ^(٦) كَانَ فِيهَا مَاءٌ مِنْ غَسَالَةِ أَوْسَاخِ الثِّيَابِ ، وَإِذَا ذِبَّانٌ كَثِيرَةٌ قَدْ تَسَاقَطْنَ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَهَوَّتْنَ ^(٧) . هَكَذَا كُنَّ ^(٨) فِي رَأْيِ الْعَيْنِ . فَغَبَرُنَ كَذَلِكَ

(١) ط : « المورِد » وصوابه في ل ، س . وانظر ما سبق في (٢ : ١١٢) .

(٢) التارِز : اليايس الذي لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإِجَانَةُ : الوعاء يغسل فيه الثياب . في الأصل : « من إِجَانَةٍ » ، والوجه حذف

« من » .

(٧) يقال مَوْتَتِ الدُّوَابُ تَمَوِّتًا : كَثُرَ فِيهَا الْمَوْتُ . انظر اللسان . ط ، س :

« فتن » .

(٨) كَذَا في ل ، س . وفي ط : « كان » أى كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتُهُنَّ وَلَيْلَتُهُنَّ ، وَالْعَدَّ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، حَتَّى انْتَفَخْنَ وَعَفِنَ^(١) وَاسْتَرْخَيْنَ ؛ وَإِذَا ابْنُ أَبِي كَرِيمَةٍ قَدْ أَعَدَّ آجِرَةً جَدِيدَةً^(٢) ، وَفُتَاتَ آجِرٍ جَدِيدٍ ، وَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ الْخَمْسَ مِنْهُنَّ^(٣) وَالسَّتْ ، ثُمَّ يَضَعُهُنَّ عَلَى ظَهْرِ الْآجِرَةِ الْجَدِيدَةِ ، وَيَذَرُهُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ ذِقَاقِ ذَلِكَ الْآجِرِ الْجَدِيدِ الْمَدْقُوقِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُهَا فَلَا تَلْبِثُ أَنْ يَرَاهَا^(٤) قَدْ تَحَرَّكَتْ ، ثُمَّ مَشَتْ ، ثُمَّ طَارَتْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ طَيَّرَ أَنَّ ضَعِيفٌ .

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبي كريمة يقول : [لا] والله ، لادفنتُ ميئاً أبداً حَتَّى يَنْتِنَ ! قلت : وكيف [ذاك] قال : إِنَّ غلامِي هَذَا نُصِيرَ مَاتَ ، فَأَخْرَجْتُ دَفْنَهُ لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقَدِمَ أَخُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَقَالَ : مَا أَظُنُّ أَخِي مَاتَ ! ثُمَّ أَخَذَ فَنِيْلَتَيْنِ ضَخِمَتَيْنِ ، فَرَوَّاهُمَا دُهْنًا ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِمَا النَّارَ ، ثُمَّ أَطْفَأَهُمَا وَقَرَّبَهُمَا إِلَى مَنْخَرِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَحَرَّكَ . وَهَا هُوَ ذَا قَدْ تَرَاهُ ! قلتُ لَهُ : إِنْ أَصْحَابُ الْحُرُوبِ [وَالَّذِينَ يَغْسِلُونَ الْمَوْتَى ، وَالْأَطْبَاءُ ، عِنْدَهُمْ فِي هَذَا دَلَالَاتٌ وَعَلَامَاتٌ فَلَا تَحْمِلُ عَلَى نَفْسِكَ فِي وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ إِلَّا تَسْتُرُهُ بِالْدَفْنِ حَتَّى يَجِيفَ .

(١) ل : « وغفن » .

(٢) ل : « أجراً جديداً » .

(٣) ل : « منها » .

(٤) س : « تراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقربون الميت من أنف الكلب ، ويستدلون بذلك على أمره .
فعلمت أن الذي عايناه ^(١) من الذبان قد زاد في عزمه .

(النُعر)

والنُعر : ضرب من الذبان ، والواحدة نُعرة . وربما دخلت في أنف
البعير أو السبع ، فيزُم بأنفه ^(٢) ؛ للذي يلتق من المكروه بسببه . فالعربُ
تشبه ذا الكبر من الرجال إذا صغر خده ، وزَمَّ بأنفه - بذلك البعير في تلك
الحال . فيقال عند ذلك : « فلان في أنفه نُعرة » ، وفي أنفه خنزوانة ^(٣) .
وقال عمر ^(٤) : « والله لا أقلعُ عنه أو أطير ^(٥) نُعرته » .

ومنها القمَع ، وهو ضرب من ذبان الكلا . وقال أوس ^(٦) :
ألم تر أن الله أنزلَ مُزنه ^(٧) وغفرُ الطبَّاءِ في الكِناسِ تَقمَعُ ^(٨)
وذلك مما يكون في الصيف وفي الحر .

(١) ل : « عاينه » .

(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لآلم به . ط ، س : « فتورم أنفه »
وليس هنالك .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه في ط ، ل ونهاية ابن الأثير .

(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .

(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو المساء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه
الأخيرة جاءت الرواية في الديوان .

(٧) القمعر : جمع أعفر ، وهو الطيبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع :
أن تحرك رءوسها لتطرد القمغ .

(أذى الذبّان للدوابّ)

والذبّان جُنْدٌ من جند الله شديد الأذى. وربما كان أضرّ من الدبّر^(١) في بعض الزمان ، وربما أتت على القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغطى^(٢) الدوابّ حتّى تضرب بأنفسها الأرض - وهى فى المفاوز - وتسقط ، فهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم . وكذلك تضرب الرعاء^(٣) بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يستلکها^(٤) صاحب دابّة ، ويقول بعضهم لبعض : بادروا قبل حركة الذبّان ، وقبل أن تتحرك ذبّان^(٥) الریاض والكلأ !

والزناير لا تسكاد تدمي^(٦) إذا لسعت بأذنابها . والذبّان تغمس خراطيمها فى جوف لحوم الدوابّ ، وتخرق الجلود الغلاظ حتى تنزف الدّم نزفا . ولها مع شدّة الوقع سموم . وكذلك البعوضة ذات سمّ ، ولو زید ١١٠ فى بدن البعوضة وزید فى حرقة لسعها إلى أن يصير بدنها كبदन الجرّارة^(٧) - فإنها أصغر العقارب^(٨) - لما قام له شيء ، ولكان أعظم بليّة من الجرّارة

(١) الدبّر ، بالفتح : جماعة النحل والزناير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تغطى » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلکها » .

(٥) جاء فى ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمى » وصوابه فى ل .

(٧) الجرّارة سبق تفسيرها فى ص ٣٣٣ . ط : « الجرّادة » وصوابها فى ل ، س .

(٨) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبية^(١) أضعافاً كثيرة . وربما رأيت الحمار وكأنه مُمَغَّر^(٢) أو معصفَر .
ولأنهم^(٣) مع ذلك ليجلّلون حمّهم ويبرّقعونها ، وما يدعون موضعاً إلا
ستروه بجهدهم ، فربّما رأيت الحمير وعليها الرّجال [فيما بين عبّدى^(٤)
والمذار^(٥)] بأيديهم المناخس والمذاب^(٦) ، وقد ضربت بأنفسها الأرض^(٧)
واستسلمت للموت . وربما رأيت صاحب الحمير^(٨) إذا كان أجيراً يضربها
بالعصا بكلّ جهده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعر عنده خطر . ولقد رأيت ذُباباً سقط
على سالفة^(٩) حمار كان تحتي ، فضرب بأذنيه ، وحرك رأسه بكلّ

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى نصيبين ، وهي مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرها فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها في العرادات والقواريير ، فتملاً القارورة وتدفع بالمرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) منغر : مصبوغ بالمغرة ، وهي بالفتح وبالتحريك : صيغ أحر طين ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عيسى ، كما في معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقّفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المسكارى » . والمسكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده^(١) ، [و^(٢)] أنا أنأمله وما يقلع عنه ، فعمدْتُ بالسَّوطِ لِأُحْيِيَهُ بِهِ^(٣) .
فنزاه عنه ، ورأيت مع نزوهٍ عنه الدَّمُ^(٤) وقد انفجر ؛ كأنَّهُ كان يشرب
الدَّمَ وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نَحَاه طلع .

(ونيم الذباب)

وتزعمُ العائمةُ أَنَّ الذَّبَّانَ يَحْرَأُ [عَلَى] ماشاء^(٥) قالوا : لأنَّا نراه يَحْرَأُ
عَلَى الشَّيْءِ الْأَسْوَدِ أبيضَ ، وعلى الأبيضِ أسود .

ويقال قد ونمَ الذُّباب - في معنى خرى الإنسان - وعَرَّ الطَّائِرُ^(٦) ،
وصام النَّعامَ ، وذَرَقَ الحِمَامَ . قال الشاعر^(٧) :

وَقَدْ وَنَمَ الذَّبَابُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّ وَنِيمَهُ نَقْطُ الْمِدَادِ^(٨)

وليس طولُ كَوْمِ البعيرِ إذا ركب النَّاقَةَ ، والخنزيرِ إذا ركب الخنزيرة ،
بأطولَ ساعةٍ من لَبِثِ ذَكُورَةٍ^(٩) الذَّبَّانَ عَلَى ظُهُورِ الْإِنَاثِ عِنْدَ السَّفَادِ .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأُحييه » .

(٤) كذا في ط ، س . وبדله في ل : « فع نزوه عنه نزا الدم » .
نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما في المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب
١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذباب - ٢ -)

والذباب من الخلق الذى يكون مرة من السّفاد والولاد^(١) ، ومرة من تعفن الأجسام والفساد الحادث فى الأجرام .

والباقلاء^(٢) إذا عتق شيئا فى الأنبار^(٣) استحال كله ذباباً^(٤) ، فربما أغفلوه فى تلك الأنبار فيعودون إلى الأنبار وقد تطاير من الكوى والخروق فلا يجدون فى الأنبار إلا القشور .

والذباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثم يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقباً فى داخله شيء كأنه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذبان وصيره^(٥) . وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق . ولو^(٦) تم جناحاه لقد كان طار .

(١) الولاد - بالكسر - أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفيف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يختزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذباناً » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذباب)

وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الحربية^(١) قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البصرة وإمَّا بغداد - ذهب عني حفظه - فصرتُ في سفينةٍ حملها باقلاء ، فقلت في نفسي : هذا والله من الحظِّ وسعادة الجَدِّ ، ومن التوفيق والتسديد ، ولقد أربع من وقَعَ له مثل هذا^(٢) الذي [قد] وقع لي : أجلسُ في هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فأكلُ منه نبيًّا^(٣) ومطبوخًا ، ومقلوًّا ، وأرضُ بعضَه وأطحنه^(٤) ، وأجعلُه مرقًا^(٥) وإدامًا ، وهو يغذو^(٦) غذاءَ صالحًا ، ويُسمِنُ ، ويزيد في الباه^(٧) . فابتدأت فيما أُمِّلته ، ودفعنا السفينة ، فأنكرتُ كثرة الذَّبَّان . فلما كان الغدُ جاء منه ما لم أقدرُ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الحديث ، وشُغِلت بالذَّبِّ . على أنهم لم يكن يبرحن بالذَّبِّ ، ولكن^(٨)

(١) الحربية بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشيء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيشا » . والنيء ، بالكسر : الذي لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أحسنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفًا في عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذا » .

(٦) كذا في س . وفي ل ، ط : « يغلى » .

(٧) يقال الباه والباة : وفي الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . جاء

في س : « الباءة » ، وفي ل : « يزيلني الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَقْوَى عَلَيْهِنَّ ؛ لِأَنِّي كُنْتُ لَا أُطْرِدُ مَائَةً حَتَّى يَخْلِفَهَا مَائَةٌ مَكَانَهَا . وَهُنَّ فِي أَوَّلِ مَا يُخْرِجُنَّ مِنَ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّ بَهْنَ زَمَانَةً^(١) فَلَمَّا كَانَ طَيْرَانَهُنَّ أَسْوَأَ [كَانَ أَسْوَأَ]^(٢) لِحَالِي ، فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : وَيْلَكَ ! أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ حَتَّى صَارَ الذَّبَابُ يَتْبَعُكَ ! قَدْ وَاللَّهِ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ ! قَالَ : [أ] وَلَيْسَ تَعْرِفُ الْقِصَّةَ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : [هِيَ وَاللَّهِ] مِنْ هَذِهِ الْبَاقِلَاءِ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ لَجَاءَنَا^(٣) مِنَ الرُّكَّابِ كَمَا يَجِئُونَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ الْحُمُولَاتِ^(٤) . وَمَا ظَنَنْتُهُ^(٥) إِلَّا مِنْ قَدْ اغْتَفَرَ [هَذَا] لِلَّيْنِ الْكِرَاءِ ، وَحُبُّ التَّفَرُّدِ بِالسَّفِينَةِ . فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْرِبَنِي إِلَى بَعْضِ الْفُرُصِ^(٦) ، حَتَّى أَكْتَرِيَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ ، فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَزُودَكَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَلْتَقِيَ أَنَا وَالْبَاقِلَاءَ فِي طَرِيقٍ أَبَدًا !

(مِنْ كَرِهِ الْبَاقِلَاءِ)

وَلِذَلِكَ كَانَ أَبُو شَمْرٍ^(٧) لَا يَأْكُلُ الْبَاقِلَاءَ ، وَكَانَ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ مَعْلَمِهِ مَعْمَرٍ أَبِي الْأَشْعَثِ^(٨) . وَكَذَلِكَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ وَالْوَكَيْعِيُّ ، وَمُعَمَّرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، بِرَهَةٍ مِنْ دَهْرِهِمْ .

(١) الزمالة ، بالفتح : العاهة والآفة .

(٢) التكامة من ل ، س .

(٣) ط : « لَجَأْنَا » وصوابه في ل ، س .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « إِلَى أَصْحَابِنَا » .

(٥) ظ ، ل : « وَمَا أَظُنُّكَ » .

(٦) الفرص : جمع فرصة بالضم ، وهي محط السفينة . ل : « الْفُرَى » .

(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه في الفرق بين الفرق ١٩٠ — ١٩٤ .

قال فيه الجاحظ : « وَكَانَ شَيْخًا وَقُورًا وَزَمِيئًا رَكِيئًا » ، وَكَانَ ذَا تَصَرُّفٍ فِي الْعِلْمِ ،

وَمَذْكُورًا بِالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ . الْبَيَانُ (١ : ٩١) . وَضَبَطَهُ السَّمْعَانِيُّ ٣٣٨ بِكسر الشين وَتسكون

الميم ، ومرة أخرى بِكسر الشين وتشدِيد الميم المفتوحة .

(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، وَحَفِصُ الْفَرْدِ =

وكان يقول : لولا أنَّ الباقلاء عَفِنَ فاسدُ الطَّبعِ ، ردىءٌ يَحْتَرِ الدَّمَ
ويَغْلُظُهُ ويورثُ السَّوداءَ وكلَّ بلاءٍ — لما وَلَدَ الذَّبَّانُ . والذَّبَّانُ أَقْدَرُ ما طار
ومشَى ! وكان يقول : كلُّ شَيْءٍ يَنْبَتُ منكوساً فهو ردىءٌ للذهن ، كالباقلَاء
والباذنجان .

وكان يزعم أنَّ رجلاً هرب من غرمانه فَدَخَلَ في غابةٍ باقلَاء ، فَتَسَتَّرَ
عَنهم بها ، فَأَرَادَ بعضهم إِخْرَاجَهُ والدُّخُولَ فيها لطلبِهِ ، فقال : أَحْكَمْهُمْ
وأعلمهم : كفَّاكم له بموضعه شَرًّا !

وكان يقول : سمعتُ ناساً من أَهلِ التَّجَرُّبَةِ يحلفون بالله : إِنَّهُ (١)
ما أَقامَ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ يوماً في مَنبَتِ باقلَاءٍ وخرج منه إِلَّا وقد أُسْقِمَهُ سُقْمًا
لا يزِيلُ جِسْمَهُ .

وزعم أنَّ الذي منع أصحاب الأذهان (٢) والتَّريبةَ بالسَّمْسَمِ من أن يربُّوا
السَّماسِمَ (٣) بَنَوْرَ الباقلاء ، الذي (٤) يعرفونَ من فسادِ طبعِهِ (٥) ، وأنَّه (٦) غير

= ومعر ، وأبو شر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست
ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليبسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق
نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، ووروده ثلاث مرات في الجزء الأول من البيان
برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الهمزة : الشحم .

(٣) السماسم ضبط في نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه :
« كذا هو بالضم في النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هي « السماسم »
واحدته سامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم
المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمون على الدماغ وعلى الخيشوم والسماخ^(١) ، ويزعمون أن عمله [الذى عمله هو^(٢)] القصد إلى الأذهان بالفساد^(٣) .

وكان يزعم أن كل شئ^(٤) يكون رديئا^(٥) للعصب فإنه يكون رديئا للذهن ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديئا للعصب ، [وأن البلاد^(٦)] إنما صار يصلح العقل ويورث الحفظ ؛ لأنه صالح للعصب [.

وكان يقول : سواء على أكلت الذبان أو أكلت شيئا لا يولد إلا الذبان ، وهو لا يولد [إلا هو] . والشئ لا يلد الشئ إلا وهو أولى الأشياء ١١٢ به ، وأقرها إلى طبعه^(٧) ، وكذلك جميع الأرحام ، وفيما ينتج أرحام الأرض^(٨) وأرحام الحيوان ، وأرحام الأشجار ، وأرحام الثمار ، فيما يتولد منها وفيها^(٩) .

(١) السباخ بالكسر : خرق الأذن ه جاء فى ط : « الصباخ » ، وهما لفتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « القصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شئ ردى » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلاد ، ويقال البلاد ، لفظه هندى . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شئ شبيه بالدم . ومن أسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمر الفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . » الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف المروور)

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجد مع فتّيانٍ من المسجدين^(١) مما يلي أبواب بني سليم ، وأنا يومئذٍ حدث السن^(٢) إذ أقبلَ أبو سيف^(٣) المروور — وكان لا يؤذى أحداً ، وكان كثير الظرفِ من قومِ سراة — حتى وقف علينا ، ونحن نرى في وجهه أثر الجِدِّ ، ثم قال مجتهداً : والله الذي لا إله إلا هو إن الخُرءَ لخلو . ثم والله الذي لا إله إلا هو [إنَّ الخُرءَ لخلو . ثم والله الذي لا إله إلا هو إنَّ الخُرءَ لخلو] ، يميناً بآتة^(٤) يسألني الله عنها يوم القيامة ! فقلت له : أشهد أنك لا تأكله ولا تذوقه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنتَ علمت أمراً فعلّمنا ممّا علمك الله . قال : رأيت الذبّان يسقط على النّبيذ^(٥) الحلو ، ولا يسقط على الخازر^(٦) ، ويقع على العسل ولا يقع^(٧) على الخلّ ، وأراه على الخُرء أكثر منه على التّمّر . أفتريدون حُجّةً أبين من

(١) المسجديون : طائفة كانت تُلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشي البيان

١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذٍ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباذ المروورين .

(٤) بآتة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النّبيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفي س : « تسقط » في هذه الجملة ولاحقها .

(٦) الخازر : الحامض الشديد الطعم . ط ، س : « الخاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، في الموضعين .

هذه ^(١) ؟ فقلت : يا أبا سَيفٍ ^(٢) بهذا وشبهه يُعرفُ فضلُ الشَّيْخِ عَلَى الشابِّ .

(تخلق بمض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى ^(٣) ذكر خلق الذِّبَانِ من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غير ^(٤) ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأنِ العالمِ ، وبأقسامِ الحيوانِ . وهم يظنُّونَ أنَّ على الدِّينِ من الإقرار بهذا القولِ مضرَّةٌ . وليس الأمر ^(٥) كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبه العيانُ فهو أفحش ^(٦) خطأً ، وأسَخَفُ مذهباً ، وأدُلُّ على معاندةٍ شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ .

وإنْ ذهب الدَّاهِبُ إلى أن يقيس ذلك ^(٧) على مجازِ ظاهرِ الرَّأْيِ ،

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا في س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفي ل :

« أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « في » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هي في ط ، س :

« فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ،

والأخيرة محرفة .

دُونَ الْقَطْعِ عَلَى غَيْبِ حَقَائِقِ الْعِلَلِ ، فَأَجْرَاهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ - قَالَ قَوْلًا^(١) يَدْفَعُهُ الْعِيَانُ أَيْضًا ، مَعَ إِنكَارِ الدِّينِ لَهُ .

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَلَيْسَ فِيهِمَا حَيَّةٌ وَلَا دَوْدَةٌ ، فَيُخْلَقُ مِنْهَا^(٢) فِي جَوْفِهِ أَلْوَانٌ مِنَ الْحَيَّاتِ ، وَأَشْكَالٌ مِنَ الدِّيدَانِ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى . وَلَكِنْ لَا بَدَأَ لِدَٰلِكَ الْوِلَادِ وَاللِّقَاحِ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَنْ تَنَاقُحِ طِبَاعٍ^(٣) ، وَمَلَاقَاةِ أَشْيَاءٍ تُشَبِّهُ بِطِبَاعِهَا الْأَرْحَامَ ، وَأَشْيَاءٍ تُشَبِّهُ فِي طِبَاعِهَا مَلَقَّحَاتِ^(٤) الْأَرْحَامِ .

(اسطراد لغوی بشواهد من الشعر)

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

فَاسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ فَأَلْقَحَتْ^(٥) عَنْ هَيْجِهِ وَاسْتَنْتَجَتْ أَحْلَامًا^(٦)

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَإِذَا الْأُمُورُ تَنَاقَحَتْ فَالْجُودُ أَكْرَمُهَا نِتَاجًا

(١) « قَالَ قَوْلًا » هُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ . وَفِي ط ، س : « وَقَالَ قَوْلًا » ، وَالْوَجْهَ حَذْفُ الْوَاوِ .

(٢) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَفِي ط ، س : « مِنْهَا » .

(٣) ل : « طِبَاعٍ » .

(٤) ط : « مَلَاقَاتٍ » مُحَرَّفَةٌ . ل : « فِي طِبَاعِهَا » .

(٥) اللَّيْلُ الْبَهِيمُ : الشَّدِيدُ الظُّلْمَةِ . ل ، س : « وَأَلْقَحَتْ » .

(٦) ل : « وَاسْتَفْتَحَتْ » ، وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ ط ، س . وَالْمُرَادُ بِالْأَحْلَامِ الرُّؤْيَى .

وقال ذو الرُّمَّة :

ولمَّا لِدِلاَجٍ إِذَا مَا تَنَاحَكْتَ مَعَ اللَّيْلِ أَحْلَامُ الْهِدَانِ الْمُثْقَلِ (١) ١١٣

وقال عليُّ بن مُعَاذٍ (٢) :

لَلْبَدْرِ طِفْلٌ فِي حِصَانِ (٣) الْهَوَا مُسْتَزَلِقٌ مِنْ رَحِمِ الشَّمْسِ (٤)

وقال ذُكَيْنُ الرَّاجِزِ (٥) ، [أو أبو محمد الفقعسيُّ] :

وَقَدْ تَعَلَّتْ ذَمِيلَ الْعَنْسِ (٦) بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْتَرَسِ (٧)

* إِذْ عَرَجَ اللَّيْلَ بِرُجُ الشَّمْسِ (٨) *

وقال أُمِيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ :

وَالْأَرْضُ نَوَّخَهَا إِلَهُ طَرَوْقَةٍ لِلْمَاءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ (٩)

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) علي بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ في البيان والتبيين .

(٣) الحصان : مصدر حَضَنَ الطائر بيضه . ط ، ل : « حصان » بالمهمله ، صوابه في س . واهوا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب في الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته في ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت في ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كاندس » وصوابه في ل ، س . والترس هو ذلك الذي يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس في صلابتها .

(٨) انظر ما سبق في ص ٧٤ .

(٩) نوخها : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هوة رين الزندة ، ومنهما تقتدح النار . فالأول لا فجوة فيه ، وفى الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذى طلب السفاد ففاله . وضبطت في اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاحق ليس خاصا =

وَالْأَرْضُ مَعْقِلَنَا وَكَانَتْ أَمَّنَا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلِدُ^(١)
وَذَكَرَ أُمِّيَّةَ الْأَرْضِ فَقَالَ :

وَالطُّوْطُ نَزَرَعُهُ فِيهَا فَتَلْبَسُهُ وَالصُّوْفُ نَجْتَرُهُ مَا أُرْدَفُ الْوَبْرُ^(٢)
هِيَ الْقَرَارُ فَمَا نَبْغِي بِهَا بَدَلًا مَا أَرْحَمَ الْأَرْضَ إِلَّا أَنَّنَا كُفْرُ^(٣)
وَطَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأَعْدَاءِ نَافِذَةٌ تُعَيِّ الْأَطِبَاءَ لَا تَنْتَوِي لَهَا السُّبْرُ^(٤)
ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ :

مِنْهَا خُلِقْنَا وَكَانَتْ أَمَّنَا خُلِقَتْ وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا لَوْ أَنَّنَا شُكْرُ^(٥)

= بِالْأَحْيَاءِ ، بَلْ نَرَاهُ أَيْضًا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ حَيْثُ يَتَغَلَّغِلُ فِيهَا ، وَنَجِدُهُ أَيْضًا بَيْنَ
الزُّنْدِ وَالزُّنْدَةِ الْيَابِسِينَ . وَهُوَ مَعْنَى شَعْرَى بَارِع . ط ، س : « زَبْد » تَصْحِيف .
س : « مَقْسَد » ، تَحْرِيف . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي ل هُوَ الثَّانِي فِي التَّرْتِيبِ .
(١) كَذَا فِي ل وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ ص ٤٣٧ وَالْمَخْصَصُ (١٣ : ١٨٠) . وَفِي ط ،
س : « نَوْد » .

(٢) الطُّوْطُ ، بِالضَّم : الْقَطَنُ ، أَوْ قَطْنُ الْبَرْدَى خَاصَّةً . وَأُرْدَفُ الْوَبْرِ : تَوَالِي وَتَتَابِعُ
ط ، س : « أَدْفًا » . وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي الْلسَانِ هَكَذَا :

وَالطُّوْطُ نَزَرَعُهُ أَغْنَى جَرَاؤُهُ فِيهِ الْيَابِسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يَعْضُدُ
(٣) الْكُفْرُ ، بِضَمِّتَيْنِ : جَمْعُ كُفُورٍ بِمَعْنَى كَافِرٍ ، وَهُوَ يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . ط :
« لَهَا بَدَلًا » .

(٤) السُّبْرُ : جَمْعُ سِبَارٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ مَا يَقْدَرُ بِهِ غُورُ الْجِرَاحَاتِ ، وَهُوَ أَيْضًا الْفَتِيلَةُ
تَجَمُّعُ فِي الْجِرْحِ . وَالْمَعْنَى يَتَجَهَّ بِكُلِّ مِمَّا . وَتَنْتَوِي : تَقِيْمُ وَتَسْتَقِرُّ . ط ، س :
« يَلْوِي » يُقَالُ لَوَى يَلْوِي : انْتَضَرُ وَتَحْبِسُ . وَكُلُّ مِمَّا مَتَجَهَّ ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى
أَنَّ تِلْكَ الطَّعْنَةَ لَشِدَّةِ مَا يَتَدَفَّقُ مِنْهَا مِنْ دَمٍ تَدْفَعُ بِمَا يَوْضَعُ فِيهَا دَفْعًا . وَمِثْلُهُ
قَوْلُ الْآخِرِ :

* تَرَدُّ عَلَى السَّابِرِ السِّبَاوَا *

وَقَوْلُهُ :

* تَرَدُّ السِّبَارِ عَلَى السَّابِرِ *

(٥) الشُّكْرُ ، بِضَمِّتَيْنِ : جَمْعُ شُكُورٍ بِالْفَتْحِ .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ^(١) بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أن جالينوسَ قال : عليكم بالبقلةِ الرحيمة - السَّلَقِ^(٢) - استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحمُ بنا ، وقولَ أمية :
* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أنَّا كُفِّرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخذَ في يده النجى غَرْفَةً^(٣) ، وفي اليسرى كِسْرَةَ خبز^(٤) ، ثم قال : هذا أبى ، للماء ، وهذه أمى ، لكسرة الخبز^(٥) . استشنعه ، فإذا سمع قولَ أمية^(٦) :

والأرضُ نَوَّخَهَا الإله طَرُوقَةً للماء حتى كل زَنْدٌ مُسْفَدٌ لم يستشنعه . والأصل في ذلك أنَّ الزَّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ في كتبهم ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنَّهم حينَ عَدِمُوا المعانى ولم يكن عندهم فيها طائل ، مَالُوا إلى تكلف ما هو أخْصَرُّ وأيسرُ وأَوْجَزُ كثيرًا .

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السَّلَقَة » .

(٣) الغرقة ، بالضم : مقدار ما يفترق المرء بيده . ل : « أخذ في يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبى وهذه أمى لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، في ص ٣٦٣ .

(حُظُوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس)

ولكلِّ قَوْمٍ أَلْفَاظٌ حَظِيَّتْ عِنْدَهُمْ . وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض
١١٤ وصاحب كلامٍ منشور ، وكلُّ شاعرٍ [في الأرض ^(١)] وصاحب كلامٍ
موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف أَلْفَاظاً بأعيانها ؛ ليديرها في كلامه
وإن كان واسع العلم غزير المعاني ، كثير اللفظ . فصار حظُّ الزنادقة من
الألفاظ التي سبقت إلى قلوبهم ، واتصلت بطبائعهم ، وجرت على ألسنتهم
التناكح ، والتناجس ^(٢) ، والمزاج ، والثور والظلمة ، والدقاع والمناع ^(٣) ،
والساتر والغامر ، والمنحل ^(٤) ، والبطلان ، والوجدان ، والأثير والصديق ^(٥)
وعمود السبح ^(٦) ، وأشكالاً من هذا الكلام . فصار ^(٧) وإن كان غريباً

(١) الزيادة من ل ، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ل : « والتناجس » .

(٣) ط ، س : « والبقياع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص بالإيمان ، وفي اعتقاد المانوية أن الصديق حين
يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصاية وتاج وإكليل النور ،
فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به في عمود السج
إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام في الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليسك .
ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها
ساقطتان من ل . وسبق في الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه
أيضاً من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرست ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليسك .

(٦) السبح : يراد به المروج والصعود إلى السماء . وفي ذلك العمود الوهمي ترتفع
التساييح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله مافى . انظر الفهرست
٤٦١ مصر ٣٣٠ ليسك . في الأصل : « الصبح » وسبقت في الجزء الأول ص ٥٧
برسم « السبخ » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً^(١) مهجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا ، وكذلك هو عند عوامنا وجهورنا ، ولا يستعمله إلا الخواص^(٢) وإلا المتكلمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقول في هذا قولاً ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقل « أرجو » لأنني أعلم فيه خللاً^(٣) ، ولكنني أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتي وملتي ، ولغتي ، وجزيرتي ، وجيرتي ؛ وهم العرب . وذلك أنه قيل لصُحَّارٍ^(٤) العبدى : الرجل يقول لصاحبه ، عند تذكيره أياديهِ وإحسانه^(٥) : أما نحنُ فإننا نرجو أن نكونَ قد بلغنا من أداي ما يجبُ علينا مبلغاً مرضياً . وهو يعلم أنه قد وفاه حقَّه الواجب ، وتفضل [عليه] بما لا يجب . قال مُحَّصِر : كانوا يستحبُّون أن يدعُوا للقول متنفساً ، وأن يتركوا فيه فضلاً ، وأن يتجافوا عن حقٍّ إن^(٦) أرادوه لم يَمْنَعُوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهم فَهَمَكَ اللهُ تعالى .

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنني لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقلعت ترجمته في (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديهِ وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللفظ ، أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة^(١) فيها ، أن ألفت بالشئ العتيد^(٢) الموجود ، وأدع التكلف^(٣) لما عسى ألا يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة .

وأرى أن ألفت بالفاظ المتكلمين ما دمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص^(٤) أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهم [لهم] عنى^(٥) ، وأخف لمؤنهم^(٦) على .

ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلتزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيح بالمشكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة ، أو رسالة ، أو في مخاطبة العوام والتجار^(٩) ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمه ، أو في حديثه إذا تحدث^(١٠) ، أو خبره إذا أخبر .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندي » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاورة أهله » .

وكذلك [فإنه] ^(١) من الخطأ أن يجلب ^(٢) ألفاظ الأعراب ، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل . ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله عز وجل من خلقه من غير ذكر ولا أنثى . فقلنا : إنه لا بد في ذلك من تلاقى أمرين يقومان مقام الذكر والأنثى ، ومقام الأرض والمطر . وقد تقرب الطبايع من الطبايع ، وإن لم ١١٥ تتحول في جميع معانيها ، كالنطفة ^(٣) والدم ، وكاللبن والدم . وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لا بد لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء ^(٤) يشاكل الدم . ونحن قد نجد الجيف يخلق ^(٥) منها الديدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المحوسى كلما تبرز ذرّاً على برازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنطفة » ، وصوابه في ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

ديدان^(١) . والمجوسى^(٢) لايتغوّط فى الآبار والبلاليع لأنه بزعمه يُسكرم
 بطن الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحدَ الأركان التى بُنيتِ
 العوالمُ الخمسةُ عليها^(٣) بزعمهم : أبرسارس^(٤) وأبرمارس^(٥) وأبردس^(٦)
 وكارس^(٧) وحريرة أمنة^(٨) . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس^(٩) ،
 ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم فى النواويس
 وضعا . قالوا: ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف
 الأحراز ، كما أخرجناها من بطون الأرضين^(١٠) لفعلنا . وهم يسمّون يوم القيامة
 روز رستهار^(١١) ، كأنّه يوم تقوم الجيف .
 فن بغيرهم لأبدان الموقى سمّوها بأسمج أسمائهم^(١٢) . قالوا: وعلى هذا
 المثال أعظمنا النار والماء^(١٣) ، وليسا بأحقّ بالتعظيم من الأرض .

(١) « ولذلك المجوسى » . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .

(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت
 العوالم الخمسة » .

(٤) ط : « أبرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « أبرشارش » .

(٥) ط : « أبرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « أبربارش » .

(٦) ابردس هى فى الرسائل : « أيددش » :

(٧) س : « كاومرة » .

(٨) كذا .

(٩) الكلام من مبدأ « أبرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز :
 جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحراز » س : « الأحرا »
 ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .

(١٢) ل : « أسمائها » .

(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزع الصّامة من رءوس الآنية التي يكون فيها بعض
الشراب ، فنجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن (١) ذكر ولا أنثى ، وإنما
ذلك لاستحالة بعض أجزاء الهواء وذلك الشراب إذا انضم عليه ذلك
الوعاء (٢). وهذا قول ذى الرّمة وتأويل شعره ، حيث يقول :

وَأَبْصَرْنَا أَنَّ الْقِنَعَ صَارَتْ نِطَافُهُ فَرَاشًا وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسٌ (٣)
وكذلك كلُّ ما تَخْلُقُ مِنْ بُحَّارِ النَّخْلَةِ وَفِيهَا (٤) ، من ضروب الخلق
والطّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه (٥) بناتِ وَرْدَانَ ، والذي يسمّى بالفارسية
فاذو (٦) ، وكالسّوس ، والقوادح (٧) ، والأرضة ، [وَبَنَاتِ وَرْدَانَ اللَّاتِي
يَخْلُقْنَ مِنَ الْأَجْذَاعِ وَالْحَشْبِ وَالْحَشُوشِ (٨) . وقد نجد الْأَزْجَ (٩) الذي
يكبس فيه اليسخ (١٠) بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادع . وما الضفدع
بأدلّ على الله من الفراش .

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة
في ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت في ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف في ط هكذا :
* وَأَبْصَرْتُ أَنَّ النَّقْعَ صَارَتْ لَطَافَةٌ *

(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . الخ .

(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .

(٦) ط ، س : « وأن الذي » ، والوجه حذف « أن » كما في ل . و « فاذو »
هى في ط ، س : « تارداد » .

(٧) القوادح : جمع قاذحة ، وهى الدودة . ل : « القوارح » محرفة .

(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولا .

(١٠) اليسخ : الثلج بالفارسية .

ولنما يستحيل ذلك الثلجُ إذا انفتح فيه كقدر منخر الثور ، حتى
تَدْخُلَهُ الرِّيحُ التي هي اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
لَوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسط الدهناء - وهي أوسع من الدو ومن الصَّمان ^(١) - وعلى
ظهر مسجد الجامع ^(٢) في غبِّ المطر من الضَّفَادِعِ ما لا يُحصى عدده . وليس
أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خلقها تلك الساعةَ من طباع
تلك التُّربةِ وذلك المطر وذلك الهواء المحيطَ بهما ، وتلك الرِّيح المتحرِّكة .
ولأنَّ زعموا أنَّ تلك الضَّفَادِعَ كانت في السَّحاب ، فالذي أقرُّوا به أعجبُ
من الذي أنكروه . ولنما تقيم الضَّفَادِعُ وتربِّي وتتوالدُ في منافع المياه ،
وفي أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد
في دجلةَ والفُراتِ فتنزُّ البطون والحفائر التي تليها من الأرض ، فيُخلق
من ذلك الماء السَّمَكُ الكثير ، ولم يكن في تلك الحفائر الحدث ^(٣) ، ولا
في بحر تلك الأرضين شيءٌ من بيض السَّمَك .

ولم نجد أهلَ القاطول ^(٤) يشكُّون في أنَّ الفأر تخلَّق من أرضهم ، وأنَّهم
ربَّما أبصروا الفأرة من قبل أن يتمَّ خلقُها . فنسبوا بأجمعهم خلقَ الفأرِ إلى
الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّربِ والأجواء والزمان ، كما قالوا
في السمك ، والضَّفَادِعِ ، والعقارب .

(١) الدهناء : اسم لواد في بادية البصرة . واللو : أرض ملساء بين البصرة ومكة .

والصَّمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما في القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهي الأمطار الحادثة في أول السنة .

(٤) قال يا قوت : نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمّر .

(ضعف أطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائسٌ فقال [١] : ليسَ بين [الذَّبَّانِ و] بنات وردان
و [بين] الزَّنَابِيرِ فرق ، ولا بين الزَّنَابِيرِ والدَّبَرِ والخنافس [٢] فرق ، [ولا بين
الزَّرَازِيرِ والخفافيش] ولا بين العصافير والزَّرَازِيرِ فرق : فإذا فرغوا من
خشاش الأرض صاروا إلى بغائها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس
والتدارج [٣] والزمامج [٤] حتى يصعدوا إلى الناس . قيل لهم : ليس ذلك
كذلك ، [و] ينبغي لكم بدِيًّا أن تعرفوا الطَّبيعة والعادة ، والطبيعة
الغريبة [٥] من الطبيعة العامية [٦] ، والممكن من الممتنع ، وأنَّ
الممكن على ضربين : فنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد
يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا [٧] أنَّ الممتنع أيضا على
ضربين : فنه ما يكون لعلِّ موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعلِّ
لا يجوز دفعها [٨] ، [وفصل ما بين العلة التى لا يجوز دفعها] وهى على كل
حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلا عينُ الشيء وجنسه [٩] .

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش » ، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مقرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما
فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لا غرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلّة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفُوا فَرَقَ مَا بَيْنَ الْحَالِ [و] الْمَمْتَنِعِ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ
مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنَ الْخَلْقِ .

وَإِذَا عَرَفْتُمُ الْجَوَاهِرَ وَحَظُوظَهَا مِنَ الْقَوَى ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَعَاظُوا الْإِنْكَارَ
وَالْإِقْرَارَ ، وَإِلَّا فَكُونُوا فِي سَبِيلِ الْمُتَعَلِّمِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ [من ^(١)] آثَرِ
الرَّاحَةِ سَاعَةً عَلَى مَا يورِثُ كَدُّ التَّعَلُّمِ مِنْ رَاحَةِ الْأَبَدِ . قَدْ يَكُونُ أَنْ يَجِيءَ
عَلَى جِهَةِ التَّوْلِيدِ شَيْءٌ ^(٢) يَبْعُدُ فِي الْوَهْمِ [مَجِيئُهُ ، وَيَمْتَنِعُ شَيْءٌ هُوَ أَقْرَبُ
فِي الْوَهْمِ ^(٣)] مِنْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَمَغْيِبَاتِ الْأَشْيَاءِ ، لَا تُرَدُّ إِلَى
ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَلِنَمَّا يَرُدُّ إِلَى الرَّأْيِ مَا دَخَلَ فِي بَابِ الْحَزْمِ وَالْإِضَاعَةِ ^(٤)
وَمَا هُوَ أَصَوَّبُ وَأَقْرَبُ إِلَى نَبِيلِ الْحَاجَةِ . وَلَيْسَ عِنْدَ الرَّأْيِ عِلْمٌ بِالنُّجْجِ
وَالْإِكْدَاءِ ^(٥) ؛ كَنَحْوِ مَجِيءِ ^(٦) الزُّجَاجِ مِنَ الرَّمْلِ ، وَامْتِنَاعِ الشَّبِّهِ وَالزُّبْقِ
مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ فِي طَبْعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ^(٧) . وَالزُّبْقُ أَشْبَهُ بِالْفِضَّةِ الْمَايَعَةِ
مِنَ الرَّمْلِ بِالزُّجَاجِ الْفَرَعَوِيِّ ^(٨) . وَالشَّبُّهُ الدَّمَشْقِيُّ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ أَشْبَهُ مِنَ
الرَّمْلِ بِفِلَقِ ^(٩) الزُّجَاجِ النَّقِيِّ الْخَالِصِ الصَّافِي .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قَدْ يَكُونُ أَوْ يَجِيءُ عَلَى جِهَةِ التَّوْلِيدِ شَيْءٌ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كَذَا فِي ل ، س . وَفِي ط : « الْجَزْمُ وَالْإِضَاعَةُ » مَحْرَفٌ .

(٥) النَّجْجُ بِالضَّمِّ : النَّجَاحُ . ط ، س : « بِالنَّصْحِ » مَحْرَفَةٌ . وَالْإِكْدَاءُ : الْخِيَةِ .

(٦) ط : س : « مَخَارِجُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٧) الشَّبِّهُ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا طَبِيعِيٌّ يَكُونُ بِجِبَالِ أَصْهَانَ . وَالْآخَرُ صِنَاعِيٌّ يُؤْخَذُ جِزْءٌ
مِنَ النِّحَاسِ وَعَشْرَةٌ مِنَ التُّوتِيَا يَطْعَمُهَا بِالسِّبْكِ بَعْدَ التَّنْقِيَةِ . عَنْ تَذَكُّرَةِ دَاوُدَ .

(٨) الزُّجَاجُ الْفَرَعَوِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ الزُّجَاجِ الصَّنَاعِيِّ ، تَجِدُ صِفَتَهُ فِي تَذَكُّرَةِ دَاوُدَ . وَانْظُرْ
الْإِسْتِدْرَاكَاتَ .

(٩) فَلَقٌ : جَمْعُ فَلَقَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ .

ومن العجب أن الزُّجاجَ - وهو مولّد - قد يجرى مع الذهب في كثيرٍ
مفاخرِ الذهب ؛ إذ كان لا يغيّر طبعه ماءً ولا أرضاً ؛ والفضّة التي ليستُ
بمولدة^(١) إذا دفنت زماناً غير طویلٍ استحالتُ أرضاً . فأما الحديد فلأنّه
في ذلك سريعٌ غير بطيء .

وقد زعمَ ناسٌ أن الفرقَ الذي بينهما إنما هو أن كلَّ شيءٍ له في العالمِ
أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشيء الذي يكتسب^(٢) ويحتلب ويلتق ويلزق ،
وأن الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان فأما منذ كان الهواء
والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولّد الناسُ
مثله^(٤) . وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض^(٥) ، بأن يصادف
من الأرض جَوْهراً^(٦) ، ومن الهواء الذي في خلالها جوهراً . ومن
الماء الملايس لها جوهراً ، ومن النار المحصورة فيها جوهراً ، مع مقدار
من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقابلات البروج . فإن كان الذهب إنما
هو نتيجة [هذه] الجواهرِ على هذه الأسباب^(٧) ، فواجب ألا يكون
الذهب أبداً إلا كذلك .

(١) ط ، س : « ليست بمولدة » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب » ، وصوابه في ل ، س .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « قديما » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « في عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » في المواضع الأربعة . وصوابه في ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أَرَأَيْتُمُ الْفَأْرَةَ الَّتِي خُلِقَتْ مِنْ صُلْبِ جُرَذٍ وَرَحِمِ فَأْرَةٍ ،
وَزَعَمْتُمْ أَنَّهَا فَأْرَةٌ عَلَى^(١) مُقَابَلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ ،
وَكَانَتْ نَتِيجَةُ هَذِهِ الْخِصَالِ ، مَعَ اسْتِيفَاءِ هَذِهِ الصِّفَاتِ^(٢) ؟ أَلَسْنَا قَدْ^(٣)
وَجَدْنَا فَأْرَةً أُخْرَى تَهَيَّأَ لَهَا مِنْ أَرْحَامِ الْأَرْضِيِّينَ ، وَمِنْ حِضَانَةِ الْهَوَاءِ ،
وَمِنْ تَلْقِيحِ الْمَاءِ ، وَمِنْ مُقَابَلَاتِ^(٤) السَّمَاوِيَّاتِ وَالْهَوَائِيَّاتِ ، فَالزَّمَانِ
أَصَارَ^(٥) بِجَمِيعِ ذَلِكَ سَبَباً لِلْفَأْرَةِ [أُخْرَى] مِثْلَهَا . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا عَدَدْنَاهُ^(٦)
١١٧ فَنَ أَيْنَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْلُطَ الْإِنْسَانُ^(٧) بَيْنَ مَائِيَّةٍ طَبِيعَةٍ وَمَائِيَّةٍ جَوْهَرٍ^(٨) ؟ إِمَّا
مِنْ طَرِيقِ التَّبْعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَمِنْ طَرِيقِ الظُّنُونِ وَالتَّجْرِبِ ، [أ] وَ
مِنْ طَرِيقِ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ اتِّفَاقاً ، كَمَا صَنَعَ النَّاطِفُ السَّاقِطُ مِنْ يَدِ الْأَجِيرِ
فِي مُذَابِ الصُّفْرِ^(٩) حَتَّى أُعْطَاهُ ذَلِكَ اللَّوْنُ ، وَجَلَبَ ذَلِكَ النَّفْعَ^(١٠) ، ثُمَّ إِنَّ

(١) س : « عَنْ » .

(٢) ط : « مَعَ اسْتِيفَاءِ هَذِهِ صِفَاتِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٣) ط : « التَّسَادُّفِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَفِي ط ، س : « الْمُقَابَلَاتِ » .

(٥) أَصَارَ : جَعَلَ . ل : « مِنَ الزَّمَانِ مَا صَارَ » .

(٦) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَفِي ط ، س : « كَلَّمَا عَدَدْنَا » .

(٧) ط : س : « يَخْلُطُ الْإِنْسَانُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٨) ط ، س : « مَائِيَّةٍ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٩) النَّاطِفُ : ضَرْبٌ مِنَ الْخُلُوعِ يَصْنَعُ مِنَ اللَّوْزِ وَالْجَوْزِ وَالْفَسْتَقِ ، وَيُسَمَّى أَيْضاً

الْقَبِيطِيُّ وَالْقَبَاطِيُّ وَالْقَبِيطُ — بِضَمِّ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ فِيهِنَّ — وَالْقَبِيطَاءُ كَحَمِيرَاءِ .

انْظُرِ الْقَامُوسَ وَاللِّسَانَ مَعَ الْأَلْفَاظِ الْفَارْسِيَّةِ ١٢٣ وَحَاشِيَةِ الصَّبَّاحِ عَلَى شَرْحِ

الْأَشْمُوفِيِّ لِلأَلْفِيَّةِ (٤ : ٨٨) وَحَوَاشِي تَهْذِيبِ الصَّحَاحِ (نَطْف) . وَالصُّفْرُ ،

بِالضَّمِّ : النِّحَاسُ .

(١٠) ل : « الْبَقَعُ » .

الرَّجَالَ دَبْرَتَهُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ ، حَتَّى صَارَ شَبَّهَا ذَهَبِيًّا . هَذَا مَعَ النَّوْشَاذِرِ
الْمَوْلُودِ مِنَ الْحِجَارَةِ السُّودِ (١) .

فَلَوْ قُلْتُمْ : إِنَّ ذَلِكَ قَائِمٌ الْجَوَازِ فِي الْعَقْلِ (٢) مَطْرُدٌ فِي الرَّأْيِ ، غَيْرِ
مُسْتَحِيلٍ فِي النَّظَرِ (٣) . وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّاسِ مِنْذُ كَانَ
فَإِنَّ النَّاسَ يَلْتَمِسُونَ [هَذَا] وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ (٤) ، وَيَكْلَفُونَ بِهِ . فَلَوْ كَانَ هَذَا
الْأَمْرُ يَجِيءُ مِنْ وَجْهِ الْجَمْعِ وَالتَّوْلِيدِ (٥) وَالتَّرَكِيبِ [وَالتَّجْرِيبِ ، أ (٦)] وَ
مِنْ وَجْهِ الْإِتْفَاقِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ مِنَ أَلُوفِ سَنِينَ
وَأَلُوفٍ ؛ إِذْ كَانَ هَذَا الْمَقْدَارُ أَقَلَّ مَا تَوَرَّخَ بِهِ الْأُمَمُ ، وَلَكِنْ (٧) هَذَا مَقْبُولًا
غَيْرَ مُرَدُّودٍ . وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مِنْهُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ إِلَّا
مِنْ حَيْثُ وَجَدَ (٨) . وَلَيْسَ قُرْبُ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِكُونِهِ ،
وَلَا بَعْدُهُ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لَامْتِنَاعِهِ .

وَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ (٩) [إِذْ] قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَنْهَيَّا لَهُ
طَبَاعَ الْأَرْضِ ، وَطَبَاعَ الْمَاءِ ، [وَطَبَاعَ الْهَوَاءِ] ، وَطَبَاعَ النَّارِ ، وَمَقَادِيرَ حَرَكَاتِ

(١) النَّوْشَاذِرِ ، كَذَا جَاءَ بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ . وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي ٥ : ٣٤٩ ط ، س :
« وَالْحِجَارَةُ السُّودِ » .

(٢) ل : « الْقَائِمُ الْجَوَازِ » . ط ، س : « قَائِمُ الْجَوْهَرِ فِي الْعَقْلِ » ، وَجُمِعَتْ بَيْنَهُمَا .

(٣) ل : « الْعَقْلُ » .

(٤) ل : « وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ » .

(٥) ط ، س : « وَالتَّفْرِيقِ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ ل .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ ل ، س .

(٧) ط ، س : « وَكَانَ » .

(٨) ل : « وَجْهٌ » ، مُحَرَفَةٌ .

(٩) ل : « الْأَصْلُ » .

الفلك ، ومقدارُ من طول الزمان . فتنى لم تجمتع هذه الخصالُ وتكملُ هذه الأمور لم يتمَّ خلق الذهب . وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأ لواحد أن يجمع بين [مائتي] شكلٍ [من] الجواهرِ ، فزجها على مقاديرَ ، وطبخها على مقاديرَ ، وأغيبها مقداراً^(١) من الزمان ، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماوية ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة^(٢) ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقع ذلك في خمسة آلاف سنة مرةً ، ثمَّ أراد صاحبه المعاودة فلم يقدِرْ على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ما كان قصداً إليه في تلك المرة^(٣) ، وأخطأ ما كان وقعَ له اتفاقاً^(٤) ، ولم يقابل من الفلك مثلَ تلك الحركات ، ولا من العالم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعدْ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القول [قائل] وقال : بَيَّنُّوا^(٥) لى موضع إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأمور فيه ، فإننا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا في ذلك قولٌ مقنع ، والدليل الذى تثلج به الصدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة الناس أن يولدوا مثل ذلك^(٦) ، إلا بأن يُعرض هذا القول على العقول

(١) أغيبها : جعلها تغيب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقاً » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناساً » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التامة وزدّه إلى الرسل^(١) والسكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافيةً له^(٢) كان ذلك عندنا هو المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجوز له ، ولكن ليردّه إلى العقل^(٣) ؛ ١١٨ فإنّه سيّجده منكراً ونافياً [له] ، إذا^(٤) كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخييل .

(ضروب التخييل)

والتخييل ضروب^(٥) : تخييلٌ من المرار^(٦) ، وتخييل من الشيطان ، وتخييل آخر كالرجل يعمد إلى قلبٍ رطبٍ لم يتوقّع ، وذهن لم يستمر^(٧) ، فيَحْمِله على الدقيق وهو بعدُ لا يني بالجليل ، ويتخطّى المقدمات متسكعاً^(٨) بلا أمانة ، فرجع حسيراً^(٩) بلا يقين ، وغبر زماناً لا يعرف إلّا [الشكوك و]

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب في ل ، وفي ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) في الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هي « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقّع : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعاً : متحيراً . ط ، س : « متكشفا » محرفة عن « متكسما » . يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعنى . ط : « حيران » .

الخواطر الفاسدة ، التي متى لاقت القلب على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها^(١) الحيرة . والقلب الذي يفسد في يوم لا^(٢) يداوى في سنة ، والبناء الذي يُنقَضُ في ساعة لا يبنى^(٣) مثله في شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لعلُّويه كلب المطبخ : أى شئ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانبه » ؟ قال : يريدون أن^(٤) الذَّبَّان لا يندنو منه . وكان الرقاشى حاضراً ، فأنشد قول ابن عبدل^(٥) :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِّي إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لَعَظِيمٌ
لَيْتَنِي قَدْ غَمَرْتُ دَنِّي حَتَّى أَبْصَرَ الْعَنْكَبُوتَ فِيهِ يَعُومُ^(٥)
غَرَقاً لَا يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا زَبَدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومُ^(٦)

(١) س : « ثمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما في ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدي تقدمت ترجمته في (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة في ٥ : ٢٩٧ . وهي مقيدة الروى ، أى ساكنته .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفي الأصل : « عمرت » . والذن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : « ذنى » وصوابه فى ل ، س . وفى ل : « تعوم » والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلاً ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » بحرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كفّه ينادى ذُبَاباً أَنْ أَغْنِي فَإِنِّي مَغْمُومٌ^(١)
 قال : دَعْنِي فَلَنْ أُطِيقَ دُنُوءًا مِنْ شَرَابٍ يَشْمُهُ الْمَرْكُومُ^(٢)
 [قال] : وَالذَّبَّانُ يَضْرَبُ بِهِ الْمَثْلُ فِي الْقَدَرِ وَفِي اسْتِطَابَةِ النَّتْنِ ، فَإِذَا
 عَجَزَ الذَّبَابُ عَنْ شَمِّ شَيْءٍ فَهُوَ الَّذِي لَا يَكُونُ أَنْتَنٌ مِنْهُ .

ولذلك حين رَمَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ^(٣) بِالْبَخْرِ ، قَالَ :
 وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذَبَابٌ وَلَوْ طَلَبْتُ مَشَافِرُهُ بِقَنْدٍ^(٤)
 يَرَيْنَ حَلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْتًا وَشَيْكًا إِنْ هَمَمَنْ لَهُ بِوَرْدٍ^(٥)

(أَبُو ذَبَّان)

ويقال لكلُّ أبحرٍ : أَبُو ذَبَّانَ ، وَكَانَتْ فِيمَا زَعَمُوا كُنْيَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٦)
 وَأَنْشَدُوا^(٧) قَوْلَ أَبِي حُرَابَةَ^(٨) :

-
- (١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .
 (٢) لا يشم المركوم إلا ما كان غاية في ظهور الرائحة . ل : « يقطر المركوم » .
 (٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغاني (٣ : ١٤٥)
 والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ : ٦٢) حيث يوجد الشعر .
 (٤) ل : « فما » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل
 قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .
 (٥) ط : « يرون » وصوابه في ل ، س . ل : « دُعافا » بدل : وشيكا
 وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة في (٢ : ٢٥٠ - ٢٥٣) .
 (٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض
 يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال
 لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار
 القلوب ١٩٧ .
 (٧) ط ، س : « وأنشد » :
 (٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته في
 (١ : ٢٥٥) .

أَمْسَى أَبُو ذُبَّانَ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ^(١) خَلَعَ عَيْنَانِ قَارِحٍ مِنْ الْحَصَنِ^(٢)
 * وقد صفت بيَعَتْنَا لابن حسن^(٣) *

(شعر فيه هجاء بالذباب)

١١٩

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهنأى^(٤) :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هِلَالًا مَوَدَّتَهُ وَخُلَّتَهُ بِفَلَسٍ
 وَأَبْرَأَ لِلَّذِي يَبْتَاعُ مِنِّي هِلَالًا مِنْ خِصَالٍ فِيهِ خَمْسُ^(٦)
 فَهَنٍ النَّفَانِغُ وَالْمَسْكَوَى وَآثَارُ الْجُرُوحِ وَأَكْلُ ضِرْسِ^(٧)
 وَمَنْ أَخَذَ الذَّبَابَ بِإِصْبَعِهِ وَإِنْ كَانَ الذَّبَابُ بِرَأْسِ جَعَسِ^(٨)

- (١) ل : « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للذابة يوضع على الأنف .
 (٢) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه في ل ، ط . والقارح : الذي انتهت
 أسنانه ، وإنما تنتهى في خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س :
 « الرش » تحريف .
 (٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان في العربية . جاء في المخصص
 (٧١ : ٤٦) في الكلام على إدخال (أل) وزعها من الأعلام التي كاثت
 في أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ،
 والحسن وحسن » .
 (٤) الهنأى : نسبة إلى هناة ، كناية ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ،
 س : « الهنأى » ، ل : « الهنأى » ، ووجه ما كتبت .
 (٥) ل : « وخلطته » .
 (٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .
 (٧) النفانغ : جمع نغغ ، كبرقع ، وهو لحمة في الخاق . أراد أنه يمرض بها أبداً .
 والمسكاوى : جمع مكواة ، لى يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمسكاوى »
 ولا تصح . و : « آثار » بدلها في ل : « آلات » . وأكل الضرس :
 أراد به فساد .
 (٨) الجمع ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ في آية)

قالوا: وضرب الله عز وجل لضعف الناس وعجزهم مثلاً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فقال بعضُ الناس: قد سَوَّى بين الذُّبَابِ والنَّاسِ في العجز. وقالوا: فقد يولِّد النَّاسُ من التعفين الفراش [وغير الفراش^(١)] وهذا خلقٌ، على قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ، وعلى قول الشاعر^(٢) :

وَأَرَاكَ تَفْرَى مَا خَلَقْتَ وَبَعَّ

ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرَى^(٣)

قيل لهم: إنما أراد الاختراع، ولم يرد التقدير^(٤).

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) هو زهير ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان . في ديوانه ص ٦٠ - ٦٤ .

(٣) تفرى : تقطع . خلقت : قدرت وهيات . يقول : إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته .

(٤) أى إن المراد من الخلق في الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير . وأما في الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير ، لا الاختراع والابتداع .

(قولٌ في شعر)

وأما قول ابن ميادة :

ألا لأنبألى أن تُخْنَدِفَ خِنْدِفٌ ولَسْنَا نُبَالِي أن يَطْنَّ ذُبَابُهَا^(١)
فإنَّما جعل الذُّبَابَ هَاهُنَا مثلاً ، وقد وضعه^(٢) في [غير] موضع
تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بني أسدٍ كُونُوا لمن قد علمتم مَوَالِي ذَلَّتْ لِلْهُوَانِ رِقَابُهَا^(٣)
فلو حَارِبْتَنَا الْجَنُّ لم نرفع العصا عن الجنِّ حَتَّى لَا تَهَرَّ كِلَابُهَا^(٤)
وليس يريد [تحقير^(٥)] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذبَاب السَّيْف . ويقال تلك أرضٌ مَذْبَةٌ ،
أى كثيرة الذُّبَاب .

(١) تخندف : تمشى مشية كالهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق »

س : « تجيد » ، والوجه ما في ط . وفي س : « تطن ذبابها » ، والذبَاب يذكر
ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ في هِجَائِهِ لِبَعْضٍ مِنْ ابْتُلِيَ بِهِ :

أَسَجَّ النَّاسِ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذَبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرَقِهِ
[وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ إِذَا ضُرِبَ بِالْكَنْدَسِ ^(١) وَنُضِحَ بِهِ بَيْتٌ لَمْ
يَدْخُلْهُ ذَبَّانٌ] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائي ^(٢) وهو يقول لثمامة بن أشرس : قلنا لكم
إننا ندلكم على الإكسير ^(٣) ، فاستثقلتم الغرم ، وأردتم الغنم بلا غرم .
وقلنا لكم : دَعُونَا نَصْنَعُ هَذِهِ الْجُسُورَ [صَنْعَةً لَا تَنْتَقِضُ أَبَداً ، فَأَيْتُمْ . وَقُلْنَا
لكم : مَا تَرْجُونَ مِنْ هَذِهِ الْمُسْنِيَّاتِ ^(٤)] الَّتِي تَهْدِمُهَا الْمُدُودُ ^(٥) ، وَتُخَرِّبُهَا
الْمَرَادِيُّ ^(٦) ؟ ! نَحْنُ نَعْمَلُ لَكُمْ مُسْنِيَّاتٍ ^(٧) بِنِصْفِ هَذِهِ الْمُتُونَةِ ، فَتَبْقَى لَكُمْ

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) في مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد
المداب جعله ذهباً أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبني في الأودية .

(٥) المدود : جمع مد ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها المسينة . ويسمى عوام
مصر « المدرى » بكسر الميم والقصر . ط : ل : « المدارى » وصوابه في س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسببات » س : « مسنات » وصوابه في ل .

أبدأ . ثمَّ قولوا للمُدرد أن يجتهد جهدها ، وللمَرَادِيَّ (١) أن تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لى : (٢) الدُّبَاب مَاتَرَجُونُ مِنْهَا (٣) ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رَغِبْتُكُمْ فِي الْجَرَجِس (٤) ؟ لم لاتَدْعُونِي أَخْرِجْهَا مِنْ ١٢٠ بَيْوتِكُمْ بِالْمُتُونَةِ الْيَسِيرَةِ ؟ وهو يقول هذا القولَ وأصحابُنا يضحكون ، وابن سافرى جالسٌ يَسْمَعُ (٥) ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغداه وكساه وسقاه ، ثمَّ قال له : أَحَبَبْتُ (٦) أَنْ تَخْرُجَ الْبَعُوضَ مِنَ دَارِي . فَأَمَّا (٧) الدُّبَابُ فَإِنِّي أَحْتَمِلُهُ . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك الله بالفرج (٨) ؟ قال : فافعل . قال : لا بدَّ لى من أن أخلط أدوية [وأشتري أدوية] . قال : فكَم تَريدُ ؟ قال : [أريد] شَيْئاً يَسِيرُ . قال : وكَم ذاك (٩) ؟ قال : خَمْسُونَ دِينَاراً (١٠) . قال : ويحك ! خَمْسُونَ يَقَالُ لَهَا يَسِيرُ (١١) ؟ ! قال :

(١) المرادى سبق تفسيرها فى ٣٨٥ . ط ، ل : « للمداری » وصوابه فى س .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « لى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصفار . ط ، س : « رغبتكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك فى ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س :

« ابن مسافر » . وفيها أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكَم يبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليس^(١) تشتهي الراحة من قذر الذَّبَّانِ ولسع البعوض ! ثمَّ لبس عليه^(٢) وقام على رجله . فقال له : اقعد . قال : إنَّ قعدتُ قبل أن آخذها ثمَّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنفع به^(٣) ؛ فإنِّي لست أدخُنْ هذه الدُّخنة^(٤) ، إلَّا للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرجوهن . ولا أكتمك ما أريد ؛ إنِّي لست أقصد إلَّا إلى العُمَّار^(٥) . فما هو إلَّا أن سمع بِذكر العُمَّار^(٦) حتى ذهب^(٧) عقله ، ودعا له بالسكيس [وذهب]^(٨) ليزن الدنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا^(٩) ، وإلَّا تخاف أن تحدث حادثةً ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدها وهو زميع^(١٠) فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعدَّها فوجدَ دنانيرَه^(١١) تنقص ، فبكرَ عليه يقتضيه الفضل^(١٢) ، فضحك أبو حكيم حتَّى كاد يموت ، ثمَّ قال :

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلَّا صك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ » ، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير » ، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة في أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه » ، محرف والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعهُ
حَتَّى قال له ثَمَامَةُ : ويلك أَمَجْنُونٌ^(١) أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخْرِيَةُ
مستورة . فَإِنْ نَافَرْتَهُ فَضَحَّتْ نَفْسَكَ ، وَرَبِحْتَ عِدَاوَةَ شَيْطَانٍ هُوَ وَاللَّهُ
أَضَرُّ عَلَيْكَ مِنْ عُمَارِ بَيْتِكَ ، الَّذِينَ لَيْسَ يَخْرُجُونَ عَنْكَ^(٢) الذُّبَابُ
والبَعُوضُ بِلَا كَلْفَةٍ ، مَعَ حَقِّ الْجَوَارِ . قال : هم سَكَّانِي وَجِيرَانِي . قالوا :
لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون ديناراً مائة ديناراً !!

(شعر في أصوات الذُّبَابِ وغنائها)

ومما قيل في أصوات الذُّبَابِ^(٣) وغنائها ، قال المَثَقَبُ العَبْدِيُّ^(٤) :
وَتَسْمَعُ لِلذُّبَابِ إِذَا تَغَنَّى كَتَغْرِيدِ الْحَمَامِ عَلَى الْغُصُونِ
وقال آخر :

حُوَّ مَسَارِبُهُ تَغَنَّى فِي غَيَاطِلِهِ ذَبَابُهُ^(٥)

(١) ط ، س : « ويلك يا مجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المَثَقَبُ العَبْدِيُّ : شاعر جاهلي من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس .
واسمه محسن ، بكسر الميم وسكون الميملة وفتح الصاد الميملة . وأبوه ثعلبة
ابن وائلة بن عدى . والمَثَقَبُ : اسم فاعل من ثَقَبَ ، سَمِيَ بذلك لقوله :
رَدَدْنِ تَحِيَّةً وَكُنْ أُخْرَى وَثَقَبْنِ الْوَصَاوِصَ لِلْمَيُونِ
خزانة البغدادي (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزباني ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى
والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أَنْفٌ رَى ذُبَابَهَا تَعَلَّاهُ ^(١) مِنْ زَهْرِ الرُّوضِ الَّذِي يَكَلِّهُ ^(٢)

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمانه] ^(٣) فالرَّوضُ قد نَوَّرَ فِي عَزَائِهِ ^(٤)

مُخْتَلَفَ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ ^(٥) نَوْرًا تَحَالُ الشَّمْسُ فِي حِمَائِهِ ^(٦)

مُكَلَّلًا بِالْوَرْدِ مِنْ صَفَرَائِهِ يَجَاوِبُ الْمَكَاةَ مِنْ مُكَايِهِ ^(٧)

صَوْتُ ذُبَابِ الْعُشْبِ فِي دَرَمَائِهِ ^(٨) يَدْعُو كَأَنَّ الْعَقَبَ مِنْ دُعَائِهِ ^(٩)

صَوْتُ مُغَنَّ مَدَّ فِي غِنَائِهِ

١٢١

وقال الشَّامُخ :

يَكْلِفُهَا أَلَّا تَخْفُضَ صَوْتَهَا أَهَازِيحُ ذِبَّانٍ عَلَى عُودِ عَوْسَجٍ ^(١٠)

بَعِيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ سَحِيلٌ وَأَعْلَاهُ نَشِيحُ الْحُشْرِجِ ^(١١)

(١) أنف : أى روضة أنف بضمين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر .

ط : « أتعمى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعلله : من علله

بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س :

« ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبابها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشدها . انظر اللسان . ط : « عزائه »

وتصحىحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تحال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلوئهما واحد . ل : « تحال الشمس » .

(٧) المسكاه بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صغير حسن .

(٨) الدرمام : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كنى العقب من

بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيح : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهازيح »

بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت

فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق يؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف
الذِّبَّان من الدَّبَر ، والنَّحْل ، والشَّعْرَاء ، والقَمَع^(١) والثُّعْر^(٢) . وليس لذِّبَّان
الكلب غِنَاء ، ولا لما يُخْرَجُ من الباقلاء . قال الشاعر :
تَذَبَّ عنها بِأَثِيثٍ ذَائِلٍ ذِيَّانَ شَعْرَاءٍ وَصَيْفٍ مَازِلٍ^(٣)

(ألوان الذِّبَّان)

وَذِيَّانَ الشَّعْرَاءِ حُمْر . قال : والذِّبَّان التي تُهْلِكُ الإِبِلَ زُرْق .
قال الشاعر^(٤) :

رَبَعَتْ والدَّهْرُ ذُو تَصْفُقٍ^(٥) حَالِيَةً بِذِي سَبَبٍ مَوْنِقٍ^(٦)
إِلَّا مِنْ أَصْوَاتِ الذِّبَّابِ الْأَزْرَقِ^(٧) أَوْ مِنْ تَفَانِقِ الْفَلَا الْمُنْقَنِقِ^(٨)

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه في الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت
يتردد في الصدر . والمحشرج : الذي يغرغر عند الموت . والبيت في صفة حار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) الثعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « الثعر » ل : « النغر » وهما
تصحييف ماقى ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عني به : الذيل . وانظر ص ٣١٤ .

(٤) الأول أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : الثقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحده سبيبة ، وهى العضاه تكثر في
المسكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه في س .

(٨) « تفانق » بدلها في س : « تفانق » . وأحسبهما محرفتين .

والذَّبَّانَ الذِي يَسْقُطُ عَلَى الدَّوَابِّ صُفْرٌ^(١) .

وقال أَرطاة بن سُهَيْتٍ ، لَزُمِيل بن أُمِّ دِينَار^(٢) :

أَزْمِيلُ إِنِّي إِنْ أَكُنْ لَكَ جَازِيَا أَعْكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُخْ لَا تَسْقِ^(٣)
لِئِنِّي أَمْرُوٌّ تَجِدُ الرِّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرِّكَابَ مِنَ الذَّبَابِ الْأَزْرَقِ
وَإِذَا مَرَّ بِكَ الشَّعْرُ الذِّي يَصْلَحُ لِلْمَثَلِ وَلِلْحِفْظِ^(٤) ، فَلَا تَنْسَ حَظُّكَ
مِنْ حِفْظِهِ .

وقال المَتَمَلِّسُ :

فَهَذَا أَوَانُ الْعَرَضِ حَتَّى ذَبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمَتَمَلِّسُ^(٥)
وَبِهِ سَمِّيَ الْمَتَمَلِّسُ .

(١) ط : « أَصْفَر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بني مازن بن فزارة ، أحد بني عبد مناف . وأبوه أبيير
بالتصغير ، أو ويير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، وهو من
المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة
٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه
في ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهبة : هو ابن زفر بن عبد الله العطفاني المزني ،
شاعر مشهور . وسهبة أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان .
وكان يكنى أبا الوليد ، وهي أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى توفي نذرهما بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراد . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسي
فسكت . ونسب في الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » و : « جازيا » بدلها في ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح
وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترخ » هي في ط : « ترع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه » ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المتملس . وهو شاعر جاهل اسمه جرير بن عبد المسيح الضبيعي كما في
الشعراء . والعرض - بالكسر - : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة
والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط :
« ذبابه » صوابه في ل ، س . س : « حتى » وهي تحريف .

وقال ابن ميادة :

بَعَثَرِيْسٍ كَانَ الدَّبْرَ يَلْسَعُهَا إِذَا تَغَرَّدَ حَادٍ خَلْفَهَا طَرِدُ^(١)

(مَا يَسْمَى بِالذَّبَّانِ)

والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَجْنَاسَ النَّحْلِ والدَّبْرَ كُلَّهَا ذِبَّانٌ ، مَا حَدَّثَ [بِهِ]
عَبَّادُ بْنُ صُهَيْبٍ ، وَإِسْمَاعِيلُ الْمَكِّيُّ^(٢) عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ سَعِيدٍ
الْعَوْفِيِّ^(٣) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ ذُبَابٍ فِي النَّارِ
إِلَّا النَّحْلَةُ » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكره قتل النحل وإحراق العظام .
يعنى فى الغزو .

وحدَّثَنَا عَنبَسَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ السَّدُوسِيُّ قَالَ : أَنبَأَنَا^(٤) أَنَسُ بْنُ
مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَمَرَ الذَّبَابُ أَرْبَعُونَ
يَوْمًا . وَالذَّبَابُ فِي النَّارِ » .

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغاني ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكي » .

(٣) ل : « العوفى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر :

عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوفى الجدى - بفتح الجيم
والمهملة - ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة
يعنى بعد المائة . وتروى أنه جعل أباه سعداً لاسعيداً .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال ^(١))

وقد اختلف الناس في تأويل قوله : « والذباب في النار » وقال قوم :
الذباب خلقُ خُلِقَ للنَّار ، كما خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنَّار ، وخلق
أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلَعُوا عُدْرَهُمْ ^(٢) فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢
عَدْلٌ من الله عزَّ وجلَّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه
عذابَ الأطفال فقد جُجِدَ . ولو وجد سبيلاً إلى أن يقول إنَّ ذلك ظلم لقاله ^(٣)
ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أنَّ الله تعالى يخبرُ عن شيءٍ ^(٤) أنَّه يكون
وهو لا ^(٥) يكون ، ثم يقول إلاَّ ^(٥) أنَّ ذلك صدق لقاله . إلاَّ أنَّه ^(٦) يخاف
السَّيفَ عند هذه ، ولا يخاف السَّيفَ عند تلك . وإن كانت تلكَ أعظمَ
في الفرية من هذه .

وبعضهم يزعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا عَذَّبَ أطفالَ المشركين ليغُمَّ بهم
آباءهم ^(٧) . ثمَّ قال المتعاقِلون منهم : بل عَذَّبهم لأنَّه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا
له . فليت شعري [أ] يحتسب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنَّ

(١) انظر مثل هذا البحث في الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر
كما في الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشيء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلها في ل : « وليكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت في ط ، س :
« آباؤهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فأنى^(١)
 قبيحاً فالذى يحسن^(٢) ذلك القبيح أن صاحبه كان فى [موضع]^(٣) آمن ،
 أو لأنه آمنٌ يمتنع^(٤) من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظلم
 والعبث واللغو والبخل^(٥) كله محال ممن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه^(٦)
 إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها فى الثواب ،
 وأن المعاصى إذا استوت استوى أهلها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعة
 ولا معصية استوتوا فى التفضل^(٧) .

وزعم أن أجناس الحيوان [وكل شيء] يحس ويألم ،
 فى التفضل^(٧) سواء .

وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم فى الجنة . وزعم أنه
 ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السباع فى ذلك وبين
 البهائم فرق .

(١) ط : « أنى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إِنَّ هذه الأبدان السَّبْعِيَّةَ والبهيمية لا تدخل الجنة ،
ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقُل تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛
فيركِّبها في أيِّ الصُّور أحبَّ (١) .

وكان أبو كلدة (٢) ، ومَعْمَر ، وأبو الهذيل ، وصحَّح (٣) ، يكرهون هذا
الجواب ، ويقولون : سواءٌ عند خواصِّنا (٤) وعوامِّنا ، أقلنا : إِنَّ أرواحَ كلابنا
تصيرُ إلى الجنة ، أم قلنا : إِنَّ كلابنا تدخل الجنة (٥) . ومتى ما اتَّصل كلامنا
بذكر الكلب على أيِّ وجهٍ كان ؛ فكأنَّا عندهم قد زعمنا أَنَّ الجنةَ فيها
كلاب . ولكنَّا نزعم أَنَّ جميع ما خلقَ الله تعالى مِنَ السَّبَاعِ والبهائمِ
والحشراتِ والهمج [فهو] قبيح المنظر مؤلم ، أو حسن المنظر (٦) مُلِدٌّ ؛ فما كان
كانخيل والطباء ، والطواويس ، والتدارج (٧) فَإِنَّ تلك [في] الجنة ، ويَلْدُ (٨)
أولياءُ الله عزَّ وجلَّ بمَنَظرها . وما كان منها قبيحاً في الدُّنيا مؤلِمَ النظر

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث في الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحَّح ذا مذهب غريب في « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن
الغباء في الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقفاً في النفوس من
عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك في البخل ص ٥ .

(٤) ل : « خصوصتنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س :
وبدلها في ط : « أو » ، والوجه « أم » كما في ل .

(٦) المنظر : المنظر ، وهذه الأخيرة جاءت في ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التدريج » .

(٨) ط ، س : « وتلك » وصوابه في ل .

جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه في النَّار . فإذا^(١) جاء في الأثر : أنَّ
الذَّبَابَ في النَّارِ ، وغير ذلك من الخلق ، فإنَّما يراد به هذا المعنى .
١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون في النَّار ، وتلذَّذ ذلك^(٢) ، كما أنَّ خَزَنَةَ
جَهَنَّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التَّعْذِيبَ ، يلذُّون موضعهم من النار .
وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبَّعهم على استلذاذ النَّار والعيشِ
فيها ، كما طبع ديدان^(٣) الثلج والخلَّ على العيش في أماكنها .
وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانها علةً لاتصل النَّارُ
إليها ، وتنعم قلوبهما وأبدانها من وجه آخر كيف شاء^(٤) . وقالوا : [و] قد
وجدنا النَّاسَ يَحْتالُونَ لأنفسهم في الدُّنْيَا حِيلاً ، حتى يدخل أحدُهم بَعْضُ
الآثَاتين^(٥) بذلك الطَّلاء ، ولا تضرُّه النَّار ، وهو في معظمتها ، وموضع
الجاحم^(٦) منها . ففَضِّلُ ما بينَ قدرةِ الله وقُدرةِ عباده أكثر من فضل
ما بينَ حرِّ نار الدُّنْيَا والآخرة^(٧) .

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذَّذ بذلك » وأثبت ما في ل . وهما صحيحتان . قال الزبير بن العوام
يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريق

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : في ل ، س . وديدان الخلل سبق الكلام عليها
في ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر في ط ، س للعاقل ، أي
« لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه في ل .

(٥) الآثَاتين : جمع أنون ، كتثور ، وهو : أخدود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س
« الناس » وصوابه في ل .

(٦) الجاحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجامع » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا في ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل ما بين قوة حر نار
الدنيا والآخرة » .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ سَبَّلَهَا^(١) فِيهَا كَسْبِيلَ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُذِفَ فِيهَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يَقَالُ لَهُ [مَلِكٌ] الظِّلُّ ، فَكَانَ يَحْدُثُهُ وَيُؤْنِسُهُ ؛ فَلَمْ تَصِلِ النَّارُ إِلَى أَذَاهُ ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْ طَبَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ .

وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ^(٢) فِي هَذِهِ الْجَوَابَاتِ ؛ فَإِنْ أَحْسَسَهَا وَأَشْنَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخِطْهُ وَلَا يَعْقِلُ كَيْفَ يَكُونُ السَّخَطُ . وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِعْمَا عَذِّبَهُ لِيَغْمَّ أَبَاهُ^(٣) . وَإِعْمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوصِلَ إِلَيْهِمْ ضَعْفَ الْإِعْتِمَاءِ ، وَضَعْفَ الْأَلَمِ^(٤) الَّذِي يَنَالُهُمْ بِسَبَبِ أُنْبَاءِهِمْ . فَأَمَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِيْصَالِ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، فَكَيْفَ يُوَصِّلُهُ وَيَصْرِفُهُ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ؟ ! وَكَيْفَ يَصْرِفُهُ عَمَّنْ أَسْخَطَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يُسْخِطْهُ^(٥) ؟ ! [هَذَا] وَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِسِنِّيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ ؟ !

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى الذَّبَّانِ وَأَصْنَافِ الذَّبَّانِ .

(١) ط ، س : « سَبَّلَهَا » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) ط ، س : « وَكَيْفَ دَارَ الْأَمْرُ » .

(٣) ط : « أَبَاهُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٤) ل : « ضَعْفَ إِعْتِمَائِهِمُ وَالْأَلَمِ » .

(٥) ط : « إِلَى مَنْ لَا يَسْخِطُهُ دُونَ مَنْ أَسْخَطَهُ » س : « إِلَى مَنْ اسْتَحَقَّهُ » ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(جهل الذَّبَّان وما قيل فيها من الشعر)

والذَّبَّانُ أَجْهَلُ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّارَ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ .

وقال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَذَلِكَ الصَّحِيفَةُ بِالْخَاتَمِ ^(١)
هَوَتْ بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هُوِيَ الْفَرَّاشَةُ لِلْجَاحِمِ
وقال آخر :

كَأَنَّ مَسَافِرَ النَّجْدَاتِ مِنْهَا إِذَا مَامَسَهَا قَعُ الذُّبَابِ ^(٢)
بِأَيْدِي مَتَائِمٍ مَتَسَاعِدَاتٍ نَعَالِ السَّبْتِ أَوْ عَذَبِ الثِّيَابِ ^(٣)

(نقد بيت من الشعر)

١٢٤

وقال بعض الشعراء ^(٤) ، يهجو حارثة بن بدر الغدافي :

زَعَمَتْ غُدَانَةٌ أَنَّ فِيهَا سَيِّدًا ضَخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ ^(٥)

- (١) كذا في ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفي ل : « على حبها كختم » .
وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .
(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهي الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع :
ذباب الإبل .
(٣) المتائم : جماعة النسوة في الحزن . ط : « بأيده متائم » صوابه في ل ، س .
والعذاب : جمع عذبة ، وهي خرقة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف .
أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح
بتعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » ! .
(٤) هو الأبيرد الرياحي ، كما في الأغاني (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .
(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أي يماثله ويساويه .
وأثبت ما في ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنه قال :
يُرويه ما يُروى الذبابَ فينتشى سُكراً ، وتُشبعه كُراعُ الأرنب^(١)
قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناحُ
الجنبد^(٢) » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنب » :

وإنما^(٣) ذكر كُراعَ الأرنب ؛ لأن يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع
[في] الصُّعود ، ولا يلحقها من الكلاب إلا كلُّ قصير اليد^(٤) . وذلك
محمودٌ من الكلب . والفرس توصف^(٥) بقصر الذراع .

(قصة في الحرب من الذباب)

وحدثني الحسن بن إبراهيم العلوي قال : مررتُ بخالي ، وإذا هو وحده
يضحك ، فأنكرتُ ضحكته ؛ لأنني رأيته وحده ، وأنكرته^(٦) ؛ لأنه كان
رجلاً زميتاً ركيناً^(٧) ، قليل الضحك . فسألته عن ذلك فقال : أتاني فلانٌ

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجنبد » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع
على أكرع ثم على أكارع . وهي مؤنثة يصح في فعلها التذكير والتأنيث . لكن
كلمة « الجنبد » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الكلام .
(٢) الجنبد : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجنبد » .
(٣) قبل هذا في ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعي فهو
الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سُكراً وتُشبعه كراع الأرنب»

(٤) ل : « اليدن » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكينتا » .

يعنى شيخاً مدينياً^(١) - وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنا والله هاربٌ من بيتي ! قلت ولم ؟ قال : فى بيتي ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثارَ^(٢) فى وجهي ، وطار حولي وطنٌ عند^(٣) أذني ، فإذا وجد مني غفلةً لم يُخطئْ موقَ عيني . هذا والله دأبه ودأبي دهرأ معه^(٤) . قلت له : إن شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من^(٥)] أمسِ ، فقال : أعتقُ ما أملك إن لم أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمسَ عشرة سنة^(٦) . فهذا هو الذى أضحكني !

(قصة فى سفاذ الذباب)

وقال الخليل بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركبُ الخنزيرةَ عامَّةَ نهاره ، ورأيتُ الجملَ يركبُ الناقةَ ساعةً من نهاره^(٧) . وكنت قبل ذلك أغبطُ

(١) ل : « مدينا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم^(١) - فَإِنَّ الذَّكَرَ وَإِنْ كَانَ سَرِيعَ النُّزُولِ عَنْ ظَهْرِ الْأُنْثَى فَإِنَّهُ لِسُرْعَةِ الْعُودَةِ ، وَلِكثَرَةِ الْعَدَدِ ، كَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْخَنْزِيرِ وَالْجَمَلِ - حَتَّى رَأَيْتُ الْاَنْدُبَابَ وَفُطِنْتُ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَرْكَبُ الذُّبَابَةَ عَامَّةَ نَهَارِهِ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْبِكْرَاوِيُّ^(٢) : لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ السَّفَادُ^(٣) . قَالَ : أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ الْعَيْنَانِ فَهَذَا حَكْمُهُ . فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَطِيبَ نَفْسُكَ بِإِنْكَارِ مَا تَعْرِفُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ خَلْقِهِ ، مِنْ فَضُولِ اللَّذَّةِ^(٤) ، فَدُونِكَ .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للورل في ذلك ما ليس عند غيره .

(١) كذا في ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصغ » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهزمة وغرفة . وهو طائر أخضر ، كما في القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفي ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير .

(٢) البكرأوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق في ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعان : إحداهما المدينة ، والأخرى بكرا باذ ، وبينهما نهر يجري يحتمل أن تجرى فيه السفن . كذا في معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكرأوى والبكرا باذ » . ل : « محمد ابن عمرو النكرأوى » . وفي النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو السفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما في ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « للولى » وصوابه في ل .

(قصة آكل الذبان)

١٢٥

وأشدد ابن داحه في مجلس أبي عبيدة ، قول السيد الحميري :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها^(١) وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون ، وفي الأمور عجائب يأتي بهم تصرف الأزمان
أن الخلافة في ذؤابة هاشم فيهم تصوير وهيبة السلطان^(٢)

وكان ابن داحه رافضيا ، وكان أبو عبيدة خارجيا صنفيا ، فقال له :

مامعناه في قوله : « آكل الذبان » ؟ فقال : لأنه كان يذب عن عطر
ابن جدعان^(٣) . قال : ومتى احتاج العطارون إلى المذاب ؟ ! قال : غلظت
إنما كان يذب عن حيسة ابن جدعان . قال : فابن^(٤) جدعان وهشام

(١) ل : « أترى ضهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشرف قريش في الجاهلية ومن
وفد على كسرى ، وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين في الجاهلية .
ومدحه أمية بن أبي الصلت بقصيدته التي أولها :

أذكر حاجق أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاهم إياه . وكان مشهورا بالكرم . قالوا : كان سمي بحاسي الذهب ؛ لأنه
كان يشرب في إناء من الذهب ، فقالوا في المثل : « أقرى من حاسي الذهب » .
الأغاني (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جدعان » وفي المواضع

الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحَاسُّ لأحدهما الحَيَسَةُ على عِدَّةِ أَنْطَاع^(١) ، فكان يأكلُ منها الرَّاكِبُ والقائمُ والقاعدُ^(٢) فأين كانت تقعُ مَذْبَةُ أُنَى قُحَافَةٍ من هذا الجبل ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيْهَا . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنة^(٣) .

(تحقير شأن الذبابة)

قال : وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها ، يقول الرسول^(٤) :
« لو كانت الدنيا تُساوى عند الله تعالى جَنَاحَ ذبَابَةٍ^(٥) ما أعطى الكافر منها شيئاً » .

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالسكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي ففرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريباً ، لكننا نجد تعريفاً له من الحديث ، جاء في غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عى » ، يعنى في الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . سن : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتى ، حديث صحيح رواه الترمذى ، ونقله عنه السيوطى فى الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . فى الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة في الذّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة في الذّبان^(١) أعجوبة، لو كانت بالشّامات^(٢) أو بمصر
لأدخلوها في باب الطّلسم؛ وذلك أنّ الثّمَرَ يكون مصبوباً في بيادر التمر
في شقّ البساتين، فلا ترى على شيء منها ذُبَابَةً لآفي اللّيل، ولا في النّهار،
ولا في البرّدين^(٣)، ولا في أنصاف النّهار. نعم وتكون هناك المعاصر^(٤)،
ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذّباب الفرار من الشّمس إلى الظّل؛
ولمّا تلك المعاصر بين ثمرة [و] رُطْبَةٍ، ودِبْس [وثجير]^(٥)، ثمّ لا تنكاد
ترى في تلك الظّلال والمعاصر، في انتصاف^(٦) النّهار، [ولا] في وقت طلب
الذّبان الكين، إلّا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذّبان.

وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشّقّ الذي فيه البساتين. فإن
تحوّل^(٧) شيء من [تمر] تلك الناحية^(٨) إلى جميع ما يقابلها في نواحي
البصرة، غشيه من الذّبان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه

(١) ط: «الذباب».

(٢) الشّامات: هي بلاد الشام. وانظر ما سبق في حواشي ١ : ٧٣.

(٣) البردان: الغداة والعشي. ط، س: «البرد» وتصحيحه من ل.

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس، وهو عسل التمر.

(٥) الثجير: ثفل كل شيء يعصر. وهو فارسي معرب، كما في المعرب الجواليقي ٤١.

(٦) ل: «أنصاف»، كما سقطت كلمة «تنكاد».

(٧) ل: «حول».

(٨) ط، س: «البادية»، والوجه ما أثبت من ل.

وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس^(١) ، وبين موضع الذَّبَّانِ إلَّا فيض البصرة ، ولا بين ما يكون من ذلك بنهر أذرب^(٢) وبين موضع الذَّبَّانِ ممَّا يقابله ، إلَّا سيحان^(٣) ، وهو ذلك النهر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلَّا مائة ذراع أو أزيدَ شيئاً أو أنقصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضروب من الحيوان)

وأعجوبة أخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلِّ شئٍ صدرنا به جملة القول في الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينأى كالصافر^(٤) والتَّنُوط^(٥) ؛ فإنَّهما إذا كان اللَّيْلُ فإنَّ أحدهما يتدلَّى من ١٢٦ غصن الشَّجرة ، ويضمُّ عليه رجله ، وينكسُ رأسه ، ثمَّ لا يزال يصيحُ حتَّى يبرُقَ النُّور . والآخرُ لا يزالُ يتنقَّلُ في زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَّ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما في معجم البلدان .

(٢) كذا في ط . س : « أذرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذري : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمى العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه في ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع العصافير ، وسيكل الجاحظ نمت . ط : « كالعصافير » ووجه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالعصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سيأتى .

الأشجار مما يشبه الليف^(١) فنفسه ، ثم قتل منه حبلاً ، ثم عمل منه كهيشة القفة ، ثم جعله مدلىً بذلك الحبل ، وعقده بطرف غصن من تلك الأغصان ؛ إلا أن ذلك برصيع ونسج ، ومداخلة عجيبة ؛ ثم يتخذ عشه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعراب يزعمون أن الذئب شديد الاحتراس ، وأنه يراوح بين عينيه ، فتكون واحدة مطبقة^(٢) نائمة ، [وتكون] الأخرى مفتوحة حارسة . ولا يشكون أن الأرنب تنام مفتوحة العينين .

وأما الدجاج والكلاب فإنما تعزب^(٣) عقولهما في النوم ، ثم ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأما الدجاج فإنها تفعل ذلك من الجبن^(٤) وأما الكلب فإنه يفعل ذلك من [شدة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرائق والكراكي لاتنام أبداً إلا في أبعد المواضع من الناس ، وأخزرها من صغار سباع الأرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لاتنام حتى تقلد أمرها رئيساً وقائداً ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيا رفع إحدى رجله ؛ ليكون أيقظ له .

(١) ط ، س : « يشته بالليف » .

(٢) ل : « مطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه

ما أثبت مطابقاً لما سياتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النوم معروف . وإن الرَّجُلَ ممن يغزو^(١) في البحر ، ليعتصمُ
بالشَّراع وبالعود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النَّومَ متى خالطَ عَيْنَيْهِ استرخَتْ
يَدُهُ ، ومتى استرخَتْ يَدُهُ بآيَنُهُ الشَّيْءُ الذي كان يركبه ويستعصمُ به^(٢) ، وأنه
متى بآيَنُهُ^(٣) لم يقدرْ عليه ، ومتى عجزَ عن اللِّحاقِ [به] فقد عطب^(٤) . ثمَّ هو
في ذلك لا يخلو ، إذا سهرَ ليلةً أو ليلتين ، من أن يغلبه النَّومُ ويقهره ، وإمَّا
أن يحتاج إليه الحاجة التي يريه الرأى الخوانُ ، وفسادُ العقلِ المغمورِ بالعلَّةِ
الحادثة ، أنه قد يُمكن^(٥) أن يُغْنِيَ وينتبهَ في أسرع الأوقات ، وقبلَ
أن تَسْتَرخِيَ يَدُهُ كلَّ الاسترخاء ، وقبلَ أن تباينَه الخشبةُ إن
كانتْ خشبةً .

(١) ط ، س : « يفرق » وصوابه في ل . وفي س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا في س . وفي ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) بآيَنُهُ : فارقه ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه في ل ، س .

(٤) عطب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه في ل .

(٥) « يريه » هي في ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هي في ل :
« الفاسد » . و « يمكن » هي في ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجبية في نوم الذباب)

وليس في جميع ما رأينا وروينا ، في ضروب نوم الحيوان ، أعجبُ
من نوم الذَّبان ؛ وذلك أنها ربما جعلت مأواها [بالليل] دَرَوْنْدُ الباب^(١)
وقد غشّوه ببطانةٍ ساجٍ أملسٍ كأنه صفاةٌ ، فإذا كان الليلُ لزقت^(٢) به ،
وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانت لا تنام البتّة
ولا يخالطها عُرُوب^(٣) المعرفة فهذا أعجب^(٤) : أن تكون أمةٌ من أمم الحيوان
لا تعرف النَّومَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزّب عنها ما يعزّب^(٥)
١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على
مواضع قوائمها^(٦) ، ممسكة^(٧) بها ، أو تكون مرسلّة لها [مخلّية عنها] . فإن
كانت مرسلّة لها فكيف لم تسقط وهي أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت
ممسكة لها فكيف يجامع التشدّد والتثبّت^(٨) النوم ؟ !

(١) الدرونْد كلمة فارسية. وفي اللسان (نجف): «ابن الأعراي: النجاف هو الدرونْد والنجران.
وقال ابن شميل: النجاف الذي يقال له الدواردة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى
الأسكفة» . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج)
ط : «دورة» تحريف .

(٢) ط : «لزمت» .

(٣) المزوب : البعد . وفي ل : «غروب» .

(٤) ل : «عجب» .

(٥) ل : «يفرب» في الموضعين .

(٦) في الأصل : «قائمها» .

(٧) ل : «ممسكة» .

(٨) س : «والتثبّت» .

(بعض ما يمتري النائم)

ونحن نرى كلَّ مَنْ كان في يده كيس أو^(١) درهم أو حبلٌ ، أو عصا
فإنَّه متى خالط عَيْنَيْهِ^(٢) النَّوْمُ استرخَتْ يده وانفتحت أصابعه^(٣) . ولذلك
يتشاءب المحتال للعبد الذي في يده عِنان دَابَّةٍ مولاة ، ويتناوم له وهو جالس ؛
لأنَّ مِنْ عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِهِ مَنْ يشغله ، ورأى إنساناً^(٤)
[قَبَالَتَهُ] يتشاءبُ أو يَنْعَسُ ، [أن يتشاءب وينعس مثله^(٥)] . فتي استرخَتْ
يُده أو قبضته عن طَرْفِ العِنان ، وقد خامره سُكْرُ النَّوْمِ ، ومتى صار
إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدَّابَّةَ ومرَّ بها .

باب

القول في الغربان

اللهم جنبنا التكلفَ ، وأَعِذْنَا مِنَ الخطَا ، وأَحْمِنَا العُجْبَ بما يكون منه ،
وَالثِّقَةَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفي ل : « ينود » بدل : « يتشاب » . ينود : يتمايل

من النعاس .

(٥) هذه التكلة من س .

نذكر على اسم الله جُمِّلَ القولُ في الغِرْبَانِ ، والإخبار عنها ، وعن غريبٍ ما أُودِعَتْ من الدَّلالة ، واستُخْرِنت من عجيب الهداية ^(١) .
وقد كُنَّا قَدَمْنَا ما تقول العربُ في شأنِ منادمةِ الغُرابِ الدِّيكَ وصدّاقته له ، وكيف رهّنه عند الحَمَّارِ ، وكيف خاسَ به وسخر منه وخذعه ^(٢) وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغائماً غيرَ خائب ^(٣) ، وكيف ضربت به العربُ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته في الاشتقاقِ لجزرها عند عيافتها وقيافتها ، وكيف كان السبب في ذلك ^(٤) .

(ذكر الغراب في القرآن)

فهذا إلى ما حكى الله عزَّ وجلَّ من ^(٥) خبر ابْنِ آدَمَ ، حينَ قَرَّبَا قرباناً فحَسَدَ الذي لم يُتَقَبَّلْ منه المُتَقَبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به من قتله ، وعند إمساكه عنه ، والتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

(١) الكلام من مبدل : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغائماً غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت »

ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴿١﴾
 حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ ، وهو أحد ابني آدم ما قال . فلولوا أَنَّ للغراب (١) فضيلةً
 وأموراً محمودةً ، وآلةً وسبباً ليس (٢) لغيره من جميع الطَّيْرِ لَمَّا وضعه
 اللَّهُ تعالى في موضعِ تأديبِ الناس ، وَلَمَّا جعله الواعِظَ والمذكِّرَ بذلك .
 وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ ۚ ١٢٨
 كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ ، فأخبر أنه مبعوثٌ ، وأنه هو اختاره لذلك من
 بين جميع الطَّيْرِ .

قال صاحب الدِّيك : جعلت الدِّلِيلَ على سوء حاله وسقوطه (٣) الدِّلِيلَ
 على حُسْنِ حاله وارتفاعِ مكانه . وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفلَ كانت
 الموعدةُ في ذلك أبلغَ . ألا تراه يقول : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

ولو كان في موضعِ الغرابِ رجلٌ صالحٌ ، أو إنسانٌ عاقلٌ ، لما حَسُنَ
 به أن يقولَ : يا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ
 الشَّرِيفِ . وإذا (٤) كان دوناً وحقيراً فقال : أَعَجَزْتُ وأنا إنسانٌ أنْ أُحْسِنَ
 ما يحسنه هذا الطَّائِرُ ، ثمَّ طائرٌ من شرارِ الطَّيْرِ . وإذا أَرَاهُ (٥) ذلك

(١) ل : « في الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : « وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه في ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

في طائر أسود محترق^(١) ، قبيح الشائل ، ردىء المشية^(٢) ، ليس من بهائم الطير المحموده ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بعد طائر يتنكّد به ويتطرّ منه ، آكل جيف^(٣) ، ردىء الصيّد . وكلما كان أجهل وأنذل^(٤) كان أبلغ في التوبيخ والتّقريع .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكن به على جهة الإخبار أنّه كان قتاه ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام من عادات الناس ، كان من فرّ من الزّحف ليلاً لم يلزمه وعيد^(٥) . وإنما وقع الكلام على ما عليه الأغلب من ساعات أعمال الناس ، وذلك هو النهار دون الليل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن^(٦) ، حين دفعوا إليه جواباً^(٧) الخارجيّ ليقتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارج منه ، وإن ترك قتله فقد

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفي القصص التّشيل أنه أعجبه مشية المصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فسمى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية المصفور . انظر شعراً في ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه في ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخل وأزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتنا » .

أبدى لنا صفحته . فتأول صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً^(١) : وذلك أنه قال : قد نجدُ التَّقِيَّةَ تُسَبِّغُ الكُفْرَ^(٢) ، والكُفْرَ باللسانِ أعظمُ من القَتْلِ والقَذْفِ بالجراحة . فإذا جازتِ التَّقِيَّةُ^(٣) في الأعظم كانت في الأصغر أجوزَ . فلما رأى هذا التأويل يطرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسَّ^(٤) بأنه إنما التمس عُذْراً ولزَقَ الحجةَ تلزيقاً [فلماً عزمَ على قتلِ جواب ، وهو عنده واحدُ الصُّفْرىة في النُّسك والفضل] قال : إني^(٥) يومَ أَقْتُلُ جَوَّاباً على هذا الضَّرْبِ من التأويلِ لحريص^(٦) على الحياة ! ولو كان حينَ قال إني^(٥) يومَ أَقْتُلُ جَوَّاباً إنما عني النهارَ دونَ اللَّيْلِ ، كان عند نفسه إذا قتله تلك القِتلة ليلاً لم يَأْثُمَ به . وهذا أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس ، لكان إذا قال من أوَّل الليل : إني فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا في السَّحَرِ ، أو معَ الفجرِ ١٢٩ أو قال الغداة^(٧) : إني فاعِلٌ يومى كلَّه ، وليلتى كلها ، لم يكن عليه حِثٌّ ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ^(٨) ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التَّقِيَّة : الخوف والخشية من الهلاك . تسبغ الكُفْر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكُفْر ظاهراً . ل : « أجد البقية تسع في الكُفْر » ط ، س : « نجد التَّقِيَّة تسبغ بالكُفْر » . والوجه في العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه في ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستثنى » محرفة .

اسمٌ غد . فأمّا كلُّ (١) ما خالفَ ذلكَ في اللفظ فلا . وليس التأويل كذلك لأنه جلّ وعلاً إنما ألزَمَ عبده أن يقول : إن شاء الله ؛ لِيَتَّقِيَ عَادَةَ التَّأْيَلِ (٢) . ولئلاً يكونَ كلامُهُ وافظُهُ يشبه لفظَ المستبدِّ والمستغنى ، وعلى أن يكونَ عِنْدَ (٣) ذلكَ ذَاكَرَ اللَّهِ ؛ لأنهُ عبدٌ مدبّرٌ ، ومقلّبٌ ميسّرٌ (٤) ، ومصرفٌ مسخرٌ .

وإذا كان المعنى فيه ، والغاية التي جَرَى إليها اللفظ ، إنما هو على ما وصفنا ، فليس بينَ أن يقولَ أَفْعَلُ ذلكَ بعدَ طرفَةٍ ، وبينَ أن يقولَ أَفْعَلُ ذلكَ بعدَ سنةٍ فرقٌ .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنه كان هنالك ناسٌ قتلوا إخوانهم ونَدِمُوا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحواءَ عليهما السلام : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلَّ مَنْ صَنَعَ صنيعكما فهو ظالمٌ .

(الاستثناء في الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولنا في الاستثناء ، وقد سمعوا الله عز وجل يقولُ :

﴿ إِنَابِلُونَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه في س .

(٢) التقي : الحذر . ط ، ل : « ليقى » س : « لتقى » ، ووجهه بما ترى .

والتألي : الحلف . ل : « التألي » ط ، س : « المتألي » ، والوجه ما ذكرت .

والمنع : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستعماله .

(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه في ل .

(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَشْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۖ فَأَصْبَحَتْ
كَالْضَّرِيمِ ﴿١﴾ ، مع قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمي الغرابَ ابن دأية ؛ لأنه إذا وجدَ دَبْرَةً ^(١) في ظهر
البعير ، أو في عنقه قرحة سقط عليها ، ونقره وأكله ^(٢) حتى يبلغ الدَّائيات ^(٣) .
قال الشاعر ^(٤) :

نَجِيَّةٌ قَرْمٌ شَادَهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى يَثْرِبُ حَتَّى نَيْيَهَا مِظَاهِرُ ^(٥)
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي فَمَا بِكَ عِلَّةٌ سَنَامِكِ مَلُومٌ وَنَابُكَ فَاطِرُ ^(٦)
فِيئَلَكِ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَذِيَّةً تَقْلُبُ عَيْنِهَا إِذَا مَرَّ طَائِرُ ^(٧)

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهي صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلا : أكله ، ويقال
أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز .

وللدائيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الريبس الشعبي ، أو الجون الحرزي . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث
قصة الشعر .

(٥) نجية قرم : يقول : هذه الناقة قد أنجها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء :
الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦) : « قوم » ، وصوابه
ما أثبت من ل . شادها القت والنوى : أى نساها تناول هذا العلف . والنوى
المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملوم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينها خوف أن
تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الراعي :

فلو كنت معذوراً بنصرك طيرت صقورى غربان البعير المقيّد
هذا البيت لعنّرة ، في قصيدة له ^(١) . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيّد
ذى الدبّر ، إذا وقعت عليه الغربان .

(غرز الريش والخرق في سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دبّرة غرزوا في سنامه إمّا قوادم ريش ^(٢) أسود
وإمّا خرقاً سوداً ^(٣) ؛ لتفزع الغربان منه ، ولا تسقط عليه . قال الشاعر ،
وهو ذو الخرق الطّهوى ^(٤) :

لما رأت إبلى حطت حولتها هزلى عجافاً عليها الريش والخرق ^(٥)

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادم الريش : أربع أو عشر في مقدم الجناح . ط ، س : « قوادم »
وانظر ما سيق .

(٣) كذا في ل . وفي ط « خرقه سوداء » . وفي س : « خرقاء سوداء »
وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حل
ابن عامر بن حمير ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بنى طهية ثلاثة شعراء أحدهم
هذا ، والثاني قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة
(١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء في الخزانة
أن الأملى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقدمها البغدادي ؛ فإن الشعر
مذكور في ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، في غير مظهره .

(٥) العجاف : جمع أصعب وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لا يجمعان على
فعل . والأصعب : الذى ذهب سمته . وقبل البيت :
ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افرقنا وقد نثرى فننتفق .

١٣٠ قالتُ ألا تبتغي عيشاً نعيشُ به عَمَّا نلاقى ، فشرُّ العيشة للرَّنقُ
[الرَّنقُ ، بالراء المهملة ، وبالنون ، هو السكدرُ غير الصافي] .

وقال آخر^(١) :

كانها ريشةٌ في غاربٍ جرَزٍ في حيثما صرفته الريح ينصرف^(٢)
[جرَز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جرَزٍ منه وجوزٍ عارٍ*^(٣)]

(غرز الريش في أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توضع^(٤) الريش في أسنمتها وتغرَز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أن
الملوك كانت تجعل الريشَ علامةً لحبائ الملك^(٥) ؛ تحميها بذلك
وتشرِّف صاحبها^(٦) .

(١) ل : « وفي ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بانتحريك
سيُفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما في ل . ط ، س : « ضربته
الريح » ، وأثبت ما في ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت في صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب في
اللسان (جرز ، وري) إلى العجاج لارؤبة . وقد روى البكري الأرجوزة في أراجيز
العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما في اللسان . وقبل البيت :

* وانهم هاموم السديف الواري *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد في التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا في ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجماها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك بشف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يَهْبُ الْجِلَادَ بَرِيْشَهَا وَرِعَائِهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمُبْلَجِ^(١)
ولذلك^(٢) قالوا في الحديث : فرجع النَّابِغَةُ من عند النُّعْمَانِ وقد وهبَ
له مائةٌ من عَصَافِيرِهِ^(٣) بَرِيْشَهَا :
وللرَّيشِ مكانٌ آخر : وهو أَنَّ المَلُوكَ إِذَا جَاءَتْهَا الْخِرَاطُ بِالظَّفَرِ^(٤)
غَرَزَتْ فِيهَا قَوَادِمَ رِيْشٍ سُودَ .

(غِرْبَانُ الْإِبِلِ)

وقال الشاعر :

سَأَرْفَعُ قَوْلًا لِلْحُصَيْنِ وَمَالِكٍ تَطْيِيرُهُ بِهِ الْغِرْبَانُ شَطْرَ الْمَوَاسِمِ^(٥)

(١) الجِلَاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية في البيان (٩٦ : ٣) :
« الهجان » . والرعاة بالضم والرعاة بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه
الأول في ط ، س . وبالثاني في ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من
الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا
بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما في الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم
يكن بأرض العرب بغير أسود إلا له » : أي للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هي إبل نجبية كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا :
كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التي وصف فيها المتجردة ، ثم
ذهب غضبه عليه عند ما غنت النعمان قينة بشعر للنابغة ، ووهب له العصافير . انظر
الأغاني (٩ : ١٦٥) والتنبية السابق وما سيأتي في (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهي وعاء من آدم وغيره يشرح على ما فيه ، أي يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابي : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب
في الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

- وتروى به الهمُّ الظَّماءُ ، وَيَطْبِي بِأَمْثَالِهِ الْغَازِينَ سَجْعُ الْحَمَائِمِ (١)
يعنى غِرْبَانُ الْإِبِلِ (٢) . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « وتروى به الهمُّ الظَّماءُ » فمثل
قول الماتح (٣) :

عَلِقْتَ يَا حَارِثَ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَاذِلٍ لَارْفَلٍ التَّرْدَى (٤)
* وَلَا عَيٍّ بِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ (٥) *

(١) يطيبهم سجع الحمام : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين »
هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول .
ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غِرْبَانُ الْإِبِلِ ، وغراب البعير هو حد الورك الذى
يل الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع .
وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يعملون الرسائل فى حقبة تحتقب ، وتشد على
عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزورك
ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو يجوار البئر . والماتح ، بالهمز : الذى يستل
البئر فيملأ الدلو . ط : « المساتح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية
ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقة بعبارة : « وقال الراجز
وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول
« وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لا يبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الإبل
الجري . ومثله « الجاذى » ، وهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذى »
وفى البيان : « بجابى » . والجابى : الذى يطلع فجأة . وقد غنى رجلا . والرفل :
الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لارفل التود »
وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجانبى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيسى : العاجز . ط : « يبنى » س : « يبنى » ، وصوابه ما أثبت من البيان .
وفى ل : « عيبا » .

(شعر في تعرض الغربان للإبل)

وقالوا في البعير إذا كان عليه حملٌ من تمرٍ أو حبٍّ ، فتقدّم الإبل
بفضل قُوّته ونشاطه ^(١) ، فعرض ما عليه للغربان ^(٢) . قال الرّاجز :
قد قلتُ قولاً للغرابِ إذ حَجَلُ عليك بالقُودِ المسانيفِ الأوّل ^(٣)
* تَغَدَّ ما شئتُ على غير عَجَلٍ ^(٤) *
ومثله ^(٥) :

يقدمُها كلُّ أُمُونٍ مطعان ^(٦) حمراءَ من مُعرّضاتِ الغربان ^(٧)

- (١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .
(٢) س : « الغربان » .
(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه في ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبية البكري ٤٨ والمحاسن للبيهقي (٢ : ٨٤) . وفي مجالس نعلب ١٣٦ : « عليك بالإبل » . والمانيف : المتقدمة ، جمع مسنّف . س ، ط : « المسانيف » .
(٤) ط ، س : « من بعد مامشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة . قال الكسائي — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خير وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهقي . وللراجز بقية في تنبيه البكري ، فراجع .
(٥) الرجز الآتي يروى للأجلح بن قاسط ، كما في اللسان (عرض) . وقال ابن بري : « وهذان البيتان في آخر ديوان الشياخ » . قلت أنا : هما في آخرياته ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شيمذ رفيق الشياخ ، ونسبا في مشارف الأقاويز ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى الجعيل . وجاء قوله في آخر الرجز يخاطب نفسه :
* يا ابن جليح كن دليل الركبان *
ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسناً للكلام ، وضبطاً للوزن .
(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علا » ، وهي رواية القالي والبكري . والعلا : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلا وهي السندان . والمطعان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مدعان » بالذال ، وهي المنقادة لقائدها .
(٧) قال البكري : « الحمر أجله الإبل » . والمعرضات : التي تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل مما حملته ، كأنها عرضت ماتحملة للغربان .

(أمثال في الغراب)

ويقال : « أصبحُ بدناً مِنْ غُرَابٍ » ، و « أَبْصَرُ مِنْ غُرَابٍ » ، و « أَصْفَى عَيْنًا مِنْ غُرَابٍ » .

وقال ابن ميادة :

أَلَا طَرَقْتَنَا أُمُّ أَوْسٍ وَدُونَهَا حِرَاجٌ مِنَ الظُّلَمَاءِ يَعِشَى غُرَابُهَا^(١)
فَبِتْنَا كَأَنَّا بَيْنَنَا لَطِيمَةٌ مِنَ الْمِسْكِ ، أَوْ دَارِيَّةٌ وَعِيَابُهَا^(٢) .
يقول : إذا كان الغراب لا يبصر في حِرَاجِ الظُّلَمَاءِ^(٣) . وواحد الحِرَاجِ
حَرَجَةٌ ، وهى هاهنا مَثَلٌ ، [حيث^(٤)] جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ التَّفَّ وَكَثَفَ مِنَ
الظُّلَامِ حِرَاجًا ، وَإِنَّمَا الْحِرَاجُ مِنَ السِّدْرِ وَأَشْبَاهِ السِّدْرِ .

يقول : فإذا لم يبصر فيها الغرابُ مع حَدَّةِ بَصَرِهِ ، وصفاء مُقْلَتِهِ فَا
ظَنُّكَ بغيره ؟ !

١٣١

وقال أبو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيُّ^(٥) :

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَقِيعَةٍ كَعَيْنِ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يَكْدُرِ

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى » ، وصوابه في ط ، ل .

(٢) اللطيمة : العنبرة لظمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا في كتاب الصيدنة ص ٦ :
« بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتببيت أصله من بيت العدو :
أوقع بهم ليلاً . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها
المسك من ناحية الهند . وعنى بها العطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى
وعاء من آدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة :
« كماها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظلماء » ، وصوابه في ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات في الأغاني (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقية : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال :
 وأنشدنا أبو عمرو^(١) بن العلاء ، فى الوقائع :
 إذا ما استبالوا الخيلَ كانتْ أكفَّهم وقائعَ للأبوالِ والماءُ أبرَدُ
 يقول : كانوا^(٢) فى فلاةٍ فاستبالوا الخيلَ فى أكفهم ، فشرَبوا أبوالها
 من العطش .

ويقال شهد الوقية والوقعة بمعنى واحد . قال الشاعر^(٣) :
 لعمرى لقد أبقتْ وقيةً راهطٍ على زفرٍ داءٍ من الشرِّ باقيا^(٤)
 وقال [زفر بن^(٥)] الحارث :
 لعمرى لقد أبقتْ وقيةً راهطٍ لِمروانَ صدعاً بيننا متنائيا^(٦)

-
- (١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيق .
- (٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .
- (٣) هو جواس بن القمطل الكلبي . المؤتلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .
- (٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغاني (١٧ : ١١١ - ١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ هـ) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤتلف ٧٤ .
- (٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحاسة البحترى ١٧ .
- (٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :
 وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقْعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمَشْكَى وَالْمَعُولُ^(١)

(أمثال من الشعر والنثر في الغراب)

وفي صحفة بدن الغراب يقول الآخر^(٢) :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طَوْلِ عُمَرِهِ الْأَبَدِ^(٣)

[قَدْ^(٤)] شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاکْتَهَلَ الدَّهْرُ

رُ وَأَثْوَابُ عُمَرِهِ جُدْدُ

يَا نَسْرَ لِقَمَانٍ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدَ^(٥)

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمي ، قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاف بالبشر » صوابه في ل والمعجم . وانظر نقد البيت في الموشح ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجي كما في الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (في ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبي غالب الخزرجي . قال ابن خلكان في ترجمته (وذكرها في نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالمهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعال . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيت فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات في العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن منذر . وهي بدون نسبة في المعاني الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجي ١٧ من تحقيقي .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائي وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة ، وهي سنة نسكية البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤) .

(٥) لب ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا في أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحت دارُ آدمٍ خربتُ وأنتَ فيها كأنك الوتدُ^(١)
تسألُ غربانها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصَّدَاعُ والرَّمْدُ

ويقال : « أرضٌ لا يطيرُ غرابها^(٢) » . قال النابغة :

ولِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدْ سَوَّرَةُ فِي الْحَجْرِ لَيْسَ غَرَابُهَا بِمُطَارٍ^(٣)
جعلهُ مثلاً . يعنى أن هذه الأرضَ تبْلُغُ مِن خِصْبِهَا أَنَّهُ إِذَا دَخَلَهَا

الغرابُ لم يخرج منها ؛ لأنَّ كلَّ شَيْءٍ يريدُهُ فيها^(٤) .

وفى زهو الغراب يقول حسان ، فى بعض قريش^(٥) :

إِنَّ الْفَرافِصَةَ بَنَ الْأَحْوَصَ عِنْدَهُ شَجَنٌ لَأَمِّكَ مِنْ بَنَاتِ عَقَابٍ^(٦)
أَجَعْتَ أُنْكَ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى فِي فَحْشِ مُوسَى وَزَهُوِ غَرَابٍ^(٧)

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة .
انظر الديميرى .

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال فى أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (فى) كما فى ل ، س

(٣) حراب : رجل من بنى أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم
ترجمه المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية فى الديوان
شرح البطلاني : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطلاني : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميداني عن أبي عبيد
أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « فى بعض بنى قريش » ، وكلمة « بنى » مقحمة . والشخص المراد هو
الحارث بن هشام بن المغيرة ، كما فى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبنى تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص
الكلبي فكنن إماء له ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بنى تغلب
ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام .
فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً فى الإمام . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب
لها الشجن عند ماتت ذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما فى ل والديوان .
(٧) يقال : « أزهى من غراب » ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر فى عطفه . ثمار القلوب

٣٦٥ . ورواية النخعي (٣ : ١٠٣) : « فى فحش زانية » ، وفيه وفى الديوان
٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

- ويقال : « وَجَدَ فُلَانٌ ثَمْرَةَ ^(١) الْغُرَابِ » ، كَأَنَّهُ يَتَّبِعُ عِنْدَهُمْ أَطْيَبَ الثَّمَرِ ^(٢) .
- ويقال : « إِنَّهُ لَا أَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ » و : « أَشَدُّ سُودًا مِنْ غُرَابٍ » . ١٣٢
- وقد مدحوا بسواد ^(٣) الغراب . قال عنترة :
- فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلَوِيَّةً سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ
وَقَالَ أَبُو دُوَادَ ^(٤) :
- تَنفَى الْحَصَى صُعْدًا شَرْقِيًّا مَنَسِيهَا نَفَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا ^(٥)
وَالْمَغَارِيدِ : كَمِ ^(٦) صِغَارٍ . وَأَنْشَدَ ^(٧) :
- يُحْجُ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا كَجَفٍّ فَاسَتْ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ ^(٨)
وَقَدْ ذَكَرْنَا شِدَّةَ مَنَقَارِهِ ، وَحِدَّةَ بَصَرِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ .

- (١) كَذَا فِي لِ وَاللَّسَانِ (ت م ر) وَمِثْلُهُ فِي أَمْثَالِ الْمِيدَانِي (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧) . يَضْرِبُ لِمَنْ يَظْفَرُ بِالشَّيْءِ النَّفِيسِ ، وَلِمَنْ يَجِدُ أَفْضَلَ مَا يَرِيدُ . ط ، س
وَكَذَا حَاضِرَاتُ الرَّاعِبِ (٢ : ٢٩٩) : « ثَمْرَةٌ » بِالْمُثَلَّثَةِ .
- (٢) ط ، س ، « الثَّمَرُ » بِالْمُثَلَّثَةِ . وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ السَّابِقَ .
- (٣) مَا عَدَلَ : « سُودًا » .
- (٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ط . وَفِي ل ، س : « أَبُو دَاوُدَ » تَحْرِيفٌ .
وَأَبُو دَوَادَ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ اسْمُهُ جَارِيَةُ بْنُ الْحِجَاجِ أَوْ حَنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِ . وَهُوَ
أَحَدُ نَعَاتِ الْخَلِيلِ الْحَمِيدِيِّ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَرَوِي شَعْرَهُ وَلَا شَعْرَ عَدِي بْنِ زَيْدٍ
لَأَنَّ الْفَاطِمَاتِ لَيْسَتْ بِنَجْدِيَّةٍ . خَزَانَةُ الْأَدَبِ (٤ : ١٩٠ بُولَاق) وَالشُّعْرَاءُ
لَا بَنَ قَتِيْبِيَّةٍ .
- (٥) ل : « يَنْفَى » وَيَصِحُّ إِذَا قُرِئَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ . وَمَنْسَمُ النَّاقَةِ كَمَنْسَمِ : خَفَهَا .
وَالْغَرْدُ : ضَرْبٌ مِنَ الْكُمَاةِ صَغِيرٌ ، وَأَرَادَ بِالْأَنْفِ هُنَا الْمَنَقَارَ . ط : « نَقَى الْغُرَابُ »
وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . ل : « الْغَرْدَةُ » .
- (٦) ط : « كَمِ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالْمَغَارِيدُ : جَمْعُ مَغْرُودٍ ، بِالضَّمِّ :
لُغَةٌ فِي الْغَرْدِ .
- (٧) الْبَيْتُ الْآتِيٌّ قَائِلُهُ عَذَارُ بْنُ دُرَّةِ الطَّائِي . اللَّسَانُ (ح ج ج) .
- (٨) وَصَفَ هَذَا الشَّاعِرُ طَبِيبًا يَدَاوِي شَجَةً بَلَغَتْ أَمَ الرَّأْسِ فِي قَعْرِهَا . تَلْجِفُ أَيْ تَقْلَعُ ،
كَأَنَّ تَلْجِفَ الْبَثْرِ فَيَنْقَلِعُ طَيِّبًا مِنْ أَسْفَلِهَا . وَذَلِكَ الطَّيِّبُ يَجْزَعُ مِنْ هَوْلِهَا فَالْقَلْبُ
يَتَسَاقَطُ مِنْ أَسْتِهِ كَالْمَغَارِيدِ . انْظُرِ اللَّسَانُ (ح ج ج) وَالْكَامِلُ ٦٤ لَيْسَكُ ، وَمَعْجَمُ
الْأَدْبَاءِ (١٥ : ٧٣ - ٧٤) حَيْثُ الْكَلَامُ طَوِيلٌ فِي الْبَيْتِ . ط ، س : =

(شعر في مديح السواد)

وقالوا في مديح السَّواد ، قال امرؤ القيس :

العَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالْأُذُنُ مَصْنِغَةٌ وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ^(١)

وفي السَّواد يقول رَبِيعَةُ أَبُو ذُؤَابٍ^(٢) الْأَسَدِيُّ ، قَاتِلَ عَتِيبَةَ بْنِ الْحَارِثِ

ابن شهاب :

إِنَّ الْمَوْدَةَ وَالْمَوَادَّةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الْيُمْنَةِ الْمُنْجَابِ^(٣)

إِلَّا بِجَيْشٍ لَا يَكْتُ عِلِيدُهُ سُودِ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ غِضَابِ^(٤)

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحف » مصحف .

ط : « قاسى الطيب » محرف . وروى : « كالفاريد » مقلوب عن « المغاريد »

المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة في اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعي في يوم خو ، وأسرت بنو يربوع

في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ،

فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشيء معلوم ، ووعدته أن يأتي بذلك سوق

عكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق في الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ،

وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة في نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله

فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنو يربوع ، فعرفوا أنه

قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر في شرح التبريزي للحماسة

(٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفي أمالي القلي (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعة

أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابي : « ليس في العرب ربيعة غيره »

وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين .

شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف

صوابه في ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليينة ، أى كالثوب السحق البالى منها . اليينة بالضم :

نوع من برود اليمن .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدا إذا حكنا الحرب . لا يكت : لا يمد ولا يحصى .

(شعر ومثل في شيب الغراب)

وفي المثل : « لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب » . وقال العرجي :
لا يحولُ الفؤادُ عنه بُودُ أبدأ أو يحولَ لونُ الغرابِ
وقال ساعدة بن جؤيئة :

شابَّ الغراب ولا فؤادك تاركَ عهدَ الغصوبِ ولا عتابك يُعتبُ^(١)

(معاوية وأبو هوذة الباهلي)

ومما يذكّر للغراب ما حدث به أبو الحسن^(٢) ، عن أبي سليم^(٣) ،
أنَّ معاوية قال لأبي هوذة^(٤) بن شماس الباهلي^(٥) : لقد هممت أن أحلَّ
جمعاً من باهلة في سفينةٍ ثم أغرقهم ! فقال أبو هوذة : إذنْ لا ترضى باهلةً
بعديهم من بني أمية ! قال : اسكت أيها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص -

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً، وهو شيب الغراب . عن اللسان .
ط ، س : « تاركاً » ولا تصح وصوابها في ل واللسان (شيب وعتب) .
و « عهد » هي في ل : « ذكرى » وفي اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم
والبناء للفعل ، بمعنى يجلب إليك العتبي ، وهي الرضا ، يقول : إن عتابك في غير
طائل . وقد ضبطت في اللسان بالبناء للمفعول في الموضعين . وفسرها بقوله :
« أي لا يستقبل بعتي » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به علي بن محمد المدائني الأخباري المعروف .

(٣) ل : « أبي سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت في الأصل بالبدال المهملة في مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هودة : إنَّ للغراب [الأبقع] ربَّما درج إلى الرَّحمة حتى ينقرَ دماغها ، ويقلم^(١) عيذا ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مه ! ونهض معاوية . ثمَّ وجهه بعدُ في سريرة فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفى وأصوب !

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخر^(٢) في نقر الغراب العيون :

أتوعد أسرتي وتركْتَ حُجْراً يُرِيغُ سوادَ عَيْنِيهِ الْغُرَابُ^(٣)
ولو لاقيتِ عِلْبَاءَ بَنِ جَحْشٍ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)

وقال أبو حيَّة — في أنَّ الغراب يسمُّونه الأعور تطيُّراً منه — : ١٣٣

وَإِذَا تَحَلَّلْتُ قَتَوْدَهَا بَتَنُوفَةٍ مَرَّتْ تَلِيحٌ مِنَ الْغُرَابِ الْأَعُورِ^(٥)
لأنَّهَا تَخَافُ مِنَ الْغُرَبَانِ ؛ لِمَا تَعْلَمُ مِنْ وَقُوعِهَا عَلَى الدَّبَرِ .

(١) س : « ويقتلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يرِيغ : يطلب . س « يريع » مصحفة .

(٤) س : « علياء » تصحيف . وفي البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ما روى في شأن

الإقواء : قول صاحب القاموس : « ولت قصيدة لهم بلا إقواء » ، يعني العرب .

(٥) قنود الناقة : أدوات رحلها . وللتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ،

س : « يحل قنودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يمدح به الشعراء بلون الغراب ^(١) قال أبو حية :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حَالِكِيًّا أَلَا سَقِيًّا لِذَلِكَ مِنْ غَرَابِ

وقال أبو حية ^(٢) :

زَمَانَ عَلَى غَرَابٍ غَدَاْفُ فَطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغَدَاْفَ وَإِنْ كَانَ لَا هُوَ إِلَّا أَذْكَارَا ^(٣)

فَأَصْبَحَ مَوْضِعُهُ بَائِضًا مُحِيطًا خِطَامًا مُحِيطًا عَذَارَا ^(٤)

وقال أبو حية في غير ذلك ، وهو مما يُعدُّ للغراب :

كَأَنَّ عَصِيمَ الدَّرْسِ مِنْهُمْ جَاسِدٌ بِمَا سَالَ مِنْ غَرَابِنَهُنَّ مِنَ الْخَطَرِ ^(٥)

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما في ل . ط : « لون » وصوابه في ل ، س .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى في أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبي حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زَمَانَ الصِّبَا ، لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقَصَارَا

(٣) كذا في الأصل . وفي أمالي المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا أذكارا » .

(٤) بائضا ، من باض التبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا يمس على فخذه الناقة . الدرس : الجرب أول ما يظهر .

وفي الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمختص

(٧ : ١٦٣) . وجاسد : لاصق ، وفي الأصل : « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر :

ما يتلبد على أورك الإبل من أبوالها وأبمارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسم في أماكن، فالغراب^(١) حدُّ السكين
والفأس، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب . وقال الشماخ :
فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ غَرَابِهَا عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِصَاهِ مِشَارُ^(٢)
المشارزة : المعادة والمخاشنة .

والغراب : حدُّ الورك ورأسه الذى يلي الظهر^(٣) ، ويبدأ^(٤) من
مؤخر الرِّدْف . والجمعُ غِرْبَان . قال ذو الرُّمَّة :
وَقَرَّبَنَ بِالزَّرْقِ الْحَمَائِلَ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ مِنْ غِرْبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرُ^(٥)
تَقَوَّبَ^(٦) : تقشر ماعلى أوراكيها من سبلحها وبولها؛ من ضربها بأذنابها.

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعصاه : شجر عظيم . والبيت
في صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « عدولا
لأوساط » ، صوابه في ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثية رملية بالدناء . والحمايل ، بالخاء المهيّلة : جمع حولة بالفتح ، وهى
الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية فى اللسان (خطر ، زرق) . ورواه
ابن سيده فى المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجائل » بالجيم ، وقال
هو جمع جمال بالكسر . والخطر فسر فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البين)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمّا غراب
البين نفسه ؛ فإنّه غرابٌ صغير . وإنّما قيل لسكّل غراب غراب البين ،
لسقوطها في مواضعٍ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خولة الرّياحى^(١) :

فليس يربوع إلى العقل فاقّة ولا دنس يسودّ منه ثيابها^(٢)
فكيف بنوكى مالك إن كفرتم لهم هذه ، أم كيف بعد خطابها^(٣)
مشائم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعبٍ إلّا بين غرابها^(٤)

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدلائل على أنّ الغراب من شرار الطير ، ما رواه أبو الحسن قال : ١٣٤
كان ابن الزبير يقعد مع معاوية على سريره ، فلا يقدر معاوية أن يمتنع

(١) أبو خولة : كنية الأخوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحى اليربوعى ، كما في الخزانة
(٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خولة » محرف . وفي البيان (٢ : ٢٦٠)
« أبو الأخوص الرياحى » ، صوابه : « الأخوص الرياحى » كما في الخزانة (٤ : ١١٨
سلفية) . وروى السيوطى في شرح شواهد المغنى ٢٩٥ نسبه إلى أبى ذؤيب
الهلذلى . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحى
شاعر إسلامى .

(٢) المراد بالعقل هنا : البنية . والرواية في الخزانة والبيان : « سوى دنس » .
و « منه » هي في الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغنى .

(٣) أراد بمالك : بنى دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بنى غداة بن يربوع .

(٤) أراد بالمشائم بنى مالك لابن يربوع . وفي الخزانة : « مشائم » . وأنت تراه قد جر
« ناعب » توها منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين »
فإن الباء تزداد في خبر ليس . وقد رواه سيبويه في كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨)
بالجر كما هنا . ورواه في (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يوم : أما أحدٌ يكفيني ابنُ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة :
أنا أكفيك^(١) يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعدَ في مقعده على السرير ، وجاء
ابنُ الزبير فقعدَ دونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمي أباناً بعد ما كان نافعاً وقد كان ذكوانٌ تسكني أبا عمرو^(٢)
فانحدرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حرّةٌ مهدتْ عليكم صفيّةٌ ما عددتم في النفي^(٣)
ولا عرفَ الزبيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبير على السرير
وددنا أن أمكم غرابٌ فكنتم شرَّ طيرٍ في الطيورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان ، أى جاءت
بلادنا^(٤) ، فهى قواطعٌ إلينا ، فإذا كان الصيف فهى راجع : والطيور
التي تنجم بأرض^(٥) شتاءها وصيفها أبداً فهى الأوابد . والأوابد أيضاً

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمي » و « يكنى » .

(٣) صفيّة هذه هى بنت عهد المطلب ، عمّة الرسول . وهى أم الزبير بن العوام . يقول
لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم في النفي . والعبارة تنظر إلى المثل السائر
« فلان لا في العير ولا في النفي » ، يضرب لمن لا يستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو
صغير القدر . انظر الأسان (نقر) وأمثال الميداني (٢ : ١٥٤ - ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هى الدواهى ، يقال جاءنا بأبدة . ومنها أوابد الوحش . ومنها أوابد الأشعار .
والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحش منها شئ فلم يُقدَّر عليه إلا بعقر . وأنشد
أبو زيد فى الأوابد (١) :

وَمَنْهَلٌ وَرَدَّتْهُ التِّقَاطَا (٢) طام فلم ألقَ به فُرَاطَا (٣)
إلا القِطَا أوابداً غَطَاطَا (٤) .

(صوت الغراب)

ويقال نغى الغراب ينغى نغيقا ، بغين معجمة ، ونعب ينعب نعبياً
بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السنون الكثيرة وغلظ صوته قيل شحج
يشحج شحيجاً (٥) . وقال ذو الرمة :
وَمُسْتَشْجِجَاتٍ بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلٌ مِنْ صَيَابَةِ الثُّوبِ نُوحٌ (٦)
والنوبة توصف بالجزع .

-
- (١) صاحب الرجز نقادة الأسلى ، كما فى اللسان (فرط ، لقط) .
(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .
(٣) الفراط : المتقدّمت إلى الماء . ط ، س : « فلم تلف » . اللسان : « لم أر إذ
وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .
(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ،
الغبر الظهور ، الراسعة العيون . ورواية اللسان فى الموضعين : « إلا الحمام
الورق والغطاطا » .
(٥) س : « شحج يشحج شحيجاً » ، تصحيف .
(٦) معنى الغربان . س : « مستشججات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد
الياء : الصنم والخيار . س : « صيابة الثوب » وصوابه فى ل ، ط ،
واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات
الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية في رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبلِ يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلحون على معاشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أن رجالاً^(١) الرُّوم تصلح في البدو مع الإبل ، ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها .

فأمَّا السُّندُ فإنَّ السُّنْدِيَّ صاحبَ الحربِ^(٢) إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبي مَهْدِيَّة^(٣) ، ومن أبي مطرَّف^(٤) الغنوي . ولهم طبيعة في الصَّرفِ ؛ لا ترى بالبصرة صيرَفِيًّا إلَّا وصاحب كيسه^(٥) سِنْدِيٌّ .

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندي : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بانيته المشهورة :

كَأَنَّهُ حَيْشِيٌّ يَبْتَنِي أَثْرًا . أو من معاشر في آذانها الحرب

وقد سبقت هذه الكلمة في (٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١) ، وفي أول رسالة فخر البودان : « خربة » وهي والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدي سبقت ترجمته في (٢ : ٢١٤) . س : « أبي مهريه » ، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كيسه » . تحريف ما في ط ، ل . وجاء في رسائل الجاحظ ٨٢ ساسي : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيسهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفي ومفاتيحه ، ابن رومي ولا ابن خراساني » .

(نبوغ السُّنْد)

واشترى محمد بن السَّكَن ، أبا رَوْح^(١) [فَرَجاً] السِّنْدِي ، فكسب ١٣٥ له المالَ العظيم . فَقَلَ صيدلاني^(٢) عندنا إِلَّا وله غلامٌ سِنْدِي . فبلغوا أيضاً في البرِّ بهار^(٣) والمعرفة بالعقاقير ، وفي صحَّة المعاملة ، واجتلاب الحُرِّفاء مبلغاً حسناً .

وللسُّنْد في الطَّبِخ طَبِيعَةٌ ، ما أَكْثَرَ ما يَنْجُبُون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوِّل إجراء الخيل عن صبيان الحُبْشان والثُّوبَة ، إلى صبيان السُّنْد ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السُّنْد إلى موضع الفَرَّاشين من الرُّوم^(٤) ، فلم يفلحوا فيه] .
وفي السُّنْد حُلُوق^(٥) جياد ، وكذلك بنات السُّنْد .

(١) ط ، س : « أبا رواج » ، وصوابه من ل و رسائل الجاحظ ٨١ ساسي .

(٢) الصيدلاني : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدلاني » أيضاً . وجاء في ل : « صيدلاني » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس ماري الكرمل ، وقال : المراد بها توابع الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة في رسائل الجاحظ ٨١ ساسي : « صيارفة البصرة وبنادرة البر بهارات » . وانظر أنساب السمعاني ٧١ . وفي ط ، س : « البر بها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتمهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحري ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حُلُوق : جمع حلق ، أي أن لهم أصواتاً حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة في رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس في الأرض أحسن حُلُوقاً منهم » وفي ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمّى أيضاً حاتماً . وقد عوف بن الخرع ^(١) :

ولكنّما أهجو صنيّ بن ثابت مَثْبِجَةً لائت من الطير حاتماً ^(٢)

وقال المرقش ، من بني سدّوس ^(٣) :

ولقد غَدَوْتُ وكنت لا أغدو على واقٍ وحام

[فإذا الأشائم كالآيا من الأيامن كالأشائم

وكذاك لا خير ولا شرّ على أحدٍ بدائم]

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كنف) التيمي ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلي . الخزائن (٣ : ٨٢ بولاق) . في الأصل . « الجزع » تصحيف ، صوابه في القاموس (خرع) والخزائن والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبي في ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ١٢٤ ثلاث قصائد حسنة .

(٢) المثبجة : البوم ، كما في القاموس . ط ، س : « مثبجة » ، وفي ل : « مثبجة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله في ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوباً إلى المرقش في عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرهما وأطولهما عمراً » . معجم المرزبانى ٢٠١ . وتجد الشعر في حاسة البحترى ٢٥٥ . معزواً إلى المرقم الذهلي ، وهو غزير بن لوزان كما في المؤلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر يدون نسبة في أمالي القالي (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد الخثيم بن عدي^(١) :

وليس بهيباب إذا شدَّ رحله يقولُ عدائي اليومَ واقٍ وحاتم^(٢)
ولكنه يمضي على ذلك مُقدِّماً إذا صدَّ عن تلك الهنات الخثارم^(٣)
والخثارم : هو المتطير^(٤) من الرجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتم »
فحاتم هو الغراب ، والواق هو الصرد ؛ كأنه يرى أنَّ الزجر بالغراب إذا اشتقَّ
من اسمه الغربة^(٥) ، والاغتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشترك من
الصرَد التصريد^(٦) ، والصرَد [و] هو البرد . [ويدلك^(٧)] على ذلك قوله :
دعا صردَ يوماً على غصنٍ شوَّحَطٍ وصاح بذاتِ البينِ منها غرابها^(٨)
فقلتُ : أنصريدُ وشوَّحَطٌ وغربةٌ فهذا لعمري نأياً واغترابها^(٩)

(١) كذا على الصواب في ل والاختصاف ٣٥٤ واللسان (وق ، وحتم ،
وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاصر الكلبي ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وق
ط ، س : « لحاتم بن علي » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر
الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بجرأ بنجوة بناها له مجدأ أشم قاتم
(٢) عدائي : منغى عن المضى إلى ما أقصد . والواق ، كالتقاضى : الصرد ، وهو طائر
أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده ، فوق المصفور ويعصده المصافير ، غذاؤه
من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهناة » ، صوابها في ل
واللسان والاختصاف والخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .
والخثارم ، يضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثاني جمع ، مثله جوائق
وجوائق ، وقرار وقرار ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه في ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » بحرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفي السقي : دون الري .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوَّحَط : شجر تتخذ منه القسي . وفي زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على

غصن بانه » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتي . ط ، س : « فيها » ، وصوابه
من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد فسر قرياً . والشوَّحَط : البعد .

[فَاشْتَقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصَّرْدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغَرَابِ ، وَالشَّحْطَ مِنَ الشَّوْحَطِ] .

ويقال أَغْرِبَ الرَّجُلُ : إذا اشتدَّ مرضه ، فهو مُغْرَبٌ ^(١) .
قال : والعنقاء المغرب ، العقاب ؛ لأنها تجيء من مكان بعيد .

(أصل التطير في اللغة)

قال : وأصل التطير إنما كان من الطير [و] من جهة الطير ، إذا مرَّ بارحاً [أ] و سأنحاً ^(٢) ، أو رآه يتفلّ وينتف ، حتّى صاروا إذا عاينوا الأعرور من الناس أو البهائم ، أو الأعضب أو الأبتَر ، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها ، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطير ؛ ثمّ استعملوا ذلك في كلِّ شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن ^(٣) كان أسود ، ولاختلاف لونه إن ^(٤) كان أبقع ، ولأنّه غريب يقطع إليهم ^(٥) ، ولأنّه لا يوجد في موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، في القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكك » ، وهو تحريف صوابه في ل ؛ في القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجهه » .

(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى مياسرك . والسأنح عكسه . وكان يتشامم بالأول ويتيمن بالثاني عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالأول ويتشاممون من الثاني .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لا يقطع » تحريف ، وانظر ما سبق في ص ٤٣٢ .

يَتَقَمَّم ، إِلَّا عِنْدَ مَبَايِنَتِهِمْ لِمَسَاكِنِهِمْ ، وَمَزَايِلَتِهِمْ لِدُورِهِمْ ؛ وَلَآئِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ ١٣٦
 مِنَ الطَّيْرِ أَشَدَّ عَلَى ذَوَاتِ الدَّبَرِ مِنْ إِبْلِهِمْ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَلَآئِنَّهُ حَدِيدُ الْبَصْرِ
 فَقَالُوا عِنْدَ خَوْفِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ « الْأَعُور » . كَمَا قَالُوا : « غَرَاب » لِأَغْرَابِهِ وَغُرْبَتِهِ
 « وَغَرَابِ الْبَيْنِ » ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَ بَيْنُونَتِهِمْ يُوْجَدُ فِي دُورِهِمْ .

وَيُسَمُّونَهُ « ابْنَ دَايَةِ » ؛ لِأَنَّهُ يَنْقُبُ عَنِ الدَّبَرِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى دَايَاتِ الْعُنُقِ
 وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ خُرْزَاتٍ ^(١) الصُّلْبِ ، وَفَقَارِ الظَّهْرِ .

(مِرَاعَاةُ التَّفَاوُلِ فِي التَّسْمِيَةِ)

وَلِلطَّيْرِ ^(٢) سَمَّتِ الْعَرَبُ الْمُنْهَوْشَ بِالسَّلِيمِ ، وَالْبَرِّيَّةَ بِالْمَفَازَةِ ، وَكُنُوا
 الْأَعْمَى أَبَا بَصِيرٍ ، وَالْأَسْوَدَ أَبَا الْبَيْضَاءِ ، وَسَمَّوْا الْغُرَابَ بِحَاتِمٍ ؛ إِذْ كَانَ
 يَحْتَمُ الزَّجَرُ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ . فَصَارَ تَطْيِيرُهُمْ مِنَ الْقَعِيدِ وَالنَّطِيحِ ^(٣) وَمِنْ جَرْدِ
 الْجَرَادِ ^(٤) ، وَمِنْ أَنَّ الْجَرَادَةَ ^(٥) ذَاتُ أَلْوَانٍ ، وَجَمِيعَ ذَلِكَ - دُونَ
 التَّطْيِيرِ بِالْغُرَابِ .

(١) الخُرْزَاتُ : جَمْعُ خُرْزَةٍ ، بِالضَّمِّ وَتَجْمَعُ أَيْضاً عَلَى خُرْزٍ ، كَقُرْفٍ ، وَهِيَ مَا يَبِينُ
 الْفُرْقَاتِ . ط : « خُرْزَان » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ
 عَلَى ابْنِ دَايَةِ فِي ص ٤١٥ .

(٢) الطَّيْرَةُ : مَا يَتَشَامَمُ بِهِ مِنَ الْفَالِ الرَّدَى .

(٣) الْقَعِيدُ : مَا جَاءَ مِنْ وَرَائِكَ مِنْ ظَلَمِي ، أَوْ طَائِرٍ . وَالنَّطِيحُ : مَا جَاءَ مِنْ أَمَامِكَ
 مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ .

(٤) ل : « وَجَرْدُ الْجَرَادَةِ » .

(٥) ط ، س : « الْجَرَادُ » .

(ضروب من الطيرة)

ولإيمان العرب باب الطيرة [والفأل] عقدوا والرتائم^(١) ، وعشروا
إذا دخلوا القرى تعشير الحمار^(٢) ، واستعملوا في القيداح الأمر ، والناهى ،
والمتربص^(٣) . وهنَّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة فى الطيرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذى يعاينون ويسمعون ، قولُ
سَوَّار بن المضرَّب^(٤) :

تغنى الطَّارِانِ بَيْنَ لَبْلَى على غصنين من غَرْبٍ وبَّانٍ

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين
ويقول : إن رجيع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى
خيوط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى
الطيرة والفأل .

(٢) عشر الحمار : تابع النبيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه .
وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبثه فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها
أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لمعرى لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير لئننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا أحب وانهى لا تفصرك خير وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الأمر والناهى ولم يذكر
« المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البان أن بانَتْ سُلَيْمَى وفي الغَرْب اغْتَرابٌ غيرُ دانٍ
فاشتقَّ كما ترى الاغْتَراب من الغَرْب ، واليُنُونَة من البان .

وقال جبران العود :

جَرَى يوم رُحْنَا بالجمال نُزِفُهَا عُقابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ^(١)

فأَمَّا العُقاب فهى منها عقوبةٌ وأَمَّا الغُراب فالغَرِيبُ المطوَّحُ^(٢)

فلم يجد في العُقاب إلا العقوبة . وجعل الشَّحَّاجُ^(٣) هو الغراب البارح

وصاحب البين ، واشتقَّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السَّمهرى^(٤) غراباً على بانهٍ ينتف ريشه ، فلم يجد في البان إلا

اليُنونة ، ووجد في الغُراب جميعَ معاني المكروه ، فقال :

رأيتُ غراباً واقِعاً فوقَ بانهٍ يُنتَفِ أعلى ريشه ويُطارِهُ^(٥)

= صاحب المؤلف فقال : « سوار بن المضرب السلمي أحد بني ربيعة بن كعب

ابن زيد مائة بن تميم ، الشاعر المشهور ، القائل :

وإني لا أزال أخا حروب إذا لم أجن كنت بمن جاني »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه في ل . والشعر في عيون

الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى المملوط ، وفي الكامل ٨٤ ليبسك ونثار الأزهار

٧٥ إلى جعدر العكلي . وانظر آمالي القالي (١ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : ٥ يوم جئنا . نزفها : نخبها على السير السريع ، يقال

أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت مافي ل والديوان ٣

والشعراء .

(٢) المطوح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه في ل ، س . شحج : نطق .

(٤) كذا في ل وهو المطابق لما في شرح التبريزي للحاسة ١ : ٢١١ . وهو السمهري بن بشر

العكلي . وفي ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير

عزة في قصة طويلة تجدها في زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن اليبقى (٢ : ٢٢ -

٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشي

(٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية في المختص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزي للحاسة : « ينشش أعلى ريشه »

نشش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلت ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُهُ بنفسى ، للهنديّ : هل أنت زاجرُهُ (١)
فقال : غرابٌ باغتراب من النّوى وبالبيان بين من حبيب تعاشرُهُ (٢)
فذكر الغرابَ بأكثر مما ذكر [به] غيرُهُ ، ثم ذكر بعدُ شأن الرّيش
وتطايَره . وقال الأعشى :

ما تَعِيفَ اليَوْمَ في الطَّيْرِ الرُّوحُ مِنْ غَرَابِ البَّيْنِ أَوْ تَيْسِ بَرَحٍ (٣)
فجعل التّيس من الطّير ؛ إذ تقدّم ذكر الطّير ، وجعله من الطّير
في معنى التطيّر .

وقال النّابغة :

١٣٧ زَعَمَ البَوَارِحُ أَنَّ رَحِلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الغَرَابُ الأسودُ

وقال عنتره :

ظَنَنَ الذينَ فراقَهُمْ أُنَوِّعُ وَجَرَى بَيْنَهُمُ الغَرَابُ الأَبْقَعُ
حَرِقُ الجَنَاحِ كَأَنَّ لَحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانِ بالأخبارِ هَشٌّ مُولَعٌ (٤)

(١) الهندي : رجل من بني نهد ، وهم من أجزر العرب ، كن لقي كثيرا في الطريق
وزجر له ، أى تكهن . ط : « للهندي » تحريف .

(٢) كذا في ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » .
وفي ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيم » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح
عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقي (١ : ٩٩)
وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح
أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما في المخصص . والبيت صدر قصيدة
للأعشى في ديوانه ١٥٩ يملح بها إلياس بن قبيصة الطائي . وانظر قصة الشعر في محاسن البيهقي .

(٤) ط ، س : « حرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت
في (١ : ٣٤) .

فَزَجَرْتُهُ أَلَّا يُفَرِّخَ بِيضُهُ^(١) أَبَدًا وَيُصْبِحَ خَائِفًا يَتَفَجَّعُ
 إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتَ^(٢) لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلَ التَّمَامِ فَأَوْجَعُوا^(٣)
 فقال : « وجرى بينهم الغراب » لأنه غريب ، ولأنه غراب البين ،
 ولأنه أبقع . ثم قال : « حَرَقَ^(٤) الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثم جعل
 كَحَيِّ رَأْسِهِ جِلْمَيْنِ ، والجلم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًا مُولَعًا ، وجعل نعيه
 [و] شَحِيحَةً كَالخَبَرِ الْمَفْهُومِ .

(التَّشَاوُثُ بِالْغَرَابِ)

قال : فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّرُ بِهِ في باب الشُّومِ . ألا تراهم
 كلما ذكروا مَّا يُتَطَيَّرُونَ منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟
 وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثم إذا ذكروا كل واحدٍ
 من هذا الباب لا يمكنهم أَنْ يُتَطَيَّرُوا منه إلا من وجه واحد ، والغراب كثير
 المعاني في هذا الباب ، فهو المقدم في الشُّومِ .

(١) ط : « طيره » . وفي الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعبت » ، تصحيف .

(٣) ليل التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفي ل :

« ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفي حديث عائشة : « كان يقوم
 الليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « خرق » ، وصوابه في ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب في ذلك سواء . والأعرابيُّ
إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّم فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقَّ
منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأحصاني ببطن طويلع ضُحياً وقد أفضى إلى اللَّبِّبِ الحَبْلُ^(١)
إلى ظبيةٍ تعطو سَيْالاً تَصُورُهُ يجاذبها الأفنان ذو جُددِ طفلٍ^(٢)
فقلتُ وعِفتُ : الحبلُ حبلٌ وصالها تجذُّذ من سلماتك وانصرم الحبلُ^(٣)
وقلتُ : سيال ! قدَّ تسَلَّتْ مودتي . تصورُ غُصُوناً ! صار جثمانها يعلو^(٤)

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبب : ما كان
قريباً من حبل الرمل . يقول : وقد جزنا الحبل إلى اللبب . ويصح أن يراد لبب
الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبب . ط ، س : « إلى اللبب
الحبل » ، ووجهه ما في ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تميله . الجدد :
الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف
ما في ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذُّذ : تقطع . ط ، س : « تجدد » ، يقال جده
قطعه . سلماتك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « سلماتك » . ل : « سامال »
صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وَعَفَتِ الْغَرِيرَ الطِّفْلَ طِفْلاً أَتَتْ بِهِ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: مُضِيَّكُمْ جَهْلٌ^(١)
رُجُوعِي حَزْمٌ وَامْتِرَائِي ضِلَّةٌ كَذَلِكَ كَانَ الرَّجْرُ يَصْدُقُنِي قَبْلُ^(٢)
وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ الرَّقِيَّاتُ :

بَشَرَ الظُّبْيُ وَالْغَرَابُ بِسُعْدَى مَرَحَبًا بِالَّذِي يَقُولُ الْغَرَابُ
وَقَالَ آخِرُ^(٣) :

بَدَا إِذْ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِيحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرَّ سَنِيحٌ^(٤)
وَهَابَ رِجَالُ أَنْ يَقُولُوا وَيَجْمَعُوا فَقُلْتُ لَهُمْ : جَارٍ إِلَى رَيْحٍ^(٥)
عُقَابٌ بِإِعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَ مَا مَضَتْ نِيَّةٌ لَا تَسْتَطَاعُ طَرُوحُ^(٦) ١٣٨
وَقَالُوا : دَمٌ ! دَامَتْ مَوَدَّةٌ بَيْنَنَا وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّبَابِ قَرِيحٌ^(٧)
وَقَالَ : صَحَابِي : هُدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ ! هَدَى وَبَيَّانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ
وَقَالُوا : حَمَامَاتُ ! فَحُمٌّ لِقَاؤُهَا وَطَلَحُ ! فَنِيلَتِ وَالْمَطَى طَلِيحٌ^(٨)

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه في ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع أمله من ودها .

(٢) الامتراء : الشك . والفضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الخيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النيرى . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ - ١٦٨) والشرىشى (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما في ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : الألبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من جرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « الدار » ، وصوابه في ل وزهر الآداب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غص الشبَاب قديح » ، ولم أعتد إلى الوجهة في ذلك . وفي زهر الآداب : « ودام لنا حلو الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياء السفر . ط ، س : « فزرت » وأثبت ما في ل ومحسن البيهقي (٢ : ٢٤) .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعي أن النابغة خرج مع زَبَّان بن سيار^(١) يريدان الغزو،
فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات
ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زَبَّان
من تلك الغزوة سالماً غانماً ، قال :

تخبر طيره فيها زيادٌ لتخبره وما فيها خير^(٢)
أقام كأن لقمان بن عادٍ أشار له بحكمته مُشيرٌ
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ أحياناً وباطله كثير^(٣)

فزعم كما ترى زَبَّان - وهو من ذهاة العرب وساداتهم - أن الذى
يحدثه إنما هو شئ من طريق الاتفاق ، وقال :

تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

(١) هو زبَّان بن سيار بن عمرو الفزاري ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ . وهو
صهر للنابغة ، قال فى شعره :

ألا من مبلغ عنى خزيما وزبان الذى لم يرع صهرى
وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبَّان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س
والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سألتها أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخبر طيره » ، والطيرة
بالكسر الاسم من تطير . وزباد هو النابغة ، ابن معاوية اللباني .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والمعدة (٢ :
٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط
« وأحياناً » . وفى س : « وأحياناً رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لا ينقض الأول من قوله : أمّا^(١) واحدة فإنه إن جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير^(٢) لم ينقض قوله في الاتفاق . وإن ذهب إلى أن مثل ١٣٩ ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاهى عن ذلك والذى^(٣) لا يؤمن بالطيرة ، فإن^(٤) المتوقع فهو في بلاء مادام متوقعا . وإن وافق بعض المكروه جعله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إن ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكة ، سمع بعض إخوته ينشد :

وكلُّ بنى أمِّ سيمسُون ليلَةً ولم يَبْقَ من أغيانِهِمْ غيرُ واحدٍ
فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إني ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمان شديد بالطيرة كما ترى .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « التطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) في الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وَمَنْ كَانَ لَا يَرَى الطَّيْرَةَ شَيْئاً^(١) المرقش ، من بنى سدوس ، حيث قال :

[إني غدت وكنت لا أغدو على واق وحاتم]
فإذا الأشائم كالأيام من والأيام كالأشائم
فكذلك لا خير ولا شر على أحد بدائم^(٢)

قال سلامة بن جندل^(٣) :

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرَبَانِ يَرْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدَّ مَشْنُومٍ
وَمَنْ كَانَ يَنْكُرُ الطَّيْرَةَ وَيُوصِي بِذَلِكَ ، الحارث بن حلزة ، وهو قوله -
قال أبو عبيدة : أنشدنيها [أبو] عمرو ، وايسست إلا هذه الأبيات ، وسائر
القصيدة مصنوع مولد - وهو قوله :

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِعُ ثُمَّ انْثَنَى لَا يَثْنِيكَ الْحَازِي وَلَا الشَّاحِجُ^(٤)

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقَت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعقمة الفحل كما في أمالي المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان
١٣١ من قصيدته التي مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلى إذ نأثك اليوم مصروم

(٤) الحازي : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادي » محرف .
والشاحج : الغراب يشجع بصوته .

ولا قعيد أعضب قرئه حاج له من مربع هائج^(١)
 بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج^(٢)
 يترك مارق من عيشه يعث فيه همج هامج^(٣)
 [لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٤)
 وقال الأصمعي : قال سلم بن قتيبة^(٥) : أضللت ناقه لي عشاء ،
 وأنا بالبدو^(٦) ، فخرجت في طلبها ، فتلقاني رجل بوجهه شين من حرق
 النار ، ثم تلقاني رجل أخذ بخطام^(٧) بغيره ، [وإذا]^(٨) هو ينشد :
 فلن بعث له البغاة فإ البغاة بواجدين^(٩)

-
- (١) القعيد : ما جاء من ورائك من طير أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل :
 والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مربع » محرفة .
 (٢) تاح : قدر ، أوتها . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزع .
 (٣) رقع : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما في ل واللسان والبخلاء
 ١٣٨ . وفي البيان : « يعث فيه » .
 (٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها
 في بطنها . والشول ، بالفتح : جمع سائلة ، وهي التي آق عليها من حملها ، أو وضعها
 سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن في الضرع . انظر الكامل
 ٢١٣ ليبسك وأمثال الميداني (١ : ٣٣٦) .
 (٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان والياً على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة
 ابن مسلم كان والياً عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن
 حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفي سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف .
 والقصة الآتية في تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعي عن
 سويد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .
 (٦) في تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على
 ريف العراق .
 (٧) ط ، س : « آخر » صوابه في ل . والرجل هو هاني بن عبيد من بني وائل
 كما في تأويل مختلف الحديث .
 (٨) من س .
 (٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذي يطلب الشيء ويبحث عنه . ل : « بعث له » . وقد نسب
 البيت في عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى ليبيد .

ثم من بعد هذا كله ، سألت عنها بعضَ من لِقِيْتُهُ ، فقال لى : التمسها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُورًا ^(١) ، وقد أوقدوا لها نارًا فأخذتُ بخطامها وانصرفتُ .

(النَّظَامُ وعدم إيمانه بالطيرة)

وأخبرنى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النَّظَامُ قال : جئتُ حتى أكلت الطين ، وما صِرتُ إلى ذلك حتى قلبت قلبي ^(٢) أتذكر: هل بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءٌ أو عِشاء ^(٣) ، قا قدرت عليه . وكان على جُبَّةٍ وقيصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدريهمات ، وقصدتُ إلى فُرْصَةٍ الأهواز ، أريدُ قَصْبَةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلا ١٤٠ شيئًا ^(٤) أخرجه الضَّجَرُ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرْصَةَ فلم أصبُ فيها سفينةً ، فتطيرتُ من ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً فى صدرها خَرَقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاح : تحملنى ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : « داوداذا » ^(٥) ، وهو بالفارسية الشَّيْطَان ، فتطيرت من

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يقطع .

(٢) قلبت قلبي ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا . ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شئ » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركبته معه ، تصكَّ الشمالَ وجهي ، وتُشير بالليل^(١) الصَّقيعَ على رأسي . فلَمَّا قَرُبْنَا مِنَ الْفَرْضَةِ صَحَّتْ : يا حَمَّال ! ومعى لحافٌ لى سَمَل ، ومضربةُ خلقى ، وبعضُ مالا بُدَّ لمثلَى منه . فكان أوَّلَ حَمَّالٍ أَجَابَنِى أَعُورَ فَقُلْتُ لِبَقَّارِكَانَ واقفَا : بكم تَكْرِي^(٢) ثورَكَ هذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثَّورُ أعْضَبُ الْقَرْنَ ، فازدَدْتُ طيرةً إلى طيرةً ، فقلتُ فى نفسى : الرَّجُوعَ أَسْلَمَ لى . ثمَّ ذَكَرْتُ حَاجَتِي إلى أَكْلِ الطَّيْنِ فَقُلْتُ : ومن لى بالْمُوتِ ؟! فلما صرْتُ فى الخانِ وأنا جالس فيه ، ومتاعى بينَ يَدَيَّ وأنا أقول : إنَّ أَنَا خَلَفْتُهُ فى الخانِ وليس عنده من يَحْفُظُهُ فُشٌّ^(٣) البابُ وسرق ؛ وإن جِلستُ أَحْفَظُهُ لم يكن لِحَيِّثِ^(٤) إلى الأَهْوَازِ وَجْهَ . فبينما أَنَا جالسٌ إِذْ سَمَعْتُ قَرْعَ الْبَابِ ، قلت : من هذا عافاك اللهُ تعالى ؟ قال : رَجُلٌ يَريدُكَ ، قلتُ^(٥) : ومن أنا ؟ قال : أنتَ إِبراهيمَ . فقلتُ : وَمَنْ إِبراهيمَ ؟ قال : [إِبراهيمَ] النَّظَّامَ . قلتُ : هذا خَنَّاكُ ، أوْ عَدُوُّ ، أوْ رَسولُ سُلْطان ! ثمَّ إِنى تَحَامَلْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ ، فقال : أَرْسَلَنى إِلَيْكَ إِبراهيمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ويقول :

نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا اخْتَلَفْنَا فى بَعْضِ الْمَقَالَةِ ، فَإِنَّا قَدْ نَرَجِعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حَقِيقِ الْأَخْلَاقِ [وَ] الْحَرِّيَّةِ^(٦) . وَقَدْ رَأَيْتَكَ حِينَ مَرَرْتَ [بى]^(٧)

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .

(٢) س : « تَكْرِيى » . والكراء : الأجرة . وانظر الاستدراكات .

(٣) فُشَّ القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .

(٤) ط س : « لِحَيِّى » .

(٥) ط : « قتلْتُ » تحريف .

(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية . والحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرهتها منك ، وما عرفتُك حتَّى خبرني عنك بعضُ مَنْ كان معي
وقال : ينبغي أَنْ يكونَ قد نَزَعَتْ^(١) [بك] حاجة . فَإِنْ شئتَ فَأَقِمَّ
بمكانك شهراً أو شهرين ، فعسى أَنْ نبعثَ إِلَيْكَ ببعضِ ما يكفيك زمناً^(٢)
مِنْ دهرِكَ . وَإِنْ اشتَهيتَ الرُّجوعَ فهذه ثلاثون مثقالاً ، فخذها وانصرف ،
وأنتَ أَحَقُّ مَنْ عَدَرَ .

[قَالَ] : فهجم والله على أَمْرٍ كاد ينقضني^(٣) . أما واحدةٌ : فَأَتَى لَمْ
أَكُنْ مَلَكَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ثلاثينَ ديناراً في جميعِ دهرى . والثَّانِيَّةُ : أَنَّهُ
لَمْ يَطْلُ مَقَامِي وَغَيْبَتِي عَنْ وَطَنِي ، وعن أصحابي الَّذِينَ هم على حالٍ أَشْكَلَ بِي
وَأَفْهَمُ عَنِّي . والثَّالِثَةُ : مَا بَيْنَ لِي مِنْ أَنَّ الطَّيْرَةَ باطلٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَتَابَعَ
عَلَى مِنْهَا ضُرُوبٌ ، والواحدة منها كانت عِنْدَهُمْ مُعْطِيَةً .
قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يَعْمَلُ الَّذِينَ يَعْبُرُونَ الرُّؤْيَا .

(عَجِيبَةُ لِلْغُرَبَانِ بِالْبَصْرَةِ)

وبالْبَصْرَةِ مِنْ شَأْنِ الْغُرَبَانِ ضُرُوبٌ مِنَ الْعَجَبِ ، لو كان ذلك بِمِصْرَ
أو بِبَعْضِ الشَّامَاتِ^(٤) : لكان عِنْدَهُمْ مِنْ أَجْوَدِ الطَّلَسَمِ . وَذَلِكَ أَنَّ

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه في ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضني : أى يذهب قوتي وعزمي . س : « ينقض » ط : « ينقضني »
تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغريبان تقطع إلينا في الحريف ، فترى النَّخْلَ وَبَعْضُهَا مَصْرُومَةٌ ^(١) ، وعلى كلِّ نَخْلَةٍ عِدَدٌ كثيرٌ من الغريبان ، وليس منها شيءٌ يقربُ نَخْلَةً واحدةً من النَّخل الذي لم يُصَرِّم ، ولو لم يبقَ عليها إلاَّ عِدْقٌ واحد . وإنما أوكار جميع الطير المصوَّت في أقلاب ^(٢) تلك النَّخل ، والغراب أطيرٌ وأقوى منها ثم لا يجترئ أن يسقطَ على نَخْلَةٍ منها ، بعد أن يكون قد بقي على عِدْقٍ واحد .

(منقار الغراب)

ومنقار الغراب مغول ، وهو شديد النقر . وإنَّه ليصلُ إلى الكمأة المندفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها . وهو أبصرُ بمواضع الكمأة من أعرابي يطلبها في منبت ^(٣) الإجرد والقصيص ^(٤) ، في يومٍ له شمس حارَّة . وإنَّ الأعرابي ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بعضُ الانتفاخ والانصداع ، وما يحتاجُ الغراب إلى دليل ^(٥) . وقال أبو ذؤاد الإيادي : تنقى الحصى صُعداً شرقاً منسماً نقي الغراب بأعلى أنفه الغردا ^(٦)

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذي يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبت » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الكمأة . والقصيص : شجر ينبت في أصله الكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتضى الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام في هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أن الله عزَّ وجلَّ أَذِنَ للغراب أن يسقط على النخلة وعلى الثمرة
لذهبت ، وفي ذلك الوقت لو أن إنساناً نقر العنق نقرة واحدة لانتثر عامة
ما فيه ، ولهلكت غلات الناس . ولكنك ترى منها على كل نخلة مصرومة
الغربان الكثيرة ، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً ، حتى إذا صرموا ما عليها
تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف الليف^(١) وأصول الكرب^(٢) لتستخرجه
كما يستخرج المنتاخ^(٣) الشوك^(٤) .

(حوار في نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاق المدلاة كالخرق السود التي تفرع
الطير أن يقع على البزور^(٥) ، وكالعوادم السود تغرز في أسنمة ذوات الدبر
من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغربان . فكأنها^(٥) إذا رأت سواد الأعذاق
فزعت كما يفزع الطير من الخرق السود .

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كنفاخ : المنقاش الذي ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج
الشاك الشوكه » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط : « التي تغرز والطيران يقع على البزور »
وهي عبارة مختلفة . والكلام من مبدأ « تفرع » إلى : « السود » ساقط من س .
وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نَجِدُ جَمِيعَ الطَّيْرِ الذِّي يَفْزَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ فَلَا يَسْقُطُ عَلَى الْبُزُورِ ، يَقَعُ كُلُّهُ عَلَى النَّخْلِ وَعَلَيْهِ الْحَمْلُ ، وَهَلْ لِعَامَّةِ الطَّيْرِ وَكُورٌ^(١) إِلَّا فِي أَقْلَابِ^(٢) النَّخْلِ ذَوَاتِ الْحَمْلِ .

قال الآخر : يَشْبَهُ أَنْ تَكُونَ الْغُرَبَانُ قَطَعَتْ إِيَّانَا مِنْ مَوَاضِعَ لَيْسَ فِيهَا نَخْلٌ وَلَا أَعْدَاقُ ، وَهَذَا الطَّيْرِ الذِّي يُفْزَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ إِنَّمَا خُلِقَتْ وَنَشَأَتْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرَى فِيهَا النَّخِيلَ وَالْأَعْدَاقُ . وَلَا نَعْرِفُ لَذَلِكَ عِلَّةَ سِوَى هَذَا .

قال الآخر : وَكَيْفَ يَكُونُ الشَّأْنُ كَذَلِكَ [وَ] مِنْ الْغُرَبَانِ غُرَبَانٌ أَوَابِدُ بِالْعِرَاقِ فَلَا تَبْرَحُ تَعَشُّشٌ فِي رَعُوسِ النَّخْلِ ، وَتَبْيِضُ وَتَفْرُخُ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقْرُبُ النَّخْلَةَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْحَمْلُ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا تَعَشُّشُ فِي نَخْلِ الْبَصْرَةِ ، [وَ] فِي رَعُوسِ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ :

١٤٢ وَمِنْ زَرْدَكٍ مِثْلٍ مَكْنِ الضُّبَابِ يُنَاوِحُ عِيدَانَهُ السِّيمَكَانَ^(٣)
وَمِنْ شَكْرٍ فِيهِ عُشُّ الْغُرَابِ وَمِنْ جَيْسِرَانَ وَبِنْدَازْجَانَ^(٤)

(١) ل : « أَوْكَار » . وَجَمَعَ الْوَكْرَ أَيْضاً عَلَى أَوْكَرَ ، وَوَكْرَ ، كَغَرَفَ .

(٢) الْأَقْلَابُ : جَمْعُ قَلْبٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ السَّعْفُ الذِّي يُطْلَعُ مِنْ قَلْبِهَا . ط : « أَقْلَالٌ » وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٣) الزَّرْدَكُ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ . وَمَعْنَاهَا الْجُزْرُ ، وَهُوَ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ تَوَكَّلُ أَصُولُهُ وَتَرَبُّي . وَالْجُزْرُ لَيْسَ عَرَبِيَّ الْلَفْظِ ، مَعْرَبٌ . كَمَا فِي الْقَامُوسِ . ط ، س : « زَرْدَكٌ » مَحْرُوفٌ . وَالضُّبَابُ : بِالْكَسْرِ : جَمْعُ ضَبٍّ . وَمَكْنُهُ ، بِالْفَتْحِ : بَيْتُهُ . وَ « السِّيمَكَانُ » هِيَ فِي ل : « التَّشْمَكَانُ » .

(٤) شَكْرٌ ، هُوَ مِنْ شَكَرْتَ النَّخْلَةَ شُكْرًا . — مِنْ بَابِ تَعَبٍ : كَثُرَ فِرَاقُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « سَكْرٌ » وَيَصِحُّ بِتَأْوِيلٍ ؛ فَإِنَّ مِنَ النَّخْلِ يَصْنَعُ بَعْضُ السَّكْرِ ، بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ مَا يَسْكُرُ مِنَ النَّبِيذِ . وَ « وَمِنْ » الثَّانِيَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ ل . وَ « جَيْسِرَانَ » هِيَ فِي ط ، س : « خَيْشَوَانَ » وَفِي ل : « جَيْسَوَانَ » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . وَالْجَيْسِرَانَ : جَنْسٌ مِنْ أَفْخَرِ النَّخْلِ ، فَارْسِيَّةٌ « كَيْسِرَانَ » الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ ٤٩ . وَحَيَوْنَ الْأَخْبَارِ (٣ : ٢٩٧) . وَ « بِنْدَادِ جَانَ » هِيَ فِي ط ، س : « بِيْدَانِ جَانَ » .

وقال أبو محمد الفقعسي^(١) ، وهو يصف فحلَ هَجْمَةٍ^(٢) :
 يتبعها عَدَبَسٌ^(٣) جَرَائِضٌ^(٤) أَكَلَفُ مَرِيدٌ هَصُورٌ هَائِضٌ^(٥)
 * بحيثُ يَعْتَشُ الغَرَابُ البَائِضُ^(٦) * .

(ما يتفاهل به من الطير والنبات)

والعامَّةُ تَطْيِرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحدةً ، فإذا ثَنَى
 تَفَاءَلَتْ به .

والبُومُ عند أهل [الرِّيِّ وأهل] مَرَوْ يُتَفَاءَلُ به ، [وأهل البصرة
 يَطْيِرُونَ منه . والعَرَبِيُّ يَطْيِرُ من الخِلاف ، والفارسيُّ يَتَفَاءَلُ إليه] ؛ لأنَّ
 اسمه بالفارسية « باذامك » أى يَبْقَى^(٧) ، وبالعربية خِلاف ، والخِلاف
 غيرُ الوفاق .

والريحان يُتَفَاءَلُ به ؛ لأنَّه مشتقٌ من الرُّوح ، ويتطيرُ منه لأنَّ طعمه
 مُرٌّ ، وإن كان في العين والأنف مقبولا .

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) العَدَبَسُ : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكل الذي يحطم كل
 شيء بأنياه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المرید : الذى لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أَكَلَفُ نَهاضِ
 هَصُورِ نَهاضِ » .

(٤) تكلم في هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفي ط ، س :
 « بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما في اللسان والمخصص .
 و « البائض » هي في ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل :
 واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت في ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفي ل : « بيذاي
 يبق » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف :
 جنس من الصفصاف . وفي تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدثين ^(١) :

أهدى له أحبابُهُ أترُجَّةً فَبَكَى وَأشْفَقَ مِنْ عِيَافَةٍ زَاجِرٍ ^(٢)
 متطيراً مِمَّا أَتَاهُ ، فَطَعَمَهُ لُونَانٍ بَاطِنُهُ خِلَافُ الظَّاهِرِ ^(٣)
 وَالْفُرْسُ تَحِبُّ الْآسَ ^(٤) وَتَكْرَهُ الْوَرْدَ ؛ لِأَنَّ الْوَرْدَ لَا يَدُومُ ، وَالْآسَ دَائِمٌ .
 قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ
 فهو خير ، على قدر [عدد] ^(٥) الحروف ^(٦) .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
 وأنشدني بعضُ النحويِّين ^(٧) :

عاديتهما لا زلتَ في تَبَابٍ عداوة الحمار للغراب ^(٨)

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما في زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) في العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إياه حبيبهِ » . وانظر الاستدراكات .

(٣) في العقد :

« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »

وفي زهر الآداب :

« متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا في ل وحياة الحيوان . وفي ط : « الجزء » وفي س : « الجزء » .

والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبة من حرفين ،

والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق في ٤٥٧ س ٥ .

لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « وأنشد لبعض » وفي س : « وأنشدت لبعض » .

(٨) ط ، س : « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه في ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال في الغراب)

[ويقال : « أَصْحُ مِنْ غَرَابٍ » . وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم ، وهو
يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد :

فأريجُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضًا إِلَى الْحَيَّاتِ مِنْكَ إِلَى الْغَوَانِي [
 وأنشد (١) :

وأصلبُ هامةٍ من ذى حُبُودٍ ودُونُ صَدَاعِهِ مُجَمَّى الْغَرَابِ (٢)
 وزعم لى داهيةٌ من دُهاةِ العربِ الحَوَائِثِ ، أَنَّ الْأَفَاعِيَّ وَأَجْنَاسَ
 الْأَحْنَاشِ ، تَأْتِي أَصُولَ الشَّيْخِ وَالْحَرَمَلِ ، تَسْتَظِلُّ [به] ، وَتَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ .
 ويقال : « أَغْرَبُ مِنْ غَرَابٍ » . وأنشد قول مضرِّس بن لقيط (٣) :

كَأَنِّي وَأَصْحَابِي وَكَرَّيْ عَلَيْهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ نَشَاطٍ وَمِنْ سَأَمٍ (٤)
 غَرَابٌ مِنَ الْغِرْبَانِ أَيَّامَ قِرَّةٍ رَأَيْنَا لِحَامًا بِالْعِرَاصِ عَلَى وَضَمٍّ (٥)

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامة من ذى جنود » محرف . والحيود : ماشخص من نواحي الرأس .
 والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنما هو مضر من بن ربيعة بن لقيط الأسدي ، له خبر مع
 الفرزدق كما في معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلاميا أو غضرميا . لكن قال
 صاحب الخزائن (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلي .

(٤) ل : « وكري إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه في ل . واللحم :
 جمع لحم . والعراص : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط :
 « بالعراص » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض
 من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والقال ، وزعموا أنه ليس لقوله : « كان يعجبه القال الحسن ويكره الطيرة » معنى . وقالوا : إن كان ليس لقول القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ ١٤٣ ولا تحقيق ، فكذلك ^(١) إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله يا مضلُّ ويا مهلك ، أحقُّ بأن يكون لا يوجب ضلالاً ولا هلاكا من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألا يكون يوجب ظفراً ولا وجوداً . فإمّا أن يكوناً جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتُم . لو أن الناس أُمِّلوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجوا عائِدته ، عند كلِّ سببٍ ضعيف وقوى ، لكانوا على خير . ولو غَلِطُوا في جهة الرجاء لكان لهم ^(٢) يَنفَس ذلك الرجاء خير . ولو أَنَّهُمْ بدل ذلك قَطَعُوا أَمْلَهُمْ ورجاءهم من الله تعالى ^(٣) ، لكان ذلك من الشرِّ والقال ، أن يسمع كلمةً في نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أَحَبَّ بعد ذلك أو عند ذلك أن يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلاف اليأس . وإنما خبر أنه كان يعجبه . وهذا إخبار عن الفطرة كيف هي ، وعن الطبيعة إلى أيِّ شيء تنقلب .

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط : « ولو أَنَّهُمْ بدلوا ذلك فَعَطُوا » . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء^(١) : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ :
يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة .
ولكنَّهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظنِّ وتوقُّع البلاء من قلبه على كلِّ
حال - وحال الطَّيرة حال من تلك الحالات - ويحبون أن يكون لله راجيا ،
وأن يكون حسنَ الظنِّ . فإنَّ ظنَّ أن ذلك المرجوُّ يُوافق بتلك الكلمة ففرح
بذلك فلا بأس^(٢) .

(تطير بمض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بعضُ البصريين من بعض الطَّواعين ، فركب
ومضى بأهله نحو سفوان^(٣) ، فسمع غلاماً له أسودٌ يحدو خلفه ، وهو يقول :
لن يُسبقَ اللهُ على حمَارٍ ولا على ذى مَيْعَةٍ مَطَّارٍ^(٤)
أو يأتى الحينُ على مقدَّارٍ قد يصيِّحُ اللهُ أمامَ السَّارى^(٥)
فلما سمع ذلك رجع بهم .

(١) هو ابن عون ، كما في تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف في اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو .

ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيَّار :

حديد الفؤاد ماض . وانظر للبيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية في زهر الآداب

(٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الختف » كما في زهر الآداب وأمالى المرتضى

(٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة في هذه المراجع على

وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضرة ص ٩ .

(معرفة في الغربان)

قال : والغربان تسقط في الصحارى تلتمس الطعم ، ولا تزال كذلك ، فإذا وجبت الشمس ^(١) نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قل ما تختلط البقع بالسود المصمتة ^(٢) .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الجدء ^(٣) السود ، ومنها صغار . وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصُّور . ومنها غربان تحكى كل شيء سمعته ، حتى إنها في ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يتخلف ^(٤) منها عندنا بالبصرة في الصيف ، فإذا جاء القيظ قلت . وأكثر المتخلفات ^(٥) منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين ، لتتال مما يسقط من التمر في كرب النخل وفي الأرض ، ولا تقرب النخلة إذا كان عليها عذق واحد ^(٦) ، وأكثر هذه الغربان سود ، ولا تكاد ترى فيهن أبقع .

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الجدء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حدة كمنية . ط : « الحد » ، ل : « الجدء » بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يتخلف » .

(٥) ط ، س : « المتخلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر في أعذاقه . وانظر ما سبق في ص ٤٥٤ س ٥ .

(قَبِجُ فَرخِ الغراب)

وقال الأصمعيّ: قال خلف: لم أرَ قَطُّ أَقْبَحَ من فرخ الغراب! رأيته مرّةً ١٤٤
فإذا هو صغير الجسم^(١) ، عظيم الرأس ، عظيم المنقار ، أجرد أسود الجلد ،
ساقط النفس ، متفاوت^(٢) الأعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضها يقيم عندنا في القيظ . فأما في الصيف فكثير . وأما
في الخريف فالدهم . وأكثر ما تراه في [أعلى]^(٣) سطوحنا في القيظ والصيف
البقع ، وأكثر ما تراه في الخريف [في النخل] و [في] الشتاء في البيوت
[السود] .

وفي جبل تكريت^(٤) في تلك الأيام ، غربان سودّ كأمثال الخدّاء
[السود] عظاماً^(٥) .

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه في ل ، س .
وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام في (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الخدّاء سبق شرحها في الصفحة السابقة . ط : « الخدّ » تحريف . و « عظام »
هي في ، ط : « عظام » وهو تحريف فكه ، صوابه في ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدها على^(١) غير تسافد الطير ، وأنَّها تزاقي^(٢)
بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نواذر وأشعار مستحسنة)

نذكر شيئاً من نواذر وأشعار^(٣) [وشيئاً] من أحاديث ، من
حارّها وباردها .

قال ابنُ نُجَيْمٍ^(٤) : كان ابنُ ميادة^(٥) يستحسن هذا البيت لأرطاة
ابن سُهَيْبٍ^(٦) :

فقلت لها يا أمَّ بيضاء إنه هُريقُ شَبَابِي واستشَنَّ أديمي^(٧)
[صار شيئاً] .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تَزَاقِي . ط : « تَزَاف » ، صوابه في ل ، س .

(٣) س : « نذكر نواذر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل .

وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذي سبق تربيته في (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقطة من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ، وهو تحريف . وقد سبق تربة أرطاة في ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ بنِ حكيمٍ ، في صفة الظَّليمِ (١) :
مجتاب شملة بُرْجِدٍ لَسْرَاتِهِ قَدْرًا وَأَسْلَمَ مَاسِوَاهُ الْبَرْجِدُ (٢)
ويستحسن قوله في صفة الثَّور :

يبدو وتُضمِره البلاد كأنَّه سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويغمد (٣)
وكان أبو نَوايسٍ يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرَحَى عَنَانَ الْقَصَائِدِ (٤)
وقال كثيرٌ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاؤُهُ صَنِيعَةً بِرٌّ أَوْ خَلِيلَ تَوَاقُّهُ (٥)
مَنْعَتْ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ (٦)

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملاً من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أي ترك البرجد ماسوى الظهر : من الرجلين والعتق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « قدر وسلم » ، وصوابه في ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالي . وانظر الموارنة بين هذا البيت وأشباذه في العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هي في ط : « عنا » وتمثيلها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعى ، أو خليل توافقه » . وفي العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قربي أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستليك المال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيهقي برواية عجبية في (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهيل بن هارون ؛ يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌ تِلَادٍ المالِ فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزماً^(١)

قال : وكان ربيعٌ بن الجارود يستحسن قوله :

فخير منك مَنْ لا خير فيه وخير من زيارتك القُهوْدُ^(٢)

وقال الأعشى :

قد نطعن العيرَ في مكنونِ فائله وقد يشيطُ على أرماحنا البطلُ^(٣)
لا تنهون ولن ينهى ذوى شططٍ كالطعنِ يذهبُ فيه الزيتُ والقتلُ^(٤) ١٤٥

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته »
تحرif ما في ل . والبيت مع قرين له في البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين في الحيوان
(٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق في الفخذ ، وهو مقتل .
أراد أنهم حذاق في الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل)
والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف .
ويشيط : يهلك .

(٤) كذا في ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفي ل : « لا ينهون »
والرواية في الكامل ٤ : ليسك وأمال ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦)
والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أنتهون »
وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف في « كالطعن » وأن « الطعن »
مجرور بالإضافة . والقتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم
غير طعن جانف .

وقال العلاء بن الجارود^(١) :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش دارُوا^(٢)
وَلَهُ صَامُوا وَصَلُّوا وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا
وله قاموا وقالوا وله حلُّوا وساروا
لو غدا فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر^(٣) في مثل ذلك :

شمر ثيابك واستعدَّ لقابلي واحكك جبينك للقضاء بثوم^(٤)
وامشي الديب إذا مشيت حاجة حتى تصيب وديعة ليتم
وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقَّ وجهه رقَّ علمه » .
وقال عمر : « تفقَّهوا قبل أن تسودوا » .

وقال الأصمعي : « وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح^(٥) » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم :

مقبل مدبر خفيف ذفيف دسم الثوب قد شوى سمكات^(٦)

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة في العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سمتا » بدل « نسكا » في ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا » في العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار » جاءت الرواية في العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما في العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا في الشريشي (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابلي : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغراب أن صاحبها عريق في التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك في عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم من قيل فيهم : « سيمام في وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما في ل . وفي البيان (١ : ١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : « جفيف » س : « ذفيف » وصوابه في ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « آدم الثوب » .

من شبايط لجة ذات غمر حُدب من سُحومها زَهَمَاتٍ (١)
ففكرَ فيهما فإِنَّهُمَا سَيَمْتَعَانِكَ سَاعَةً (٢) .

وقال الشاعر (٣) :

إِنْ أَجَزَ عِلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ (٤) سَعِيَهُ لَا أَجْزُهُ بِيَلَاءٍ يَوْمٍ وَاحِدٍ
لَأَحْبَبَنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَنِي رَمَّ الْهَدْيِ إِلَى الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ (٥)
وَلَقَدْ شَفِيتُ غَلِيلَتِي وَنَقَعْتُهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ
وقال رجل من جرم :

نَبِئْتُ أَخَوَالِي أَرَادُوا عَمُومَتِي بِشَنْعَاءٍ فِيهَا ثَامِلُ السُّمِّ مُنْقَعًا (٦)
سَارِكِبَهَا فِيكُمْ وَأَدْعَى مَفْرَقًا وَإِنْ شَتَمَ مِنْ بَعْدُ كُنْتُ مَجْمَعًا (٧)

(١) الشبايط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبايك » محرفة . حذب : جمع حذباء وهي الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزَهَمَات : السينة الكثيرة الشحم . وفي الأصل : « زَمَنَات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففكرَ بينهما فإِنَّهُمَا سَيَمْتَعَانِكَ سَاعَةً » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فذك بن أعيد ، وهو المرنائق الطائي . معجم المرزباني ٧٥٤ والصحاح (لم) . كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابي ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى في استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بغير ودفعها إلى فذك عوضا . فقال هذا الشعر يمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٧٠ : ٧١) والصحاح واللسان (لم) .

(٤) في الأصل : « زيد » وصوابه في البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمي ، بالراء : أصْلَحَ حاله . والهدى : العروس تزف وتهدي إلى زوجها . ط ، س : « ذمى ذم البنى » ، ل : « زمنى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفقى : الشاب .

(٦) في ط ، س : « نبئت إخواني » وأثبت ما في ل ، وهو أشبه بقول للعرب . ط ، س : « أرادوا نقيصتي بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقوع ، أى المعتقى . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ في شتاءٍ شيئاً قطُّ إلا وقد برد ، ولا أكلتُ في صيفٍ شيئاً إلا وقد سخن .

وقال أبو عمرو المديني^(١) : لو كانت البلايا بالحِصَص ، ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاةِ إلى التَّيَّاسِ اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاةُ حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد^(٢) الخلافُ موَكَّلٌ بكلِّ شيءٍ [يكون] ، حتى القَذاةُ^(٣) في الماءِ في رأسِ الكوزِ ، فإن أردتَ أن تشرب الماءَ جاءتْ إلى ١٤٦ فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرُجَ رَجَعَتْ .
(حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غزوان : بَكَرْتُ اليومَ إلى أبي عمران ، [فلزمتُ الجادَّةَ] ، فاستقبلني واحدٌ فلزِمَ الجادَّةَ التي أنا عليها ، فلما غشيتُ^(٤) انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرفَ معي ، فَعُدْتُ إلى سَمْتِي فَعَادَ ، فَعُدْتُ فَعَادَ ثُمَّ عُدْتُ فَعَادَ . فلولا أنَّ صاحبَ رِذْوَني فرَّقَ بيننا لكان إلى الساعةِ يَكْدُنِي^(٥) . فَدَخَلْتُ على^(٦) أبي عمران فَدَعَا بَعْدَاءَهُ ، فَأَهْوَيْتُ بِلَقْمَتِي إلى

(١) ط ، س : « أبو عمر المديني » . وهذا الخبر والخبر الذي قبله في الحيوان (٥ : ٥٩١) .

(٢) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد »

وفي ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء

الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونمته في البيان (١ : ١٠٦) بأنه :

« رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : ما يقع في الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه في .

(٤) ل : « أغشيت » تحريف .

(٥) يكدني : يلح في طلبي . ط ، س ، « يدكني » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصَّبَاغُ^(١) فَأَهْوَى إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، فَنَحَّيْتُ يَدِي فَنَحَّى يَدَهُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَعَادَ ، ثُمَّ نَحَّيْتُ فَنَحَّى ، فَقُلْتُ لِأَبِي عَمْرَانَ : أَلَا^(٢) تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قَالَ
سَأُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ، أَنَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ^(٣) أَشْفَقُ أَنْ يَرَانِي
[ابْنُ أَبِي] عَوْنُ الْخِيَّاطِ ، فَلَمْ يَتَّفَقْ لِي أَنْ يَرَانِي مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَلَمَّا [أَنْ]
كَانَ أَمْسِرَ ذَكَرْتُ لِأَبِي الْحَارِثِ الصَّنْعَ^(٤) فِي السَّلَامَةِ مِنْ رُؤْيَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلْنِي
أَمْسِرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ !

(نَوَادِرُ وَبَلَاغَاتُ)

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ^(٥) :
أَنَا لَا أَبْتَدِي وَلَكِنِّي أَعْتَدِي^(٦) .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : قَالَ الْحَجَّاجُ : أَنَا حَدِيدٌ حَقُودٌ حَسُودٌ !^(٧)

قَالَ : وَقَالَ قَدِيدُ بْنُ مَنِيعٍ ، مُجْدِّعٌ^(٨) بَنَ عَلِيٌّ : لَكَ^(٩) حَكْمُ الصَّبِيِّ
عَلَى أَهْلِهِ !

(١) الصباغ ، بالكسر : ما يصطبغ به من الإدام ، وصبغ اللقمة صبغا : دهنها وغسها .
ل : « الصباغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها
كما ترى .

(٤) أى ما صنع لى من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولكنى أعتدى » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى ص ٩٩ .
يقول : هولا يبتلى بالهجاء ، ولكنه إذا رد على الهاجى اعتدى عليه ، وظلمه
إرهابا له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلغظ آخر فى البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل :
« الحديد » وفى ثمار القلوب ٥٣٨ — حيث نقل النص — : « لجديع »
والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لك » ، وأثبت ما فى ل والثمار . وفى الثمار : « لك على » .

وقال أبو إسحاق^(١) - وذكر إنساناً - : هو والله أنزق من ربيب مالك^(٢) ، وأخرق من امرأة ، وأظلم من صبي .

وقال لى أبو عبيدة : ما ينبغي أن يكون [كان] فى الدنيا مثل هذا النظام^(٣) . قلت : وكيف ؟ قال : مررت يوماً فقلت : والله لأمتحنه ، ولأسمعن كلامه ؛ فقلت له : ما عيب الزُّجاج - قال : يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبر - من غير أن يكون فكر أو ارتدع !

قال : وقال جبار بن سلمى بن مالك^(٤) - وذكر عامر بن الطفيل^(٥) فقال : كان لا يضلُّ حتى يضلَّ السَّجم ، ولا يعطشُ حتى يعطشَ البعير^(٦) ، ولا يهاب حتى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون^(٧) حين لا تظنُّ نفسُ بنفسٍ خيراً .

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من الأنزق وهو الطيش والتسرّع . والريبب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف فى ط ، س : ففى الأولى : « آترف من زينب بنت مالك » وفى الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء فى أمثال الميدانى (١ : ١٣٦) : « آترف من ربيب نعمة » . (٣) ط ، س : « قال لى أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذاك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (بضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤) . فى ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى » . وانظر شروح سقط الزند ص ٥٠٠ .

(٥) فى البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما فى ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابن الأعرابي : قال أعرابي : اللهم لا تُنزلني ماءً سوءاً فأكون
امراً سوءاً ! يقول : يدعوني قَلْبُهُ إلى منعه .

وقال محمد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنَّ
الأحنف كان يكره الصَّلَاةَ في المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ،
لم لا تصلي في المقصورة ؟ قال : وأنت لم لا تصلي فيها ؟ قال : لأترك^(١) !
وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة^(٢) .

ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره ، فقال : اذكر
حوادثك . فقال عبد الله : ركابي مُناخَةٌ ، وعلى ثياب سفرى ! فقال : إنَّك
لا تجدني خيراً [متى] لك الساعة^(٣) .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن ،
فأرسل إليه : إني أخاف عليك طواعين الشام ، وإنَّك لا تُغْنِمُ أهلك خيراً
لهم منك^(٤) ، فالحق بهم ، فإنَّ حوائجهم ستسبقك^(٥) .

وكان ظاهر ما يكلمونه به ويُرُونه إيَّاه جميلاً مذكوراً^(٦) ، وكان
معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جماله ، ويعرفون بيانه وكماله ،
فكان ذلك العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه :

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدني خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة في ل
بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلك خيراً منك » .

(٥) ل : « ستسبقك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا في س . وفي ط : « ما يكلمون به ويرونه جميلاً مذكوراً » . وفي ل :
« ما يتكلمون به ويرونه جميلاً مذكوراً » .

(شعر في الزهد والحكمة)

وأنشد :

تُليح من الموت الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخله^(١)
وقال آخر :

[أكلكم أنام على عجوزٍ عشزرةٍ مقلدةٍ سخاباً^(٢)
وقال آخر:]

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله فليت شعري بعدَ الباب ما الدأرُ^(٣)
لو كنتُ أعلم من يدرى فيخبرني أجنة الخلدِ ما وانا أم النَّارُ^(٤)
وقال آخر :

اصبرْ لكل مصيبةٍ وتجلدِ واعلم بأنَّ المرءَ غيرُ مُخلدٍ
فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها فاذكُرْ مصابك بالنبى محمدٍ
وقال آخر :

والشمس تنعى ساكنِ الدنيا ويسعدُها القمر

(١) ألح يلح : خاف وحاذر . ل : لا شك داخله . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩ .

(٢) عنى بالعجوز الدنيا . والعشزرة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحب ، بلا جوهر .

(٣) كذا في ل والأغاني (١٩ : ١٤) . وفي ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفي س : « لنا لابد لنا أن ندخله » وما في س تحريف .

(٤) ل : « مشراناً » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصري بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغاني .

أَيْنَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ رُكُمُ الْجَنَادِلِ وَالْمَدَارِ^(١)
 أَفْزَاهُمْ غَدَسُ الْعِشَاءِ ۖ يَهْزُ أَجْنِحَةُ السَّحَرِ^(٢)
 مَا لِلْقُلُوبِ رَقِيقَةٌ وَكَأَنَّ قَلْبَكَ مِنْ حَجَرٍ
 وَلَقَلَّمَا تَبَقَى وَعَوَ دُكَ كُلَّ يَوْمٍ يَهْتَصِرُ^(٣)

وقال زهير :

وَمَنْ يُوفٍ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبَهُ إِلَى مَطْمُنِ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّمُ^(٤)
 وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَا يَكْرُمُ
 وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَائِفَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَحْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلِمُ
 وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَا يُعْفِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّمِّ يَنْدَمُ^(٥)

[وقال زهير أيضاً :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طُعِنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَاضَ بَرُّوْا اعْتَنَقَا^(٦)]

(١) الرُّكْمُ ، بالتحريك : المتراكم .

(٢) الغدس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل :

« العشي » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .

(٣) اهتصار النفس : عطفه . ل : « يمتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبقى »

صوابه فى ل ، س .

(٤) لا يتجمم : لا يتردد .

(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى :

« يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال (١) :

وجار البيت والرجل المنادي (٢) أمام الحى عقدهما سواء
جوار شاهد عدل عليكم وسيان الكفالة والثلاث (٣)
فإن الحق مقطعه ثلاث : يمين ، أو نِفَار ، أو جَلَاء (٤)
فتفهم هذه الأقسام الثلاثة ، كيف فصلها هذا الأعرابي !

وقال أيضاً :

فلو كان حمد يُخلد الناس لم تمت ولكن حمد المرء ليس بمُخلد ١٤٨
ولكن منه باقيات وراثه فأورث بنيك بعضها وتزود
تزود إلى يوم المات فإنه وإن كرهته النفس آخر معهد
وقال الأسدى :

فلئن أحبُّ الخلد لو أستطيعه وكأُخلد عندي أن أموت ولم أَلَمْ (٥)
وقال الحادرة :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بإحساننا إن الثناء هو الخلد (٦)
وقال الغنوى :

فإذا بلغتم أهلکم فتحدثوا ومن الحديث مهالك وخلود (٧)

(١) أى زهير بن أبى سلمى .

(٢) المنادى : المجالس ؛ من التادى والتندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق المجلس كحق الجار .

(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والمعدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما عدل : « بلغتم أرضكم » ، و « متألف وخلود » .

وقال آخر^(١) :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرٍكم جزاء العطاس لا يموت من أثار^(٢)

وقال زهير :

والإثم من شرٍّ ما تصولُ به والبرُّ كالغيثِ نبته أمر^(٣)

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماء نبته أمر * .

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنما أراد أن النبات

يكون على الغيث أجود^(٤) . ثم قال :

قد أشهد الشارب المعدل لا معروفه مُسكر ولا حصر^(٥)

في فنيةٍ ليئى المآزر لا ينسون أحلامهم إذا سَكروا^(٦)

يشؤون للضعيف والعفاة ويؤفون قضاء إذا هم نذروا^(٧)

(١) هو مهملل كما فى البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدال : « جزاء العطاس » تحريف . وانظر حواشى
البيان ، والسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . وأثار : أدرك ثأره . والمعروف
فى المعجمات : « أثار » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز فى العربية . انظر
الاستدراكات والتنزيل . وفى ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره » وصوابه فى ل ، س . والرواية عند القالى (١ : ١٠٣)
والبحترى ٣٤٧ : « من شر يصل به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعدل : الذى يمدل كثيرا ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء .
والحصر : البخل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة - وأراد
بالإزار النفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليَّةِ بالوفاء بالتَّذور^(١) .

أنشدني حَبَّان بن عَتَبان^(٢) ، عن أبي عبيدة ، من الشَّوارد التي لا أربابَ

لها ، قوله :

إن يَغْدِرُوا أو يَفْجُرُوا أو يَبْخُلُوا لم يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرَجْلِي نَ كَأَنَّهُمْ لم يَفْعَلُوا
كَأَبَى بَرَأَقَشَ كُلُّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَخَيَّلُ^(٣)

وقال الصَّلْتان السَّعْدِيُّ ، وهو غير الصَّلْتان العَبْدِيُّ :

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ رَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمُرُّ الْعَشِيِّ ١٤٩
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَيَّ^(٤)
رُوحٌ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي^(٥)
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(٦)
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لَدَى مَعْشَرٍ أُرُونِي السَّرِيَّ أُرُوكَ الْغَنَى

(١) ط ، س : « بالتذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو بَرَأَقَش : طائرٌ كالصَّفُورِ حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهري : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية في اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، في ديوان المعاني (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القائل (٣ : ٨٣) وحيون الأجنهار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

ألم ترَ لقمانَ أوصى بنيه وأوصيتَ عمرًا فنعم الوصى^(١)
وسيرك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثلاثةِ غير الخفي
أنشدني محمد بن زياد الأعرابي :

ولا تلبثُ الأطاعُ من ليس عنده من الدين شيءٌ أن تميلَ به النفسُ
ولا يلبثُ الدَّحسُ الإهاب تحوزه مجمعك أن ينهيه عن غيرك الترس^(٢)
وأنشدني أبو زيد النحويُّ لبعض القدماء^(٣) :

ومهما يكنَ ريبَ المنونِ فإنني أرى قمرَ اللَّيلِ المعذرَ كالفتى^(٤)
يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائماً ويعظمُ حتى قيل قد تاب واستوى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثم انتقاصه وتكراره في إثره بعدَ ماضى^(٥)
وقال أبو النجم :

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها في هيون الأخبار (٣) :
١٣٢ (ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والمقد (٢ : ١٢٣) والحامسة (٢) :
٥٦) والكامل ٥٤٠ ليسك .

(٢) الدحس : الفساد . والشرط الأخير محرف . ل : « أن تنهيه كعبرة الرأس » .
(٣) هو حسان السعدي كما في نوادر أبي زيد ١١١ - ١١٢ . ونسب الشعر في أمالي
المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طييء . وعينه ياقوت في (دير حنظلة)
بأنه حنظلة بن أبي عفراء . وساق نسبه إلى طييء . وقال في شأن حنظلة هذا
« كان قد نesk في الجاهلية وتنصر وبني هذا الدبر » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الحالة التي تطيف به . وفي الجزء السادس من الحيوان
ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية في النوادر والأمالى والمعجم :
و ل : « المذهب » وكان عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودوبه على ذلك .
وفي مثل ذلك قال أمية في عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد
لاستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرذ
(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه في ل ، س :

مَيَّزَ عَنْهُ قُزْعًا عَنْ قُنْزِعٍ^(١) مَرُّ اللَّيَالِي أَبْطَى وَأَسْرَعِي^(٢)
أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اطْلَعِي ثُمَّ إِذَا وَاوَالِكُ أَفْقٍ فَارْجِعِي
وقال عمرو بن هند^(٣) :

وَلَنْ الَّذِي يَنْهَاكُمُ عَنْ طَلَايِهَا يُنَاغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ^(٤)
يَعْلَلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيْرَانُ مِنْ طَرَفِ الزَّيْتِ^(٥)
وقال ابن ميادة :

هَلْ يَنْطِقُ الرَّبْعُ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهُ سَا فِي الرِّيَّاحِ وَمُسْتَنٍّ لَهُ طُنْبٌ^(٦)
وقال أبو العتاهية :

* أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ *

وقال :

وَلَمْزُ الْفَنَاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سَكُونٌ^(٧)

وقال ابن ميادة^(٨) :

١٥٠

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزع » . والقزع : كل شيء يكون قطعاً متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا في ل واللسان . في ط ، س : « جذب الليالي أبطى أو أسرعى » .

(٣) كذا في ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفي ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلايها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الأمطار . والطنب : جبل السراشق . وقد جعل السحاب كالسراشق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد ذلك الربيع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغاني (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمز القناء » ط : « ولمز القنأة » ، ووجه ما أثبت من ل .

(٨) روى في معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلي .

أشاقك بالقنعر الغداة رسوم دوارس أدنى عهدهن قديم^(١)

يلحن وقد جرمن عشرين حجة كما لاح في ظهر البنان وشوم^(٢)

وقال آخر :

في مرفقيها إذا ما عونقت حجم على الضجيع وفي أنيابها شنب^(٣)

وقال ابن ميادة في جعفر [ومحمد] ابني سليمان^(٤) ، وهو يعني أمير

المؤمنين المنصور :

وفي لكما يا ابني سليمان قاسم يجد الثهي إذ يقسم الخير قاسمه^(٥)

فبينكما بيت ربيع بناؤه متى يلق شيئا محذئا فهو هادمه^(٦)

لكم كبش صدق شذب الشول عنكم

وكسر قرني كل كبش يصادمه^(٧)

(١) القنعر ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبي حجة » رسواهما في س .

(٣) في المعجم : « إذا ماعولجت » . والحجم بالخاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدي الجارية : نهذ وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغاف : « حجم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « في جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكالة من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفي لكما يحفظ العقل . وفي بالشئ : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف في الأصل . ففي ط ، س : « وما لكم » وفي ل : « وفاء لكما » وفي ط ، س : « يجد النبي » وفي ل : « يجد النبي » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) في الأصل : « فبينكما » محرف : ل : « متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الكبش : عني به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التي نقصت ألبانها . يرهد : طرد عنكم الحساس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لا يصح في الملح .

باب

في من يهجي ويذكر بالشؤم

قال دُعَيْلُ بْنُ عَلِيٍّ ، في صالح الأَفْهَمِ ^(١) - وكان لا يصحب رجلاً إلا مات أو قُتِلَ ، أو سقطت منزلته - :

قل للأَئِمِينَ أَمِينَ آلَ مُحَمَّدٍ قول امرئ شفيقٍ عليه محامٍ ^(٢)
لِيَاكَ أَنْ تُغْتَرَّ عَنْكَ صَنِيعَةٌ في صالح بن عطية الحَجَّامِ ^(٣)
ليس الصَّنَائِعُ عنده بصنائعٍ لكنهنَّ طوائِلُ الإسلامِ ^(٤)
أَضْرَبَ به نَحْرَ العدوِّ فَإِنَّه جيشٌ من الطَّاعُونَ والبرسامِ ^(٥)
وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة ^(٦) :

لِلْهَلَالِيِّ قَتِيلٌ أَبَدًا في كُلِّ عامٍ
قَتَلَ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ وَعَلِيٌّ بْنَ هِشَامٍ
وعجيفاً آخر القوم بأكناف الشام

- (١) الأفهم : الذي تقدمت ثنياه العلية فلم تقع على السفل . وفي الأغاني : « الأُخْجِم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن علي الأفهم » صوابه « ابن عطية » كما في الأغاني ، والشعر .
(٢) يريد بالأَئِمِينَ الخليفة المعتصم ، كما في الأغاني (١٨ : ٦٤) وروايته :
قل للإمام إمام آل محمد قول امرئ حذب عليك محامٍ
والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله في ص ٦٣ س ٤ .
(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتَر » . وفي الأغاني (١٨ : ٤٦) :
« أنكرت أن تغتر » !
(٤) طوائِل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أي عداوة ورتة .
(٥) البرسام ، بالكسر : حلة يهذى فيها . قلت : هي بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من برو هو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .
(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب مَنْ يَـ تَلْ بالسَّيْفِ الحَسَامُ^(١)
فَاعَاذَ اللهُ مِنْهُ أَحَدًا خَيْرَ الْأَنَامِ

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى^(٢) ، وكان مشئوما :
يا قوم مَنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ يَأْكُلُ مَا جَمَعَ مِنْ وَفَرٍ^(٣)
فَإِنَّ عِنْدَى لَابْنَهُ حِيلَةً يَمُوتُ إِنْ أَصْحَبَهُ الصَّخْرَى^(٤)
كَأَنَّمَا فِى كَفِّهِ مِبْرَدٌ يَبْرُدُ مَا طَالَ مِنَ الْعُمُرِ

١٥١

(شعر فى مدح وهجاء)

وقال الأعشى :

فَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ وَمَا إِنْ بَعْظَمَ لَهُ مِنْ وَهْنٍ^(٥)

وقال الكميت :

وَلَمْ يَقُلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ كَرُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا^(٦)

وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِ فِى الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يَسِىءُ فَيُعْذِرُ

(١) ل : « وبدأ يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصخرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط : س : « ما يجمع فى الدفر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « حصبة » . ط ، س : « الصخرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف .

(٦) الوار فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط :

« حسوا » س : « حسوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابي (١) :

رحل الرجاء إليك مغتربا حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدهرِ (٢)
رَدَّتْ عليك ندامتي أَمْلى وَثْنِي لِيكَ عِنانَه سُكْرِي (٣)
وجعلت عَتَبَكَ عَتَبَ موعظةٍ ورجاء عَفْوِكَ مُنتَهَى عُذْرِي
وقال أعشى بكر (٤) :

قَلَّدْتَكَ الشَّعْرَ يا سَلامَةَ ذا السَّافِضالِ والشَّيْءُ حَيْثُ ما جُعِلَا (٥)
والشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الكَرِيمَ كما اسَ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلَا (٦)
لو كنت ماءً عِدًّا جَحِمْتَ إِذا ما وَرَدَ القَوْمَ لَمْ تَكُنْ وشَلَا (٧)
أَنْجَبَ آبَاؤُهُ الكَرَامُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ ما نَجَلَا
اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ وبِالْحَمِّ لِـ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا (٨)

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتعبا » س : « مرتقبا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حشدت » ، وليس بشيء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ينسب حينئذ إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دي ساسي في جعلهما شخصين في فهرس الأغاني .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفي الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو الفضال » ، وفي الممددة (١ : ١٠) : « ذا فائش » . وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حير .

(٦) السيل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء للعد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثير . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروي : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهباً مذهب أهل العدل . انظر أمالي المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذاب^(١) الحرّمازى [لقومه ، أو لغيرهم^(٢)] :

لو كنتم شاء لكنتم نقداً^(٣) أو كنتم ماء لكنتم تمداً^(٤) .
* أو كنتم قولاً لكنتم فندا^(٥) * .

وقال الأعشى فى الثياب^(٦) :

فعلى مثلها أزورُ بنى قيدٍ إذا شطَّ بالحبيبِ الفراقُ^(٧)
المهينين ما لهم فى زمانِ السوءِ حتى إذا أفاقَ أفاقوا
وإذا ذو الفضولِ ضنَّ على المولى وصارتْ لحيمها الأخلاقُ^(٨)
ومشى القومُ بالعِبادِ إلى الرزِّ حى وأعياءُ المسيمِ أينُ المساقِ^(٩)
أخذوا فضلهمُ هناك وقد تجرَّ رى على عرقها الكرامُ العناقُ^(١٠) .

(١) وكذا فى الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب فى ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .
(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء فى أول الرجز فى كل من أمثال الميداني (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتداً *

(٣) النقد : جنس من الفم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .
(٤) التمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفى ط ، س وأمثال الميداني والأضداد وثمار القلوب : « زيدا » .
(٥) الفتد : الكذب . وفى الرجز زيادة فى ثمار القلوب وأمثال الميداني (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .

(٦) « فى الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب فى آخر بيت من هذه المقطوعة .

(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .
(٨) الحيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفى الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .
(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديدة الهزال . والمسيم : الذى يرعى الإبل .
والأين : الإعياء . والمساق : السوق .
(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوْبُهُ وَضَعَ القِدْرَ حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ^(١) ١٥٢
 لم يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرِبَ الخَمَ رِ وَلَا اللَّهُوْ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ^(٢)
 واضِعًا فِي سَرَاةٍ نَجْرَانِ رَحْلِي نَاعِمًا غَيْرَ أَنِّي مُشْتَاقٌ
 فِي مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ عَنْ ثَوَائِ وَهُمْ هُنَّ الْعِرَاقُ
 دَرَمَكَ غُدْوَةً لَنَا وَنَشِيلٌ وَصَبُوحٌ مَبَاكِرٌ وَاغْتِبَاقُ^(٣)
 وَنَدَايُ بِيضُ الْوُجُوهِ كَانَ الشَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبُ أَفْنَاقُ^(٤)
 فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْدُ دَةُ جَمْعًا وَالْخَاطِبُ الْمِسْلَاقُ^(٥)
 وَأَيُّونَ لَا يُسَامُونَ ضَيْمًا وَمَكِيثُونَ وَالْخُلُومُ وَثَاقُ^(٦)
 وَتَرَى مَجْلَسًا يَغْصُ بِهِ الْخَمَ رَابٌ بِالْقَوْمِ وَالْثِيَابُ رِقَاقُ

(١) القِدْح ، بالكسر ، هو قِدْح الميسر . كانوا يَنْحَرُونَ ويفربون بالقِدْح ، فإذا
 اُخْصِبُوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون في الجذب . شرح ديوان
 الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها الثبث وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوي سَفَاهَةٍ فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب
 لا يجلب إليهم السَفَاهَةَ ، بل يحفظون معه بحميد خصالهم :

وإذا شربت فأننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرَمَك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غُدْوَةٌ » هى فى الأصل :
 « غدره » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : مانسل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول
 المكرومة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الخزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى :
 « المسلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى
 لغة . يقال : مصلاق ومصلاق أيضاً .

(٦) المكِيث : الرزين . والخُلُوم وثاق : أى عقولهم بحكمة .

وقال أيضاً في الثَّيَاب^(١) :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً همُ خيرُ أربابها
وكعبةً نَجْرانَ حَتمَ عليه لكِ حتَّى تُناخِي بأبوابها^(٢)
إذا الحِبرَاتُ تلوَّتْ بهم وجروا أسافلَ هُدأها
وفي الثَّيَاب يقول الآخر :

أَسِيْلُمُ ذَاكُمْ لَا خُفَا بِمَكَانِهِ لَعَيْنٍ تُرَجِّي أَوْ لِأُذُنٍ تَسْمَعُ^(٣)
مِنَ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا وَهَابَ الرِّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا^(٤)
جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَهُ وَطِيبَ الدَّهَانِ رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعَ^(٥)
إِذَا النَّفْرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا لَهُ حَوْكُ بَرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا^(٦)
[وقال كثير :

يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيُّ هَلَالٍ لَمْ تَفْتَقِ شِرَانِقَهُ^(٧)]
وقال الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادَهُمْ بِأَرْضِ الْخَبِيرِ زَانٍ

(١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بني تغلب في معجم الأدياء (١١ : ١٣٢) .

(٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبركى . ط ، س : « تحل » ولها وجه .

(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه في ل والبيان

(١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكامل ١٠٣ والمقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ

٧٩ ساسي والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان

« تدحى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .

(٤) الرواية في المراجع المتقدمة : « من النفر الثم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .

(٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذي

انحسر الشعر عن جانبيه جهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .

(٦) البمانية يوصفون بالسواد . ل والمقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفي خزانة الأدب (٢ :

٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفي البيان : « أطالوا » . وانظر

ما كتب البغدادى عن الشعر في الخزانة .

(٧) السبي : جلد الحية تملخه . والهلل : الحية . والثرانق : ما تملخه . وانظر ماسياقي

في (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الحِصْبِ والأغصانِ اللَّيْنَةِ (١) .

وقال الشاعر (٢) :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَأْنٍ رِيحُهَا عَيْقٌ بِكَفِّ أُرْوَعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ (٣)

لأنَّ الْمَلِكَ لَا يَخْتَصِرُ (٤) إِلَّا بِعُودِ لَدُنِ نَاعِمٍ . وقال آخر :

تَجَاوَبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرُ رَائَةٍ يَكَادُ يَدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْنِهَا (٥)

وقال آخر (٦) :

نَبْتُ نَبَاتِ الْخَيْرِ زَانِيٌّ فِي الْأَثَرِ حَدِيثًا، مَتَى مَا بَاتَكَ الْخَيْرُ يُنْفَعُ (٧)

وقال المسيَّبُ بن علس (٨) :

قِصَارَ الْهَمِّ إِلَّا فِي صَدِيقٍ كَأَنَّ وَطَاءَهُمْ مُوشَى الضَّبَابِ (٩)

(١) في اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصره بالأرياف والحواضر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كيعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحَرُ الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ١٣٣ .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ريح عيق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخفضة ، بالكسر ، وهي ما يتوكأ عليه الخطيب ويشير به من

عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهي صحيحة أيضاً . جاء في الحديث : « فإذا

أسلموا فأسألم قضيم الثلاثة التي إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشي البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشي الشاعر ، كما في خزنة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « بُتْمُ ثَبَاتٍ » ط . ل : « بُتْمُ ثَبَاتٍ » تحريف ما أثبت

من س والخزانة وكتاب سيوي (٢ : ١٥٢) . والخيزاني : لغة في الخيزران ،

وهو الطرى الناعم من النبات . حديثاً : أى نياتاً حديثاً . يقول : لستم ذوي حسب

قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشي صاحب الشعر قحطاني من بني الحارث بن كعب المذحجي

يهجو بهذا الشعر بني صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقيل البيت :

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَقْتَ بَنِي عَامِرٍ مَنِي وَأَبْنَاءَ صَعْمَعِ

« ينفع » هي في ط : « ينفعنا » . وهي رواية سيوي استشهد بها على إلحاق

نون التوكيد الخفيفة ينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « قصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا في رعاية صديقهم وإكرامه .

والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذي استخرج

من جحره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامت فؤادك إذ عرّضت لها حسن برأى العين ما تمق^(١)

وقال ابن أبي ربيعة :

* حسن في كل عين من تود^(٢) *

وقال عبد الله بن معاوية^(٣) :

وعين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وقال رّوح أبو همام^(٤) :

وعين السخط تبصر كل عيب وعين أخى الرضا عن ذاك تعمى^(٥)

(١) تامت الفؤاد : استبدته . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما في الديوان ٧٦ :

* فتصاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولد في خلافة معاوية ، ومعاوية

هو الذى سماه . وقد خرج عبد الله في أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان

وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وجسه عنده ثم قتله . وكان شاعراً

مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له في حماسه . والبيت الآق من أبيات قالها في الحسين

ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يهتمان بالزندقة ،

فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر

الأغانى (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح الديون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى ، وكنيته أبو همام ، ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٤ ليسك

٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » . وهو على

الصواب في ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خَبَّرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمُ^(١)
سُؤَالَ امْرِئٍ لَمْ يُغْفَلِ الْعِلْمَ صَدْرُهُ

وما السائل الواعي الأحاديث كالعمي^(٢)

وقيل لدغفل^(٣) : أُنِّي لك هذا العلم ؟ قال : لسانٌ سُئِلَ ،

وقلبٌ عقول^(٤) .

وقال النابغة :

فَأَبَّ مُمْضِلُوهُ بَعِينَ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٥)

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ .
وصدره في الديوان : « ألا يا اخبروني » .

(٢) ط ، س : « لم يغفل » ، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفي الديوان :
« وما العالم الواعي » . والسؤال الذي جهاه الفرزدق في بيت بعده
هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أي مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذي سبق ذكره في ص ٢٠٩ . أدرك النبي ولم يسمع
منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال .
انظر أمثال الميداني (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ
في البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك
بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » .
قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة في عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سئول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أي بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان
ابن الحارث بن أبي شمر الغساني . غودر الحزم والنائل : أي دفن بدفن النعمان
الحزم والمطاء .

مُضِلُّوهُ : دافنوه ، على حدِّ قوله تعالى ^(١) : ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾
وقال المخبل :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَمِيدَهَا وفارسها في الدهرِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
وقال زهيرٌ - أو غيره - في سِنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ :
إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَغِي غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ
ولذلك زعم [بعضُ النَّاسِ] أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ خَرِفَ
فَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يُوجَدْ .

(مِنْ هَامٍ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ يُوجَدْ)

ويزعمون أَنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ هَامُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ فَلَمْ يُوجَدُوا : طَالِبُ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ ، وَسِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ ^(٢) ، وَمِرْدَاسُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ .
وقال جرير :

وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي لَا يَرَى لِيَا
وقال امرؤ القيس :

وَهَلْ يَعْمنُ إِلَّا خَلِيٌّ مَنْعَمٌ قَلِيلُ الْهَمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ ^(٣)
وقال الأضمعي . هو كقولهم : « اسْتَراحَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ! » .
وقال ابن أبي ربيعة ^(٤) :

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغاني (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينعمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُلْتَفِّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالِ كِفَاهَا كُلِّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ^(١)

باب

في مدح الصالحين والفقهاء

قال ابن الخياط^(٢) ، يمدح مالك بن أنس :

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعَزَّ سُلْطَانُ التَّقَى فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ^(٣)
وقال ابن الخياط^(٢) في بعضهم :

فَتَى لَمْ يَجَالِسْ مَالِكًا مِنْذُ أَنْ نَشَأَ وَلَمْ يَقْتَنِسْ مِنْ عِلْمِهِ فَهُوَ جَاهِلُ
وقال آخر :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذَنْبٌ لَا حَرِيمَ لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِينَ^(٤)
وقال الخليل بن أحمد وذكروا^(٥) عنده الحظَّ والجِدَّ ، فقال : أَمَّا الْجِدُّ

(١) ط ، س : « الدهر » ، ضوؤه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .

(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكي ، كما في زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س :

« أنس بن الخياط » . وفي السكامل ٤٠٩ : ليسك : « ابن الخياط المديني » .

قلعة مكي مديني . والبيعان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، في العقد (١ : ٢٦٨)

وزهر الآداب في رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفي محاسن البيهقي (٣ : ١٢١) :

« هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .

(٤) السمت : الطريق وهيئة أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين »

فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .

(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئاً ، وأما الخطُّ فأخزى الله الخطُّ ؛ فإنه يبلد الطالب إذا
اتَّكل عليه ويبعد^(١) المطلوب إليه من مذمة الطالب .

وقال ابن شبرمة^(٢) :

لوشئت كنت ككركز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم
قد حال دون لذيد العيش خوفهما وسارعاً في طلاب العز والكرم^(٣)
وقال آخر^(٤) يرئى الأصمعي :

لادرّ درّ خطوب الدهر إذ فجعت^(٥) بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفاً
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من علمه خلفاً
وقال الحسن بن هاني ، في مريته خلف الأحمر :

لو كان حَيٌّ وائلاً من التلّف لوألت شقواء في أعلى الشعف^(٦)
أمّ قُربخ أحرزته في بكف^(٧) مُزغَب الألفاد لم يأكل بكف^(٨)

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضي ، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة
وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي ، كافي وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠)

وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حيٌّ » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س :

« لوألت » وهي صحيحة بمعنى الأولى . والشقواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقف

متقارها . ط ، س : « شقواء » ، صوابها في ل . والشعف : جمع شفعة

بالتحريك ، وهي رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألفاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الخلق . ط : « الأكفاو » ل ،

س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقاً لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماء في أعلى الشرف^(١)

تظل في الطباق والنزع الألف^(٢)

أودى جماع العلم مذ أودى خلف قلندم من العيالم الحسف^(٣)
وقال يرثيه في كلمة [له]^(٤) :

بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمعى إلا يفيض يكف^(٥)

أنسى الرزايا ميت فجعت به أضحى رهينا للترب في جدف^(٦)

كان يسنى برفقه غلق الأفهام في لا خرق ولا عنف^(٧)

يجوب عنك التي عشت لها حيران، حتى يشفيك في لطف^(٨)

(١) العصماء من الوعول : ما في ذراعيها أو إحداهما بياض وساورها أسود أو أحمر .
والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجرتين في جبال مكة . والنزع : نبت . س : « والنزع » ل :
« والنزع » محرفتان . والألف : الملتف . ل : « الألف » تحريف .

(٣) القلندم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « قلندم »
صوابه في ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهى البئر الواسعة الكثيرة الماء
عن أنه غزير العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) :
« العيالم » . والحسف : جمع خسيقة ، وهى البئر حفرت في حجارة ، فنبعت
بماء غزير لا ينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فمرضاها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة
فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعلى أن أرثيها
بخير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يفيض » ، صوابه في ل والديوان .

(٦) الجدف : الجدث ، وهو القبر . ل : « وهين للتراب » .

(٧) يسنى : يفتح . والغلق : ما يغلّق به الباب . ط : « كما ينسى برفقه خلق »
كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عنى : لم يبصر . ل والديوان : « من
قبل » موضع « حيران » .

لَا يَهْمُ الْخَاءُ فِي الْقِرَاءَةِ بِالْخَا ء وَلَا لَامَهَا مَعَ الْأَلْفِ (١)
وَلَا مُضَلًّا سُبَلَ الْكَلَامِ وَلَا يَكُونُ إِسْنَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ (٢)
وَكَانَ ثَمَّنٌ مَضَى لَنَا خَلْفًا فَلَيْسَ إِذْ مَاتَ عَنْهُ مِنْ خَلْفِ (٣)
وَقَالَ آخَرُ فِي ابْنِ شَبْرُمَةَ (٤) .
إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمَةُ وَالْعَزُّ وَالْجُرْثُومَةُ الْمَقْدَمَةُ (٥)
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْحَكَمَةُ (٦) تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرُمَةَ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفة :

لِيَهْنِكَ بُغْضُ الصَّدِيقِ وَظَنَّةُ وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ (٧)
[وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبِ بَلَاكَ ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يَكْرَهُ جَانِبُهُ]
وَأِنَّكَ مَهْدَاءُ الْخَنَّا نَطْفُ النَّشَا شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهُ (٨)

(١) كذا ، في ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبي نواس ٢٧ : « يهيم » من الوهم ، وفي ل : « يهر » .

(٢) كانوا يقولون : « لَا تَأْخُذُوا الْعِلْمَ مِنْ صَحْفِي » . ط ، س : « عَلَى الصُّحُفِ » ورواية الديوان وأخبار أبي نواس :

وَلَا يَعْنِي مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا يَكُونُ إِشْنَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ

(٣) ط ، س : « وَكَانَ فِيمَا مَضَى لَنَا خَلْفٌ » ، وصوابه في ل والديوان والأخبار .

(٤) سبقَت ترجمته في التنبيه الثاني من ص ٤٩٢ .

(٥) الجرثومة : الأصل .

(٦) الفاروق : الذي يفرق ويفصل .

(٧) ل : « لِيَهْنِكَ بُغْضُ فِي الصَّدِيقِ » . وانظر القول في الشعر وشرحه ص

١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وَأَنْتَ مَهْدِي الْخَنَّا نَطْفُ الْحِشَا » ، تحريف صوابه في ل . وانظر ١٠٣ .

وقال النابغة الجعدي :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَتَى امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أُزْبِ
وليس يريد أنه في حال تبيُّنه^(١) غير مُرتاب ، وإنما يعنى أن
بصيرته لا تتغير .

وقال ابن الجهم ، ذات يوم : أنا لا أشك^(٢) ! قال له المكي : وأنا
لا أكاد أوقن !

وقال طرفة :

وكررى إذا نادى المضافُ مُحَنِّباً كسيد الغضى فى الطخية المتورِّدِ^(٣)
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بيهكنة تحت الخباء الممدِّدِ^(٤)
أرى قبرَ نَحَامٍ بخيلٍ بماله كقبرِ غوى فى البطالة مُفسِدِ ١٥٦
لعمرك إنَّ الموتَ ما أخطأ الفنى لكالطولِ المرخى وثنياء باليدِ^(٥)
أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرى

بعيداً غداً ، ما أقربَ اليومَ من غد

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما فى ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س :
« مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة .
والمتورِّد : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « بيهكنة » ، محرف . ل :
« الخباء الممد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياء : طرفاه . س : « لسكالطول المرجى » تحريف .

وظلم ذوى القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند^(١)
وفى كثرة الأيدى عن الظلم زاجرٌ إذا خطرت أيدى الرجال بمشهد^(٢)

باب

القول فى الجمelan والخنافس^(٣)

وسنقول فى هذه^(٤) المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من
بغات الطير وخشاشه ، مما يقتات العذرة ويوصف باللؤم^(٥) ، ويتقزّز من
لمسه^(٦) وأكل لحمه ؛ كالخنافس والجعل ، والهداهد^(٧) والرّخم ؛ فإنّ هذه
الأجناس أطلب للعذرة من الخنازير .

فأول ما نذكّر من أعاجيبها صداقة ما بين الخنافس والعقارب ،
وصداقة ما بين الحيات والوزغ .

وتزعم^(٨) الأعراب أنّ بين ذكورة الخنافس وإناث الجمelan تسافداً^(٩)
وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً .

(١) قيل إنّ هذا البيت لعلى بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .

(٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات القراغب (١ : ١٣٣)
وحامسة البحترى ١٥٤ منسوباً إلى على بن زيد العبادى . ط ، س :
« على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت »
وليس بشيء . والمشهد : محضر الناس .

(٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .

(٤) ط ، س : « باب » .

(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .

(٦) ط ، س : « يتقزّز بلمسه » .

(٧) الهداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .

(٨) ط ، س : « وزعم » .

(٩) ط ، س : « وذكر ذكورة الجمelan تسافداً » ، وصوابه فى ل .

وَأَنشُدْ خُشْنَامُ^(١) الْأَعْرَابِ [النَحْوِيُّ] عَنْ سَيِّبِيهِ النَّحْوِيِّ ، عَنْ بَعْضِ

الْأَعْرَابِ فِي هِجَائِهِ عَدُوًّا لَهُ كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ :

عَادَيْتَنَا يَا خُنْفَسَا كَامَ جَعَلُ^(٢) عِدَاوَةَ الْأَوْعَالِ حَيَّاتِ الْجَبَلِ

مِنْ كُلِّ عَوْدٍ مُرْهَفٍ النَّابِ عُتْلُ^(٣) يَحْرِقُ إِنْ مَسَّ وَإِنْ شَمَّ قَتَلَ^(٤)

وَيُثَبِّتُ أَكَلَ الْأَوْعَالِ لِلْحَيَّاتِ الشَّعْرُ الْمَشْهُورِ ، الَّذِي فِي أَيْدِي

أَصْحَابِنَا ، وَهُوَ :

عَلَّ زَيْدًا أَنْ يُلَاقِيَ مَرَّةً فِي التَّمَّاسِ بَعْضَ حَيَّاتِ الْجَبَلِ^(٥)

غَايِرَ الْعَيْنِينَ مَقْطُوحِ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَّاتِ حُجْرٍ وَالْقَلَلِ^(٦)

يَتَوَارَى فِي صُدُوعٍ مَرَّةً رَيْدُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمُؤَلِّ^(٧)

وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشِعَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طَفَلٍ^(٨)

طَرْدَ الْأَرْوَى فَمَا تَهَرَّبُهُ وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ

(١) ط ، س : « حَسَام » .

(٢) كَامَهَا : سَفَدَهَا . ط ، س : « أَمَ الْجَعْل » محرف .

(٣) للمود ، بِالْفَتْحِ ، أَصْلُهُ الْمَسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْعَتْلُ : الشَّدِيدُ . وَعَنَى بِهِ الْحَيَّةَ .

(٤) مثله قول يحيى بن أبي حفصة في الحية — والحية تذكر وتؤنث فتقول : هِيَ الْحَيَّةُ ،

وَهُوَ الْحَيَّةُ — :

أَصَمَ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءِ أَبِيسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَا

وَانْظُرِ الْخَيَوَانَ (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يَحْرِقُ » بِالْهَاءِ .

(٥) ط ، س : « فِي التَّمَّاسِ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٦) مَقْطُوحٌ : عَرِيضٌ . ط ، س : « مَقْطُوعٌ » تَحْرِيفٌ . ل : « وَالْقَلَلِ » .

(٧) الرَيْدُ : السَّرِيعُ . ل : « وَتَرَى » ط ، س : « وَهَذَى » ، وَالْوَجْهَ فِيهِمَا

مَا أَثَبَّتَ . وَالْقِدْحُ أَرَادَ بِهِ السَّهْمَ . وَالْمُؤَلُّ : أَصْلُهُ الْمُؤَلَّلُ ، وَهُوَ الْمَخْدُودُ .

(٨) ط : « وَتَرَى السَّهْمَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالطُّفْلُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْغُرُوبُ .

ولأنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف
الوحش ، لأن الأروى من بينها تأكل الحيات ؛ للعداوة التي بينها
وبين الحيات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأروى : إناث الأوعال ، واحدها أروية . والناس يُسمون بناتهم
باسم الجماعة ، ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة منها : لا يسمون
بأروية ، ويسمون بأروى . وقال شماغ بن صرار :
فما أروى وإن كرمت علينا بأذى من موقفة حرون^(١)

وأنشد^(٢) أبو زيد في جماعة الأورية :
فمالك من أروى ، تعاديت بالعمى ولا قيت كلاباً مطلاً ورامياً^(٣)
يقال : تعادى القوم وتفاقدوا : إذا مات بعضهم على إثر بعض .
وقالت في ذلك ضباعة بنت قرط^(٤) ، في مرثية زوجها هشام

ابن المغيرة :

(١) الموقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال .
والحرون : التي لا تبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منالاً من
هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « تعاديت » تحريف يخالف السياق . والبيت في اللسان (عدا) . والكلاب :
الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على
إيذائه . س : « مظلًا » .

(٤) هي ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جعدان في الجاهلية ،
ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها
الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

لِنَّ أَبَا عُمَانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنْ صَمْتًا عَنْ بُكَاءِهِ لَحُوبٌ (١)
تَفَاقَدُوا مِنْ مَعَشَرٍ مَا لَهُمْ أَى ذَنْوبٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلْبِ (٢)

(طلب الحيات البيض)

وأما قوله :

* وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ *
فإن الحيات تطلبُ بَيْضَ كُلِّ طَائِرٍ وَفِرَاحِهِ . وَيَبْضُ كُلِّ طَائِرٍ مِمَّا
يَبْضُ عَلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهَا . فَمَا (٣) أَعْرَفُ لَذَلِكَ عِلَّةً إِلَّا سَهْوَةَ الْمُطَلِّبِ .
وَالْأَيَّامُ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ ، وَالْحَنَازِيرُ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ وَتَعَادِيهَا .

(عداوة الحمام للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بَيْنَ الْحَمَامِ وَالْغُرَابِ عداوة . وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ
النَّحْوِيِّينَ (٤) :

عَادَيْتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابٍ عَدَاوَةِ الْحَمَامِ لِلْغُرَابِ

(١) ط : « صمى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحبوب ،
بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيرا » . ل :
« لوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقلب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان
فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدنى » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأنشد ابنُ أبي كريمةَ لبعض الشعراء في صريع الغواني :
فما رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضاً إلى الحَيَاتِ مِنْكَ إلى الغَوَانِي ^(١)

(أمثال)

ويقال : « ألجُ من الخنفساء » ، و « أفحشُ من فاسية » ، وهي الخنفساء
و « أفحش من فالية الأفاعي ^(٢) » .

والفساء يُوصف به ضربان من الخلق : الخنفساء ، والظربان .
وفي لجاج الخنفساء يقولُ خلفُ الأحمر ^(٣) :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الصَّوَابِ ^(٤)
أَلَجٌ لِحَاجَا مِنَ الْخَنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَامَشَى مِنْ غَرَابِ ^(٥)

(طول ذماء الخنفساء)

وقال الرقاشي : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبه ^(٦) ،
فقال لي أعرابي : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيّاً من صبيانكم البارحة

(١) ط ، س : « منه إلى الغواني » ، وأثبت ما في ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعي : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والمقارب في جحرة الضب .

(٣) يهجو العتبي : كما في الديمري . وللعنبي ترجمة في (١ : ٥٣ — ٥٤) . وفي معجم

الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما في هجاء أبي الميناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده في (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنييه » .

وأخذَ شوكةً وجعل في رأسها فتيلةً ، ثمَّ أوقد فيها ناراً^(١) ، ثمَّ غرزها في ظهر الخنفساء ، حتى أنفذ^(٢) الشوكة . فغبرنا ليلتنا^(٣) ولأنها لتجول في الدار وتُصبح^(٤) لنا . و [الله] إني لأظنها كانت مُقرباً^(٥) ؛ لانتفاخ بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القناني^(٦) : العواساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

* بَسْكَراً عواساء تفاساً مُقرباً^(٧) *

(١) ط ، س : « أوقدها ناراً » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غبر : مكث . ط ، س : « فغبرنا » ، وجهه من ل .

(٤) تصبح : تضيء . وانظر ماسياً في ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التي دنا ولادها .

(٦) القناني هذا هو أستاذ الفراء ، كما في معجم الليلدان (قنان) . وله ذكر في اللسان (نبل ١٦٣) ، وهو يفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتاني » وهو كلثوم ابن عمرو العتاني المترجم في (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما في المخصص (٢ : ١٨) والمقصود ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ في كل منها : « وأنشد القناني » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تنفاساً ، أي تخرج ظهرها . وروى : « تفاسي » أصلها تنفاسي ، كما في اللسان (عوس ، فسي) والمقصود لابن ولاد ، أي تخرج منها . وروى : « تيازي » أصلها تيازي ، كما في المخصص ، أي تخرج عجيزتها . ط : « قماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما في ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل ^(١) أنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الروث . ويضرب بشدة سواد لونه المثل . قال الراجز وهو يعصف أسود سألحا ^(٢) :

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقُ عَوْدَ قَدْ كَمَلْ ^(٣) كَأَنَّمَا قُصَصَ مِنْ لِبَطِ جُعَلْ ^(٤)
وَالْجُعَلُ يَظَلُّ دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، كَالنَّمْلِ الَّذِي يَغْبُرُ
دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ هَلَكَتِهِ ^(٥) .

(الدعاميص)

والدعاميص ^(٦) قد تغبر حيناً بلا أجنحة ، ثم تصير فراشاً وبَعوضاً .
وليس كذلك الجراد والذباب ؛ لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور
من الأيام ^(٧) .

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالح : الذي يسلخ جلده ، وذلك يكون في كل عام .

(٣) مهرة الأشداق : وأسعها . ط ، س : « مهرة الشدين » ، وهي رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قصص : أليس قصصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه في ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهرًا » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعوص : خلق يكون في الماء ثم يستحيل بعوضاً وفراشاً .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أن البرغوث^(١) قد يستحيل بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرسُ النِّيام ، فكلما قام منهم قائمٌ فضى لحاجته تبعه ، طمعاً في أنه إنما يريد الغائط. وأنشد بعضهم قول الشاعر^(٢) :

بييتٌ في مجلس الأَقوامِ يربوهم كأنه شرطىٌ بات في حرسٍ^(٣)

وأنشد بعضهم^(٤) لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبِعِظَمِ حَجْمِ النِّجو :

حتى إذا أضْحَى تدرى واكتحل^(٥)

لجارتيه ثم وَلَّى فَثَلَّ^(٦)

* رَزَقَ الْأَنْثُوقَيْنِ الْقَرْنَبِيَّ وَالْجُعْلَ^(٧) *

-
- (١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .
 (٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .
 (٣) يربوهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ريشة أى عينا . ط ، س : « في منزل » ، وأثبت ما في ل وما سبق في (١ : ٢٣٦) .
 (٤) ط ، س : « وأنشدوا » .
 (٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلى » ، صوابه في ل ، س . وفي ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز في (١ : ٢٣٥) .
 (٦) ثل : أصله للفرس ، يقال ثل : راث . وفي الأصل : « ثل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .
 (٧) ل : « روق » ، صوابه في ط ، س . وفي سبق في الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سمى القَرْنَبِي والجُعل - إذ كانا يفتانان الزُّبُل - أَثْوَقِينَ ^(١) . والأَنُوق :
للرَّخْه ، وهى [أحد ما] يفتات ^(٢) العُدرة . وقال الأعشى :

يَارَحْمًا ، قَاظَ عَلَى يَنْخُوبٍ ^(٣) يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِئِ الْمُطِيبِ
المطيب : الذى يستطيب ^(٤) بالحجارة ، أى يَتَمَسَّحُ ^(٥) بها . وهم يسمُّون
بالأَنُوق كلَّ شئ يفتات النَّجْو والزُّبُل ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرَّخْمِ
فى هذا المعنى [وحده] . وقال آخر :

يَا أَيُّهَا النَّاجِى نَبِّحَ الْقَبْلَ ^(٦) يَدْعُو عَلَى كَلِمَا قَامَ يُصَلُّ
رَافِعَ كَفِّهِ كَمَا يَفْرِى الْجُعْلَ ^(٧) وَقَدْ مَلَأَتْ بَطْنُهُ حَتَّى أَتَلَ
• غِيظًا فَا مَسَى ضَغْنُهُ قَدْ اعْتَدَلَ •

وَالْقَبْل : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَل . وقوله أَتَلَ ، أى امْتَلَأَ [عليك] غِيظًا
فَقَصَّرَ فى مِشِيَّتِهِ . وقال الجعدي :

مَنَعَ الْغَدَرَ فَلَمْ أَهْمَنْ بِهِ وَأَخُو الْغَدَرِ إِذَا هَمَّ فَعَلَ
خَشِيَةَ اللَّهِ وَأَتَى رَجُلٌ إِذَا ذَكَرَى كَنَارَ بَقْبَلٍ ^(٨)

١٥٩

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى ما يفتات » ط : « وهى تفتات » .

(٣) قَاظَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ صَيْفًا . وَيَنْخُوبُ : مَوْضِعٌ ، ذَكَرَهُ يَاقُوتٌ ، وَأَنشَدَ
الْبَيْهَتِ . وَالرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ : « مَطْلُوبٌ » . كَمَا فى اللِّسَانِ (طِيبٌ ، قَاظٌ) وَالْدِّمِيرِى
وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِ (٢ : ٢٥٠) ، وَهُوَ اسْمُ جَبَلٍ . ط ، س : « مَنْجُوبٌ »
تَحْرِيفٌ مَافِى ل .

(٤) ط ، س : « يَتَطِيبُ » ، صَوَابُهُ فى ل .

(٥) ط : « يَتَطِيبُ » ، وَلَيْسَتْ صَحِيحَةً . س : « يَمَسُّحُ » ، وَأَثْبَتَ مَافِى ل .

(٦) الْقَبْل : الْجَبَلُ يَسْتَقْبَلُكَ . أى كُنْ يَنْبَحِ الْجَبَلُ . ط ، س : « الْمَانَحَى نَهْجٌ »
صَوَابُهُ فى ل ، وَاللِّسَانُ (قَبْل) وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٤٩ .

(٧) يَفْرِى ، بِالْفَاءِ : يَصْنَعُ . ط ، س : « يَقْرِى » صَوَابُهُ فى ل وَالنَّوَادِرُ .

(٨) ل : « نَارَ بَقْبَلٍ » ، أَرَادَ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ .

وقال الرَّاجز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثرة الأكل ، وعِظَم^(١) حِجْمِ النَّجْو - :

* باتَ يَعْتَى وَخَذَهُ أَلْفَى جُعَل^(٢) *

وقال عنتره :

إذا لاقيتَ جمعَ بني أبان فلأني لائمٌ للجعدِ لاجي
كسوتُ الجعدَ جعدَ بني أبان ردائي بعد عريِّ واقتضاح^(٣)
ثم شبهه بالجعل فقال :

كَأَنَّ مَوْشَرَ الْعَصْدَيْنِ جَحَلَا هُدُوجَا بَيْنَ أَقْلَبِ مِلَاح^(٤)
تضمنَ نعمتي فغدا عليها بُكُورًا أَوْ تَهَجَّرَ فِي الرُّوَّاحِ
وقال الشماخ :

وإن يُلقِيَا شَاوَا بِأَرْضِ هَوَى لَهُ مُفَرَّضُ أَطْرَافِ الدَّرَاعَيْنِ أَفْلَجُ^(٥)

(١) س : « وبظم » .

(٢) قبله كما سبق في (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ما سمي الرداء ، وفي ذلك يقول متمم :

لقد كفن المَهْمالَ تحتِ ردائه فتي غير مِيطانِ المشيات ، أروعا

والرواية في ديوان عنتره : « سلاحي » . وكان عنتره أعار الجعد سلاحاً فأمسكه الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراي واقتضاحي » . وصوابه في ل ، س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عري الجعد واقتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجعل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س : « والديوان ، واللسان (أثر) : « حجلا » صوابه في ل واللسان (جعل ، قلب) والمخصص (١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذي يمشي رويداً في ضعف . ط ، س : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملوحة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى غير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأوا هاهنا : الرّوث ؛ كأنّه كثر [هـ] حتّى الحَقّه بالشأوا الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنقى البئر : أخرج من تلك البئر شيئاً أو شأوين ، يعنى من التراب الذى قد سقط فيها ، وهو شئ كهيئة الزبيل ^(١) الصّغير .

والشأوا : الطلّق ^(٢) . والشأوا : الفوت ^(٣) .

والمفرض الأفلج ^(٤) الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنّ الجعل فى قوائمه تحزير ، وفيها تفريج ^(٥) .

= (١٢ - ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفرض ؛

الحز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان

(فرض) . والأفلج : البعد ما بين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالخاء ،

وهو تحريف ما فى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مظلما :

ألا ناديا أظلمان ليلى تعرج فقد هجن شوقاً لبيت لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويا الجيم المسكورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صيحتان ، يقال زبيل ،

وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفّة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدّا طلقاً أو طلقين .

(٣) الفوت ، بالفتح : سبق . شآء : سبقه . ط ، س : « الفوت »

صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الفرج من

هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة في الجعل)

وللجعل جناحان لا يكادان يُرَيَانِ إِلَّا عند الطَّيْرَانِ ، لشِدَّةِ سوادهما ،
وشَبَههما بجلده ، وَلَشِدَّةِ (١) تَمَكُّنهما في ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عَدَّدَ الخَوَنَةَ ، وحثَّ الأميرَ (٢) على محاسبتهم :
واشدُّ يديكَ بزيدي إن ظفرتَ به

واشفِ الأراملَ من دُحروجة الجعلِ

والجعل لا يدرج إِلَّا جعراً (٣) يابساً ، أو بكرة .

وقال سعد بن طريف (٤) ، يهجو بلالَ بنَ رباحٍ مولى أبي بكر (٥) :

وذاك أسودُ نوبى له ذفرٌ كأنه جعلٌ يمشى بِقِرَواحٍ (٦)

وسند كر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء
الله تعالى .

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بمرأ » .

(٤) سعد بن طريف : صحابي ، ترجم له في الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ،
صوابه في ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشي ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده
المشرك ، ثم أعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة
عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه في ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر »
صوابه في ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو المقارب)

وكان بالكوفة رجلاً من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجْر الحضرمي^(١)
يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك^(٢) ، ولم تكن الكنية لقباً ولا نَبْزاً ، وكان من
١٦٠ الفُقهاء ، وله هيئة ورُواء. وسألته^(٣) : هل كان في آبائه من يكنى أبا الخنافس؟
فإن أبا المقارب^(٤) في آل سلم مولى^(٥) بني العباس كثيرٌ على أتباع أثر . وكان
أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذمء الخنفساء)

وقال لي [أبو] الفضل العنبري : يقولون : الضَّبُّ^(٦) أطول شيء
ذمء ، والخنفساء^(٧) أطولُ منه ذمء ؛ وذلك أنه يُغْرَزُ في ظهرها شوكةٌ
ثاقِبة^(٨) ، وفيها ذبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ^(٩) لأهل الدَّار ، وهي تدبُّ بها

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر في الإصابة في أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر
بضم الحاء — الحضرمي المتوفى في خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشيء سوى أنه روى
هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « سألت » .

(٤) ل : « أبا المقارب » ، تحريف .

(٥) س : « موالى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « نافلة » .

(٩) تصحيح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربما كانت في تضاعيف جبل قت ، أو في بعض الحشيش والعشب
والخلا ، فتصيرُ في فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضْغَمَ الخنفساء^(١) ، فإذا
وصلت إلى جوفه وهي حيّة جالت فيه ، فلا تموت حتى تقتله .
فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارى^(٢) والعُلوفاة^(٣) ؛ خوفاً
من الخنافس .

(هجاء جواس لحسان بن مجدل)

وقال جَوَّاسُ بْنُ الْقَعْطَلِ^(٣) فِي حَسَّانِ بْنِ بِحْدَلٍ^(٤) :

هَلْ يَهْلِكُنِي لَا أَبَاكَمِ دَنَسُ الثِّيَابِ كَطَابِخِ التَّدِيرِ^(٥)
جُعِلَ تَمْطَى فِي عَمَائِهِ زَمِرُ المَرْوَةِ نَاقِصُ الشَّبْرِ^(٦)
لِزَبَابَةٍ سَوْدَاءَ حَنْظَلَةٍ وَالْعَاجِزِ التَّدِيرِ كَالْوَبْرِ^(٧)

(١) ضغم يضغم ، من باب منع : عض .

(٢) الأوارى : جمع أرى ، وهو يحبس الدابة . ل : « الأوافى » تحريف . وفيها :
« يتمهدون » مكان « يتعاورون » .

(٣) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبي ، وله شعر في وقعة مرج
راحت سبق بعضه في ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعطل »
ل ، س : « المقعطل » صوابه ما أثبت من المؤلف ٧٤ والأغاني (١٧ : ١١٢)
والقاموس في مادتي (جوس ، قعطل) . وانظر اشتقاق الاسم في شرح العبري
للحجاسة (٤ : ٣٣) .

(٤) ط : « مجدل » س : « نحدل » وصوابه في ل . وكان حسان بن مجدل
أحد ولادة بني أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم
سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب
مع مروان بن الحكم .

(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .

(٦) العماية ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروءة : ضعيفها .
والشبر ، بالفتح : القد ، والطاء .

(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما في اللسان والدميري . يقول : =

فأما الهجاء والمدح ، ومفاخرة السودان [و] الحمران ، فإن ذلك كله مجموع (في كتاب الهجاء والصرحاء) .

و [قد] قدمنا في صدر هذا الكتاب جملة في القول في الجعلان وغير ذلك من الأجناس اللثيمة والمستفدرة ، في باب الثتن والطيب ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع ^(١) .

باب

القول في الهدهد

وأما القول في الهدهد ، فإن العرب والأعراب كانوا يزعمون أن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من برّه لأمه ! لأن أمّه لما ماتت جعل قبرها على رأسه ، فهذه القنزعة عوض عن تلك الوهدة .
والهدهد طائر مثنى الريح والبدن ، من جوهره وذاته ؛ فرب شيء يكون مثنى من نفسه ، من غير عرض يعرض له ^(٢) ، كالتيوس والحيات وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأما الأعراب فيجعلون ذلك الثتن شيئاً خامره بسبب ^(٣) تلك الجيفة

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياء .
وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا في ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه في ط ، س .

(٣) ط ، س . سبب .

التي كانت مدفونة في رأسه . وقد قال في ذلك أمية أو غيره^(١) من شعرائهم :
فأما أمية فهو الذي يقول :

تَعْلَمُ بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَصُنْعِهِ صَنِيعٌ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ^(٢) ١٦١
وَبِكُلِّ مَنْكَرَةٍ لَهُ مَعْرُوفَةٌ أُخْرَى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَمَّدُ^(٣)
جُدُّ وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عَلَامَةٌ وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ^(٤)
عَمَّنْ أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عِيَانَهُ لَا يَسْتَقِيمُ خُلَاقِي يَتَزَيَّدُ^(٥)
غِيَمٌ وَظُلُمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ أَزْمَانٌ كَفَنٌ وَاسْتِرَادَ الْهَلْدُهُدُ^(٦)
يَبْغِي الْقَرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّهَا فَبْنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يُمْنُهُدُ^(٧)
مَهْدًا وَطِينًا فَاسْتَقْلَّ بِحَمْلِهِ فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّذُ^(٨)
مِنْ أُمِّهِ فَجَزَى بِصَالِحِ حَمْلِهَا وَلِدًا ، وَكَلَفَ ظَهْرَهُ مَا تَقْفَدُ^(٩)
فَتَرَاهُ يَذْلَحُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ فِيهَا وَمَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمَسْنَدُ^(١٠)

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .

(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل في البيت تحريفا ، فإنه يخالف لما بعده في الوزن .

(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفقد » ، ل : « لاتقلد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عناها » .

(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استزاد : أصل معناها الخروج لطلب السكلا .

(٧) ط ، س : « يبق » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يحنها : يضعها في الجنن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاها » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هي خفيفة الحمل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتمقد » : نهاية الأرب : « ما يمقد » .

(١٠) يذلح ، بالحاء : يمشى بحمله مثقلا . ط : « يضح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنَّ الهدهد هو الذى كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعور الأرضين^(١) إذا أراد استنباط شئ منها .

(سؤال ومثل في الهدهد)

ويروون أنَّ نَجْدَةَ الحُرُورَى أو نافع بن الأزرق قال^(٢) لابن عباس :
إنَّك تقول إنَّ الهدهد إذا نقر الأرض عَرَفَ مسافة ما بينه وبين الماء ،
والهدهد لا يُبْصِرُ الفخَّ دُونَ التراب ، حتى إذا نقر التَّمْرَةَ^(٣) انضمَّ عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند :
الدهر . والجديد : الدائم الجسدة لا يبيل أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة في
قول الهذلي :

وقالت : لن ترى أبداً تليداً بعينك آخر الدهر الجديد
ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يبيلان أبداً . ط : « الجديد المنشد »
صوابه في جميع المصادر المتقدمة .

- (١) ط ، س : « الماء » . ل : « قعود الأرضين » ، وما في ل تحريف .
(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قال » . ونجدة هو ابن عامر الحُرُورَى الحنفي ،
كان من الخوارج الحُرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج بإيماة سنة ٦٦
في جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شاباً . ولد سنة ٣٦ وتوفي سنة
٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفي ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه
وفقيهم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التي اشتبكت مع المهلب بن أبي صفرة في
حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .
(٣) في ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفتح ! فقال ^(١) ابن عباس : « إذا جاء القدرُ عَمِي ^(٢) البَصْرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاء الحينُ غَطَّى العين ^(٣) » .

وإبن عباسٍ إن كان قال ذلك فإِنَّمَا عَنِ هُدْهُدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعِينُهُ ؛
فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهِ خِلَافُ الْقَوْلِ فِي سَائِرِ الْهُدَاهِدِ .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى ^(٤) .

وقد قال الناس في هُدْهُدِ سُلَيْمَانَ ، وَغَرَابِ نُوحٍ ، وَحِمَارِ عِزِيرٍ ، وَذَنْبِ
أَهْيَانَ بْنِ أَوْسٍ ^(٥) ، وغير ذلك من هذا الفن ، أَقَاوِيلَ ^(٦) ، وسنقول في ذلك
بجُمْلَةٍ من القول في موضعه [إن شاء الله] .

(يِلْتُ الْهُدْهُدِ)

وقد قال صاحبُ المنطقِ وَزَعَمَ في كتاب الحيوان ، أَنَّ لِكُلِّ طَائِرٍ
يَعِشُّ شِكْلًا يَتَّخِذُ عَشَّهُ مِنْهُ ، فيختلف ذلك على قدر ^(٧) اختلاف المواضع

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا في ط ، س وثمار القلوب : ل : « عَمِي » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذا جاء » صوابه في ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ — ٨٠) .

(٥) أهيان هذا ، هو أحد الصحابة . زَعَمُوا أَنَّ الذَّنْبَ كُلَّهُ ثُمَّ بَشَرَهُ بِالرَّسُولِ . قالوا :
كَانَ فِي غَمٍّ لَهُ ، فَعَدَا الذَّنْبَ عَلَى شَاةٍ مِنْهَا ، فَصَاحَ فِيهِ أَهْيَانُ ، فَأَقْعَى الذَّنْبَ وَقَالَ لَهُ :
أَتَنْزِعُ مِنْ رِزْقِكَ رِزْقِيهِ اللَّهُ ! ! . وانظر بقية الخبر في ثمار القلوب ٣٠٩ . مات
أهْيَانُ بْنُ أَوْسٍ فِي وَلايَةِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ حَيْثُ كَانَ وَالِيَا عَلَيْهَا لِمَعَاوِيَةَ . وذكر
ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري ، أَنَّ مَكْلَمَ الذَّنْبِ صَحَابِي آخِرُ اسْمِهِ أَهْيَانُ
ابن الأَكْوَعِ . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاول » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدد
من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نَقَلَ منه ، كما تنقل الأرضة من
التراب ، ويبني منه بيتاً ، كما تبنى الأرضة ، ويضع جزءاً على جزء^(١) ،
فإذا طال مُكثه في ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أوفى مثله^(٢) ، وتربى
ريشه وبدنه^(٣) بتلك الرائحة ، فأخلق به^(٤) أيضاً أن يُورث ابنه^(٥) الدنن
١٦٢ الذى علقه ، كما أورث جدّه أباه ، وكما أورثه^(٦) أبوه . قال : ولذلك
يكون متناً .

وهذا وجه أن كان معلوماً أنه لا يتخذ عشه إلا من الزبل .
فأما ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكون طيب الرائحة ،
كفارة المسك التى ربما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكون منن
البدن^(٧) ، كالذى يحكى عن الحيات والأفاعى والثعابين^(٨) ، ويوجد
عليه الثبوس .

(١) كذا فى ل . وفى س : « خرماء على خرم » ط : « خرم على خرم » .

(٢) ط ، س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ وللوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ؛ صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات فقط .

(اغتيالوس)

وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية اغتيالوس^(١) ، يحكم عشه ويتقنه ، ويجعله مستديراً مُدَاخِلاً كأنه كُرّة معمولة^(٢) . وروى^(٣) أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدّارصينيّ من موضعه ، فيفرش به عشه ، ولا يعيش إلا في أعلى الشّجر^(٤) المرتفعة المواضع . قال : وربما عمد الناس إلى مهام يشدون عليها^(٥) رصاصاً ، ثمّ يرمون بها أعشها ، فيسقط عليهم الدّارصينيّ ، فيلتقطونه^(٦) ويأخذونه .

(من زعم البحريين في الطير)

ويزعم البحريّون أن طائرَيْن يكونان ببلاد السّفالة^(٧) ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكن البحر من نفسه ، لخروجهم في متاجرهم^(٨) فيقول الطائر : قرب آمداً^(٩) ، فيعلمون بذلك أن الوقت قد دنا ، وأن الإمكان قد قرب .

(١) ط ، س : « اغتيالوس » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه في ل .

(٤) ل : « الشجرة » .

(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .

(٦) ل : « فليقطونه » .

(٧) السّفالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .

(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه في ل .

(٩) قرب : بالفارسية ، هي كلفظها العربي ومعناها العربي . وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقُدوم . ل : « أرت آمداً » . وانظر مثيل هذا في كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) في حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويحییٰ به طائرٌ آخر ، وشكل آخر ، فيقول : سمارو^(١) . وذلك في وقت رجوع من قد غاب منهم ، فيسمُّون هذين الجنسين من الطَّير : قرب^(٢) ، وسمارو ، كأنَّهم سمَّوهما بقولهما ، وتقطيع أصواتهما ، كما سمَّت للعربُ ضرباً من الطَّير القطا ؛ لأنَّ القطا كذلك تصيح^(٣) ، وتقطيع أصواتها^(٤) قطاً ، وكما سمَّوا البيغاء بتقطيع الصَّوت الذي ظهر منه^(٥) .

فیزعمُ أهلُ البحر أنَّ ذینک الطائرین لا یطیر أحدهما أبداً^(٦) إلاَّ فی إناث ، وأنَّ الآخر لا یطیر أبداً إلاَّ فی ذکورة .

(وفاء الشفینین)

وزعم لی بعضُ الأطباءَ ممَّن أصدَّق خبره ، أنَّ الشَّفینین إذا هلکت أنثاه^(٧) لم یتزوَّج وإن طال علیه التعزُّب . وإن هاج سفد^(٨) ولم یطلب الزَّواج .

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والبيغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أن أحد ذینک الطائرین لا یطیر أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفد » تحریف ماق ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرَين ، أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطِر قطّ ،
والآخر وافي الجناحين ، ولكنه من لدُن ينهض للطيران فلا يزال يطيرُ ويقطات
[من (١)] الفراش وأشباه الفراش ، وأَنَّهُ لا يسقط إلاّ ميّتاً . إلاّ أَنَّهُم ذكروا
أَنَّهُ قصير العمر .

(كلام في قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني (٢) ، وإن
كنت لا أعرف الوجهَ في أنَّ طائراً ينهض من وكراه في الجبال (٣) ، أو بفارسَ
أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمد نحو بلاد الدارصيني (٤) ، وهو لم يجاوز موضعه ولا
قربَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الآوابد [أو من
القواطع (٥)] . وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصَّحَّصانَ الأملس (٦)

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدارصيني » ، وكلمة « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : امم للإقليم الذي يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمدان والدينور
وقرميسين والرى . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندي يكون بتخوم الصين ينتفع بقشره ذى الرائحة العطرية . ولفظه
معرب من « دارجيني » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصَّحَّصان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبطون الأودية ، وأهضام الجبال^(١) بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السمّت ، لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه . وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه^(٢) ، ما يصير فراشاً له ومهاداً ، إلا باختلاف الطويل^(٣) . و [بعد فإنه] ليس بالوطىء الوثير^(٤) ، ولا هو له بطعام .
فأنا وإن كنت لا أعرف العلة [بعينها] فلست أنكر الأمور من هذه الجهة . فاذكر هذا^(٥) .

(قول أبي الشيص في الهدهد)

وقال أبو الشيص في الهدهد^(٦) :

لا تأمننَّ على سرى وسركم غبرى وغيرك أوطى القراطيس^(٧)
أو طائرٍ ساحليه وأنعته مازال صاحب تنقير وتدسيس^(٨)

- (١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . في الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .
- (٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .
- (٣) ل : « باختلاف طويل » .
- (٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
- (٥) ط ، س : « فأنكر هذا » صوابه في ل .
- (٦) الأبيات في نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميرى وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .
- (٧) أى وغير طى القراطيس .
- (٨) في الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتى . وأثبت ما فى نهاية الأرب والدميرى . ساحليه ، بالحاء : سأنعته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميرى ونهاية الأرب : « ساجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل بمنقاره فى الأرض بحثاً عن قوته . فى الأصل : « تأهيس » ، وصوابه فى النهاية . وفى الدميرى : « تدريس » !

سودٍ برائنه ، ميلٍ ذوائبه صُفر حاليقه ، في الحسنِ مغمُوس^(١)
قد كانَ همَّ سليمانَ ليدبَّحه لولا سِعايته في ملك بلقيس^(٢)
وقد قدّمنا في هذا الكتاب في تضاعيفه^(٣) ، عدّة مقطّعات في أخبار
الهدم^(٤) .

باب

القول في الرخم

[و] يقال : إنّ لثامَ الطير ثلاثة : الغريبان ، والبوم ، والرّخم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّهُ قيل للرّخمة : ما أحملك ! قالت : وما حُمتي ، وأنا أقطّعُ
في أوّل القواطع ، وأزجّع في أوّل الرّواجع ، ولا أطيّر في التّحسير^(٥) ،

(١) برائنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حاليقه : جفوله .

(٢) ل : « لولا سياته » .

(٣) في ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدّمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق في (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطيّر إلا في التّخيير » ، وصوابه في ط والجزء السابع ١٩ ولشّال
الميداني . والتّحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشكير^(١) ، ولا أسقط على الجفير^(٢) .

وقد ذكرنا تفسير هذا^(٣) : وقال الكميت :

إذ قيل يا رَحَمَ انطقى في الطير ، إنك شرُّ طائر^(٤)

(بعض ملوك المعجم والجُلندى الأزدي)

وقال أبو الحسن المدائني : أمر بعض ملوك المعجم الجُلندى بن عبد العزيز الأزدي ، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة^(٥) ، فقال له : صيد لي شرَّ الطير ، واشوه بشرَّ الخطب ، وأطعمه شرَّ الناس . فصاد رخمة وشواها بيعر ، وقرَّبها إلى خوزي^(٦) . فقال له الخوزي^(٧) : أخطأت

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لا يغرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالتكير » س : « بالتكير » صوابه في الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميداني (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جعبة السهام . ط : « الحقيير » صوابه في ل ، والجزء السابع وأمثال الميداني . وهى لا تسقط على الجعبة لعلمها أن فيها سهاماً .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ - ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انطقى يارحَمَ فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة ، فقيل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطق ! انظر الديمرى .

(٥) ل : « عجردة » . وفى الإصابة ٢٢٩٢ : « عبد جل » . والجُلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال الورد المجاورة لأصهبان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » . ط ، س : « خوزى » ل : « حوفى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزى » ، ل : « الخوذى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

في كلِّ شيء أمرك به الملك : ليس الرِّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ الحطَب ، وليس الخوزيُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصِدْ بومة^(١) ، واشوها بدفلى^(٢) ، وأطعمها نبطياً ولدَ زنى . ففعل ، وأتى الملك فأخبره ، فقال : ليس يُحتَاجُ إلى ولدِ زنى ! يكفيه أن يكون نبطياً^(٣) !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوى على الرِّخمة ، والرخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرِّخمة تلمس لبيضها المواضع البعيدة ، والأماكن الوحشية ، والجبال الشاخنة ، وصدوع الصَّخر . فلذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال .

(ما قيل في بيض الأنوق)

وقال عتبة بن شماس^(٤) :

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَوْلَى بَأْنُ يَكُونُ حَقِيقاً^(٥)

١٦٤

(١) ط ، ص : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلى - كذا كرى : نبت مرقات . *

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتي في معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لي بشر طغام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مألحة على حمار مع خوزي » .

(٤) كذا في س والكامل ٣٩٩ ليسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفي ل : « عتبة بن أسماء » وكتب

بعدها بخط صغير « أخرى : عتبة بن شماس » . ط : « عتبة بن شماس » .

(٥) وكذا في سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أخرى » .

مَنْ أَبَوْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَ^(١)
 رَدَّ أَمْوَالَنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَفُوتُ الْأَنْوَقَ^(٢)
 وَطَلَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْقَرِيضَةَ مِنْ مَعَاوِيَةَ فَجَادَ لَهُ بِهَا^(٣) ، فَسَأَلَ^(٤)
 ثَوَلِدَهُ ، فَأَبَى ، فَسَأَلَ لَعَشِيرَتَهُ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
 طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ^(٥)
 وَلَيْسَ يَكُونُ الْعَقُوقُ إِلَّا مِنَ الْإِنَاثِ ، فَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْبُلُقِ كَانَتْ
 بِلِقَاءِ . وَ [إِنَّمَا^(٦)] هَذَا كَقَوْلِهِمْ : « زَلٌّ فِي سَلَى جَمَلٍ^(٧) » ، وَالْجَمَلُ لَا يَكُونُ
 لَهُ سَلَى^(٨) .

- (١) يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هي أم عاصم بنت
 عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وهيون نسبة في
 كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .
- (٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفي ل ، س : « تفوق الأنوقا » .
 ويروى : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .
- (٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى في الإصابة ١٠٩٨ .
- (٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما في ل .
- (٥) ط ، والكاميل والشرشي (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت في ط وضع
 النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذيه .
 والمعقوق : من صفات إناثها ، وهي الحامل التي امتلأ بطنها . والأنوق : هي الرخة . وانظر
 ما سبق من الكلام على الأنوق في (١ : ٢٣٥) .
- (٦) من ل ، س .
- (٧) السل : ما تلقى الناقة إذا وضعت : وهي جليلة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل
 يضرب في بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أي وقع في شر لا مثيل له . زل : زلق .
 ولفظ المفل في الميداني واللسان : « وقع القوم في سل جمل » . ويقال : « وقع
 في سل جمل » . وفي القاموس : « وقموا في سل جمل » .
- (٨) كتبت هذه الكلمة في الأصل في الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بيض الأنوق ، ولكن ذلك قليلاً^(١) ما يكون ، وأقل من القليل ، لأن بيضها في المواضع الممتعة ، وليست فيها منافع فيتعرض في طلبها^(٢) للمكررة .

وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنه قدم في اللفظ بيض الأنوق ، فقال : « طلب بيض الأنوق ، فلما لم يجده طلب الأبلق العقوق » .

(ما يسمى بالهدهد)

وأما قول ابن أحر :

يمشى بأوظفةٍ شديدةٍ أسرها شَمَّ السنايك لا تبقى بالجدجد^(٣)
إذ صَبَّحتَه طاوياً ذا شِرَّةٍ وفؤاده زجلٌ كعَرَفِ الهُدُهد^(٤)

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه في ل .

(٣) ط ، س واللسان (وق) : « تمشى » صوابه في ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شَمَّ : عاليات . والسنايك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وق الحافر يق وقياً ، من باب رمى : حقى ورق من غلط الأرض . وقيل : لا تقى بالجدجد : لا تتوقاه ولا تنبيهه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنايك » صوابه في ل ، س واللسان (وق) . وروى : « صم » كما في اللسان (جدد) . ط : « لا يقى » س : « لا تقى » ، صوابه في ل واللسان في موضعيه .

(٤) ط : « قد أصعبته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما في ل . وفي اللسان : « ثم افتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « زجل » . عَرَفَ : والصوت : ط ، س : « كعرف » ل : « كعرق » . محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألا يكون غنى بهذا الهدهد^(١) ، لأنَّ ذكورة الحمام وكلَّ شيء غنى^(٢) من الطير وهدر ودعا ، فهو هُدهُد. ومن روى « كَعَزَفِ الْهَدَّهِدِ » فليس من هذا في شيء^(٣) .

وقد قال الشاعر في صفة الحمام :

وإذا استَشَرْنَ أَرْنَ فيها هدهُدٌ مثلُ المداكِ خضبتَه بجِسَادِ^(٤)

(قصة في ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجلٌ ذميمٌ^(٥) فنزَّوجت الدَّمِيمَ^(٦) لِماله ، وتركته ، فقال^(٧) :

(١) كذا على الصواب في ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ، س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه في ل .

(٣) الكلام من بدل « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة في أصلها : « ومن أراد كمر ف... الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة في اللسان (هدد) . قال في تفسيرها : « والهدهد قيل في تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له »

وفي القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وممنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ،

س : « المداك » صوابه في ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جملة كالمداك في ملاسته وصلابته .

(٥) الذميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه في ل ، س .

(٦) ط : « الذميم » صوابه في ل ، س .

(٧) الشعر منسوب في حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية ويعلمها . والبيتان في الكامل ٢٧٢ ليساك .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُونَنِي بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقًّا سَهْلًا^(١)

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة ، كالخنازير ، والدجاج
والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ^(٢) الجعل والرحمة .

(بعض ما يأكل الأعراب من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كِرْكِرَةَ^(٣) ،
وعنده أعرابيٌّ ، فجرى ذكر القرنبى . قال : فقلت له : أتعرف القرنبى ؟

(١) القرنبى : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفي قوائمها طول على الخنفس . وهو
مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متبعاً . ط ، س ، والدميمى :
« يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه في ط ، س .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت
في معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطى في بغية الوعاة
قال : كان يعلم في البادية ، وورق في الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب
قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن منذر يقول : كان الأصمعى يجيب في ثلث اللغة ،
وأبو عبيدة في نصفها ، وأبو زيد في ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عني
توسيعهم في الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات .
وقد جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر
ابن كركرة » ، صوابه في ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : وما لي لا أعرف القرنبي ؟ ! فوالله لربما لم يكن غَدائِي (١) إلا القرنبي
يُحْسَسُ لِي (٢) . قال : فقلت [له] : إنها دويبة تأكل العذرة . قال :
ودجاجكم تأكل (٣) العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيين لبعض الأعراب : [أ] تأكلون الحياتِ
والعقاربَ والجعلانَ والخنافس (٤) ؟ فقال : نأكل كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا أُمَّ حُبَيْن .
[قال] : فقال المدني : « لَتَهْنِ أُمَّ الْحُبَيْنِ الْعَافِيَةِ (٥) » .

قال : وحدثنا ابن جريج (٦) ، عن ابن شهاب (٧) ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من الدوابِّ أربعٌ لا يُقتلن : النملة ، والنحلة ، والضرد ، والمدهد » .

القول في الخفاش

فأول ذلك أن الخفاش طائر ، وهو مع أنه طائرٌ من عَرَضِ الطير
فإنه شديد الطيران ، كثير التكفي في الهواء ، سريع التقلب فيه ، ولا

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غَدائي » وأثبت ما في س .

(٢) يحس : يوضع على الجمر . ط : « يحشش » بحرف يحشش التي هي بمعنى :
« يحس » . س : « تحشش في فئ » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه في ل . وفي ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
القرشي ، قالوا : أول من صنف الكتب في الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ .
في قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طعمه إلا من البعوض ، وقوته إلا من الفراش^(١) [وأشباه
الفراش] ، ثم لا يصيده إلا في وقت طيرانه في الهواء ، وفي وقت سلطانه ،
لأن البعوض إنما يتسلط بالليل . ولا^(٢) يجوز أن يباغ ذلك إلا بسرعة
اختطاف واختلاس ، وشدة طيران ، ولين أعطاف وشدة متن ، وحسن
تأث ، ورفق في الصيد^(٣) . وهو مع ذلك كله^(٤) ليس بذي ريش ، [و] إنما
هو لحم وجلد . فطيرانه بلا ريش عجب ، وكلما كان أشد كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة . وهو طائر ضعيف
قوى البصر ، قليل شعاع العين الفاضل^(٥) من الناظر . ولذلك لا يظهر
في الظلمة ؛ لأنها تكون غامرة لضياء بصره ، غالبية لمقدار [قوى] شعاع
ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأن بصره ليضعف ناظره يلتمع في شدة بياض
النهار^(٦) . ولأن الشيء المتلائي صار^(٧) لعيون الموصوفين بمحنة البصر ،

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأني : الترفق . س : « تأني » ط : « تأني » ل : « التأني » ، ووجهه

ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين

الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأني والرفق في الصيد » .

(٤) ل : « وهو في ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره يلتمع في شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « يعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تكرار الباء .

ولأنَّ شعاعَ الشمسِ بمخالفة^(١) مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشعاع
ناظره ، ومفرقاً^(٢) له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج
إلى الكسْب والطَّعم ، التمس الوقتَ الذي لا يكون فيه من الظلام ما يكون
غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضياء ما يكون مُعْشياً^(٣) رادعاً ، ومفرقاً
قامعاً^(٤) . فالتمسَ ذلك في وقت غروب القرص ، وبقيّة الشفق ؛ لأنَّه
وقت^(٥) هيّج البعوض وأشباه البعوض ، وارتفاعها^(٦) في الهواء ، ووقت
انتشارها في طلب أرزاقها^(٧) . فالبعوض يخرج للطَّعم ، وطعمه دماء الحيوان ؛
وتخرج الخفافيش^(٨) لطلب الطَّعم ، فيقعُّ طالبُ رزق على طالب رزق ،
فيصير ذلك هو رزقه^(٩) . وهذا أيضاً ممّا جعل الله في الخفافيش^(١٠)
من الأعاجيب .

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومفرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون معشياً » ، صوابه
في ل ، س .

(٤) ط : « ومفرقا » ، صوابه في ل ، س . و « قامعا » هي في ط ، س :
« مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه في وقت » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخفافيش » ، صوابه في ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السك^(١) الآذان والمسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦
أنها تبيضُ ببيضاً ، وأنَّ كلَّ أشرف [الآذان] فهو يلد ولا يبيض .
ولا ندرى لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرفُ الآذان^(٢) [ولَد] ، وإذا
كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حَجْمُ ظاهر ، وشَخُوص^(٣) بَيْن . و [هى و] إن
كانت من الطير فإنَّ هذا لها ، وهى^(٤) تمجبل وتلد ، وتمحيض ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقززون^(٥) من الأرناب والضباع ؛ لمكان الحيض .
وقد زعم صاحب المنطق أنَّ ذوات الأربع كلها تحيض ، على اختلاف
فى القلَّة والكثرة^(٦) .

(١) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلة . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « يتقذرون » . والتقذر : أن يرى الشيء قدراً ، يقال تقذره لاتقذره منه .

فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرَّقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنها تحمله تحت جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهى تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهمُرك^(١) ، وسباع الطير .

(معارف فى الخفّاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتامت الخفافيش^(٢) فتحمل معها الولدين جميعاً ، فإنَّ عظمًا عاقبت بينهما .

والخفّاش من الطَّير ، وليس له منقار مخروط^(٣) ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع^(٤) وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حديد صلاب [مرصوفة^(٥)] من أطراف الحنك ، إلى أصول الفك ، إلا ما كان فى نفس الخطم^(٦) .

وإذا قبضت على الفرخ وعَضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذرْب^(٧) أسنانها ، فعرفت أى نوع ينبغى أن يكون ذلك العض ، فتجعله أَرْمًا ،

(١) الشاهمرك سبق تفسيره فى ص ٣٣٦ .

(٢) أتامت : ولدت اثنين فى بطن واحد . ط ، س : « أرتمات » ، صوابه فى ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) الذرْب : الحدة . ط ، س : « درْب » ، صوابه فى ل .

ولا تجعله عضاً ولا تنبيهاً ولا ضغماً^(١) ، كما تفعل الهرة بولدها ؛ فإنها مع ذرب أنيابها ، وحدة أظفارها ودقَّتِها^(٢) ، لا تحْدش^(٣) لها جلدأ ؛ إلا أنها تُمْسِكُها ضرباً من الإمساك ، وتَأْزِمُ عليها^(٤) ضرباً من الأزم قد عرَفْتِه .
ولكلُّ شئٍ حدُّ به يصلح ، وبمجاوزته والتقصيرِ دُونَه يفسد .

وقد نرى الطائر يغوصُ في الماء نهاره ، ثم يخرج منه كالشَّعْرة سَلَلَتْها من العجين ، غيرَ مبتلِّ الرِّيش ، ولا لثِقِ الجناحين . ولو أن أرفقَ الناس رِفْقاً ، رَاهَنَ على أن يغمس طائراً منها في الماء غمسةً واحدةً ثمَّ خَلَّى سِرْبَه^(٥) ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجَّن^(٦) الرِّيش ، مُفْسَدَ النظم^(٧) ، منقوصُ^(٨) التأليف . ولكان أجودَ ما يكون طيراناً أن يكون كالجاذفِ^(٩) . فهنا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

(١) الأزم : القبض بجميع القم . والتنبيط : العض بالناب . والضغم : العض الشديد .

ط ، س : « ولا نشباً ضغطياً » س : « ولا نشباً ضغطاً » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه في ط ، س . ط ، س : « ورقتها » صوابه في ل .

(٣) ط : « تندش » ، صوابه في ل ، س .

(٤) عليها : أى على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . في المصباح : « والولد بفتحيتين كل ما ولده شيء . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والجمع » .

ط ، س : « عليه » ، صوابه في ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ، صوابه في ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حل سرتها » س : « خلى سربها » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س : « متعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه في ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجاذف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س : « كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الفياق^(١) ، وأقلاب النخل ،
وأعلى الأغصان ، ودغل^(٢) [الغياض و] الرياض ، وصُدوع^(٣) الصَّخَر ،
وجزائر البحر ، ويجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت^(٤) إلى
بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصنه ، وإلى أبعد المواضع من
مواضع الاجتياز^(٥) ، وأعراض الحوائج .

(طول عمر الخفافش)

ثمَّ الخفَّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز
١٦٧ في ذلك^(٦) العقاب والورشان إلى النسر ، ويجوز^(٧) حد الفيلة والأسد وخير
الوحش ، إلى أعمار الحيات .

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه
ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط :
« وتبسط » صوابه في ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودغل » ، وهى صحيحة بضمط
الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه في ل ، س .

(٥) ط ، س : « أالاختبار » ، صوابه في ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « ويجوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش^(١) أن أبصارها تصلح على طول العمر ، ولها صبر^(٢) على [طول] فقد الطعم . فيقال^(٣) إن اللواتي يظهرن في القمر^(٤) من الخفافيش المسنات المعمرات ، وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهن على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجسم وتقبل الشحم^(٥) على الكبر وعلى السن .

(القدرة التناصلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحب المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت في السن كان أقوى لها على المعاظلة .

وهذا غريب جدا ، وقد علمنا أن الغلام أحد ما يكون وأشبق وأنكح وأحرص ، عند أول بلوغه . ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة^(٦) .

ولا يزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة^(٧) شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامتهن^(٨) . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه في ل .

(٤) ل : « القمر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاذ الماء . وكلية « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه في ل .

(٨) ل : « علامتهن » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حَدَّ النَّصَفِ^(١) فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه ؛ فإِثْمًا تهيج الكهلة عند سُكُونِ هَيْجِ الكهل^(٢) وعند إِدْبَارِ شهوته ، وكلالِ حَدِّه .

(قول النساء وأشباههن في الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش ، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عضَّ الصبيَّ لم ينزع سنُّه من لحمه حتى يسمع نقيقَ حمارٍ وحشيٍّ^(٣) . فما أنسى فزعى من سنٍّ^(٤) الخفاش ، ووَحْشِيٍّ من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضئف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذوات الأربع ما يكون فاقد^(٥) البصر بالليل ، ومنها ما يكون سيئ البصر . فأما [قولهم] : إِنَّ النَّارَةَ وَالسَّنَّوْرَ وَأَشْيَاءَ آخَرَ أَبْصُرُ بِاللَّيْلِ ، فهذا باطل^(٦) .

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمسة وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هي في ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هي في ط : « تهيج » .

(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت ما في ط ، س .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط : « ناقد » وفي ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق في ٢٣٧ ص ١٣ .

والإنسان ردىء البصر بالليل ، والذي لا يبصر منهم ^(١) بالليل تسميه الفرس
شَبْ كُور ^(٢) وتأويله أنه أعمى ليل ^(٣) ، وليس له في لغة العرب اسم
أكثر من أنه يقال لمن لا يبصر بالليل [بعينه] : هَدِيد ^(٤) . ما سمعت
إلا بهذا ، فأما الأغطش ^(٥) فإنه السبي البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةً الْعَيْنِ ^(٦) فكانت رديئة البصر ، قيل لها : جَهْرَاءُ .
وأنشد الأصمعي في الشاء ^(٧) :

جَهْرَاءُ لَا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِي ^(٨)

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين « أوطما » « شَب » بفتح الشين ومعناه الليل .
والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ،
والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما في ل
وقد زيد في ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت
كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكذا في القاموس المحيط
والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء .
وفي اللسان : « المفضل : الهديد : الشبكرة . وهو العشاء يكون في العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه في ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهديد »
وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن السكيد قطعة
وقلاهما ، وقد عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفته الأعلى بسبابته :

فيا سناما وكيد ألا اذهبا بالهديد

ليس شفاء الهديد إلا السنام والسكيد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعكش » ، صوابه في ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه في ل .

و « العين » هي في ط : « العتق » محرفة .

(٧) ط ، س : « في غير النساء » وأثبت ما في ي . والبيت الآتي قاله أبو العيال
الهللي ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهللي . انظر بقية أشعار الهلليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هي » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هي في ط ، س :
« نظراً » .

وذكروا أَنَّ الأَجْهَرَ الَّذِي لَا يَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ ^(١) . وَقَوْلُهُ لَا تَأْلُوْا أَيُّ
لَا تَسْتَطِيعُ . وَقَوْلُهُ أَظْهَرْتُ : صَارَتْ فِي الظَّهِيْرَةِ . وَالْعَيْلَةُ : الْفَقْرُ . قَالَ :
يَعْنِي بِهِ شَاةٌ ^(٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ ، فِي هَجَاءِ بَعْضِ [آل] الصَّعِقِ :
يَا لَيْتَنِي ، وَالْمَنَى لَيْسَتْ بِمَغْنِيَةٍ ، كَيْفَ اقْتِصَاصُكَ مِنْ ثَارِ الْأَحَابِيْشِ ^(٣)
١٦٨ أَتَسْكُحُونَ مَوَالِيَهُمْ كَمَا فَعَلُوا أُمَّ تَغْمِضُونَ كَأَغْمَاضِ الْخَفَافِيشِ ^(٤)
وَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ ، وَهُوَ مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٥) :

أَنَا بِالْأَهْوَازِ مُحْزَوْ نٌ وَبِالْبَصْرَةِ دَارِي ^(٦)
فِي بَنِي سَعْدٍ وَسَعْدٍ حَيْثُ أَهْلِي وَقَرَارِي
صَرْتُ كَالْخَفَاشِ لَا أَبْصِرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ^(٧)
وَقَالَ الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ :

وَقَدْ غَبَرَ الْعَجْلَانَ حِينًا إِذَا بَكَى عَلَى الزَّادِ أَلْقَتْهُ الْوَلِيدَةُ فِي الْكِسْرِ ^(٨)

-
- (١) ل : « أَنْ الْجَهْرَاءُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ » .
(٢) ط ، س : « نَسَاءٌ » ، صَوَابُهُ فِي لِم .
(٣) ط ، س : « مِنْ نَارٍ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْأَحَابِيْشُ : طَائِفَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، هُمُ
بَنُو الْمَصْطَلِقِ وَبَنُو الْهَوْنِ بْنِ خَزِيمَةَ .
(٤) ل : « تَغْمِضُونَ كَأَغْمَاضِ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، س .
(٥) تَقْلَمْتُ تَرْجُمَتَهُ فِي (١ : ٢٢٥) . ل : « وَقَالَ مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا أَبُو الشَّمَقْمَقِ
الْفَتْحُ الْبَارِدُ » .
(٦) ل : « مُحْزَوْنٌ » .
(٧) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . ط : « إِلَّا فِي النَّهَارِ » ، س : « إِلَّا فِي نَهَارِي »
(٨) أَلْقَتْهُ : أَيُّ الزَّادِ . وَالْكِسْرِ ، بِالْكَسْرِ : جَانِبُ الْبَيْتِ . وَفِي شَرْحِ الدِّيَوَانِ ١ : ٢٩ :
« الْهَاءُ فِي أَلْقَتْهُ عَائِدَةٌ إِلَى الْعَجْلَانِ » ، وَلَعَلَّ وَجْهَ التَّفْسِيرِ مَا ذَكَرْتُ .

فيصبح كالحفّاش بذلك عينه فقَبَّحَ من وجه لئيم ومن حَجَرٍ^(١)
وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الحفّاش^(٢) ، والجمع سحاً^(٣) كما ترى .

(لغز في الحفّاش)

وقالوا في اللغز ، وهم يعنون الحفّاش :
أبى شعراء الناس لا يُخبروننى وقد ذهبوا في الشعر في كلّ مذهب^(٤)
بجلدة إنسانٍ وصورة طائرٍ وأظفارٍ يربوعٍ وأنيابٍ ثعلب^(٥)

(النهي عن قتل الضفادع والحفّاش)

هشامُ الدّستوائى^(٦) قال : حدّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن
عبد الله بن عمر أنّه قال : « لا تقتلوا الضفادع فإنّ تقيقهنّ تسيح . ولا تقتلوا
الحفّاش فإنّه إذا خرب بيت المقدس قال : يارب سلّطنى على البحر حتّى أغرقهم » .

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابي : « أراد بحجر العين » . وبحجر العين : مادار
بها من العظم . ط : « من وجهه » محرقة . ل : « لعين » بدل « لئيم »
وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسمع الحفّاش » صوابه في ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .
(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرهما مع المد . اللسان ، والمقصود والممدود .
(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه في نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .
وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروننى » ، صوابه
في ل . وفي نهاية الأرب : « أن يخبروننى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً :
« وقد ذهبوا في العلم » .

(٥) الربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب
كذنب الجرذ يرفعه صعداً ، في طرفه شبه النواة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى .
وكان يرى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة^(١) قال : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى ، قَالَ :
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : « لَا تَقْتُلُوا الْخُفَّاشَ ؛ فَإِنَّهُ اسْتَأْذَنَ فِي الْبَحْرِ »^(٢) :
 أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَائِهِ فَيَطْفِئُ نَارَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَيْثُ حُرِّقَ . وَلَا تَقْتُلُوا الضَّفَادِعَ
 فَإِنَّ نَقِيْقَهَا تَسْبِيْحٌ » .

[قَالَ] : وَ [حَدَّثَنَا] عُمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ^(٣) قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ
 يَقُولُ : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الْوُطُوْاطِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ
 الْأَوْزَاغِ » .

قال : والخفّاش يأتي الرُّمَّانة وهي على شجرتها ، فينقب عنها^(٤) ،
 فيأكل كلّ شيء فيها حتى^(٥) لا يدع إلّا القشر وحده . وهم يحفظون
 الرُّمَّانَ من الخفافيش بكلّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التي كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والياء بينهما سين
 ساكنة ، وهي من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون
 سنة . ط : « صاحب الدستواي » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال :
 الدستواي ، وصاحب الدستواي ، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ١٥٥) . وأما
 الكلمة الثانية فهي تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب
 وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر في (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصري ، كان من ثقات رواة الحديث .
 ويقال : إنه كان عالماً بالبحر والعربية ، وإن سيوبه استمل عليه . توفي سنة
 ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه في ل وتقريب
 التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدّثنا حماد بن سلمة » . وفي
 العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشي » ، صوابه في ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فينقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهي الجزء الثالث من نسخة كوبريل ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةً للشواهيـن والصُّقُورَة والبوازي^(١) ،
ولسـكثير من جوارح الطير ، وهى تسمـن عنها ، وتصحّ أبدانُها عليها .
ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ الشَّفْع ، بيِّنُ الأثر . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

تمّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله^(٢)] فى الذرّ

(١) ط ، س : « قال والهازى » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .

تذييل واستدراك

- | صفحة | سطر | |
|------|-----|---|
| ٢٠ | ٤ | « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ » . هو مثل عربي قديم . وهو بتمامه : « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ وكلُّ غير خير » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثم طلقها فتزوجت آخرَ ظهر أنه أعرج . فقالت المثل المذکور . يُضْرَبُ في الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا في أمثال الميداني ، ولكن المناسب هنا ما قال العسكري في جمهرة الأمثال ١٦٥ : « يُضْرَبُ مثلاً في الخلتين المكروهتين ، والرجلين الرديين » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميداني . وصاحب معجم البلدان رواه : « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ وثالثٌ ليس فيه خيرٌ » ، ورأى أن كَسِيراً وعويراً جبلان في البحر ، بين البصرة وعمَّان يشفقون على المراكبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير » |
| ٩١ | ٤ | معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظَ منه أمس »
انظر المراجع التي أشرنا إليها في التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) |
| ١٠١ | ٢ | « يجوع » هي كذلك في ط ، س . وفي ل : « بجوخي » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمد : موضع بالبادية في ديار بني عجل كان يسلكه حاجٌ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء . |

والثاني جُوخَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد
بغداد . انظر معجم البلدان

١٧٠ ١ سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى

عن « أبى ريانوس » فكتب إلى : « هو على الحقيقة :

(أبيرْيُونيس) أى منسوب إلى : Hyperion

المسمى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » .

وما « عاليوس » إلا « على » أو « عال » كسعت بعلامة الإعراب

فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو

أو الطول أو الارتفاع . فالدجاج « أبى ريونوس » أو « أبير يونوس »

هو ما يسميه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَائى بمعنى الهَرَوَى ؛

لأن ديكها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها

وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .

١٨٧ ٩ « الطبرزين » قال العلامة الأب أنستاس : ليس فى العربية طائر

باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها

بالدال ، أى « دُبَرَادِران » أو « دُبَرَادِران » ومعناها الأخوان ؛

لأن « دو » بلفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادَر » الأخ ،

و « ان » للجمع أو للتثنية ؛ إذ لافرق عند الفرس بين المثنى والجمع .

والحمام لا يخاف الدبرادران ولا الكركى ، كما هو مقرر فى علم

الطير . واسم الدبرادران العربى هو الزَّمَج ، وسمّاه الفرس ما معناه

الأخوان ؛ لأنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

بلسان الغربيين من الإنجليز : Goshawk وبالفرنسية : Autour .

٣٧٠ ٤،٣ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم الجوس ، فكتب إلى فى ٢٧/٨/٣٩ ما نصه : « وعندى أن هذا الجوسى استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوةً للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبرت أحسن تدبر هذه الأوضاع التى نفثها صدره ، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتويه ، لشفت لك عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى ألبسته .

ونحن نؤيد لك صادق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العربى والغربى وشرح معانيها ، فنقول :

١ - أبو سألَس : hyposalos أى تحت البحر، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ - أبرمَّا كِس : hyhermakèc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ - أهرِيدُس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيب غاية الطيب .

٤ - كارِس : kherès أى السبيء الممقوت .

٥ - حَرِيرَة آمِنَس : arèra amenès أى المناسب الخوار .
وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أسمِس asyrès أى النجس .
ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالماً سابعاً ليقابل
بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة
أو الأفلاك السبعة ، وسمّوه : أبُوجايُوس : hypogaios
أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٢٧/٨/٣٩ .

٣٧٤ ٩ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألباس :

« وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ .
وكلمة « الألباس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير
الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب
الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى
هو الألباس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .

٤١٤ ٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها .

ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور :

« اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢ .

ولا موجب للقول بأنها « ميسر » .

٤٥٢ ٤ « فقلت لبقر » كلمة « بقر » ذات مغزى خاص في التشاؤم
وتجد في نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلقى
بقرا فليرجع » ، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النص نقله
النويري عن الجاحظ . انظر باب الزجر في نهاية الأرب (٣ :
١٣٤-١٤٣) .

٤٥٨ ٢ الأترج : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما
يغرس غرسا ولا يكون برياً ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ،
وهو صنفان : نفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ،
فيه يقول أبو القاسم الزاهي :
وذات جسم من الكافور في ذهب

دارت عليه خواشيه بمقدار
كانها وهي قدامى ممثلة في رأس دوحها تاج من النار
ويقول آخر :

يا حبذا أترجة تحدث للنفس الطرب
كانها كافورة لها غشاء من ذهب
ويسمى أيضاً « تفاح ماهي » وتفتح مائى . واسمه العلمى :
Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى فى حلبة
الكميت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :

خاف التلون إذ آتته لأنها لوان باطنها خلاف الظاهر
٣٥ - الحيوان - ٣

ويشبه هذين البيتين ما قيل في التطير من السفرجل (حلبة
الكسيت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيراً منه فظلّ نهاره متحيراً
خاف الفراق لأن شطرها جائه سَفَرٌ وحقّ له بأن يتطيراً

٤٧٤ ١١ « حتى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية في ط، ش، ل، وكذا

العمدة (٢: ٢٠) والوساطة ٤٤. والأجود من هذه الرواية رواية
الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١: ١٩٠) والعمدة (٢: ٢٢٠)
ونقد النثر ص ٩٠: « حتى إذا طعنوا ». قال الشنتمري في تأويل
البيت: « يقول: إذا ارتدى الناس في الحرب بالنبل دخل هو
تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا
تضاربوا بالسيف اعتنق قِرنه والتزمه ».

٤٧٦ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد التاء المثلثة، كان لك فيها أوجه

ثلاثة: أولها البيان، وهو الأصل. وثانيها تحويلها مع التاء
إلى تاء مشناة مدغمة. وثالثها تحويلها إلى تاء مثلثة مدغمة.
وتقول في الافتعال من « ثأر »: اثنأر، واثأر، واثأر.
وفي مفتعل من « ثرد »: مثرد، ومثرد، ومترد. انظر شرح
المفصل لابن يعيش (١٠: ١٨٤: ٢٦-٣٠).

٤٨٧ ٣ « خيزران ربحها عبق » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق

من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١: ٢٩٤).

وأنت الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة
« ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذ . وقد أسهب
البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ -
١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ،
واستدراك طيب لهذا الشذوذ الصرفى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن
الأصبهاني فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف :
« استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده
جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب
المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا :
كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها
فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥
١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ } محمد السيد محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة	
٥	باب ذكر الحمام
٥٩	» في صدق الظن وجودة الفراسة
٩١	» من المديح بالجمال وغيره
١٠٥	» آخر في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً
١٢٢	» من القطن وفهم الرطانات والكينيات والفهم والإفهام
١٣٩	» ذكر خصال الحرم
١٤٤	» ذكر الحمام
٢٢٧	» ومن كرم الحمام
٢٤٤	» ليس في الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح
٢٥٣	» الحمام طائر لنيم
٢٩٨	» القول في أجناس الدَّبَّان
٣٨٠	» رَجْعُ القول إلى ذكر الدَّبَّان
٤٠٩	» القول في الغُرَبان
٤٨١	» فيمن يَهْجَى وَيُذَكَّرُ بالشَّوْم
٤٩١	» في مديح الصَّالحين والفقهاء
٤٩٦	» القول في الجِعْلان والخنافس
٥١٠	» القول في الهدهد
٥١٩	» القول في الرَّحَم
٥٢٦	» القول في الخفَّاش